المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

(٠٣٢)

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

قسم التفسير وعلوم القرآن

استنباطات السلف من القرآن الكريم التي تتعلق بالتربية والسلوك من خلال كتاب الدُّر المنثور للسيوطي (جمعاً ودراسةً)

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه)

إعداد الطالب:

ضيف الله بن عيد بن صالح الرفاعي

إشراف فضيلة الشيخ:

أ.د. محمد بن عبدالعزيز العواجي

العام الجامعي ١٤٣٦-١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه رحمة للعالمين، وهداية للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، حثهم على تلاوته وتدبره، وأخبرهم أنه لأسباب الفلاح جامعاً، ولأفضل الأخلاق هادياً، ولأمراض الصدور شافياً، والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد:

فإنَّ الله ﷻ منَّ على هذه الأمَّة ببعثة نبيه محمد ﷺ، وأنزل عليه كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المعجزة الباقية إلى يوم الدِّين، لا تَمَلُّ منه النفوس، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، ويزداد حلاوة بكثرة ترداده، ولا عجب في ذلك؛ لأنه كلام الباري تبارك وتعالى.

وإنَّ المقصود الأعظم من إنزال الكتاب هو تدبر آياته، والعمل به، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩].

وقد مدح الله أهل الاستنباط في كتابه، وأخبر أنهم أهل العلم، وأمر عند النزاع بردّ الأمر إليهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾[النساء: ٨٣][(١)].

وذمَّ نبينا محمد ﷺ الخوارج[(٢)] الذين يقرؤون القرآن لا يجاوز

---

(١) ينظر: إعلام الموقعين (١/ ٢٢٥).

(٢) الخوارج: هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ﵁ في صِفِّين يوم التحكيم؛ حيث كرهوا الحكم والتحكيم، وقالوا لا حكم إلا لله، وخرجوا عن إمرته وخلافته، وسموا بذلك لخروجهم عن الدين وابتداعهم، أو خروجهم عن خيار المسلمين. ينظر: الفرق بين الفرق (٥٥)، الملل والنحل (١/ ١١٤)، الفصل في الملل (٢/ ٨٩). للاستزادة عن هذه الفرقة. ينظر: كتاب الخوارج مناهجهم وأصولهم

حناجرهم[١].

لذا دعا النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: (اللهم فقهه في الدين، وعلّمه التأويل)[٢]، وفهم ابن عباس رضي الله عنهما فهماً غير ظاهر في سورة النصر، حيث قال: "هو أجل رسول الله ﷺ، وقال من هو أكبر منه من الصحابة: إن معنى الآية: أمرَنا تعالى أن نحمده ونستغفره إذا نصَرَنا وفتَحَ علينا"[٣].

فهذا يبيّن مكانة الفهم والاستنباط لمن أوتيه.

ولا شك أن فهم السلف الصالح واستنباطاتهم أولى بالاعتناء بها من غيرهم ممن جاء بعدهم؛ لأنهم هم أصحاب القرون المفضّلة الذين أشار إليهم النبي ﷺ بقوله: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[٤]، وهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين[٥].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما (ت:٦٨هـ) للخوارج: (جئت أحدثكم عن

وسماتهم قديماً وحديثاً وموقف السلف منهم. تأليف: د. ناصر بن عبدالكريم العقل.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله ﷻ: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾، برقم: (٣١٦٦)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم: (١٠٦٤).

(٢) أخرج البخاري الشطر الأول، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، برقم: (١٤٣)، وأحمد أخرجه كاملاً في المسند (٥/ ٢١٥)، وقال محققه: "إسناده صحيح".

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح، برقم: (٤٠٤٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، برقم: (٣٤٥١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم: (٢٥٣٣).

(٥) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٨٥).

أصحاب رسول الله ﷺ، نزل عليهم الوحي، وهم أعلم بتأويله)[١].

وقال عنهم عمر بن عبدالعزيز رحمه الله (ت:١٠١هـ): (فإنهم على عِلْمٍ وقفوا، وببصر نافذ كفّوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى،...)[٢].

ومِن أكثر من جمع أقوال السلف في التفسير التي تضمنت جملة من الاستنباطات هو الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله (ت:٩١١هـ) في كتابه: (الدُّر المنثور في التفسير المأثور).

ونظراً لكثرة هذه الاستنباطات؛ فقد قام الأخ محمد بن صالح الراشد - صاحب فكرة هذا المشروع - بدراسة ما يتعلق بأبواب العقائد والعبادات، ولم تناقش بعد.

ثم أخذ الأخ أنس بن عبدالله بن محمد دراسة ما يتعلق بأبواب المعاملات، وقد تمت مناقشة الرسالة.

وأحببت أن يكون لي نصيب في دراسة هذه الاستنباطات، فأخذت ما يتعلق بالتربية والسلوك.

وقد بلغ عدد الاستنباطات مائة واثنين وثمانين استنباطاً، وبلغ عدد الآثار مئتين وتسعة عشر أثراً.

ومن هذه الاستنباطات ما وقع بين السلف فيه خلاف في صحته، وبعض

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (١٠/ ١٥٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٥٧)، وأبونعيم في الحلية (١/ ٣١٩)، وصححه إسناده ابن تيمية. منهاج السنة النبوية (٨/ ٥٣١).

(٢) أخرجه أبوداود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، برقم: (٤٦١٢)، وقال الألباني: "صحيح مقطوع". صحيح سنن أبي داود (٣/ ١٢٢)، برقم: (٤٦١٢).

الاستنباطات قد يُختلف فيها من حيث هل هو تفسير أو استنباط؛ وقد اجتهدت في تحديده.

۞ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تعلقه بكلام الله ﷻ، الذي حث في غير موضع من كتابه على تدبر القرآن، والاستنباط من ثمرة التدبر.

٢- تعلقه باستنباطات السلف، وهم خير القرون، وفهمهم لكلام الله ﷻ أولى من فهم غيرهم.

٣- إنَّ استنباطاتهم شاملة لجميع علوم الدين من عقائد، وعبادات، ومعاملات، وغيرها.

٤- القيمة العلمية لكتاب (الدُّر المنثور) حيث جمع جملة من الاستنباطات مع أسانيدها.

٥-أهمية التثبت من صحة هذه الآثار وصحة نسبتها للمستنبِط، وأهمية معرفة الخلاف فيها، والراجح في ذلك.

٦- البحث في استنباطات السلف ومقارنتها مع من بعدهم؛ يتيح للدارس الاطلاع على أمهات الكتب والمراجع، والتعرف على مناهج العلماء وأساليبهم في الاستنباط.

۞ أهداف الموضوع:

١- بيان منهج السلف وطريقتهم في الاستنباط حتى نتأسى بهم.

٢- جمع هذه الاستنباطات في كتاب واحد ليسهل الاستفادة منها.

٣- دراسة كل استنباط سنداً ومتناً وذكر أقوال العلماء فيه.

الدراسات السابقة:

١- لم أجد حسب علْمي من جمع استنباطات السلف من القرآن ودَرَسَها سنداً ومتناً.

٢- هناك دراسات عن منهج الاستنباط من القرآن الكريم والفرق بين الاستنباط والتفسير:

أ- **منهج الاستنباط من القرآن الكريم** للدكتور مبارك بن فهد الوهبي، وهي رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ب- **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر** للدكتور مساعد الطيار.

ت- **معالم الاستنباط في التفسير**، للدكتور نايف بن سعيد الزهراني، نشر في مجلة معهد الإمام الشاطبي، في العدد الرابع ١٤٢٨هـ.

٣- رسائل علمية في الاستنباط عند بعض المفسرين بعد القرون المفضلة: وقد تم ترتيبها على حسب الوفاة.

١- الاستنباط عند الإمام الطحاوي (ت:٣٢١هـ) في كتابه أحكام القرآن، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، للباحث/ محمد بن طيب بن حسين.

٢- الاستنباط عند الإمام القَصَّاب (ت:٣٦٠هـ) من خلال تفسيره نكت القرآن، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، للباحث/ محمد بن عبدالعزيز الصعب.

٣- منهج الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ) في استنباط الأحكام من خلال تفسيره أحكام القرآن، سورة النساء نموذجاً، دبلوم دراسات عليا بكلية الآداب بفاس بالمغرب، للباحث/ عبدالواحد الصغيري.

٤- الاستنباط عند الإمام أبي المظفر السمعاني (ت:٤٨٩هـ)، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للباحث/ فهد القويفل.

٥- الاستنباط عند الإمام الكيا الهراسي (ت:٥٠٤هـ) في كتابه أحكام القرآن، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، للباحث/ محمد أبوبكر باوزير.

٦- الاستنباط عند الإمام البغوي (ت:٥١٦هـ)، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، للباحث/ عبدالله بن سعد الثبيتي.

٧- منهج الإمام أبي بكر ابن العربي (ت:٥٤٣هـ) في استنباط الأحكام من خلال كتابه أحكام القرآن، سورة البقرة نموذجاً، دبلوم دراسات عليا بجامعة القرويين، للباحث/ الأنصاري الحاج العربي.

٨- الاستنباط قواعده وتطبيقاته عند ابن العربي المالكي (ت:٥٤٣هـ) في تفسيره أحكام القرآن، رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود، للباحثة/ إيمان بنت أسعد أركوبي.

٩- الاستنباط عند الإمام ابن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ) في تفسيره المحرر الوجيز، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، للباحثة/ عواطف بنت أمين البساطي.

١٠- منهج الاستنباط عند ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١١- الاستنباط عند الإمام ابن الفرس الأندلسي (ت:٥٩٧هـ) في كتابه أحكام القرآن، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، للباحث/ عبدالله العمودي.

١٢-الاستنباط عند الإمام الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ) من خلال تفسيره مفاتيح الغيب، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، للباحث/ عبدالله بن معايل القحطاني.

١٣- منهج الإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت:٦٧١هـ) في استنباط الأحكام من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن، رسالة ماجستير بجامعة آل البيت بالأردن، للباحث/ حارث بن محمد العيسى.

١٤-الاستنباط عند القاضي البيضاوي (ت:٦٨٥هـ) من خلال تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، للباحث/ يوسف بن زيدان السلمي.

١٥-استنباطات ابن جزي الكلبي (ت:٧٤١هـ) في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل، رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للباحث/ علي بن عبدالرحمن النجاشي.

١٦- منهج الاستنباط من القرآن الكريم عند ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) من خلال ما جمع من تفسيره، في كلية أصول الدين بالجزائر.

١٧-استنباطات الإمام ابن كثير (ت:٧٧٤هـ)، رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للباحثة/ بدرية الحمود.

١٨- الاستنباط عند الإمام الموزعي (ت:٨٢٥هـ) من خلال كتابه تيسير البيان لأحكام القرآن، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، للباحث/ أحمد بن سالم باطاهر.

١٩-منهج الإمام السيوطي (ت:٩١١هـ) في الاستنباط من خلال كتابه الإكليل في استنباط التنزيل، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، للباحث/ رياض بن محمد الغامدي.

٢٠-الاستنباط عند الامام أبي السعود (ت:٩٥١هـ) من خلال تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، للباحث/ أيمن بن نبيه المغربي.

٢١-الاستنباط عند الخطيب الشربيني (ت:٩٧٧هـ) في تفسيره السراج المنير، رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للباحثة/ أسماء بنت محمد الناصر.

٢٢-منهج شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب (ت:١٢٠٦هـ) في التفسير وتحقيق جزء من تفسيره، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، للباحث/ مسعد بن مساعد الحسيني.

٢٣-استنباطات الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ) في تفسيره فتح القدير، رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للباحثة/ خلود العبدلي.

٢٤-الاستنباط عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت:١٢٨٤هـ) في تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، للباحث/ أيمن صابر.

٢٥-آليات الاستنباط عند الطاهر بن عاشور (ت:١٢٨٤هـ) من خلال تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير في كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر، للباحث/ مراد بن أحمد عطاسي.

٢٦- الاستنباط عند الإمام القاسمي (ت:١٣٣٢هـ) من خلال تفسيره محاسن التأويل، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، للباحث/ محمد بن صالح بالطيور.

٢٧-استنباط القرآن عند ابن بدران الحنبلي (ت:١٣٤٦هـ) في سورة البقرة، بجامعة أم القرى، للباحثة/ شهد المالكي.

٢٨-استنباطات الشيخ عبدالرحمن السعدي (ت:١٣٧٦هـ) من القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للباحث/ سيف بن منصر الحارثي.

٢٩-الاستنباط من القرآن الكريم عند العلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ) من خلال تفسيره أضواء البيان، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، للباحث/ رائد الكحلان.

٣٠-منهج الاستنباط من القرآن الكريم عند الإمام محمد الأمين الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ) من خلال كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، رسالة ماجستير في كلية العلوم الإسلامية في الجزائر، للباحث/ سليم بوعون.

٣١-الاستنباط عند الشيخ محمد أبي زهرة (ت:١٣٩٤هـ) في تفسيره زهرة التفاسير، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، للباحثة/ منال القرشي.

٣٢-الاستنباط عند الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت:١٤٢١هـ) في تفسيره، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، للباحث/ صالح بن محمد القحطاني.

٣٣-الاستنباط عند وهبة الزحيلي في التفسير المنير، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، للباحثة/ أعياد بنت منصور دقنة.

٣٤-التنبيهات التربوية المستنبطة من آيات نداء الرحمن لبني آدم في سورة الأعراف وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، للباحث/ عيسى بن محمد الأنصاري.

٣٥-الدلالات التربوية المستنبطة من آيات الصبر في القران الكريم وتطبيقاتها وتطبيقاته في الأسرة والمدرسة، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في جامعة أم القرى، للباحث/ نبيل بن أحمد الغامدي.

٤-كَتَبَ المفسرون مؤلفات خاصة عن استنباط الأحكام من القرآن الكريم، ككتب الأحكام المشهورة أو الكتب التي عُنْوِنَت بالاستنباط أو ما يدل عليه:

١- نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام للإمام محمد بن علي القَصَّاب الكرجي (ت:٣٦٠هـ).

٢- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية لنجم الدين سليمان الطوفي (ت:٧١٦هـ).

٣-الإكليل في استنباط التنزيل لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت:٩١١هـ)

٤-استنباط القرآن للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت:١٢٠٦هـ).

٥- جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار لعبدالقادر بن أحمد بن بدران (ت:١٣٤٦هـ)

٦- فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام لعبدالرحمن بن ناصر

السعدي(ت:١٣٧٦هـ).

❋ العلاقة بين تلك الدراسات وبين هذه الدراسة:

أن تلك الدراسات تتعلق بدراسة استنباط المفسر لا أقوال السلف ﷺ في الآية، وهذه الرسالة تتعلق باستنباطات السلف ﷺ في الآية.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثمانية فصول وخاتمة وفهارس علمية.

تفصيلها كما يلي:

المقدمة: وتشتمل على:

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه.

التمهيد: ويحتوي على التفسير والاستنباط عند علماء السلف. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التفسير والاستنباط.

المبحث الثاني: تعريف التربية، والسلوك، والسلف ﭫ.

المبحث الثالث: الفرق بين التفسير والاستنباط.

المبحث الرابع: أهمية استنباطات السلف ﭫ من القرآن الكريم.

المبحث الخامس: منهج السلف ﭫ في الاستنباط من القرآن الكريم.

المبحث السادس: أشهر علماء السلف ﭫ من جهة الاستنباطات، وذكر الدلالات الأصولية التي استخدموها في الاستنباط.

الفصل الأول: الابتلاء. وفيه ثلاثة وثلاثون استنباطاً، واثنان وأربعون أثراً.

الفصل الثاني: محاسن الأخلاق. وفيه ثلاثون استنباطاً، وستة وثلاثون أثراً.

الفصل الثالث: الأدب. وفيه خمسة عشر استنباطاً، وتسعة عشر أثراً.

الفصل الرابع: العلم. وفيه واحد وعشرون استنباطاً، وثمانية وعشرون أثراً.

الفصل الخامس: الذِّكر. وفيه سبعة عشر استنباطاً، وواحد وعشرون أثراً.

الفصل السادس: الدعاء. وفيه اثنا عشر استنباطاً، وخمسة عشر أثراً.

الفصل السابع: مساوئ الأخلاق. وفيه سبعة عشر استنباطاً، وتسعة عشر أثراً.

الفصل الثامن: استنباطات متفرقة. وفيه سبعة وثلاثون استنباطاً، وأربعون أثراً[1].

الخاتمة:

وتتضمن نتائج البحث وتوصيات الباحث.

الفهارس: وتشتمل على:

١. فهرس الآيات القرآنية.

٢. فهرس الأحاديث والآثار.

٣. فهرس الأعلام.

٤. فهرس المصادر والمراجع.

٥. فهرس الموضوعات.

---

(١) رتبت الفصول على هذا النحو اقتباساً من ترتيب النووي لكتابه رياض الصالحين.

۞ منهج البحث:

لقد سِرت في إعداد هذه الرسالة وفق المنهج الآتي:

١-استقراء آثار السلف التي تحوي استنباطاتهم من القرآن الكريم في كتاب "الدُّر المنثور" للسيوطي.

٢-قد يتوارد على الاستنباط الواحد منها جماعة من السلف، وفي هذه الحال أعتبره استنباطاً واحداً.

٣-الحكم على هذه الآثار اعتماداً على أقوال العلماء في تصحيح أو تضعيف إسناد الاستنباط، وسلوك سبل الترجيح في الحكم على هذه الأسانيد.

٤-النظر في المعاني المستنبطة وفي طريقة الاستدلال عليها من الآية، هل هي محل اتفاق أو اختلاف بين العلماء؟ ومحاولة الترجيح عند الاختلاف.

٥-الاستنباط الذي يتجاذبه أكثر من موضوع، أذكره في المكان الأول، وفي الموضع الآخر أعزو للموضع الأول.

٦- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني.

٧- خرّجت الأحاديث من مصادرها في كتب السُّنة، مع ذكر حكم علماء الحديث عليها إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.

٨- طريقة دراسة الاستنباط:

أ - وضعت عنواناً للاستنباط.

ب - كتابته كما هو موجود في كتاب "الدُّر المنثور"، وبسبب ذلك تركت الترضي على الصحابة رضوان الله عليهم في الآثار مراعاة للمصدر، ولم أترك التلفظ بها.

ج - تخريجه من المصادر المطبوعة.

د - دراسة الإسناد والحكم عليه بقدر الاستطاعة وحسب علمي القاصر.

هـ - ذكرت المعنى الإجمالي للآية أو الآيات المستنبط منها.

و - ذكرت وجه أو كيفية الاستنباط من الآية.

ز - نقلت كلام العلماء في موافقة أو مخالفة المعنى المستنبط، والترجيح بين أقوالهم.

١- عزوت الأبيات الشعرية إلى قائليها.

٢- وضحت الكلمات الغريبة والمصطلحات العِلْمية.

٣- وثقت الأقوال المنقولة عن العلماء بالإحالة إلى مواضعها في كتبهم.

٤-ترجمت بإيجاز للأعلام غير المشهورين.

٥- عرّفت بإيجاز بالأماكن والبلدان.

٦- التزمت بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٧- سرت في ترتيب الاستنباطات في كل فصل على ترتيب السور في المصحف، إلا إذا وجدت استنباطات تتحدث عن موضوع متقارب فإني تركت الترتيب، وراعيت الوحدة الموضوعية.

٨-الاستنباطات التي موضوعها واحد جعلتها تحت عنوان واحد، سواءً كانت من آية واحدة أو أكثر.

٩- تركت الترحم على من نقلت عنهم من العلماء - رحمهم الله جميعاً وغفر لهم - خشية إطالة الرسالة، والله أسأل لجميع علمائنا الرحمة والرضوان.

١٠- ذيلت البحث بالفهارس الفنية على النحو المبين في الخطة.

شكر وتقدير

لا يسعني في الختام إلا أن أشكر الله الكريم المنان أولاً وأخراً على ما منَّ به عليَّ من إكمال هذه الرسالة، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأسأله القبول والغفران.

وأثني بالشكر لوالدَيَّ العزيزين، فلهما عظيم الفضل عليّ، والباحث والبحث إنما هو من حسناتهما.

وأشكر زوجتي على دعمها الدائم لي، وصبرها المتواصل على تقصيري، وقيامها بمسؤولية تربية ورعاية الأبناء وقت انشغالي بالرسالة.

ثم أشكر القائمين على الجامعة الإسلامية على ما قدموه ويقدمونه من تسهيلات لي ولطلبة العلم، وأخص بالشكر معالي مدير الجامعة الإسلامية، والشكر موصول لعمادة الدراسات العليا، وكلية القرآن والدراسات الإسلامية.

كما أسدي جزيل الشكر وعظيم الامتنان للأخ محمد بن صالح الراشد صاحب فكرة هذا المشروع الذي قام بجمع الاستنباطات، وكتابة الخطة.

ثم أتوجه بجزيل الشكر والثناء، وصادق الدعاء لفضيلة شيخي أ.د. محمد بن عبدالعزيز العواجي صاحب الفضل عليَّ في تسجيل هذه الرسالة قبل الإشراف عليها، فلن أوفيه حقه مهما فعلت، فقد غمرني بكرمه وفضله، وجلّلني بوافر أدبه، وأفادني من علمه وتوجيهاته، فأسأل الله الكريم أن يرفع قدره، ويعلي منزلته، وأن يجزيه عني خير الجزاء وأوفاه.

وأتقدم بالشكر للأستاذين الفاضلين اللذين تبرعا بقبول قراءة هذه الرسالة.

وأسأل الله العلي القدير أن يجزي كل من ساهم في إنجاز هذه الرسالة خير الجزاء.

اللهم ألهمنا رشدنا، وقنا شر أنفسنا، واختم بالصالحات أعمالنا.

وصلى الله وسلم على نبيا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

۞المبحث الأول: مفهوم التفسير والاستنباط.

۞المطلب الأول: مفهوم التفسير.

أولاً: التفسير في اللغة:

تأتي مادة "فَسَرَ" في لغة العرب على معنى البيان والكشف والوضوح[1].

والتفسير: تفعيل من الفَسْرِ؛ بمعنى البيان وكشف المراد عن اللفظ المُشكِل[2].

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[الفرقان: ٣٣]. أي: أفصح بياناً وتفصيلاً[3].

ثانيا: التفسير اصطلاحاً:

اختلفت عبارات المعرَّفين لمصطلح التفسير، وكان فيها توسُّع أو اختصار، وممن عرَّفه[4]:

ابن جزي (ت:٧٤١هـ) بقوله: "معنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصِّه أو إشارته أو نجواه"[5].

---

(١) ينظر: العين (٧/ ٢٤٧)، تهذيب اللغة (١٢/ ٢٨٣)، مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٤).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٨٣)، مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٤).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢١٠).

(٤) استفدت في جمع هذه التعريفات من كتاب التفسير اللغوي (٢١-٢٥).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٦).

وعرَّفه الزركشي (ت:٧٩٤هـ) فقال: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"(١).

وقال منّاع القطان (ت:١٤٢٠هـ): "بيان كلام الله المنزل على محمد ﷺ"(٢).

وقال ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ): "بيان معاني القرآن الكريم"(٣).

والتعريف الثالث والرابع من أوضح التعاريف، وأدلُّها على المعنى المراد عند المتأخرين، وأفضلها للأسباب التالية:

الأول: النص على مهمة المفسّر، وضابط التفسير؛ وهي الشرح والبيان والإيضاح.

الثاني: إخراج علوم القرآن الكريم من تعريف التفسير.

الثالث: أن هذا المصطلح أقرب إلى منهج تفسير السلف، إذ لا تجد عندهم في تفاسيرهم تلك الاستطرادات التي عند المتأخِّرين(٤).

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٣).

(٢) مذكرة علوم القرآن، كتبها لطلاب الدراسات العليا بقسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين، عام ١٤١٩-١٤١٠هـ. نقلت التعريف وتوثقيه من كتاب التفسير اللغوي للقرآن الكريم للدكتور مساعد الطيار.

(٣) أصول في التفسير (٢٥).

(٤) ينظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (٦٨-٧٣).

۞المطلب الثاني: مفهوم الاستنباط.

أولاً: الاستنباط في اللغة:

تدل مادة "نَبَطَ" في لغة العرب على استخراج شيء[(١)]، ومنه قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[النساء: ٨٣]، أي: يستخرجونه[(٢)].

قال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "كل مستخرج شيئًا كان مستترًا عن أبصار العيون، أو عن معارف القلوب، فهو له مستنبط، يقال: استنبطت الرَّكِيَّة[(٣)]: إذا استخرجت ماءها"[(٤)].

وقال ابن دريد (ت:٣٢١هـ): "وكل شيء أظهرته بعد خفائه فقد أنبطته واستنبطته، واستنبطت من فلان علماً أو خبراً أو مالاً إذا استخرجته منه،...، واستنبطت هذا الأمر إذا فكَّرت فيه فأظهرته"[(٥)].

والألف والسين والتاء في استنبط تدل على تطلُّبِ الشيء لأجل حصوله، وكأن فيها معنى التكلف في إعمال العقل الذي يحتاج المستنبط حال الاستنباط[(٦)].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٣٨١)، العباب الزاخر (١/ ٣٢٣).

(٢) ينظر: مجاز القرآن (١/ ١٣٤)، غريب القرآن لابن قتيبة (٣٢١)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٨٣).

(٣) الرَّكِيَّة: البئر. ينظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١٩١).

(٤) جامع البيان (٨/ ٥٧١).

(٥) جمهرة اللغة (١/ ٣٦٢).

(٦) ينظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (١٥٩)، منهج الاستنباط (٣٢).

ثانيا: الاستنباط اصطلاحاً:

الاستنباط: استخراج ما وراء ظواهر معاني الألفاظ من الآيات القرآنية[١].

وهذا التعريف من أنسب التعاريف لمفهوم الاستنباط عند السلف ﷺ.

فكلمة (استخراج): فيها معنى الجهد، وهو مراع لمعنى الكلمة في اللغة.

و(ظواهر معاني الألفاظ): ما يتوقف فهم القرآن عليه من المعاني المباشرة[٢].

---

(١) معالم الاستنباط في التفسير (٢١).

وللاستزادة لمعنى الاستنباط عند المتقدمين والمتأخرين فقد ذكر الدكتور فهد الوهبي جملة من التعاريف في كتابه منهج الاستنباط (٣٣-٣٤).

(٢) معالم الاستنباط في التفسير (٢١).

المبحث الثاني: تعريف التربية والسلوك، والسلف ﷺ.

المطلب الأول: تعريف التربية.

أولاً: التربية لغة: تطلق على الزيادة والنماء، والإصلاح والنشأة[١].

ثانياً: التربية اصطلاحاً: إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام[٢].

المطلب الثاني: تعريف السلوك.

أولاً: السلوك لغة: مصدر سلك، يقال: سلك طريقاً، وسلك المكان يسلكه سلكاً وسلوكاً[٣].

ثانياً: السلوك اصطلاحاً: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه[٤].

والمراد بالاستنباطات المتعلقة بالتربية والسلوك: هي الاستنباطات التي استخرجها السلف من القرآن الكريم بهدف تهذيب أخلاق المسلم وسيرته، وإصلاح ظاهره وباطنة على وفق منهج الإسلام.

المطلب الثالث: تعريف السلف.

السلف لغة: الجماعة المتقدمون[٥].

السلف اصطلاحاً: هم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، أصحاب القرون المفضلة[٦].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٩٥)، مقاييس اللغة (٢/ ٤٨٣)، اللسان (١/ ٤٠٤).

(٢) المفردات (١٨٤).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣٨)، اللسان (١٠/ ٤٤٢).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٤٥).

(٥) ينظر: اللسان (٩/ ١٥٨).

(٦) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٨٥)، مجموع الفتاوى (٥/ ٢٧١).

۞المبحث الثالث: الفرق بين التفسير والاستنباط.

الاستنباط من أشدِّ علوم القرآن ارتباطاً بعلم التفسير، ولا يمكن الاستنباط من الآية إلا بعد معرفة تفسيرها، ومن أبرز الفروق بينهما ما يلي:

١- الفرق اللغوي بينهما، فالتفسير في اللغة: الكشف والبيان، والاستنباط في اللغة: الاستخراج.

٢- مرجع التفسير هو اللغة وكلام السلف، ومرجع الاستنباط هو ربط الآية بمدلولها من خلال التدبر والتأمل في الآيات.

٣- التفسير مختص بمعرفة المعاني، والاستنباط مختص باستخراج ما وراء المعاني من الفوائد والأحكام الخفية.

٤-مصطلح التفسير اختص بالقرآن الكريم، بخلاف الاستنباط، فقد يكون من القرآن أو السنة(١).

(١) ينظر: منهج الاستنباط (٥٨-٥٩).

۞المبحث الرابع: أهمية استنباطات السلف من القرآن الكريم.

١- سلامة المعتقد عند السلف ﷺ.

٢- تعلقه بكلام الله ﷻ الذي حث في غير موضع من كتابه على تدبر القرآن، والاستنباط من ثمرة التدبر.

٣- فهم السلف ﷺ لكلام الله أولى من فهم غيرهم، فقد عاشوا الوحي والتنزيل، وكانوا أهل لغة وبيان، وهم المشهود لهم بالخيرية.

٤- تميزت استنباطات السلف ﷺ بأنها عبارات موجزة، وجمل مختصرة، تحتوي على كثير من العلم والفوائد.

٥- أن أفضل العلوم في تفسير القرآن، واستنباط فوائده وأحكامه، ما كان مأثوراً عن السلف ﷺ.

٦- أن الاستنباط علم مستمر لا ينقطع، فمعرفة طريقتهم ومنهجهم في الاستنباط، يعين على الاقتداء بهم، والسير على منهجهم.

٧- معرفة جهود السلف ﷺ المبذولة في العناية بالقرآن الكريم، واستخراج الأحكام والمعاني منه.

۞المبحث الخامس: منهج السلف في الاستنباط من القرآن الكريم.

منهج السلف الصالح في الاستنباط، وفهمهم لكتاب الله أولى من غيرهم، فقد عاشوا الوحي والتنزيل، فهم أعلم الأمة بكتاب الله تعالى، وهم المشهود لهم بالخيرية، ويتمثل منهجهم في ما يلي:

١- سهولة العبارة مع وجازتها، وجمعها لكثير من الفوائد والأحكام، كما في الاستنباط العشرين، والحادي والعشرين في الابتلاء، والاستنباط السابع، والرابع والعشرين في محاسن الأخلاق، والاستنباط الخامس عشر في مساوئ الأخلاق.

٢- بُعدهم عن التكلف، وتجنبهم كثرة الجدال والخصام الذي لا فائدة منه، كما في الاستنباط الثامن، والثاني والعشرين في الابتلاء، والاستنباط الخامس في العلم.

٣- شمولية استنباطاتهم وتنوعها لجميع مسائل الدين، فلهم استنباطات في العقائد والعبادات، والمعاملات، والتربية والسلوك، وغير ذلك.

٤- تنزيل النص على الواقع، كما في الاستنباط الرابع في مساوئ الأخلاق.

٥- في بعض الاستنباطات يجمعون بين التفسير والاستنباط، فيبيّن المُستنبِطُ تفسير الآية ثم يذكر بعده الاستنباط، كما في الاستنباط السابع في محاسن الأخلاق، والاستنباط العاشر في الأدب، والاستنباط الرابع في الدعاء.

٦- طريقة ذكرهم للاستنباط إما أن يكون قبل الآية، أو بعدها، بحيث يذكر الاستنباط ثم يذكر بعده الآية، أو الآية ثم بعدها الاستنباط، كما في الاستنباط الأول، والسادس في الابتلاء، والأول والثاني في العلم.

٧-أحياناً يذكر الحديث النبوي ثم يستنبط ما يؤيده من كتاب الله تعالى، كما في

الاستنباط الثاني عشر في الأدب، والاستنباط الحادي عشر في الدعاء، والاستنباط الثامن في مساوئ الأخلاق.

٨- أحياناً يكون الاستنباط له سبب، بحيث تحدث حادثة، أو سؤال، ثم يُبين الحكم استنباطاً من الآية، كما في الاستنباط السادس في الابتلاء، والاستنباط التاسع والعشرين في محاسن الأخلاق، والاستنباط السادس عشر في مساوئ الأخلاق، والاستنباط الخامس في متفرقات.

٩- لا يذكرون طرق ودلالة الاستنباط التي توصلوا بها إلى المعنى المُستنبط.

المبحث السادس: أشهر علماء السلف من جهة الاستنباطات.

ذكرت أشهر علماء السلف الذين لهم استنباطات في التربية والسلوك، إذ هي مجال البحث هنا؛ لأنه كما لا يخفى أن علماء السلف اشتهر كل واحد منهم بالعلم الذي يتقنه، والتخصص الذي برع فيه، وإن كان لبعضهم قصب السبق في شتى مجالات العلوم، وقد جعلت ضابط الشهرة بناءً على عدد استنباطاتهم، فذكرت كل من له أربعة استنباطات فأكثر في هذه الرسالة، ثم ذكرت الفصل الذي اشتهر فيه كل واحد منهم على حسب كثرة استنباطاته فيه مقارنة مع غيره من الفصول.

أولاً: من الصحابة:-

١- عبدالله بن عباس رضي الله عنهما (ت:٦٨هـ)، من صغار الصحابة، وابن عم النبي ﷺ، وترجمان القرآن، دعا له النبي ﷺ بالفقه ومعرفة التأويل، وقد بلغ عدد استنباطاته التي دخلت الدراسة هنا خمسة وثلاثين استنباطاً، وقد اشتهر باستنباطاته في جميع فصول هذه الرسالة، فلا تجد فصلاً إلا وله فيه أكثر من استنباط، ولا غرابة فهذا ببركة دعاء النبي ﷺ.

٢- عبدالله بن مسعود رضي الله ﷺ (ت:٣٢هـ)، من الصحابة السابقين الأولين، وكبار العلماء، وجمع القرآن في عهد النبي ﷺ، وقد بلغ عدد استنباطاته التي دخلت الدراسة هنا ثلاثة عشر استنباطاً، واشتهر باستنباطاته في العلم، وفي الاستنباطات المتفرقة.

٣-أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت:٢٣هـ)، من الخلفاء الراشدين، ونزل القرآن بموافقته في أشياء، وقد بلغ عدد استنباطاته التي دخلت الدراسة هنا ستة استنباطات، وأكثر استنباطاته في محاسن الأخلاق.

ثانياً: من التابعين:-

١- قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله (ت:١١٧هـ)، من التابعين، وأحد الأئمة الأعلام، وقد بلغ عدد استنباطاته التي دخلت الدراسة هنا واحداً وثلاثين استنباطاً، وقد اشتهر باستنباطاته في جميع فصول هذه الرسالة غير فصل الدعاء.

٢- الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله (ت:١١٠هـ)، من التابعين، فقيه فاضل، وقد بلغ عدد استنباطاته التي دخلت الدراسة هنا واحداً وعشرين استنباطاً، وأكثر استنباطاته في الابتلاء ومحاسن الأخلاق.

٣- محمد بن سيرين الأنصاري رحمه الله (ت:١١٠هـ)، من التابعين، ثقة ثبت عابد، وقد بلغ عدد استنباطاته التي دخلت الدراسة هنا خمسة استنباطات، وأكثر استنباطاته في محاسن الأخلاق.

٤- سعيد بن جبير الأسدي رحمه الله (ت:٩٥هـ)، ثقة ثبت فقيه، وقد بلغ عدد استنباطاته التي دخلت الدراسة هنا أربعة استنباطات، وأكثر استنباطاته في الابتلاء.

ثالثاً: من أتباع التابعين:-

١- عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي (ت: ١٨٢هـ)، من أتباع التابعين، مفسر، وقد بلغ عدد استنباطاته التي دخلت الدراسة هنا أربعة استنباطات، وأكثر استنباطاته في محاسن الأخلاق.

وقد بلغ عدد علماء السلف الذين ذكرت لهم استنباطات في هذه الرسالة ثمانين عالماً.

۞ دلالات الاستنباط عند السلف ﷺ:-

ذكرت الدلالات الأصولية التي استخدمها السلف ﷺ لاستنباط المعاني من القرآن الكريم، وقد رتبتها بناءً على عدد تكررها، وبينت كم مرة وردت في البحث.

١- دلالة مفهوم الموافقة، وتكررت في البحث اثنتين وثمانين مرة.

٢- دلالة الإشارة، وتكررت في البحث اثنتين وخمسين مرة، وجاء على الصور التالية:-

أ- دلالة الإشارة، وتكررت خمسين مرة.

ب- دلالة الإشارة مع دلالة السنة، وتكررت مرتين.

٣- دلالة الاقتران، وتكررت في البحث ستاً وعشرين مرة، وجاءت على الصور التالية:-

أ - دلالة الاقتران بين الآيات، وتكررت ثلاث عشرة مرة.

ب - دلالة الاقتران بين الآيتين، وتكررت أربع مرات.

ج - دلالة الاقتران بين أجزاء الآية الواحدة، وتكررت أربع مرات.

د - دلالة الاقتران بين الآيات والأحاديث، وتكررت مرة واحدة.

هـ - دلالة الاقتران بين الآيتين والحديث، وتكررت مرة واحدة.

و- دلالة الاقتران بين الآية والحديث، وتكررت مرتين.

ز - دلالة الاقتران بين الآية والأثر، وتكررت مرة واحدة.

٤- دلالة مفهوم المخالفة، وتكررت ثلاث عشرة مرة، وجاءت على الصور التالية:

أ- دلالة مفهوم المخالفة، وتكررت اثنتي عشرة مرة.

ب- مفهوم المخالفة مع دلالة الحديث، وتكررت مرة واحدة.

٥- دلالة العموم، وتكررت خمس مرات.

٦- دلالة الإيماء والتنبيه، وتكررت أربع مرات.

٧- دلالة استعمال القرآن، وتكررت مرة واحدة.

٨- دلالة ظاهر صيغة الأمر، وتكررت مرة واحدة.

الفصل الأول:

الابتلاء

۞ **الاستنباط الأول: (ابتلاء آدم عليه السلام).**

أخرج ابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[البقرة: ٣٥]، قال: "ابتلى اللهُ آدمَ كما ابتلى الملائكة قبله[١]، وكلُّ شيء خُلق مُبتلى، ولم يدع الله شيئا من خلقه إلا ابتلاه بالطاعة، فما زال البلاءُ بآدمَ حتى وقع فيما نُهِي عنه".

وأخرج عبد بن حميد[٢] عن قتادة قال: "ابتلى اللهُ آدمَ فأسكنه الجنة يأكلُ منها رغداً حيث شاء، ونهاه عن شجرةٍ واحدةٍ أن يأكُل منها، وقدَّم إليه فيها[٣]، فما زال به البلاءُ حتى وقع بما نُهِي عنه فبدت له سوأته عند ذلك وكان لا يراها، فأُهبط من الجنة"[٤].

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٥٠)، وقال محققه في سلسلة هذا السند في متن آخر: "حسن الإسناد". الجزء الأول من تفسير سورة البقرة

---

(١) معنى ذلك أن الله لما علَّم آدم ما علَّمه، امتحن الملائكة بعلمِه فلم يعلموه، فأنبأهم به آدم. انظر: بدائع الفوائد (٤/ ١٥٥٣).

(٢) عبد بن حميد بن نصر الكشي، اسمه عبدالحميد، أبومحمد، كان إماماً عالماً في الحديث والتفسير، وماهراً في العلوم، صاحب المسند والتفسير، توفي (٢٤٩هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٤٣)، طبقات الحفاظ (٢٣٨).

(٣) أي: أمره أن لا يقرب الشجرة، يقال: تقدمت إليه بكذا وقدمت إليه بكذا: أي أمرته به. ينظر: المفردات (٣٩٧)، المصباح المنير (٢/ ٤٩٤).

(٤) الدر المنثور (١/ ٢٨٥).

(١/ ١٩٠).

٢- الأثر الثاني أخرجه البيهقي في البعث والنشور (١٤٠).

وأخرج ابن جرير، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾[البقرة: ٣٥]، "ثم أتى البلاء الذي كُتب على الخلق،...". جامع البيان (١/ ٥١٦)، وهذا الأثر قريب مما ذكر ابن أبي حاتم وعبد بن حميد مع اختلاف يسير في الألفاظ، وإسناده حسن. ينظر: التفسير الصحيح (١/ ١٢٩).

معنى الآية إجمالاً:

يقول الله تعالى إخباراً عما أكرم به آدم بعد أن أمر الملائكة بالسجود فسجدوا إلا إبليس، أنه أباح له الجنة يسكن منها حيث يشاء، ويأكل منها ما شاء هنيئاً، ونهاه وزوجته عن أكل شجرة من أشجار الجنة، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها فظلما أنفسهما بمخالفة أمر الله[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة استعمال القرآن.

فقد جاء في كتاب الله تعالى في عدّة مواضع الحديث عن الابتلاء، وأنه سنة إلهية، وأنه ﷻ يبتلي عباده بالأمر والنهي، والخير والشر، ومن هذا الابتلاء ما جاء في قصة آدم عليه السلام عندما نهاه الله عن قربان شجرة من شجر الجنة، ورتب على مخالفة

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/ ٥٢١)، تفسير القرآن العظيم(١/ ٧٩).

هذا النهي أن يكون من الظالمين، فخالف آدم وعصى في الأكل من الشجرة فكانت سبباً لخروجه من الجنة، ونزوله إلى الأرض.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

من سنن الله تعالى التي لا تتغير وقوع البلاء على المخلوقين اختباراً لهم، وتمحيصاً لذنوبهم، وتمييزاً للصادق من الكاذب.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثاً)[(١)].

قال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "ويقال: إنما كان النهي عن الأكل من الشجرة للمحنة؛ لأن الدنيا دار محنة، وقد خلق من الأرض ليسكن فيها، فامتحن بذلك كما امتحن أولاده في الدنيا بالحلال والحرام"[(٢)].

وذهب ابن القيم (ت:٧٥١هـ) إلى أنَّ سِرَّ المنع من قرب الشجرة هو الابتلاء والامتحان حيث قال: "أما عرفت سرَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾[البقرة: ٣٥]، لو قنع آدم لاكتفى ولكن المحنة كانت في الشَّرَة"[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، برقم: (٦٢٤٠)، ومسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم: (٢٦٥٢).

(٢) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (١/ ٧١).

(٣) بدائع الفوائد (٣/ ١٢٠٥). والشَّرَة: النفس الحريصة على كل شيء. العين (٥/ ٧٨).

ومثله ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) فقد قال: "فهو اختبار من الله تعالى وامتحان لآدم"(١).

وأما ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ) فيميل إلى احتمال أن النهي كان ابتلاءً وتهيئة للتكليف، ولم يُشِر إلى غير ذلك، فقال: "والنهي عن قربان شجرة خاصة من شجر الجنة: يحتمل أن يكون نهي ابتلاء، جعل الله شجرة مستثناة من شجر الجنة من الإذن بالأكل منها تهيئة للتكليف بمقاومة الشهوة لامتثال النهي، فلذلك جعل النهي عن تناولها محفوفة بالأشجار المأذون فيها ليلتفت إليها ذهنهما بتركها"(٢).

والسعدي (ت:١٣٧٦هـ) أشار إلى احتمال أن النهي كان ابتلاءً أو لحكمة لا نعلمها، فقال: "وإنما نهاهما عنها امتحاناً وابتلاءً، أو لحكمة غير معلومة لنا"(٣).

وذكر الشيخ ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ) من فوائد هذه الآية: "ومنها: أن الله قد يمتحن العبد، فينهاه عن شيء قد تتعلق به نفسه"(٤).

وهذا الابتلاء كانت فيه رفعة لآدم عليه السلام واصطفاء، وتربية لذريته إذا وقعوا في الذنوب أن يستغفروا ربهم ويتوبوا إليه.

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وإذا تأمّلت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقَهُم به إلى أجلِّ الغايات وأكمل النِّهايات التي لم يكونوا يَعْبُرُون إليها إلا على جسرٍ من الابتلاء والامتحان،...، فصورتُهُ صورة ابتلاءٍ وامتحانٍ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٥٢).

(٢) التحرير والتنوير (٨/ ٥٥).

(٣) تفسير الكريم الرحمن (١٦).

(٤) تفسير ابن عثيمين (١/ ١٣٠).

وباطنه فيه الرَّحمة والنِّعمة والمِنّة، فكم لله من نعمةٍ جسيمة، ومِنَّة عظيمةٍ، تُجنى من قطوف الابتلاء والامتحان! فتأمَّلْ حال أبينا آدم وما آلت إليه محنتُهُ من الاصطفاء والاجتباء، والتوبة والهداية، ورفعةِ المنزلة، ولولا تلك المحنة التي جرت عليه - وهي إخراجه من الجنَّة وتوابعُ ذلك - لما وصل إلى ما وصل إليه، فكم بين حالته الأولى وحالته الثَّانية في نهايته!"(١).

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٩).

۞الاستنباط الثاني:(المخرج من الذنب).

أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في شعب الإيمان، عن قتادة في قوله: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾[البقرة: ٣٧]، قال: ذُكِر لنا أنه قال: يا ربِّ أرأيت إن تُبْتُ وأصلحتُ؟ قال: فإني إذن أَرْجِعَك إلى الجنة ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف: ٢٣]، فاستغفر آدمُ ربه وتاب إليه فتاب عليه، وأما عدوُّ الله إبليسُ فوالله ما تنصَّل من ذنبه[1] ولا سأل التوبة حين وقع بما وقع به، ولكنه سأل النَّظِرَةَ إلى يوم الدين، فأعْطَى اللهُ كلَّ واحدٍ منهما ما سأل".

وأخرج أحمد في الزهد، وأبوالشيخ، عن قتادة قال: "إن المؤمن ليستحي ربه من الذنب إذا وقع به، ثم يعلم بحمد الله أين المخرج؛ يعلم أن المخرج في الاستغفار والتوبة إلى الله ﷻ، فلا يحتشمنّ رجل من التوبة؛ فإنه لولا التوبة لم يخلص أحدٌ من عباد الله، وبالتوبة أدرك الله أباكم الرئيس في الخير من الذنب حين وقع فيه"[2].

تخريجه:

١- الأثر الأول أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٣٤) برقم: (٧١٧٤).

وقال محققه: "إسناده رجاله ثقات". (٩/ ٣٦٠).

وأما الجزء الأول من الأثر إلى الآية الثانية فقد أخرجه ابن جرير في تفسيره

---

(١) ما تنصّل: ما تاب من ذنبه واعتذر. ينظر: النهاية (٥/ ٦٦).

(٢) الدر المنثور (١/ ٣١٧)و (٦/ ٣٤٩).

(١/ ٥٤٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٤)، وصححه، ووافقه الذهبي.

٢- الأثر الثاني أخرج جزء منه أحمد في الزهد (١/ ٤٨).

معنى الآيات إجمالاً:

أن الله جل ثناؤه لَقَّن آدم كلمات فتلقاهنّ آدم من ربه فقبلهنّ وعمل بهنّ، وتاب إلى الله واعتذر من خطيئته فتاب الله عليه، وأما إبليس فأصرّ واستكبر ولم يتب من ذنبه فأهلكه الله بالطرد واللعن(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

فقد جاء في عدة آيات الحديث عن قصة آدم عليه السلام وإبليس، وذلك أن آدم عليه السلام لما عصى اعترف وتاب وندم، وإبليس لما عصى أصرَّ واستكبر وطلب النَّظِرَةَ، فقبل الله توبة آدم واجتباه، وأعطى إبليس طلبه، ووكله إلى رأيه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أمر الله عز وجل عباده بالاستغفار وحثهم عليه، ووعدهم بالمغفرة والقبول، وبيّن لهم أنه سبب لمحو الخطايا والذنوب.

وقد تكلم ابن القيم (ت:٧٥١هـ) عن هذا المعنى بكلام نفيس، وحث على أخذ العبرة والفائدة من القصتين، فقال: "بُلي العدوّ بالذنب فأصرَّ واحتج، وعارض الأمر، وقدح في الحكمة، ولم يسْأل الإقالة، ولا نَدِم على الزَّلّة، وبُلي الحبيب بالذنب فاعترف وتاب وندم، وتضرّع واستكان، وفزع إلى مَفْزَع الخليقة؛

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/ ٥٤٦)، تفسير روح البيان (٩/ ٦٥).

وهو التوحيد والاستغفار، فأُزيل عنه العيب، وغُفِر له الذنب، فقُبِل منه المتاب، وفُتح له من الرحمة والهداية كلُّ باب، ونحن الأبناء، ومن أشبه أباه فما ظلم، ومن كانت شيمتُهُ التوبَةَ والاستغفار؛ فقد هُدي لأحسن الشِّيم"[١].

وبيّن النحاس (ت:٣٣٨هـ) الفرق بين معصية آدم عليه السلام وإبليس، فقال: "والفرقُ بين معصية آدمَ ومعصية إبليس، أن إبليس أقام على الذنب، وتاب آدمُ ورجع"[٢].

وقال السمعاني (ت:٤٨٩هـ): "اعترف آدم بالذنب وسأل المغفرة، وهذا هو الفرق بين معصيته ومعصية إبليس؛ أن إبليس عصى وأصرّ على المعصية، وآدم عصى وتاب عن المعصية"[٣].

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ):"اعتراف من آدم وحواء عليهما السلام، وطلب للتوبة والستر والتغمد بالرحمة؛ فطلب آدم هذا، وطلب إبليس النَّظِرَةَ ولم يطلب التوبة، فوُكِل إلى رأيه"[٤].

وذكر النسفي (ت:٧١٠هـ) في تفسيره فائدة من قصة آدم، فقال: "وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل إلى التنصُّل من الذنوب"[٥].

والموفق من ذرية آدم من إذا أذنب فعل كفعل أبيه آدم، قال ابن تيمية

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٠٣).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٢).

(٣) تفسير السمعاني (٢/ ١٧٢).

(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٣٨٧).

(٥) مدارك التنزيل (١/ ٨٢).

(ت:٧٢٨هـ) : "فمن تاب أشبه أباه آدم، ومن أصرَّ واحتج بالقدر أشبه إبليس"[١].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) أيضاً: "فمن أراد الله سعادته ألهمه أن يقول كما قال آدم عليه السلام أو نحوه، و من أراد شقاوته اعتل بعلة إبليس أو نحوها، فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار"[٢].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "فمن أشبه آدم بالاعتراف، وسؤال المغفرة والندم، والإقلاع إذا صدرت منه الذنوب، اجتباه ربه وهداه، ومن أشبه إبليس إذا صدر منه الذنب، لا يزال يزداد من المعاصي، فإنه لا يزداد من الله إلا بعداً"[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٠٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ١٩٩).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٨٥).

الاستنباط الثالث:(عاقبة التَّنطع).

أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، من طرق عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ ﴾[البقرة: ٦٨] الآيات، قال: "لو أخذوا أدنى بقرةٍ فذَبَحوها لأجْزأت عنهم، ولكنهم شَدَّدوا وتعنَّتوا موسى، فشدَّد اللهُ عليهم"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم (١/ ١٣٧)، وقال ابن كثير: "إسناد صحيح، وقد رواه غير واحد عن ابن عباس، وكذا قال عبيدة،

---

(١) الدر المنثور (١/ ٤١٠).

* وهذا الأثر أخرجه مرفوعاً سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٥٦٥)، وابن جرير في تفسيره (٢/ ٢٠٥) مرفوعاً من طريق ابن جريج، وفي رواية عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٠٩) إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وقال عنه الزيلعي: "غريب". تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٦٦)، وقال ابن كثير: " وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدي". تفسير القرآن العظيم (١/ ١١٢)، وقال أيضا: "ورد فيه حديث مرفوع؛ وفي إسناده ضعف". البداية والنهاية (١/ ١٩٤)، وقال الهيثمي: "فيه عباد بن منصور وهو ضعيف" مجمع الزوائد (٦/ ٣١٤)، وقال ابن حجر: "أخرجه ابن جرير من طريق ابن جريج مرفوعاً؛ وهو معضل". الكاف الشاف (١/ ٢٨٢)، وعلق الشوكاني على رواية عكرمة المرفوعة في سنن سعيد بن منصور، وابن المنذر، ورواية ابن جريج المرفوعة عند الطبري، ورواية قتادة المرفوعة كذلك عنده بقوله: "وهذه الثلاثة كلها مرسلة". فتح القدير (١/ ٩٩)، وقال أحمد شاكر: "جاء في آخره حديث مرفوع، ذكره ابن جريج؛ وهو مرسل لا تقوم به حجة". جامع البيان (٢/ ٢٠٥).

الخلاصة: أن هذا الحديث ثبت موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يثبت مرفوعاً بسند متصل، فيُعتبر استنباطاً عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والسدي، ومجاهد، وعكرمة، وأبوالعالية، وغير واحد". تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٥).

معنى الآيات إجمالاً:

تتحدث الآيات عن قصة القتيل، وذلك أنه وُجِد قتيل في بني إسرائيل ولم يدروا قاتله، فسألوا موسى عليه السلام أن يدعو الله تعالى ليبين لهم ذلك، فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح بقرة، فما زالوا يستوصفونها حتى وصفت لهم تلك البقرة، فلما ذبحوها ضربوا القتيل بِعُضْوٍ منها فأحياه الله وأخبر بقاتله(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن موسى عليه السلام أمرهم أن يذبحوا بقرة، والآية نكرة في سياق الإثبات؛ فهي مطلقة لم تعين بوصف، والمطلق ليس مجملاً يحتاج إلى بيان لوضوح معناه، فلو ذبحوا أيّ بقرة كانوا قد عملوا بمقتضى الخطاب، ولكن تعنتوا وتشدّدوا في السؤال فشدّد الله عليهم في الأوصاف(٢).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

هذا الاستنباط وقع فيه الخلاف بين أهل العلم، وذهب جمهور أهل العلم إلى صحة هذا الاستنباط.

---

(١) ينظر: الوجيز للواحدي (١/ ١٠٩)، تيسير الكريم الرحمن (٥٥).

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٤١)، مجموع الفتاوى (٧/ ١٠٥)، تفسير ابن عثيمين (١/ ٢٣٤).

فقد روي نحو ذلك عن عبيدة السلماني[١]، والسدي، ومجاهد، وعكرمة، وأبوالعالية، وغيرهم[٢].

قال ابن جرير (ت:٣١٠هـ) في تفسيره: "ولكنّ القوم لما زادوا نبيهم موسى ﷺ أذىً وتعنُّتاً، زادهم الله عقوبةً وتشديداً"[٣].

وقال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ) بعد أثر ابن عباس رضي الله عنهما: "وهذا كلام صحيح، ودليل مليح"[٤].

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "هذا تعنت منهم وقلة طواعية، ولو امتثلوا الآخر فاستعرضوا بقرة فذبحوها لقضوا ما أُمروا به، ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم"[٥].

وإلى مثل ذلك ذهب ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) حيث قال: "فلو اعترضوا بقرة فذبحوها كانوا قد عملوا بمقتضى الخطاب، ولكنّهم شدّدوا فشدّد عليهم"[٦].

وذهب ابن عرفة (ت:٨٢٧هـ) إلى أنّ تأخرهم في المبادرة وتعنتهم كان سبباً للتّشديد عليهم حيث قال: "فلو بادروا وذبحوا من غير سؤال لحصل لهم

---

(١) عبيدة السلماني، أبومسلم، تابعي ثقة، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم ير النبي ﷺ، توفي سنة (٧٢هـ). ينظر: معرفة الثقات (٢/ ١٤٢)، تهذيب الأسماء (١/ ٢٩٣).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢/ ٢٠٤).

(٣) جامع البيان (٢/ ٢٠٤).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤١).

(٥) المحرر الوجيز (١/ ١٦٢).

(٦) كشف المشكل (٣/ ٥٠٩).

الغرض، ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم"[١].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "فلو أنّهم اعترضوا أيّ بقرة لحصل المقصود، ولكنّهم شدّدوا بكثرة الأسئلة فشدّد الله عليهم"[٢].

المعارضون لهذا الاستنباط:-

ذهب قلة من علماء الأصول إلى أنّ قصة البقرة ليس فيها زيادة في التشديد والتّعنيف، ولا تكليفاً بعد تكليف، بل هي من باب تأخير البيان عن وقت الحاجة.

قال السمعاني (ت:٤٨٩هـ): "ونحن نقول هذا خِلاف ظاهر الآية؛ لأن بني إسرائيل قالوا: ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ ﴾[البقرة: ٦٨]، ثم قالوا ثالثاً: ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا ﴾[البقرة: ٧٠]، ولو كان البيان حصل لم يكن لهذه الأسئلة معنى"[٣].

وقال السبكي (ت:٧٥٦هـ): " أُمر بني إسرائيل بذبح بقرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ ﴾[البقرة: ٦٧]، وأراد معينة بدليل سؤالهم عن صفتها ولونها في قوله: ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾[البقرة: ٦٨]، إلى آخر الآيات، ثم لم يبيّنها لهم حتى سألوا هذه السؤالات، فدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب"[٤].

---

(١) تفسير ابن عرفة (١/ ٣٢٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٥).

(٣) قواطع الأدلة في الأصول (١/ ٢٩٩).

(٤) الإبهاج (١/ ٢١٩).

الراجح:

صحة هذا الاستنباط، وأنّ بني إسرائيل لمّا تشدّدوا شدّد الله عليهم، وليس في هذه القصة دليل لما ذهب إليه بعض أهل الأصول من جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة، بل هو تشريع طارئ قُصد منه تأديبهم على تعنتهم وكثرة أسئلتهم.

وذلك لعدّة أدلة:-

الأول: أنّ القول بالتّعيين مخالف للتنّكير المفهوم من اللفظ؛ لأنّ الآية نكرة في سياق الإثبات فهي مطلقة، وجاء البيان نسخاً لذلك المطلق عقوبة لهم.

الثاني: أنّ هذا القول خلاف ما استفاض عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أنّهم أمروا ببقرة مطلقة.

الثالث: سياق القرآن يدل على أنّ الله ذمّهم على السؤال بما هي، ولو كان المأمور به معيناً لما كانوا ملومين، ثمّ إن مثل هذا لم يقع قط في أمر الله ورسوله أن يأمر عباده بشيء معين ويبهمه عليهم مرة بعد مرة ولا يذكره بصفات تختص به ابتداء.

الرابع: مَنْ جَوَّزَ تأخير البيان عن مورد الخطاب إلى وقت الحاجة، إنّما جوز تأخير بيان ما لم يدل اللفظ عليه؛ كالمجملات، وأيضاً لا يكون البيان المتأخر إلا مستقلاً بنفسه لا يكون مما يجب اقترانه بغيره[1].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/ ٢٠٤)، الفصول في الأصول (١/ ١٢٥)، المحصول في علم الأصول (٣/ ٢٩١)، مجموع الفتاوى (٧/ ١٠٤).

۞الاستنباط الرابع:(إظهار الله لسريرة العبد).

أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في (شعب الإيمان) عن المُسيَّب بن رافع[١] قال: "ما عمِل رجلٌ حسنةً في سبعة أبياتٍ إلا أظهرها الله، وما عمِل رجلٌ سيئةً في سبعة أبياتٍ إلا أظهرها الله، وتصديقُ ذلك كتاب الله: ﴿ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[البقرة: ٧٢]"[٢].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٤٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٦٠) برقم: (٦٩٤٥)، وقال محققه: "إسناده ضعيف". (٩/ ٢١٠).

معنى الآية إجمالاً:

تتحدث هذه الآية عن أولِ قصة بني إسرائيل عندما قُتل منهم قتيل فتدافعوا التهمة، وأتوا إلى موسى عليه السلام فأمرهم بذبح بقرة للكشف عن القاتل، وضرب القتيل ببعض هذه البقرة، فأحياه الله وأخبرهم بقاتله، وأظهر الله ما يكتمون من تعيين القاتل[٣].

---

(١) المسيب بن رافع الأسدي الكاهلي الكوفي الأعمى، أبوالعلاء، تابعي ثقة، توفي سنة(١٠٥هـ). ينظر: الثقات (٥/ ٤٣٧)، تقريب التهذيب (٥٣٢).

(٢) الدر المنثور (١/ ٤١٦).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١١٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك من خلال قصة القتيل، عندما قتلوه وأنكروا قتله، فأحياه الله وأخبرهم بقاتله في الدنيا، فدل مفهومها على أن الله يخرج ما يكتمه العبد في الدنيا، كما أظهر القاتل في بني إسرائيل.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

يظهر الله ﷻ ما يكتمه العبد من خير أو شر، خصوصاً السريرة التي يمكر فيها بدينه -إذا لم يعف الله عنه-.

قال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ) عند هذه الآية: "يدل على أنّ ما يُسره العبد من خير وشر ودام ذلك منه أن الله سيظهره"(١).

وقال ابن الجوزي: (ت:٥٩٧هـ): "وليعلم الإنسان أنّ أعماله كلها يعلمها الخلق جملة، وإن لم يطلعوا عليها، فالقلوب تشهد للصالح بالصلاح وإن لم يشاهد منه ذلك"(٢).

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ) في سورة التوبة عند الآيات التي تتحدث عن استهزاء المنافقين بالله ورسوله: "وفي هذه الآيات دليل على أنّ من أسرّ سريرة، خصوصاً السريرة التي يمكر فيها بدينه، ويستهزئ به وبآياته ورسوله، فإنّ الله

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٤٣).

(٢) صيد الخاطر (٣٤٣).

تعالى يُظهرها ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشدّ العقوبة"[١].

وذكر ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ) من فوائد هذه الآية، فقال: "ومنها: التحذير من أن يكتم الإنسان شيئاً لا يرضاه الله ﷻ؛ فإنّه مهما يكتم الإنسان شيئاً مما لا يُرضي الله ﷻ؛ فإن الله سوف يطلع خلقه عليه -إلا أن يعفو الله عنه- "[٢].

وخطب أبوجعفر المنصور فقال: "معاشر الناس: لا تُضمروا غش الأئمة، فإن من أضمر ذلك أظهره الله على سقطات لسانه، وفلتات أفعاله، وسحنة وجهه[٣]"[٤].

ويَقْرُب من هذا المعنى قول زهير بن أبي سُلمى:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَة ... وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ[٥]

وعلى المسلم أن يسعى إلى صلاح سريرته، فإن في هذه الآية وعد لمن حسُنت سريرته، ووعيد لمن ساءت سريرته.

وأمّا تخصيصه بسبعة أبيات فهذا فيه تفصيل: إن كان يريد مفهوم العدد فهذا لا دليل عليه من الآية، وإن كان مفهوم العدد ليس مقصوداً لذاته، وإنما المراد شدة الخفاء والكتمان أياً كان مكان هذا العمل؛ فهذا صحيح.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٤٣).

(٢) تفسير ابن عثيمين (١/ ٢٤٥).

(٣) سحنة وجهه: بشرته وهيئته وحاله. ينظر: النهاية (٢/ ٣٤٨)، اللسان (١٣/ ٢٠٤).

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب (٦/ ١٣).

(٥) ديوان زهير بن أبي سلمى (٧٠).

۞الاستنباط الخامس:(الثبات على الدين).

أخرج ابن أبي حاتم، عن سلَّام بن أبي مطيع[١] في هذه الآية ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾[البقرة: ١٢٨]، قال: "كانا مسلمين ولكن سألاه الثبات"[٢].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٢٣٤)، وقال محققه: "ضعيف الإسناد؛ ففيه سلام بن أبي مطيع فيه مقال". الجزء الأول من تفسير سورة البقرة (١/ ٣٨٤).

معنى الآية إجمالاً:

خبر من الله تعالى ذكره عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: أنهما كانا يرفعان القواعد من البيت وهما يدعوان: ربنا واجعلنا مستسلمين لأمرك خاضعين لطاعتك، لا نشرك معك في الطاعة أحداً سواك، ولا في العبادة غيرك[٣].

دراسة الاستنباط:

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أنّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانا مسلِمين بلا شك؛ فهما نبيَّان، وصدور هذا الدعاء منهما لا يصلح إلا بعد أن كانا مسلِمين، فدل مفهومها على أن المراد طلب الثبات على الإسلام.

---

(١) سلَّام بن أبي مطيع الخزاعي، أبوسعيد البصري، ثقة، وفي روايته عن قتادة ضعف، توفي سنة (١٦٤هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٤/ ١٣٤)، تقريب التهذيب (١/ ٢٦١).

(٢) الدر المنثور (١/ ٧١٠).

(٣) ينظر: جامع البيان (٣/ ٧٣).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

من خلال النظر في كتب التفسير ومعاني القرآن نجد أن أكثر المفسّرين يذكرون في تفسير الآية أن المسلم في اللغة الذي قد استسلم لأمر الله كله وخضع له[(١)]، وأن الإسلام إذا وصل باللام الجارة يكون بمعنى الاستسلام والانقياد[(٢)].

وهذا الاستنباط قد ينازع فيه، هل هو بيان أو استنباط من الآية، لكن ظاهر اللفظ قد يفهم منه أن سؤالهما كان المراد به الإسلام الذي هو ضد الكفر، فيستنبط من دلالة السياق والحال صرفه إلى طلب الثبات، فيصح على هذا الوجه الاستنباط.

قال النحاس(ت:٣٣٨هـ): "وهما مسلمان"[(٣)].

وقال الرازي (ت:٦٠٤هـ): "وكانا في ذلك الوقت مسلمين، وكأنّ المراد هناك ثبتنا على هذا، أو المراد اجعلنا فاضلين من أنبيائك المسلمين"[(٤)].

وقال نظام الدين النيسابوري (ت:٧٢٨هـ): "فإن أريد بالإسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب إلى الثبات والدوام؛ أي: ثبتنا على ذلك، وإلا كان تحصيلا للحاصل بالنسبة إليهما وقتئذ"[(٥)].

وذكر ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ) من فوائد الآية، فقال: "ومنها: أن الإنسان مفتقر إلى تثبيت الله وإلا هلك؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾[البقرة:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٠٨).

(٢) ينظر: حاشية زاده (٢/ ٣٠٠).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٥٣٥).

(٤) التفسير الكبير (٢١/ ٤٩).

(٥) تفسير غرائب القرآن (١/ ٤٠١).

١٢٨]؛ فإنهما مسلمان بلا شك: فهما نبيَّان؛ ولكن لا يدوم هذا الإسلام إلا بتوفيق الله؛ قال الله سبحانه وتعالى للرسول ﷺ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾[الإسراء: ٧٤ - ٧٥]"[1].

وإذا كان الأنبياء عليهم السلام سألوا الله الثبات وخافوا من تقلب القلب، فمن باب أولى أن يخاف المسلم من الحَوْر بعد الكَوْر، وأن يلهج لسانه بسؤال الله الثبات، وأن لا يغترّ بإيمانه وعبادته وعلمه، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كما يشاء كما جاء في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إنَّ قلوب بنى آدم كُلّها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء، ثمّ قال رسول الله ﷺ: اللهم مُصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)[2].

---

(١) تفسير ابن عثيمين (٢/ ٦٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، برقم: (٢٦٥٤).

﴿الاستنباط السادس: (جرأة الفاسق على الكبيرة).

أخرج ابن جرير، عن الحسن في قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾[آل عمران: ١٥٢]، قال: "يقول الله: قد عفوت عنكم إذ عصيتموني ألَّا أكون استأصلتُكم. ثم يقول الحسن: هؤلاء مع رسول الله ﷺ وفي سبيل الله غِضابٌ لله، يُقاتلون أعداء الله، نُهُوا عن شيء فضيَّعوه، فوالله ما تُرِكوا حتى غُمُّوا بهذا الغمِّ؛ قُتِل منهم سبعون، وقُتِل عمُّ رسول الله ﷺ، وكُسِرت رباعيته، وشُجَّ في وجهه، فأفْسَقُ الفاسقين اليوم يتجرَّأُ على كلِّ كبيرة، ويركب كلَّ داهية، ويسحب عليها ثيابه، ويزعم أن لا بأس عليه، فسوف يعلم"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ٢٩٨)، وفي سنده الحسين بن داود؛ وهو سنيد؛ ضعيف، ومبارك بن فضالة البصري صدوق يدلس[(٢)].

معنى الآية إجمالاً:

ولقد عفا الله - أيها المخالفون أمر رسول الله ﷺ، والتاركون طاعته فيما تقدم إليكم من لزوم الموضع الذي أمركم بلزومه - عنكم، فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذي أتيتموه، عما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم إياكم، وصرف وجوهكم عنهم، إذ لم يستأصل جمعكم[(٣)].

---

(١) الدر المنثور (٤/ ٧١).

(٢) ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٣٣٨)، الميزان (٣/ ٣٣١)، تقريب التهذيب (٢٥٧)و (٥١٩).

(٣) جامع البيان (٧/ ٢٩٨).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الصحابة ﷺ مع مكانتهم أصابهم يوم أُحُد من الكرب ما أصابهم بسبب مخالفة واحدة لرسول الله ﷺ، وامتنّ الله عليهم إذ لم يستأصلهم بعد المعصية، فمن باب أولى أن يكون حال الفساق أعظم، وعذابهم أشدّ، الذين يرتكبون الكبائر، ولا يتورعون عن الحرام.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

جميع السلف متفقون على مكانة الصحابة، وجلالة قدرهم، وعلو منزلتهم، وأنهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ومع هذا أصابهم ما أصابهم يوم أُحُد بسبب مخالفة الرماة لأمر النبي ﷺ.

ومما جاء في فضل الصحابة حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،...)[1].

قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "والأحاديث في فضل الصحابة ﷺ، والنهي عن التعرض لهم بمساويهم كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم"[2].

والصحابة رضوان الله عليهم أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وقد اتفق المسلمون على أن أصحاب رسول الله خير طباق

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، برقم: (٣٤٥١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة، برقم: (٢٥٣٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٧٠٢).

الأمة"[١].

وذكر ابن القيم (ت:٧٥١هـ) بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أُحُد فقال: "فمنها: تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك"[٢].

وبيّن ابن القيم (ت:٧٥١هـ) مكانة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وثواب من أطاعهم، وعاقبة من عصاهم، فقال: "فإذا استقريت جميع الشرور التي في العالم جزئياتها وكلياتها، وكل فتنة وبلية ورزية، رأيت سببها معصيتهم، وكل خير ونعمة في الدنيا والآخرة فسببه طاعتهم، واستقر هذا من زمن نوح إلى ساعتك التي أنت فيها، وما عُذبت به الأمم من أنواع العذاب، وما جرى على هذه الأمة حتى ما أُصيب به المسلمون مع نبيهم يوم أحد كان سببه معصية أمره"[٣].

ونقل ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) ما ذكره العلماء من فوائد من غزوة أُحُد، فقال: "وكان في قصة أُحُد وما أُصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة، منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، وشؤم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه"[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٢٩).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢١٨).

(٣) الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٥٠).

(٤) فتح الباري (٧/ ٣٤٧).

۞الاستنباط السابع: (صلاح الآباء سبب لحفظ الذرية).

أخرج ابن جرير، عن السَّيبانيِّ[١] قال: كنّا بالقسطنطينية[٢] أيام مَسْلَمَة بن عبدالملك[٣]، وفينا ابن مُحيريز[٤]، وابن الديلميَّ[٥]، وهانئ بن كلثوم[٦]، فجعلنا نتذاكر ما يكون في آخر الزمان، فضقت ذرعاً بما سمعت، فقلت لابن الديلميَّ: يا أبا بشر يودُّني أنه لا يولد لي ولد أبداً. فضرب بيده على منكبي وقال: يا ابن أخي لا تفعل، فإنه ليست من نسمة كتب الله لها أن تخرج من صلب رجل وهي خارجة إن شاء وإن أبى، قال: ألا أدلُّك على أمر إن أنت أدركته نجَّاك الله منه، وإن تركت ولدك من بعدك حفظهم الله فيك؟ قلت: بلى، فتلا عليَّ هذه الآية: ﴿ وَلْيَخْشَ

(١) يحيى بن أبي عمرو السيباني الحمصي، أبوزرعة، ثقة، توفي سنة (١٤٨هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٨/ ٢٩٣)، تقريب التهذيب (٥٩٥).

(٢) القسطنطينية: من أعظم المدن التركية، تقع على جانبي البسفور، وتسمى حالياً اسطنبول. ينظر: معجم البلدان (٤/ ٣٤٧)، موسوعة المدن العربية والإسلامية (٣٠٥).

(٣) مَسْلَمَة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبوسعيد، له مواقف مشهودة مع الروم، وهو الذي غزا القسطنطينية، توفي سنة (١٢٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٤١)، البداية والنهاية (٩/ ٣٢٨).

(٤) عبدالله بن محيريز بن جنادة بن وهب الجمحي، أبومحيريز، تابعي مشهور، توفي سنة (٩٩هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٥/ ١٩٣)، تقريب التهذيب (٣٢٢).

(٥) عبدالله بن فيروز الديلمي، أبوبشر، ثقة من كبار التابعين، ومنهم من ذكره في الصحابة. ينظر: الثقات (٥/ ٢٣)، تقريب التهذيب (٣١٧).

(٦) هانئ بن كلثوم بن شريك الكناني، ثقة من أهل الشام، مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز. الثقات ٥/ ٥٠٩)، تقريب التهذيب (٥٧٠).

﴿ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ [النساء: ٩] الآية[١].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ٢٤). وقال أحمد شاكر عن رجال هذا الأثر: "إبراهيم بن عطية بن رديح بن عطية لم أجد له ترجمة، ومحمد بن رديح لم أجد له ترجمة، ولكنه مذكور في ترجمة أبيه في التهذيب أنه روى عنه ابنه محمد، وأما رديح بن عطية القرشي السامي، مؤذن بيت المقدس روى عن السيباني، ثقة".

معنى الآية إجمالاً:

خطاب من الله لمن يحضر من حضره الموت وأجنف في الوصية، أن يأمره بالعدل في وصيته بما يحب أن يُعامل به أولاده من بعده[٢].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإيماء والتنبيه.

وذلك أن الله ﷻ وجه من خاف على ذريته من بعده إلى الالتزام بتقوى الله وعدم الجور في الوصية عند حضور الأجل، فأخذ بدلالة الإيماء على أن من عاش على التقوى كفاه الله ما أهمه، ونجاه من العذاب، وحفظ ذريته من بعده.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الأبناء يحفظون ببركة صلاح الآباء، وتقوى الله جامعة لخيري الدنيا والآخرة، فمن اتقى الله وفقه لكل خير، وحفظ ذريته في حياته وبعد مماته.

---

(١) الدر المنثور (٤/ ٢٥٠).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٦٥).

قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) بعد هذه الآية: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢]: "فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة؛ بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة؛ لتقرّ عينه بهم، كما جاء في القرآن ووردت به السنة"(١). قال ابن حجر الهيثمي (ت:٩٧٣هـ): "فمن تأمل هذه الآية خشي على ذريته من أعماله السيئة وانكف عنها حتى لا يحصل لهم نظيرها"(٢).

وقال عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ): "فاتق الله في أولاد غيرك يحفظك في ذريتك، وييسّر لهم ببركة تقواك ما تقرّ به عينك بعد موتك، وإن لم تتق الله فيهم فأنت مؤاخذ بذلك في نفسك وذريتك، وما فعلته كله يفعل بهم، وهم وإن كانوا لم يفعلوا لكنهم تبعاً لأولئك الأصول وناشئون عنهم، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً"(٣).

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "وفي الآية ما يبعث الناس كلهم على أن يغضبوا للحق من الظلم، وأن يأخذوا على أيدي أولياء السوء، وأن يحرسوا أموال اليتامى ويبلغوا حقوق الضعفاء إليهم؛ لأنهم إن أضاعوا ذلك يوشك أن يلحق أبناءهم وأموالهم مثل ذلك، وأن يأكل قويهم ضعيفهم، فإن اعتياد السوء ينسي الناس شناعته، ويكسب النفوس ضراوة على عمله"(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٨٥).

(٢) الزواجر (١/ ٤٦٨).

(٣) فيض القدير (٥/ ٤٨).

(٤) التحرير والتنوير (٤/ ٢٥٣).

وذكر الشيخ ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ) من فوائد هذه الآية: "أنها تدل بدلالة الإشارة على أن الإنسان إذا أراد أن يجني على غيره فليتذكر نفسه"[١].

(١) تفسير ابن عثيمين لسورة النساء (١/ ٦١).

۞الاستنباط الثامن: (صغائر الذنوب لا تنفي العدالة إذا لم يصر عليها).

أخرج ابن جرير بسند حسن، عن الحسن أن ناساً لقوا عبدالله بن عمرو رضي الله عنه بمصر، فقالوا: "نرى أشياء من كتاب الله أمر أن يُعملَ بها لا يُعملُ بها، فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين في ذلك، فقدِم وقدِموا معه فلقي عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن ناساً لقُوني بمصر، فقالوا: إنا نرى أشياء من كتاب الله أمر أن يُعملَ بها لا يُعملُ بها، فأحَبُّوا أن يَلْقَوك في ذلك، فقال: اجمعهم لي، فجمعهم له، فأخذ أدناهم رجلاً فقال: أنشدك بالله وبحقِّ الإسلام عليك، أقرأت القرآن كله؟ قال: نعم، قال: فهل أحصيته في نفسك؟ قال: لا، قال: فهل أحصيته في بصرك؟ هل أحصيته في لفظك؟ هل أحصيته في أثرك؟ ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم، قال: فثكِلَت عمر أمه، أتُكلِّفونه على أن يُقيم الناس على كتاب الله؟ قد علم ربُّنا أنه ستكون لنا سيئات وتلا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[النساء: ٣١]، هل علِم أهل المدينة فيما قَدِمْتُم؟ قالوا: لا، قال: لو علِموا لوعَظْتُ بكم[١]"[٢].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٢٥٥)، وقال ابن كثير: "إسناد صحيح، ومتن حسن، وإن كان من رواية الحسن عن عمر وفيها انقطاع، إلا أن مثل هذا اشتهر فتكفي شهرته". تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢)، وحسَّنه السيوطي.

---

(١) لوعظت بكم: أي لأنزلت بكم من العقوبة، ما يكون موعظة وعبرة لغيركم. ينظر: اللسان (٧/ ٤٦٦).

(٢) الدر المنثور (٤/ ٣٥٦).

معنى الآية إجمالاً:

أن الله تبارك وتعالى تفضل على عباده المؤمنين إذا اجتنبوا كبائر المنهيات أن يغفر لهم صغائر الذنوب، ويدخلهم الجنة(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله جل ثناؤه وعد من اجتنب الكبائر بالعفو عن الصغائر، والوعد بتكفيرها دليل على فعلها، وأنه لا يسلم منها أحد؛ لأن العبد غير معصوم من الذنب، ولا يمكنه النزوع عن صغائر الذنوب والاحتراز منها.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

وعد من الله جل وعلا لجميع المؤمنين أنّ تكفير سيئاتهم مقرون باجتناب الكبائر، وفي هذا السياق تنبيه على أنه لا يخلو مؤمن من بعض هذه الذنوب، ولم يخالف في هذا الاستنباط إلا الخوارج فإنهم يُكفرون بمطلق الذنوب(٢).

قال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ): "ولذلك لما كان العبد لا يستطيع النزوع عن صغائر الذنوب، ولا يُمكِن بشراً الاحتراز منها لم تؤثر في عدالته، ولما كانت الكبائر يمكن التوقي منها والاحتراز عنها قدحت في العدالة والأمانة"(٣).

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "فقد تعاضد الكتاب وصحيح السنة بتكفير

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢)، تيسير الكريم الرحمن (١٧٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠١).

(٣) أحكام القرآن (٣/ ٤٤١).

الصغائر قطعاً كالنظر وشبهه"[١].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وليس من شرط المتقين ونحوهم أن لا يقع منهم ذنب، ولا أن يكونوا معصومين من الخطأ والذنوب، فإن هذا لو كان كذلك لم يكن في الأمة متق، بل من تاب من ذنوبه دخل في المتقين، ومن فعل ما يكفر سيئاته دخل في المتقين، كما قال: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾[النساء: ٣١]"[٢].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فتكفير الصغائر يقع بشيئين:

أحدهما: الحسنات الماحية.

والثاني: اجتناب الكبائر"[٣].

وذكر ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) فوائد من قصة حاطب بن بلتعة، فقال: "المؤمن ولو بلغ بالصلاح أن يقطع له بالجنة لا يعصم من الوقوع في الذنب؛ لأن حاطباً دخل فيمن أوجب الله لهم الجنة ووقع منه ما وقع"[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ١٥٨).

(٢) منهاج السنة النبوية (٧/ ٨٢).

(٣) طريق الهجرتين (٥٦١).

(٤) فتح الباري (١٢/ ٣١٠).

۞الاستنباط التاسع: (الحياة غُنم وغُرم).

أخرج عبدالرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبوبكر المروزي في الجنائز، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود قال: "ما من نفس برةٍ ولا فاجرةٍ إلا والموت خير لها من الحياة، إن كان بَرّاً فقد قال الله: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾[آل عمران: ١٩٨]، وإن كان فاجراً فقد قال الله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ ﴾[آل عمران: ١٧٨]"[١].

تخريجه:

أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٤٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٠٩)، وابن جرير في تفسيره (٧/ ٤٢٣)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٥٤١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٥١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٦)، وقال: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال الشيخ حكمت بشير: "رجاله ثقات". التفسير الصحيح (٢/ ١١٥).

معنى الآيتين إجمالاً:

يبين الله تعالى أن ما عنده من النعيم وحسن المآب خير للأبرار، وأن ترك الكفار في هذه الدنيا وعدم استئصالهم ليس محبة لهم، بل ليعملوا بالمعاصي فيزداد

---

(١) الدر المنثور (٤/ ١٥١).

عذابهم[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيتين.

وذلك أن الله جل وعلا ذكر في الآية الأولى أن ما عنده خير للأبرار، وبيّن في الآية الأخرى أن الإملاء للكفار ليس خيراً لهم، بل ليزدادوا إثماً إلى آثامهم، فأخذ منهما أن الموت خير للمؤمن لما أعده الله له من النعيم، وخير للكافر لئلا يزداد إثماً.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع قليل لهما يتمتعان بها، فإذا صارا إلى الآخرة كان ما عند الله خير للمؤمن[٢].

وجاء مثل هذا القول عن بعض السلف كأبي الدرداء، ومحمد بن كعب، وأبي برزة الأسلمي رحمهم الله[٣].

وهذا الاستنباط تحدث عن قسمين من الناس، وهما: الأبرار والكفار.

القسم الأول: الأبرار

فإذا كان مراده أن ما عند الله خير لعبده البار بعد الموت من الحياة لما يجده من الراحة من نصب الدنيا، والفرح بما أعده الله له من النعيم المقيم، بعد إتمام أجله

---

(١) ينظر: جامع البيان (٧/ ٤٩٥)، تيسير الكريم الرحمن (١٥٨).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ١٢٩).

(٣) ينظر: سنن سعيد بن منصور (٣/ ١١٢٧)، جامع البيان (٧/ ٤٩٥)، تفسير ابن المنذر (٢/ ٥٠٩)، الدر المنثور (٤/ ١٥١).

وانقضاء عمره؛ فهذا صحيح.

وأما إن كان مراده أن الموت أفضل من الحياة للمؤمن على الإطلاق، فهذا لا يوافق عليه؛ لأن المؤمن كلما طال عمره ازداد خيراً أو تاب من شر.

وهذا تدل عليه السنة كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً)[(١)]، وجاء في حديث عبدالرحمن بن أزهر[(٢)] أن رسول الله ﷺ قال: (لا يتمنى أحدكم الموت، إما محسناً فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعتب)[(٣)].

القسم الثاني: الكفار

وأما الآية التي تحدثت عن الكفار فقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الآية نزلت في قوم يعاندون الحق، سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون، فتكون الآية مخصوصة أُريد بها قوم بأعيانهم، فمن يرى أن خصوص السبب يكون مخصصاً لعموم اللفظ، وليست في كل كافر؛ إذ قد يكون الإمهال له مما يدخله في الإيمان، فيكون أحسن له، فلا يصح عنده هذا الاستنباط، ويجعله مقتصراً على من نزلت فيهم الآية[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب تمني كراهية الموت لضر نزل به، برقم: (٢٦٨٢).

(٢) عبدالرحمن بن أزهر بن عوف الزهري، أبوجبير، شهد مع رسول الله ﷺ حنينا، عاش إلى فتنة الزبير. ينظر: الاستيعاب (٢/ ٨٢٢)، الإصابة (٤/ ٢٨٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التمني، باب ما يكره من التمني، برقم: (٦٨٠٨).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩١)، معاني القرآن للنحاس (١/ ٥١٣)، البسيط

الراجح:

أن هذا الاستنباط يصح في الكافر الذي علم الله موته على الكفر، فكلما عجّل له الموت كان إثمه وجُرمه أقل مما لو طال به العمر، فهي مخصوصة بالكافر الباقي على كفره حتى الموت؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

للواحدي (٦/ ٢٠٢).

۞الاستنباط العاشر: (الخوف من رد العمل).

أخرج ابن أبي حاتم، عن أبي الدرداء قال: "لأن استيقن أن الله تقبل مني صلاةً واحدةً أحبُّ اليَّ مـن الدنيا وما فيهـا، إن الله يقـول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾[المائدة:٢٧][1].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٧٢)، وقال محققه: "في سنده تميم بن مالك سكت عنه البخاري، وابن أبي حاتم".

معنى الآية إجمالاً:

تتحدث هذه الآية عن قصة ابني آدم عليه السلام، وذلك أنهما قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، فبيّن الله عز وجل أن عدم تقبل قربان أحدهما كان بسبب عدم تقواه[2].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك لما قَبِل الله صدقة أحد ابني آدم، وردّ صدقة أخيه بسبب أنه لم يكن من المتقين، فُهِم منه أن قبول صلاة واحدة يدل على تقوى صاحبها؛ لأن التقوى شرط في قبول العمل، ولفظ "إنّما" يفيد القصر على المتقين، والقصر نفي وإثبات؛ أي:

---

(١) الدر المنثور (٥/ ٢٦١).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٢/ ٢٩).

أن التقوى هي سبب القبول، وإذا لم توجد انتفى القبول[١].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

كان السلف يشتد خوفهم من عدم قبول العمل، ونقل عنهم ما يدل على هذا المعنى، كقول عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمر، وفضالة بن عبيد[٢] وغيرهم رضي الله عنهم[٣].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[المؤمنون: ٦٠]، أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر؟ قال: لا يا بنت أبي بكر أو يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو يخاف أن لا يُتقبَّل منه)[٤].

قال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "يقال: ينبغي أن يكون خوف الإنسان على قبول العمل بعد الفراغ أشدَّ من شغله؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[المائدة:٢٧]"[٥].

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير (٤/ ٢١٢٤).

(٢) فضالة بن عبيد الأنصاري، أبومحمد، له صحبة، كان على قضاء دمشق بعد أبي الدرداء، توفي في ولاية معاوية سنة (٥٣هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ٧٧)، تقريب التهذيب (٤٤٥).

(٣) ينظر: الدر المنثور (٥/ ٢٦٢-٢٦٤).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النور، برقم: (٣١٧٥)، وابن ماجة، كتاب الزهد، باب التوقي في العمل، برقم: (٤١٩٨)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". المستدرك (٢/ ٤٢٧)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٨٧)، برقم: (٣١٧٥).

(٥) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (١/ ١٢٠).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فالسعيد يخاف في أعماله أن لا يكون صادقاً في إخلاصه الدين لله، أو أن لا تكون موافقة لما أمر الله به على لسان رسوله، ولهذا كان السلف يخافون النفاق على أنفسهم، فذكر البخاري عن أبي عالية قال: (أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه)"(١).

وقال الزركشي (ت:٧٩٤هـ): "لم يتقبل من أخيه، فلو كان يتقبل من غير المتقين لم يجز الرد على الأخ بذلك، ولو كان المانع من عدم القبول فوات معنى في المتقرب به لا في الفاعل لم يحسن ذلك، فكأنه قال: استوينا في الفعل وانحصر القبول فيّ بعلة التقوى"(٢).

وقال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "ولهذا كانت هذه الآية يشتد منها خوف السلف على نفوسهم، فخافوا أن لا يكونوا من المتقين الذين يتقبل الله منهم"(٣).

---

(١) جامع الرسائل (١/ ٢٥٧)، والحديث أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله.

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٦٧).

(٣) جامع العلوم والحكم (١٠١).

۞**الاستنباط الحادي عشر: (الأمن من مكر الله).**

أخرج ابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن الحسن قال: "من وُسِّع عليه فلم يَرَ أنه يُمكر به فلا رأي له، ومن قُتِّر عليه فلم يَرَ أنه ينظر له فلا رأي له ثم قرأ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾[الأنعام: ٤٤] الآية، وقال الحسن: مُكر بالقوم ورب الكعبة أُعطُوا حاجاتهم ثم أخذوا".

وأخرج ابن جرير، وأبوالشيخ، عن الربيع بن أنس[(١)] قال: "إن البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا شبعت ماتت، وكذلك ابن آدم إذا امتلأ من الدنيا أخذه الله عند ذلك، ثم تلا: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً ﴾[الأنعام: ٤٤]".

وأخرج ابن أبي حاتم، عن إسماعيل بن رافع[(٢)] قال: "من الأمن لمكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنَّى على الله المغفرة"[(٣)].

تخريجه:

١- الأثر الأول أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٩١)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٣٦)، وقال محققه: "أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق رجل مبهم عن الحسن البصري".

٢- الأثر الثاني أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٣٩٩)، وابن أبي حاتم

---

(١) الربيع بن أنس البكري أو الحنفي، بصري، نزل خراسان، صدوق له أوهام، توفي سنة أربعين أو قبلها. ينظر: الثقات (٤/ ٢٢٨)، تقريب التهذيب (٢٠٥).

(٢) إسماعيل بن رافع بن عويمر الأنصاري المدني، أبورافع، نزيل البصرة، ضعيف الحفظ، توفي في حدود الخمسين. ينظر: التاريخ الكبير (١/ ٣٥٤)، تقريب التهذيب (١٠٧).

(٣) الدر المنثور (٦/ ٥١-٥٢)و (٦/ ٤٨٧).

(١/ ٦٨)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٣١٤)، وقال محققه: "سنده جيد".

٣- الأثر الثالث أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة (٦٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٢٩)، وسنده ضعيف؛ لأن فيه إسماعيل بن رافع المدني متروك الحديث، وأيوب بن سويد الرملي لين الحديث[١].

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن الأمم الخالية حين تركوا ما أُمروا به، ولم يعتبروا بالشدة، أنه استدرجهم بفتح أبواب كل نوع من أنواع الخير عليهم، حتى إذا فرحوا وزادوا في طغيانهم، جاءهم العذاب فجأة، وهذا أشدّ ما يكون من العذاب أن يؤخذوا على غفلة[٢].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

لأن القوم عصوا خالقهم فأسبغ عليهم النعم حتى فرِحوا وزادوا في طغيانهم، فجاءهم العذاب فجأة، فدل مفهومها على أن العبد الذي يتقلب في النعم وهو مقيم على المعاصي فعليه الحذر؛ لأن ذلك استدراج من الله، ولا يحزن المطيع إذا ضيق عليه في رزقه فقد يكون حماية وصيانة له.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

لقد حذرنا ربنا ﷻ من الأمن من مكره، وأخبر أنها صفة أهل الخسران،

---

(١) ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ١٦٨)و (٢/ ٢٤٩)، الكامل (١/ ٣٥٩)، الميزان (١/ ٣٨٤).

(٢) ينظر: تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (١/ ٤٦٨)، تيسير الكريم الرحمن (٢٥٦).

فوجب الحذر منها.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث عقبة بن عامر ﵁ عن النبي ﷺ قال: (إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنّما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الأنعام: ٤٤])[١].

قال سلمة بن دينار(ت:١٥٣هـ)[٢]: "اذا رأيت ربك يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره"[٣].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فليس كل من وُسِع عليه رزقه يكون مُكرماً، ولا كل من قُدِر عليه رزقه يكون مهاناً، بل قد يُوسع عليه رزقه إملاءً واستدراجاً، وقد يقدر عليه رزقه حمايةً وصيانةً"[٤].

ونقل ابن القيم (ت:٧٥١هـ) عن بعض السلف قولهم: "ربَّ مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم، وربَّ مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم، وربَّ مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم"[٥].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٤٥)، برقم: (١٧٣٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ١٥٨)، برقم: (٥٦١).

(٢) سلمة بن دينار المخزومي الأعرج، أبوحازم، ثقة عابد، توفي في خلافة المنصور سنة (١٥٣هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٤/ ٧٨)، تقريب التهذيب (٢٤٧).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٢٤٤)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠١).

(٤) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣).

(٥) الجواب الكافي (٢٢).

وبيّن ابن القيم (ت:٧٥١هـ) الفرق بين النعمة والفتنة، فقال: "وأما تمييز النعمة من الفتنة، فليفرق بين النعمة التي يرى بها الإحسان واللطف، ويعان بها على تحصيل سعادته الأبدية، وبين النعمة التي يرى بها الاستدراج، فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يشعر! مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه!"(١).

وقال ابن حجر الهيثمي (ت:٩٧٣هـ):"الأمن من مكر الله بالاسترسال في المعاصي مع الاتكال على الرحمة"(٢).

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٧١).

(٢) الزواجر (١/ ١٦٦).

۞الاستنباط الثاني عشر :(حب الدنيا).

أخرج ابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن الحسن قال: "لو لم يكن لنا ذنوب نخاف على أنفسنا منها إلا حبنا للدنيا لخشينا على أنفسنا، إن الله يقول: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾[الأنفال:٦٧]، أريدوا ما أراد الله"[(١)].

تخريجه:

أخرجه أحمد في الزهد (٢٨٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٣٣)، وفي سنده محمد بن مسلم بن أبي الوضاح صدوق يهم، والقاسم بن فائد ذكر البخاري وابن أبي حاتم أنه روى عن الحسن فقط، ولم أجد من تكلم عليه[(٢)].

معنى الآية إجمالاً:

نزلت في أسرى بدر حين استقرّ رأي النبي ﷺ فيهم بعد مشاورة أصحابه على الفداء بالمال، فعاتبه الله تعالى على ذلك، وأنه ما كان له أن يفادي الأسرى[(٣)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

من خلال عتاب الله ﷻ للفريق الذين أشاروا بأخذ الفدية في غزوة بدر، وبيّن سبحانه أنه لولا كتاب سبق منه لحل بهم عذاب عظيم، فدل على أن حب الدنيا

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٢٠٥).

(٢) ينظر: التاريخ الكبير (٧/ ١٦٨)، الجرح والتعديل (٧/ ١١٧)، تقريب التهذيب (٥٠٧).

(٣) ينظر: النكت والعيون (٢/ ٣٣٢).

والحرص عليها من الذنوب التي يذم عليها.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

عَظُمَ خَوْفُ السلف من فتنة الدنيا، واعتبروا حب الدنيا رأس الخطايا ومفسداً للدين.

قال أبوعبدالله المحاسبي (ت:٢٤٣هـ): "وأنفع ما عالج به المؤمن في أمر دينه قطع حب الدنيا من قلبه، فإذا فعل ذلك هان عليه ترك الدنيا وسهل عليه طلب الآخرة"[(١)].

وقال ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ): "تأملت التحاسد بين العلماء، فرأيت منشأه من حب الدنيا، فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون"[(٢)].

وقال بدر الدين المرادي (ت:٧٤٩هـ): "واعلم أن حاصل الكلام أن حب الدنيا لا يجتمع مع سعادة الآخرة، فبقدر ما يزداد أحدهما ينتقص الآخر؛ وذلك لأن سعادة الدنيا لا تحصل إلا باشتغال القلب بطلب الدنيا، وسعادة الآخرة لا تحصل إلا بفراغ القلب من كل ما سوى الله وامتلائه من حب الله، وهذان الأمران مما لا يجتمعان)[(٣)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "لا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا إلا كما يدخل الجمل في سمّ الإبرة، إذ أحب الله عبداً اصطنعه لنفسه واجتباه لمحبته،

---

(١) آداب النفوس (١٣٦).

(٢) صيد الخاطر (١٩).

(٣) تفسير روح البيان (٢/ ٨٤).

واستخلصه لعبادته، فشغل همه به، ولسانه بذكره، وجوارحه بخدمته"[١].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ)أيضاً: "قالوا: وإنما كان حب الدنيا رأس الخطايا، ومفسداً للدين من وجوه: **أحدها**: أن حبها يقتضي تعظيمها، وهي حقيرة عند الله، ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقر الله، **وثانيها**: أن الله لعنها ومقتها وأبغضها إلا ما كان له فيها، ومن أحب ما لعنه الله ومقته وأبغضه فقد تعرض للفتنة ومقته وغضبه، **وثالثها**: أنه إذا أحبها صيرها غايته وتوسل إليها بالأعمال التي جعلها الله وسائل إليه وإلى الدار الآخرة، فعكس الأمر وقلب الحكمة، فانعكس قلبه وانعكس سيره إلى وراء"[٢].

---

(١) الفوائد (٩٨).

(٢) عدة الصابرين (١٨٦).

الاستنباط الثالث عشر: (أثر الذنب على المؤمن).

أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن الحسن قال: "لما غزا رسول الله ﷺ تبوك تخلف كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع،...، فأنزل الله: ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ﴾[التوبة: ١١٧-١١٨] الآية، قال الحسن: يا سبحان الله! والله ما أكلوا مالاً حراماً، ولا أصابوا دماً حراماً، ولا أفسدوا في الأرض، غيرَ أنهم أبطأوا عن شيء من الخير؛ الجهاد في سبيل الله، وقد - والله - جاهدوا، وجاهدوا، وجاهدوا، فبلغ منهم ما سمعتم، فهكذا يبلغ الذنب من المؤمن"[1].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٠٤)، وفي سنده مبارك بن فضالة البصري، صدوق شديد التدليس، لكنه ثقة فيما يرويه عن الحسن كما في هذا الأثر[2]. وأصل القصة أخرجها البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، برقم: (٤١٥٦)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، برقم: (٢٧٦٩).

معنى الآيتين إجمالاً:

يخبر تعالى أنه من لطفه وإحسانه أنه تاب على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار؛

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٥٧٨-٥٨٠).

(٢) ينظر: الميزان (٦/ ١٥)، أسماء المدلسين (١٦٧).

وذلك بسبب خروجهم لقتال الأعداء في غزوة تبوك، وكانت في حرٍّ شديد، من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ولكن الله ثبتهم، وتاب على الثلاثة الذين خُلِّفُوا عن الخروج مع المسلمين في تلك الغزوة، وهم: كعب بن مالك وصاحباه - وقصتهم مشهورة - حتى إذا حزنوا حزناً عظيماً، وضاقت عليهم الأرض على سعتها ورحبها، وبلغ بهم الكرب شدته، فمكثوا بهذه الشدة نحو خمسين ليلة، ثم أذن في توبتهم، ووفقهم لها فتاب الله عليهم(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك من خلال قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر، فلم تقبل توبتهم في الحال مع صدقهم وإيمانهم، بل عوقبوا على ذلك مدة إلى أن وصل بهم الحال إلى أن ضاقت عليهم الأرض مع سعتها، وبلغ بهم الكرب شدته، فدل مفهومها على أن المؤمن يخاف من ذنبه، ويظهر ندمه الشديد على تقصيره في حق الله تعالى، ولا يغتر بما عمله من الأعمال الصالحة، بخلاف أهل النفاق فإنهم قد سقطوا من عين الله وهانوا عليه، فيخلي بينهم وبين معاصيهم، لذلك لم يحصل لهم شيء من ذلك الكرب والابتلاء.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

المؤمن يعظُمُ الذنب في قلبه ويخاف من عاقبته، وكلما قوي إيمانه زاد خوفه من الله فلا يأمن العقوبة، وتجده دائم المراقبة لله تعالى يستصغر عمله الصالح، ويخشى

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٧/ ٣٥٤).

من صغير عمله السيء.

قال ابن مسعود رضي الله عنه (ت:٣٢هـ): "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا"، قال أبوشهاب: "بيده فوق أنفه"[(١)].

وقال أبوحامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ): "وإنما يعظُم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله، فإذا نظر إلى عِظَم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة"[(٢)].

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ) "وإنما عظم ذنبهم واستحقوا عليه ذلك؛ لأن الشرع يطلبهم من الجدّ فيه بحسب منازلهم منه وتقدمهم فيه، إذ هم أسوة وحجة للمنافقين والطاعنين، إذ كان كعب من أهل العقبة وصاحباه من أهل بدر، وفي هذا يقتضي أن الرجل العالم والمقتدى به أقل عذراً في السقوط من سواه"[(٣)].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان، فلا يأمن العقوبة بسببها، وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة، يستصغر عمله الصالح، ويخشى من صغير عمله السيء"[(٤)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وهكذا يفعل الرب سبحانه بعباده في عقوبات جرائمهم، فيؤدب عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده بأدنى زلة وهفوة، فلا يزال مستيقظاً حذراً، وأما من سقط من عينه وهان عليه فإنه يخلي بينه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، برقم: (٥٩٤٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٢).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٩٤).

(٤) فتح الباري (١١/ ١٠٥).

وبين معاصيه، وكلما أحدث ذنباً أحدث له نعمة، والمغرور يظن أن ذلك من كرامته عليه، ولا يعلم أن ذلك عين الإهانة، وأنه يريد به العذاب الشديد، والعقوبة التي لا عاقبة معها"[١].

وذكر السعدي (ت:١٣٧٦هـ) فوائد من هذه القصة، فقال: "ومنها: أن توبة الله على عبده، بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب، ولا يُحرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة"[٢].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٧٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣٥٤).

۞الاستنباط الرابع عشر:(الحسنة تمحو السيئة).

أخرج ابن أبي حاتم، عن الحسن قال: "استعينوا على السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، وإنكم لن تجدوا شيئاً أذهب لسيئة قديمة من حسنة حديثة، وتصديق ذلك في كتب الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾[هود: ١١٤]"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٢)، وفي سنده محمد بن بشير الواعظ ضعيف، وسهل بن حميد لم أقف له على ترجمة[(٢)].

معنى الآية إجمالاً:

يأمر تعالى بإقامة الصلاة في أول النهار وآخره، وبيّن سبحانه أن هذه الحسنات مع أنها تُقرِّب إلى الله، فهي أيضاً تمحو السيئات، والأمر بإقامة الصلاة، وبيان أن

---

(١) الدر المنثور (٨/ ١٦٨).

وروي مرفوعاً عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "لم أر شيئاً أحسن طلباً، ولا أحسن إدراكاً من حسنة حديثة لسيئة قديمة: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾[هود: ١١٤]". أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٧٤)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ٣٤٤). قال عنه الهيثمي: "رواه الطبراني، وفيه مالك بن يحيى بن عمرو النكري؛ وهو ضعيف، وكذلك أبوه". مجمع الزوائد (٧/ ٣٩)، وقال ابن الجوزي: "هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بأفراد مالك بن يحيى؛ فأما أبوه فكان حماد بن زيد يرميه بالكذب، وأما جده فقال ابن عدي: منكر الحديث من الثقات، ويسرق الحديث، ضعفه أبو يعلى الموصلي". العلل المتناهية (٢/ ٨٢٥)، وضعف سنده السيوطي في الإتقان (٦/ ٢٣٨٣).

(٢) ينظر: الضعفاء والمتروكين (٣/ ٤٤)، لسان الميزان (٥/ ٩٤).

الحسنات يذهبن السيئات ذكرى للذاكرين، الذين يمتثلون لأوامر الله، ويجتنبون نواهيه[(١)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أن الصلوات الخمس يذهبن السيئات، فدل مفهومها على أن جميع الطاعات تمحو السيئات، وأن من وقع في السيئات فعليه أن يستعين بفعل الحسنات لتكفيرها ومحوها؛ لأن إتباع السيئة الحسنة يمحوها.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الإنسان لم يخلق معصوماً من الخطأ، ولكن الموفق من إذا أذنب ندم وتاب، وأكثر من فعل الصالحات ليكفر بها ما سلف من السيئات.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٧].

وجاء في السنة كثير من الأحاديث التي تدل على هذا المعنى، منها: حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)[(٢)]، وحديث ابن مسعود رضي الله عنه: (أن رجلاً

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٩١).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، برقم: (١٩٨٧). وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم

أصاب من امرأة قبلة، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، أنزلت عليه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[هود: ١١٤]، قال الرجل: ألي هذه، قال: لمن عمل بها من أمتي)[١]، وحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهنّ إذا اجتنب الكبائر)[٢] وغيرها.

قال ابن عبدالبر (ت:٤٦٣هـ): "أعمال البر تكفر السيئات وتوجب الغفران والحسنات، ولا ينبغي للعاقل المؤمن أن يحتقر شيئاً من أعمال البِر، فربما غُفِر له بأقلِّها"[٣].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فالمحو والتكفير يقع بما يتقبل من الأعمال، وأكثر الناس يقصرون في الحسنات حتى في نفس صلاتهم، فالسعيد منهم من يكتب له نصفها، وهم يفعلون السيئات كثيراً، فلهذا يكفر بما يقبل من الصلوات الخمس شيء، وبما يقبل من الجمعة شيء، وبما يقبل من صيام رمضان شيء آخر،

يخرجاه". المستدرك (١/ ١٢١)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٧٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾[هود: ١١٤]، برقم: (٤٤١٠)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾[هود: ١١٤]، برقم: (٢٧٦٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، برقم: (٢٣٣).

(٣) التمهيد (٢٢/ ١٢).

وكذلك سائر الأعمال، وليس كل حسنة تمحو كل سيئة، بل المحو يكون للصغائر تارة، ويكون للكبائر تارة، باعتبار الموازنة، والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله؛ فيغفر الله له به كبائر"[١].

وقال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "لما كان العبد مأموراً بالتقوى في السر والعلانية، مع أنه لا بد أن يقع منه أحياناً تفريط في التقوى، إما بترك بعض المأمورات، أو بارتكاب بعض المحظورات، فأمره بأن يفعل ما يمحو به هذه السيئة؛ وهو أن يتبعها بالحسنة"[٢].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢١٨-٢١٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٦٣).

۞الاستنباط الخامس عشر: (سبب ابتلاء يوسف ﷺ).

أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، والحاكم وصححه، عن ابن عباس قال: "عُوقِب يوسف ﷺ ثلاث مرات؛ أمَّا أولُ مرة فبالحبس؛ لِمَا كان من همِّه بها. والثانية لقوله: ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾، ﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[يوسف: ٤٢]، عوقب بطول الحبس. والثالثة حيث قال: ﴿ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[يوسف: ٧٠]، فاستقبل في وجهه: ﴿ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾[يوسف: ٧٧]"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ٩٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٧)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وقال الذهبي مستدركاً على الحاكم: "كذا قال، وهو خبر منكر، وفيه خصيف، وقد ضعفه أحمد، ومشاه غيره، ولم يخرجا له"، وقال محقق مختصر الذهبي: "مما تقدم يتبين أن خصيفاً صدوق سيء الحفظ، ورمي بالإرجاء كما لخص حاله ابن حجر، وكذا الذهبي، فعليه يكون الحديث بهذا الإسناد ضعيفاً". المختصر (٢/ ٨٢٢).

معنى الآيات إجمالاً:

في الآية الأولى يخبر تعالى عن المحنة العظيمة التي أصابت يوسف ﷺ من امرأة العزيز التي كان في بيتها بمصر، فدعته إلى فعل الفاحشة، وهمّت به هم

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٢٤٨).

إصرار؛ لأنها فعلت مقدورها، وهمّ بها يوسف عليه السلام همّ خطرات، فتركه لله؛ ومنعه ما معه من العلم والإيمان عن الوقوع في ما همّ به.

وفي الآية الثانية يخبر تعالى ذكره أن يوسف عليه السلام قال للذي ظنّ أنه ناج من صاحبيه؛ وهو الساقي، اذكرني عند سيدك، وأخبره بمظلمتي، وأني محبوس بغير جرم، فأنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف عليه السلام للملك، فلبث في السجن بضع سنين.

وفي الآية الثالثة يذكر الله تعالى قصة يوسف عليه السلام مع إخوته؛ وهو أنه لما جهزهم وحَمَّل لهم أبعرتهم طعاماً، أمر بعض فتيانه أن يضع السقاية؛ وهي إناء من فضة في متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد، ثم نادى مناد بينهم: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾ [يوسف: ٧٠]، وقال إخوة يوسف لما رأوا الصواع قد أخرج من متاع بنيامين، أن هذا سَرَق كما سَرَق أخ له من قبل، يعنون به يوسف عليه السلام؛ ومقصودهم تبرئة أنفسهم، وأن هذا وأخاه قد يصدر منهم ما يصدر من السرقة، وهما ليسا شقيقين لنا[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

وذلك أنه في كل آية من هذه الآيات الثلاث يذكر الله عملاً عمله يوسف عليه السلام ثم يعقبه بذكر ابتلاءٍ بعده مباشرة، فتم الربط بينهما، من باب الربط بين العمل

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٦/ ٣٣-١٩٨)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٠٢-٥٢٥)، تيسير الكريم الرحمن (٣٩٦-٤٠٣).

وجزائه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

في هذا الاستنباط ثلاث مسائل، وقد اختلف أهل العلم فيها، وسوف أقوم بالحديث عن كل مسألة على حدة.

المسألة الأولى: هل كان دخول يوسف ﷺ السجن بسبب الهمّة التي همّ بها عندما دعته امرأة العزيز إلى الفاحشة؟.

نُسِب لابن عباس رضي الله عنهما أن سبب دخول يوسف السجن هي الهمَّة التي همَّها.

وقيل: سبب دخوله السجن شكوى امرأة العزيز إلى زوجها أمْره وأمْرها، وممن قال به السدي[1].

الراجح:

أن سبب دخول يوسف ﷺ السجن أمرين:

الأول: هو شكوى امرأة العزيز التي ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[يوسف: ٢٥].

الثاني: سؤال يوسف ﷺ السجن، وعدم سؤال الله العافية، حيث قال: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾[يوسف: ٣٣].

قال القَصَّاب (ت:٣٦٠هـ): "وإبلاء الله جلَّ وعلا إياه اتعاظ لغيره أن لا يختار على سؤال العافية شيئاً، وقد روي عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ مرّ برجل

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٦/ ٩٣)، تفسير الثعلبي (٥/ ٢٢٠).

وهو يقول: اللهم إني أسألك الصبر، فقال: (سألت الله البلاء، فاسأل الله العافية)[١]، وأنه ﷺ عاد رجلاً قد صار مثل الفرخ، فقال: (ما كنت داعياً به؟)، فقال: كنت أقول: اللهم ما كنت معذبي به في الآخرة فعجّله لي في الدنيا، فقد صرت كما ترى، فقال: (ألا قلت: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)[٢]"[٣].

وأما الردّ على أن سبب السجن الهمّة، فيقال: همّ يوسف عليه السلام خطرة، ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب، ولا مؤاخذة عليه، ولو كان همة كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين، فكان ذلك إخباراً ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية[٤].

المسألة الثانية: هل لبث يوسف في السجن بضع سنين كان بسبب أنه أمر الساقي بذكره عند الملك؟.

ذهب بعض المفسرين إلى أن لبث يوسف عليه السلام في السجن عدّة سنين بسبب أنه طلب من الساقي أن يخبر الملك بمظلمته، وأنه محبوس بغير جرم، وممن ذهب إلى

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب من سأل الله العافية، برقم: (٧٢٥)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب رقم (٩٤)، برقم: (٣٥٢٧)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١). وقال الترمذي: "هذا حديث حسن"، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٠/ ٢٥)، برقم: (٤٥٢٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، برقم: (٢٦٨٨).

(٣) نكت القرآن (١/ ٦١٦).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (١/ ٥٢٥).

هذا القول ابن عباس، ومقاتل بن سليمان[١]، وقتادة، ومجاهد[٢] رحمهم الله.

وروي فيه أثراً مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: (رحم الله يوسف، لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث)[٣]. وهذا الأثر ضعيفاً جداً لا يعتمد عليه.

الراجح:

أن مكث يوسف عليه السلام في السجن بضع سنين لم يكن بسبب طلبه من الساقي ذكر حاله عند الملك؛ لأن سؤاله لا ينافي التوكل.

قال ابن حزم الظاهري (ت:٤٥٦هـ): "وليس في قوله ذلك دليل على أنه أغفل الدعاء إلى الله عز وجل، لكنه رغب هذا الذي كان معه في السجن في فعل الخير وحضه عليه، وهذا فرض من وجهين، أحدهما: وجوب السعي في كف الظلم عنه، والثاني: دعاؤه إلى الخير والحسنات"[٤].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "ليس في قوله: ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾[يوسف: ٤٢]، ما يناقض التوكل، بل قد قال يوسف: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٥٠).

(٢) جامع البيان (١٦/ ١١٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ١١٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٨)، قال ابن كثير: "وهذا الحديث ضعيف جداً؛ لأن سفيان بن وكيع ضعيف، وإبراهيم بن يزيد؛ هو الجوزي أضعف منه أيضاً، وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما، وهذه المرسلات ها هنا لا تقبل من قبل المرسل من حيث هو غير هذا الموطن". تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٥). وقال الهيثمي: "رواه الطبراني، وفيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي؛ وهو متروك". في مجمع الزوائد (٧/ ٤٠)، وقال أحمد شاكر: "فهذا خبر ضعيف الإسناد جدًا". جامع البيان (١٦/ ١١٢).

(٤) الفصل في الملل (٤/ ١٠).

لِلَّهِ ﴾[يوسف: ٦٧]، كما أن قول أبيه: ﴿ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾[يوسف: ٦٧]، لم يناقض توكله، بل قال: ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[يوسف: ٦٧]، وأيضاً فيوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلصين، والمخلص لا يكون مخلصاً مع توكله على غير الله؛ فإن ذلك شرك، ويوسف لم يكن مشركاً لا في عبادته، ولا توكله، بل قد توكل على ربه في فعل نفسه، بقوله: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[يوسف: ٣٣]، فكيف لا يتوكل عليه في أفعال عباده؟ وقوله: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾[يوسف: ٤٢]، مثل قوله لربه: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾[يوسف: ٥٥]، فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضاً للتوكل، ولا هو من سؤال الإمارة المنهي عنه، فكيف يكون قوله للفتى: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾[يوسف: ٤٢]، مناقضاً للتوكل، وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به ليعلم حاله ليتبين الحق"(١).

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "من وقع في مكروه وشدة، لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه، أو الإخبار بحاله، وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق، فإن هذا من الأمور العادية التي جرى العُرف باستعانة الناس بعضهم ببعض"(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١١٣-١١٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤١٠).

أمّا لماذا لبث في السجن بضع سنين؟.

فيقال: إن القوم قد عزموا على حبسه إلى حينٍ قبل هذا، ظلماً له مع علمهم ببراءته من الذنب، وأيضاً لبثه في السجن كان كرامة من الله في حقه؛ ليتم بذلك صبره وتقواه، فإنه بالصبر والتقوى نال ما نال(١).

المسألة الثالثة: هل ما ردّ به إخوة يوسف عليه السلام بأنه سارق عقوبة له؛ لاتهامهم بالسرقة؟

نُسِب هذا القول لابن عباس(٢)، وعكرمة رضي الله عنهم(٣).

الراجح:

أن ردّ إخوة يوسف عليه السلام ليس عقوبة له، بل هو كذب وافتراء عليه.

فقد ذكر ابن القيم (ت:٧٥١هـ) في تسميتهم سارقين وجهين:

أحدهما: أنه من باب المعاريض، وأن يوسف عليه السلام نوى بذلك أنهم سرقوه من أبيه، حيث غيبوه عنه بالحيلة التي احتالوا بها عليه، وخانوه فيه، والخائن يسمى سارقاً؛ وهو من الاستعمال المشهور.

الثاني: أن المنادي هو الذي قال ذلك من غير أمر يوسف عليه السلام، قال القاضي أبويعلى وغيره: أمر يوسف بعض أصحابه أن يجعل الصاع في رحل أخيه، ثم قال بعض الموكلين به لما فقده ولم يدر من أخذه: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يوسف:٧٠]، على ظن منهم أنهم كذلك، ولم يأمرهم يوسف عليه السلام بذلك، ولعل

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١١٥).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٦/ ٩٣).

(٣) ينظر: النكت والعيون (٣/ ٦٤).

يوسف عليه السلام قال للمنادي: هؤلاء قد سرقوا؛ وعنى سرقته من أبيه، والمنادي فهم سرقة الصواع، وصدق في قوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾[يوسف:٧٠]، ولم يقل: صواع الملك ثم لما جاء إلى ذكر المفقود قال: ﴿ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ ﴾[يوسف: ٧٢]؛ وهو صادق في ذلك، فحذف المفعول في قوله: ﴿ لَسَارِقُونَ ﴾[يوسف: ٧٠]، وذكره في قوله: ﴿ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ ﴾[يوسف:٧٢]، وكذلك قال يوسف عليه السلام لما عرضوا عليه أن يأخذ أحدهم مكان أخيهم: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ﴾[يوسف: ٧٩]، ولم يقل: أن نأخذ إلا من سرق، فإن المتاع كان موجوداً عنده ولم يكن سارقاً، وهذا من أحسن المعاريض(١).

هذا توجيه وصفهم بالسرقة.

وأما رميهم ليوسف عليه السلام بالسرقة، فقد كذبوا عليه، وهو بريء مما وصفوه به، وهو من قياس الشبه(٢).

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "أما قياس الشبه فلم يحكه الله سبحانه إلا عن المبطلين؛ فمنه قوله تعالى إخباراً عن إخوة يوسف أنهم قالوا لما وجدوا الصواع في رحل أخيهم: ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾[يوسف: ٧٧]، فلم يجمعوا بين الأصل والفرع بعلة ولا دليلها، وإنما ألحقوا أحدهما بالآخر من غير دليل جامع سوى مجرد الشبه الجامع بينه وبين يوسف، فقالوا هذا مقيس على أخيه

---

(١) ينظر: إغاثة اللهفان (٢/ ١١١-١١٢).

(٢) قياس الشبه: هو أن يتردد فرع بين أصلين له شبه بكل واحد منهما، وشبه بأحدهما أكثر، فيرد إلى أكثرهما شبهاً به. رسالة في أصول الفقه (٧١).

بينهما شبه من وجوه عديدة، وذاك قد سرق فكذلك هذا وهذا، هو الجمع بالشبه الفارغ، والقياس بالصورة المجردة عن العلة المقتضية للتساوي؛ وهو قياس فاسد، والتساوي في قرابة الأخوة ليس بعلة للتساوي في السرقة لو كانت حقاً، ولا دليل على التساوي فيها، فيكون الجمع لنوع شبه خال عن العلة ودليلها"[1].

الخلاصة: عدم صحة هذا العثرات المنسوبة ليوسف عليه السلام؛ لضعف الأثر، وما اعترض به على كل عثرة.

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٤٨).

الاستنباط السادس عشر: (مرتكب المعصية وهو عالم يكون جاهلاً).

أخرج أبوالشيخ، عن عمرو بن مُرَّة[١] قال: "من أتى ذنبا عمداً أو خطأً فهو جاهل حين يأتيه، ألا ترى إلى قول يوسف ﷺ: ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ۝٣٣﴾[يوسف: ٣٣]، قال: فقد عرف يوسف أن الزنى حرام، وإن أتاه كان جاهلاً"[٢].

تخريجه:

لم أجد من ذكر هذا الأثر حسب ما وقفت عليه من كتب.

معنى الآية إجمالاً:

خبر من الله يدل على أنّ امرأة العزيز قد عاودت يوسف في المُراودة عن نفسه، وتوعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل ما دعته إليه، فاختار السجن على ما دعته إليه، ودعا ربه أن يصرف عنه شرهنّ، وإلَّا مال إليهنّ، وكان من الذين جهلوا حقه، وخالفوا أمره ونهيه[٣].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك لأن يوسف ﷺ لما دعا ربه أن يصرف عنه فعل الفاحشة، وإلَّا وقع في

---

(١) عمرو بن مُرَّة بن عبدالله الجَمَلي، أبوعبدالله الكوفي، الأعمى ثقة عابد، رمي بالإرجاء، توفي سنة (١١٨هـ)، وقيل قبلها. ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ٢٥٧)، تقريب التهذيب (٤٢٦).

(٢) الدر المنثور (٨/ ٢٤٧).

(٣) جامع البيان (١٦/ ٨٧).

الذنب، وكان من الجاهلين، ودعاء يوسف عليه السلام يدل على علمه بحرمة الزنى، ولو كان جاهلاً بالحكم لما دعا ربه أن يبعد عنه كيدهنّ، ومع دعائه وعلمه إلا أنه عدّ نفسه جاهلاً إذا وقع في المعصية، ففهم منه أن كل من وقع في الذنب فهو جاهل وإن كان عالماً بالتحريم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

كل من وقع في معصية الله تعالى، وخالف أمره، فهو جاهل ولو كان عالماً بالتحريم.

ويدل على هذا المعنى ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾[النساء: ١٧]، قال: "من عمل السوء فهو جاهل، من جهالته عمل السوء"[١].

قال قتادة (ت:١١٧هـ): "اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عُصي به فهو جهالة عمداً كان أو غيره"[٢].

وقال الرازي (ت:٦٠٤هـ): "والسبب في إطلاق اسم الجاهل على العاصي لربه أنه لو استعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب لما أقدم على المعصية، فلما لم يستعمل ذلك العلم صار كأنه لا علم له، فعلى هذا الطريق سمي العاصي لربه جاهلاً، وعلى هذا الوجه يدخل فيه المعصية سواء أتى بها الإنسان مع العلم بكونها معصية أو مع الجهل بذلك"[٣].

---

(١) جامع البيان (٨/ ٩٠).

(٢) جامع البيان (٨/ ٨٩)، تفسير الثعلبي (٣/٢٧٣).

(٣) التفسير الكبير (١٠/ ٥).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فأصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل، وعدم العلم بكونها تضرهم ضرراً راجحاً، أو ظنّ أنها تنفعهم نفعاً راجحاً"[(١)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "ويدل على صحة هذا أن مع كمال العلم لا تصدر المعصية من العبد، فإنه لو رأى صبياً يتطلع عليه من كَوَّة[(٢)] لم تتحرك جوارحه لمواقعة الفاحشة، فكيف يقع منه حال كمال العلم بنظر الله إليه، ورؤيته له، وعقابه على الذنب، وتحريمه له وسوء عاقبته! فلا بد من غفلة القلب على هذا العلم وغيبته عنه، فحينئذ يكون وقوعه في المعصية صادراً عن جهل وغفلة، ونسيان مضاد للعلم، والذنب محفوف بجهلين: جهل بحقيقة الأسباب الصارفة عنه، وجهل بحقيقة المفسدة المترتبة عليه، وكل واحد من الجهلين تحته جهالات كثيرة، فما عصي الله إلا بالجهل، وما أطيع إلا بالعلم"[(٣)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) أيضاً: "وليس المراد أنه جاهل بالتحريم؛ إذ لو كان جاهلاً لم يكن عاصياً، فلا يترتب الحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة على جاهل بالتحريم، بل نفس الذنب يسمى جهلاً وإن علم مرتكبه بتحريمه، إما أنه لا يصدر إلا عن ضعف العلم ونقصانه وذلك جهل فسمي باسم سببه، وإما تنزيلاً لفاعله منزلة الجاهل به"[(٤)].

---

(١) الحسنة والسيئة (٦٢).

(٢) الكَوَّة: نَقْب البيت. الصحاح (٦/ ٢٤٧٨).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٩٠).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ١٠١).

۞الاستنباط السابع عشر :(المؤمن يشكر الله على جميع النعم).

أخرج ابن جرير، وأبوالشيخ، عن قتادة: ﴿ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[يوسف: ٣٨]، قال: "إن المؤمن ليشكر ما به من نعمة الله، ويشكر ما بالناس من نعم الله؛ ذُكِر لنا أن أبا الدرداء كان يقول: يا رُبَّ شاكِرِ نعمةٍ غَيرُ مُنعَمٍ عليه لا يدري، ويا رُبَّ حامل فقهٍ غَيرِ فقيه"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٥٩)، وقال محققه في سلسلة هذا السند في متن آخر: "حسن الإسناد، لكن ابن أبي عروبة اختلط في آخر عمره، وهو أيضاً موصوم بالتدليس والإرسال". الجزء الأول من تفسير سورة البقرة (١/ ٢٠٢)، وقال أبوإسحاق الحويني في سلسلة هذا السند عند ابن جرير في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٦).

معنى الآية إجمالاً:

في هذه الآية يخبر تعالى عن يوسف ﵇ أنه قال لصاحبيه في السجن: إني هجرت طريق الكفر والشرك، وسلكت طريق آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام؛ لأنه طريق الهدى والفلاح، وهذا من فضل الله ومنّته علينا أن هدانا للإسلام، وعلى الناس لِما بيّن لهم من الهدى، وأرسل لهم من الرسل عليهم السلام، ولكن الكثير من الناس لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم(٢).

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٢٥٥).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٣).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن نبي الله يوسف ﵇ تحدث بنعمة الله عليه بهدايته للطريق المستقيم، ونعمة الله على خلقه بإرسال الرسل، فأخذ من ذلك أن المؤمن يشكر الله تعالى على نعمه عليه، وعلى نعمه على خلقه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

المؤمن يعلم أنه لا يأتي بالنعم إلا الله تبارك وتعالى، فيشكر الله تعالى على جميع نعمه الخاصة والعامة.

قال محمد بن عبدالوهاب (ت:١٢٠٦هـ): "إن فضله سبحانه ليس مخصوصاً بنا، بل عام للناس كلهم، لكن منهم من قبله، ومنهم من ردّه، وذلك أنه أعطى الفِطر ثم العقول، ثم بعث الرسل وأنزل الكتب"(١).

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "الشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أركان: اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره، والتحدث بها والثناء على الله بها، والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته"(٢).

ولم أجد من تكلم على هذا المعنى من العلماء المتقدمين رحمهم الله.

---

(١) تفسير آيات من القرآن الكريم (١٤٥).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٤٠).

۞الاستنباط الثامن عشر: (الدعاء بالخاتمة الحسنة).

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، من طريق ابن جريج عن ابن عباس في الآية: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يوسف: ١٠١]، قال: "اشتاق إلى لقاء الله، وأحب أن يلحق به وبآبائه، فدعا الله أن يتوفَّاه وأن يُلحِقه بهم".

وقال ابن عباس: "ولم يسأل نبي قط الموت غير يوسف، قال: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾[يوسف: ١٠١] الآية"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ٢٧٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٤)، قال الشيخ حكمت بشير: "قول ابن جريج أخرجه الطبري بسند فيه الحسين؛ وهو ابن داود وهو ضعيف، وقول السدي عن ابن عباس أخرجه الطبري من طريق أسباط عن السدي به، والسدي لم يسمع من ابن عباس". تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٦)، وفي طريق ابن أبي حاتم سعيد بن بشير الأزدي ضعيف[(٢)].

معنى الآية إجمالاً:

دعاء من يوسف ، دعا ربه ﷻ لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منّ الله به عليه من النبوة والمُلْك، سأل ربه ﷻ كما أتمّ نعمته عليه في

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٣٤٤).

(٢) ينظر: الكامل (٣/ ٣٦٩)، تقريب التهذيب (٢٣٤).

الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه على الإسلام، وأن يُلحِقه بالصالحين(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك لأن يوسف ﷺ طلب الوفاة على الإسلام، فدل مفهومها على أنه استعجال للموت، وطلب للوفاة في الحال، من باب الربط بين الصفة وموصوفها.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

اختلف السلف في هذا الاستنباط، هل هو طلب للوفاة على الحال؟ أو: لا؟ على قولين:

الأول: أنه سأل الوفاة على الحال؛ وهو منسوب لابن عباس رضي الله عنهما المذكور ومن وافقه مثل قتادة وغيره.

قال قتادة (ت:١١٧هـ): "لما جَمَع شمله، وأقرَّ عينه، وهو يومئذ مغموس في نَبْت الدنيا وملكها وغَضَارتها، فاشتاق إلى الصالحين قبله". وقال أيضاً: "ولم يتمنَّ الموت أحد قطُّ نبي ولا غيره إلا يوسف"(٢).

الثاني: أن يوسف ﷺ لم يستعجل طلب الموت، وإنما دعا أن يتمّ الله عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله، وهو قول الضحاك وغيره، ونسب

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٦).

(٢) جامع البيان (١٦/ ٢٨٠)، وصحح ابن حجر إسناده ونسبه إلى الطبراني؛ وهو تصحيف؛ إذ أني لم أجده في معاجمه الثلاثة، والصحيح نسبته إلى الطبري. ينظر: فتح الباري (١٠/ ١٣٠).

القرطبي(ت:٦٧١هـ) هذا القول للجمهور[١].

قال الضحاك (ت:١٠٥هـ): "توفني على طاعتك، واغفر لي إذا توفَّيتني"[٢].

الراجح:

القول الثاني؛ وهو المختار في تأويل الآية عند أهل التأويل كما ذكر القرطبي (ت:٦٧١هـ).

أما القول الأول ففيه نظر؛ وذلك لضعف الرواية من جهة، ومن جهة الدراية فإن يوسف لم يتمن الموت، وإنما سأل الله الثبات على الإسلام، حتى يتوفاه مسلماً، كما يسأل العبد ربه حسن الخاتمة[٣].

قال ابن حزم الظاهري (ت:٤٥٦هـ): "فليس هذا على استعجال الموت المنهي عنه، لكن على الدعاء بأن لا يتوفاه الله تعالى إذا توفاه إلا مسلماً؛ وهذا ظاهر الآية الذي لا تزيد فيه"[٤].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "والصحيح من القولين أنه لم يسأل الموت ولم يتمنه، وإنما سأل أنه إذا مات يموت على الإسلام، فسأل الصفة لا الموصوف، كما أمر الله بذلك"[٥].

وقال النحاس (ت:٣٣٨هـ): "ليس معنى ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾: توفني الساعة،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٢٦٩).

(٢) جامع البيان (١٦/ ٢٨٠).

(٣) ينظر: بهجة قلوب الأبرار (٢٤٨).

(٤) المحلى (٥/ ١٧٦).

(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧٠).

وهذا بيّن جداً لا إشكال فيه"(١).

قال أبو حيان (ت:٧٤٥هـ): "والذي يظهر أنه ليس في الآية تمني الموت، وإنما عدَّد نعمه عليه، ثم دعا أن يتم عليه النعم في باقي أمره؛ أي: توفني إذا حان أجلي على الإسلام، واجعل لحاقي بالصالحين، وإنما تمنى الوفاة على الإسلام لا الموت"(٢).

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "أدِم عليَّ الإسلام وثبتني عليه حتى تتوفاني عليه، ولم يكن هذا دعاء باستعجال الموت"(٣).

الخلاصة:

١- أن قول ابن عباس رضي الله عنهما لم يثبت رواية، وهو قول مرجوح بهذا المعنى.

أما إذا كان المراد: أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام، كما أن نوحاً أول من قال: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا ﴾[نوح: ٢٨]، كما ذكر ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) (٤)، فهذا القول له وجه.

٢- وبتقدير صحة الدعاء بطلب الموت، فهو من شَرْعِ من قبلنا، وقد جاء في شرعنا النهي عن ذلك لحديث أبي هريرة ﵁ قال رسول الله ﷺ: (لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد

---

(١) الناسخ والمنسوخ (٥٣٣).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٣٤٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٠٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٩٣).

المؤمن عمره إلا خيراً)[١]، وغيره من الأحاديث التي تنهى عن تمني الموت، وإنما يؤخذ بشرع من قبلنا ما لم يرد في شرعنا النهي عنه بالاتفاق[٢].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب تمني كراهية الموت لضر نزل به، برقم: (٢٦٨٢).

(٢) ينظر: فتح الباري (١٠/ ١٣٠).

۞الاستنباط التاسع عشر: (الخوف من الشرك).

أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن إبراهيم التيمي[١] قال: "من يأمنُ البلاءَ بعد قول إبراهيم: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[إبراهيم: ٣٥]"[٢].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧/ ١٧)، وسنده ضعيف؛ لضعف محمد بن حميد الرازي[٣].

معنى الآية إجمالاً:

لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت، سأل ربه أن يجعل هذا البلد آمناً، وخاف على بنيه؛ لأنه رأى القوم يعبدون الأوثان، فسأل ربه أن يجنبهم وبنيه عبادة الأوثان، وذلك لكثرة من افتتن وابتلي بعبادتها[٤].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

من خلال الربط بين مكانة إبراهيم عليه السلام إذ هو خليل الرحمن وإمام الحنفاء ووالد الأنبياء ومكسِّر الأصنام؛ ومع هذا يخاف على نفسه وبنيه من الوقوع في

---

(١) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، أبوأسماء الكوفي، ثقة إلا أنه يرسل ويدلس، توفي سنة (٩٢هـ)، ولم يبلغ الأربعين. ينظر: التاريخ الكبير (١/ ٣٣٤)، تقريب التهذيب (٩٥).

(٢) الدر المنثور (٨/ ٥٥٧).

(٣) ينظر: الميزان (٦/ ١٢٦)، تقريب التهذيب (٤٧٥).

(٤) ينظر: تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٤٥)، تيسير الكريم الرحمن (٤٢٦).

الشرك، وسأل الله العافية، فكيف بمن هو دونه بمنازل كثيرة جداً في الإيمان! فإنه يُخاف عليه أكثر.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والسلف الصالح يخافون من الشرك، ويسألون الله العافية والسلامة منه.

قال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "وفيه دليل أن المؤمن لا ينبغي له أن يأمن على إيمانه، وينبغي أن يكون متضرعاً إلى الله ليثبته على الإيمان، كما سأله إبراهيم لنفسه ولبنيه الثبات على الإيمان"(١).

وقال الواحدي (ت:٤٦٨هـ): "ولم تزل الأنبياء والأكابر يخافون العاقبة وانقلاب الأمر، ألا ترى إلى قول الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾[إبراهيم: ٣٥]"(٢).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "ولعل بعض الناس يخيل إليه أن ذلك كان في أول الأمر لقرب العهد بعبادة الاوثان، وأن هذه المفسدة قد أُمنت اليوم، وليس الأمر كما تخيّله، فإن الشرك وتعلق القلوب بغير الله - عبادة واستعانة - غالب على قلوب الناس في كل وقت إلا من عصم الله، والشيطان سريع إلى دعاء الناس إلى ذلك، وقد قال الحكيم الخبير: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، وقال إمام الحنفاء: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ

(١) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٤٥).

(٢) البسيط (٨/ ٢٣٣).

إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾[إبراهيم: ٣٥ - ٣٦]"[١].

---

(١) شرح العمدة (٤/ ٤٥٢).

۞الاستنباط العشرون:(التقوى تمنع صاحبها من الذنوب).

أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي وائل[1] في قوله: ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾[مريم: ١٨]، قال: "لقد علمت مريم أن التقِيَّ ذو نُهْيَة[2]"[3].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨/ ١٦٤)، وعبد بن حميد ذكره ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٧٩)، وابن أبي حاتم ذكره ابن حجر في تغليق التعليق (٤/ ٣٧)، وأخرجه البخاري تعليقاً، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾. وقال الشيخ حكمت بشير: "أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه البخاري تعليقاً، ووصله عبد بن حميد في تفسيره من طريق المسعودي عن عاصم به". تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢١٦).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى أن مريم عليها السلام قالت للملِك الذي تمثل لها بشراً لما رأته قد خرق الحجاب الذي اتخذته فأساءت به الظن، إن كنت تخاف الله، وتعمل بتقواه، فاترك التعرض لي[4].

---

(١) شقيق بن سلمة الأسدي، أبووائل الكوفي، ثقة مخضرم، أدرك النبي ﷺ وهاجر بعده، توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز وله مائة سنة. ينظر: الاستيعاب (٢/ ٧١٠)، تقريب التهذيب (٢٦٨).

(٢) ذو نُهْية: ذو عقل وانتهاء عن فعل القبيح. فتح الباري (٦/ ٤٧٩).

(٣) الدر المنثور (١٠/ ٥٠).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ٩)، تيسير الكريم الرحمن (٤٩١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك من خلال قصة مريم عليها السلام مع جبريل ﷺ عندما جاءها في صورة بشر خافت وأساءت به الظنّ، فوعظته وهيبته بتقوى الله، فأخذ بدلالتها على أن التقوى تمنع صاحبها من الوقوع في الحرام.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الأمر بالتقوى وصية الله للأولين والآخرين، وهي الدافع إلى كل خير، الرادع عن كل شر.

قال زيد بن علي (ت:١٢١هـ): "إنّ تقوى الله ﷻ حمت المتقين معصيته حتى حاسبوا نفوسهم في صغائر الأعمال، وإن تقوى الله بعثت المتقين على طاعته، وخففت على أبدانهم طول النصب، فاستلذوا مناجاة الله وذكره، وحمدوه على السراء والضراء، أولئك الذي عملوا بالصالحات واجتنبوا المنكرات، ومهدوا لأنفسهم، فطوبى لهم وحسن مآب"(١).

وقال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "التّقي إذا وُعِظ بالله ﷻ اتعظ وخاف، والفاسق يُخوف بالسلطان، والمنافق يُخوف بالناس، فالتقي يُخوف بالله"(٢).

وقال ابن عبدالبر (ت:٤٦٣هـ): "جِماع الخير كله تقوى الله ﷻ"(٣).

---

(١) الأمالي (٢/ ٣٧٣).

(٢) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٧١).

(٣) الكافي لابن عبدالبر (٦١٠).

وقال البقاعي (ت:٨٥٥هـ): "التقوى مانعة من أن تُضيعوا حقه، وتخالفوا أمره، وتُقدِموا على شيء لم تعلموا رضاه فيه"[١].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "التقوى مانعة من بخس الحق، ومن ضياع الأمانة. وكقوله عن مريم في طُهرِها وعِفتها لما أتاها جبريل وتمثل لها بشـراً سوياً: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ١٨﴾[مريم: ١٨]"[٢].

(١) نظم الدرر (٧/ ٢٢١).

(٢) أضواء البيان (٨/ ٥١).

۞الاستنباط الحادي والعشرون:(اختلاف حال المؤمن والمنافق في العبادة).

أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن الحسن قال: "إن المؤمن جمع إحساناً وشفقةً، وإن المنافق جمع إساءةً وأمناً ثم تلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[المؤمنون: ٥٧] إلى قوله: ﴿ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[المؤمنون: ٦٠]، وقال المنافق: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾[القصص: ٧٨]"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٤٥)، والطبراني في الأوسط (١/ ١٨٣)، وحسّن الهيثمي إسناده. مجمع الزوائد (٩/ ٧٦)، وقال الشيخ حكمت بشير: "أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق يونس عن الحسن". تفسير القرآن العظيم (٥/ ٤٦٥).

معنى الآيات إجمالاً:

في الآيات الأولى ذكر الله المؤمنين بأبلغ صفاتهم، فهم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله، خائفون منه، وجلون من مكره بهم.

وفي الآية الأخرى القائل قارون لما وعظه قومه، وندبوه إلى اتقاء الله تعالى في المال، أخذته العزة بالإثم وقال لهم: إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي علمه الله مني فرضي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم[(٢)].

---

(١) الدر المنثور (١٠/ ٥٩٩).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٩/ ٦٢٦)، المحرر الوجيز (٤/ ٣٠٠).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

وذلك من خلال الآيات التي وصف الله بها أهل الإيمان الذين جمعوا بين العمل الصالح والخوف من عدم قبوله، والآيات التي وصفت أهل النفاق بالإساءة مع الأمن، الذين اغتروا بأعمالهم السيئة، وزعموا أنما أعطاهم الله من نعمه دليل على خيريتهم وفضلهم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

المؤمن مع إحسانه وصلاحه اشتدّ خوفه من الله، والمنافق مع سوء عمله أمن من مكر الله واغتر بنعمه.

قال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "المنافق يعصي ربه من حيث يرى أنه يطيعه، ويكفر به من حيث يرى أنه يؤمن به، ويسيء إلى نفسه من حيث يحسب أنه يحسن إليها"(١).

وقال أبوحامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ): "فمتى زال الإشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل، وينكشف عند خاتمة الأجل غلب الأمن من مكر الله، وذلك يوجب الكبر؛ وهو سبب الهلاك، فالكبر دليل الأمن؛ والأمن مُهْلِك، والتواضع دليل الخوف؛ وهو مُسعِد"(٢).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وخوف من خاف من السلف أن لا يتقبل

---

(١) جامع البيان (١/ ٢٩٥).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٦٧).

منه؛ لخوفه أن لا يكون أتى بالعمل على وجهه المأمور، وهذا أظهر الوجوه"[١].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن، ومن تأمل أحوال الصحابة ﷺ وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف"[٢].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ)أيضاً: "فالمؤمن جمع إحساناً في مخافة وسوء ظن بنفسه، والمغرور حسن الظن بنفسه مع إساءته"[٣].

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٩٦).

(٢) الجواب الكافي (٢٥).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٩٥).

۞الاستنباط الثاني والعشرون:(حكم تمني الإكثار من الذنوب).

أخرج عبد بن حميد، عن أبي العالية أنه قيل له: "إن أُناسا[١] يزعمون أنهم يتمنَّون أن يستكثروا من الذنوب، قال: ولم ذاك ؟ قال: يتأوّلون هذه الآية: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾[الفرقان:٧٠]، فقال أبو العالية: - وكان إذا أخبر بما لا يعلم - قال: آمنت بما أنزل الله من كتابه، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا﴾[آل عمران:٣٠]"[٢].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٣)، ورجال السند ثقات[٣].

---

(١) لم أعرف أحداً منهم.

(٢) الدر المنثور (١١/ ٢٢٢).

(٣) رجال الإسناد:

١- رفيع بن مهران البصري، أبوالعالية الرياحي، ثقة، كثير الإرسال، توفي سنة (٩٣هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٣/ ٥١٠)، تقريب التهذيب (٢١٠).

٢- شعيب بن الحبحاب الأزدي البصري، ثقة، توفي سنة (١٣١هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٤/ ٣٤٢)، تقريب التهذيب (٢٦٧).

٣- يونس بن عبيد بن دينار العبدي، أبوعبيد البصري، ثقة ثبت، فاضل ورع، توفي سنة (١٣٩هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢٤٢)، تقريب التهذيب (٦١٣).

٤- هشيم بن بشير السلمي، أبومعاوية، ثقة ثبت، كثير التدليس، والإرسال الخفي، توفي سنة (١٨٣هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٩/ ١١٥)، تقريب التهذيب (٥٧٤).

٥- عمرو بن رافع البجلي، أبوحُجْر، ثقة ثبت، توفي سنة (٢٣٧هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ٢٣٢)، تقريب التهذيب (٤٢١).

معنى الآية إجمالاً:

جاء عن السلف في صفة التبديل المذكور في الآية قولين:

القول الأول: يبدل الله سيئاتهم حسنات في الدنيا؛ قاله ابن عباس وأصحابه؛ بمعنى تبديلهم بقبائح أعمالهم محاسنها، فبدلهم بالشرك إيماناً، وبالزنا عفةً وإحصاناً، وبالكذب صدقاً، وبالخيانة أمانةً، فعلى هذا معنى الآية: أن صفاتهم القبيحة، وأعمالهم السيئة عَوَّضَهَا صفاتٍ جميلةً، وأعمالاً صالحةً، كما يبدل المريض بالمرض صحة، والمبتلى ببلائه عافية .

القول الثاني: يبدل الله سيئاتهم التي عملوها بحسنات يوم القيامة، فيعطيهم مكان كل سيئة حسنة؛ قاله سعيد بن المسيب وغيره من التابعين[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أنه يبدل سيئات التائب إلى حسنات، فأخذ من لازم ذلك أن من كثرت سيئاته أحسن حالاً ممن قلَّت سيئاته، بشرط الصدق في التوبة، وقبولها من الله.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

اختلف السلف في المراد بصفة التبديل إلى قولين:

٦- محمد بن إدريس بن المنذر الرازي، أبوحاتم، ثقة حافظ، وأحد الأئمة، توفي سنة (٢٧٧هـ).
ينظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٨١)، تقريب التهذيب (٤٦٧).

(١) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٣٠٢).

الأول: أن السيئات تبدل إلى حسنات في الدنيا. وعلى هذا المعنى لا يصح هذا الاستنباط.

والقول الثاني: أن السيئات تبدل إلى حسنات يوم القيامة، وعلى هذا القول بُنِي هذا الاستنباط، لكن ليس فيه دليل على تمني الإكثار من السيئات، بل ترغيب لمن أذنب أنه إذا صدق في توبته بدل الله سيئاته إلى حسنات.

وأما الآية التي استشهد بها أبوالعالية فأُجِيب عنها بأن التائب يوقف على سيئاته يوم القيامة ثم تبدل حسنات[١]، فليس فيها تأييداً لهذا الاستنباط أو معارضة له، بل دلت على أنه يُحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر[٢].

الراجح:

أنه ليس للعبد أن يتمنى أن يكثر من السيئات بحجة أن تُبدّل بعد التوبة إلى حسنات؛ لأن كثرة المعاصي وأُلفها تقسي القلب، وتحول دون التوبة، فيصعب عليه الخلاص منها[٣]، ومن الذي يضمن حصول شرط تبديلها، فالبراءة من الذنب أسلم.

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "ولا ريب أن السيئات لا يؤمر بها، وليس للعبد أن يفعلها ليقصد بذلك التوبة منها، فإن هذا مثل من يريد أن يحرك العدو عليه ليغلبهم بالجهاد، أو يثير الأسد عليه ليقتله، ولعل العدو يغلبه والأسد يفترسه، بل

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (١١٨).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٥٨).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٠١).

مثل من يريد أن يأكل السم ثم يشرب الترياق؛ وهذا جهل"(١).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "كيف يتمنّى المرء إكثاره منها مع سوء عاقبتها وسوء مغبتها، وإنما يتمنى الإكثار من الطاعات،...، وأما تمني السيئات، فكيف يتمنى العبد أنه أكثر من السيئات؟ هذا ما لا يكون أبداً، وإنما يتمنى المسيء أن لو لم يكن أساء"(٢).

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٠٠).

(٢) طريق الهجرتين (٣٧٧).

الاستنباط الثالث والعشرون:(خيرة الله لعبده خير من خيرته لنفسه) .

أخرج أبوعبيد، وابن مردويه، وابن عساكر، عن أبي المَلِيح[١] قال: أتيت ميمون بن مهران لأودِّعه عند خروجي في تجارة، فقال: "لا تيأس أن تصيب في وجهك هذا في أمر دِينك أفضلَ ممّا ترجو أن تصيب في أمر دنياك، فإن صاحبة سبأ خرجت وليس شيء أحبَّ إليها من ملكها، فأخرجها الله إلى ما هو خير من ذلك، فهداها إلى الإسلام، وإن موسى عليه السلام خرج يريد ليقتبس لأهله ناراً، فأخرجه الله إلى ما هو خير من ذلك: كلَّمه الله تعالى".

وأخرج الخطيب عن عائشة قالت: "كُن لما لم ترجُ أرجى منك لما ترجو، فإن موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس ناراً فرجع بالنبوَّة"[٢].

تخريجه:

١- الأثر الأول ذكره ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٦٩/ ٧٧)، ولم أقف على سنده.

٢- الأثر الثاني أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣/ ٤٣٥)، وقال: "غريب من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، لا أعلم رواه إلا محمد بن مهاجر المعروف بأخي حنيف، وكان غير ثقة، حدث عن محمد بن إسحاق الرملي؛ وهو مجهول عن هشام، ولم أكتبه إلا من هذا الوجه".

---

(١) أبوالمليح بن أسامة بن عمير الهذلي البصري، اختلف في اسمه، فقيل: عامر، وقيل: زيد، وقيل: زياد، تابعي ثقة، لأبيه صحبة، توفي في سنة (٩٨هـ)، وقيل بعدها. ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ٣١٩)، تقريب التهذيب (٦٧٥).

(٢) الدر المنثور (١١/ ٤٦٣).

معنى الآيتين إجمالاً:

ذكر الله تعالى في كتابه قصة ملكة سبأ، وما جرى لها مع سليمان عليه السلام، وذلك أنها لما وصلت إلى سليمان عليه السلام، وشاهدت ما شاهدت، وعلمت نبوته ورسالته، آمنت بالله، وتركت ما كان يعبد قومها.

وذكر الله تعالى أحوال موسى عليه السلام، وابتداء الوحي إليه واصطفائه برسالته، وتكليم الله إياه؛ وذلك أنه لما مكث في مدين عدة سنين، وسار بأهله من مدين، متوجهاً إلى مصر، فلما كان في أثناء الطريق ضل، وكان في ليلة مظلمة باردة، فقال لهم: إني أبصرت ناراً من بعيد سآتيكم منها بخبر عن الطريق، أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تستدفؤون، فلما جاءها ناداه الله تعالى وأخبره أن هذا محل مقدس مبارك، ومن بركته أن جعله الله موضعاً لتكليم الله لموسى عليه السلام وإرساله[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

يتبين من خلال القصتين أنهما أرادا أمراً من أمور الدنيا، لكن الله اختار لهما أفضل مما أرادا، وأعطاهما أعظم مما طلبا، فأخذ بدلالتها أن على المسلم أن لا ييأس إن لم يُعط مراده، فلعل الله أراد له خيراً مما تمنّى، إذ أنه سبحانه وتعالى هو العالم بمصالح عباده.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الغيب لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، فربما تمنّى الإنسان شيئاً فيمنعه الله عنه

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٠١ و ٦٠٦).

لعلمه بضرره عليه، ويرزقه شيئاً لم يكن في حسبانه تكون به سعادته في الدنيا والآخرة.

قال سفيان بن عيينة (ت:١٩٨هـ): "قال العلماء: من لم يصلح على تقدير الله، لم يصلح على تقديره لنفسه"(١).

وقال ابن جزي (ت:٧٤١هـ): "التفويض إلى الله تعالى؛ وهو خروج العبد عن مراد نفسه إلى ما يختاره الله له، وسببه المعرفة بأن اختيار الله خير من اختيار العبد لنفسه؛ لأن الله تعالى يعلم عواقب الأمور والعبد لا يعلمها"(٢).

وذكر ابن القيم (ت:٧٥١هـ) بعض أسرار قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾[البقرة: ٢١٦]، فقال: "ومن أسرار هذه الآية: إنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له، لما يرجو فيه من حسن العاقبة، ومنها: أنه لا يقترح على ربه ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعل مضرته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختار على ربه شيئاً، بل يسأله حسن الاختيار له، وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك، ومنها: أنه إذا فوض إلى ربه ورضي بما يختاره له أمده فيما يختاره له بالقوة عليه، والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه"(٣).

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٢٧٨)، شعب الإيمان (١/ ٢٢٥).

(٢) القوانين الفقهية (٢٨٤).

(٣) الفوائد (١٣٧).

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ) في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾[آل عمران: ١٢٨]: "وفي هذه الآية مما يدل على أن اختيار الله غالب على اختيار العباد، وأن العبد وإن ارتفعت درجته وعلا قدره قد يختار شيئاً وتكون الخيرة والمصلحة في غيره"[١].

قال وهب بن ناجية المري[٢]:

كن لما لا ترجو من الأمر أرجى ... منك يوماً لما لـه أنت راج
إن مـوسى مضـى ليقْبِسَ نـاراً ... مـن ضياء رآه والليل داج
فـأتـى أهلـه وقــد كـلـم الله ... وناجـاه وهـو خـير مناج
وكـذا الأمـر ربَّما ضـاق بالمرء ... فتتلـوه سرعة الانفـراج[٣]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٤٧).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) تاريخ مدينة دمشق (٦١/ ٥٦)، بغية الطلب في تاريخ حلب (٥/ ٢٢٩١).

۞الاستنباط الرابع والعشرون:(الهرب من أرض المعاصي).

أخرج الفريابي[1]، وابن جرير، والبيهقي في شعب الايمان، عن سعيد بن جبير ﷺ في قوله: ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾[العنكبوت:٥٦]، قال: "إذا عُمِل في الأرض بالمعاصي فاخرُجوا منها".

وأخرج ابن أبي شيبه، عن سعيد بن جبير ﷺ في قوله: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، قال: "من أُمر بمعصية فليَهْرُب".

وأخرج ابن أبي الدنيا في العزلة، وابن جرير، عن عطاء في الآية قال: "إذا أُمرتم بالمعاصي فاهْرُبوا، فإن أرضي واسعة"[2].

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٣٦٦)، وقال محققه: "إسناده حسن".

٢- الأثر الثاني أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٠٣)، ورجال السند ثقات[3].

---

(١) محمد بن يوسف بن واقد الفريابي، أبوعبدالله، ثقة فاضل، توفي سنة (٢١٢هـ). ينظر: التاريخ الكبير (١/ ٢٦٤)، تقريب التهذيب (٥١٥).

(٢) الدر المنثور (١١/ ٥٦٧).

(٣) رجال الإسناد:

١- سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، أبوعبدالله، ثقة ثبت فقيه، توفي سنة (٩٥هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٤/ ٩)، تقريب التهذيب (٢٣٤).

٢- الربيع بن أبي راشد الكوفي، أبوعبدالله، ثقة، رجل صالح، روى عن سعيد بن جبير. ينظر: معرفة

٣- الأثر الثالث أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ٥٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٧٥)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ٤٤٣)، وقال محققه: "سنده حسن".

معنى الآية إجمالاً:

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ أمر عباده المؤمنين الذى لا يقدرون على إقامة الدين في أرض بالهجرة منها إلى غيرها، فأخذ بمفهوم الآية أن من أُمر بمعصية الله فعليه الهجرة من هذا الأرض إلى غيرها؛ لأنه أُمر بمخالفة شرع الله، فكما أن من منع إقامة شرع الله في أرض يهاجر منها، فكذلك من دعي إلى معصية الله في أرض يهاجر منها.

الثقات (١/ ٣٥٤)، الثقات (٦/ ٢٩٦).

٣- مالك بن مغول البجلي، ثقة ثبت، توفي سنة (١٥٩هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٢١٥)، تقريب التهذيب (٥١٨).

٤- عبدالله بن إدريس الأَوْدي، أبو محمد الكوفي، ثقة فقيه عابد، توفي سنة (١٩٢هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٥/ ٨)، تقريب التهذيب (٢٩٥).

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٧٢).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

قال مالك بن أنس (ت:١٧٩هـ): "الآية تعطي أن كل مسلم ينبغي أن يخرج من البلاد التي تغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق"(١).

وقال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "إن أرضي واسعة، إذا أمرتم بالمعصية والبدعة فاهربوا، ولا تطيعوا في المعصية"(٢).

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "وفي الآية دليل على هجران الأرض التي يعمل فيها المعاصي"(٣).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فأحوال البلاد كأحوال العباد، فيكون الرجل تارة مسلماً، وتارة كافراً،...، وهكذا المساكن بحسب سكانها، فهجرة الإنسان من مكان الكفر والمعاصي إلى مكان الإيمان والطاعة، كتوبته وانتقاله من الكفر والمعصية إلى الإيمان والطاعة، وهذا أمر باق إلى يوم القيامة، والله تعالى قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ ﴾ [الأنفال: ٧٥]"(٤).

وذهب الحنابلة إلى أن الهجرة لا تجب من بين أهل المعاصي(٥)، واستدلوا بظاهر حديث النبي ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)(٦).

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ١٠١).

(٢) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٦٣٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٤٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٨٤).

(٥) ينظر: الفروع (٦/ ١٨٦)، المبدع (٣/ ٣١٤).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم: (٤٩).

وقد جمع البغوي (ت:٥١٦هـ) بين من يوجب الهجرة بين أهل المعاصي وبين من لا يرى الوجوب حيث قال: "وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له العبادة"[١].

وأما الأرض التي يؤمر فيها بمعصية الله فهي أعظم من الأرض التي يعمل فيها بالمعاصي، والهجرة منها أولى إذا استطاع، أما إذا لم يستطع فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

(١) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٢).

۞الاستنباط الخامس والعشرون:(خص الله نبيه سليمان عليه السلام بالتصرف بالمال كيف يشاء).

أخرج عبد بن حميد، عن عكرمة قال: "ما من نعمة أنعم الله على عبد إلا وقد سأله فيها الشكر إلا سليمان بن داود؛ قال الله لسليمان: ﴿ فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[ص: ٣٩]".

وأخرج عبد بن حميد، عن الحسن قال: "إن الله لم يعط أحداً عطية إلا جعل عليها حساباً، إلا سليمان بن داود، فإن الله أعطاه عطاءً هنيئاً، فقال الله: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[ص: ٣٩]، قال: إن أعطى أُجر، وأن لم يعط لم يكن عليه تبعة"[(١)].

تخريجه:

١-الأثر الأول لم أجد من ذكره بهذا اللفظ سوى السيوطي، وأخرج ابن جرير عن عكرمة: "أعط أو أمسك، فلا حساب عليك". جامع البيان (٢١/ ٢٠٦)، وسنده ضعيف جداً؛ لحال سفيان بن وكيع[(٢)].

٢- الأثر الثاني أخرجه ابن جرير في تفسيره بألفاظ متقاربة (٢١/ ٢٠٦)، وقال أبوإسحاق الحويني في سلسلة هذا السند في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٩٨).

---

(١) الدر المنثور (١٢/ ٥٩٥).

(٢) ينظر: الميزان (٣/ ٢٤٩)، تقريب التهذيب (٢٤٥).

معنى الآية إجمالاً:

يقول الله ﷻ لنبيه سليمان عليه السلام هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا، فأعط من شئت، واحرم من شئت، لا حساب عليك(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن العبد يُسأل يوم القيامة عن النعم التي أنعم الله بها عليه هل أدى حقها؟ أو: لا؟ وأعطى الله نبيه سليمان عليه السلام الملك، ورفع الحرج والحساب عليه في الإعطاء أو الإمساك، والمُلْكُ من النعم التي يحاسب عليها، ورفع الحساب عن سليمان عليه السلام يدل على اختصاصه بهذه المنزلة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

يُسأل العبد عن النعم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾[التكاثر: ٨]، واختص سليمان عليه السلام من السؤال والمحاسبة عن العطاء والمنع.

قال سعيد بن جبير (ت:٩٥هـ): "ليس عليك حساب يوم القيامة"(٢).

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "فكأنه وقفه على قدر النعمة، ثم أباح له التصرف فيه بمشيئته"(٣).

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٢٨).

(٢) النكت والعيون (٥/ ١٠٠)، زاد المسير (٧/ ١١٤).

(٣) المحرر الوجيز (٤/ ٥٠٦).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "أي: أعط من شئت وامنع من شئت، لا نحاسبك، وهذه المرتبة هي التي عرضت على نبينا ﷺ فرغب عنها إلى ما هو أعلى منها؛ وهي مرتبة العبودية المحضة التي تصَرُّف صاحبها فيها مقصور على أمر السيد في كل دقيق وجليل"(١).

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "أي: مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت؛ فهو صواب"(٢).

وبيّن السعدي (ت:١٣٧٦هـ) في تفسيره الحكمة من ذلك، فقال: "لا حرج عليك في ذلك ولا حساب؛ لعلمه تعالى بكمال عدله، وحسن أحكامه"(٣).

وهذا الاستنباط مبني على أن معنى: ﴿ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ ﴾، بلا حساب عليك في ذلك ولا تبعة؛ وهو قول الجمهور(٤).

وأما على القول الثاني: أنه متعلق بـ﴿ عَطَآؤُنَا ﴾؛ أي: أعطيناك بغير حساب ولا تقدير، وهو دلالة على كثرة الإعطاء(٥)، فهذا المعنى لا يصح معه هذا الاستنباط.

---

(١) زاد المعاد (٥/ ٨٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٢٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٧١٣).

(٤) ينظر: جامع البيان (١٢/ ٢٠٦-٢٠٧).

(٥) جامع البيان (١٢/ ٢٠٧)، البحر المحيط (٧/ ٣٨٢).

۞الاستنباط السادس والعشرون:(هل ما يصيب الأولاد بسبب ذنوب الوالدين؟).

أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن العلاء بن بدر[1] أن رجلاً سأله عن هذه الآية: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[الشورى: ٣٠]، وقال: "قد ذهب بصري وأنا غلام صغير، قال: ذلك بذنوب والديك"[2].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٩)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٥٥)، وقال محققه: "سنده مقطوع، ويحيى بن عبد الحميد الحماني متهم بسرقة الحديث كما في التقريب، والمتن فيه غرابة".

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذكره وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا؛ في أنفسكم وأهليكم وأموالكم، فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما كسبتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم، ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها[3].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة

---

(١) العلاء بن بدر العنزي، أبومحمد، وثقه يحيى بن معين. ينظر: الثقات (٧/ ٢٦٦)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٥٣).

(٢) الدر المنثور (١٣/ ١٦٤).

(٣) ينظر: جامع البيان (٢١/ ٥٣٨).

وذلك أن الله أخبر أن كلما يصيب الإنسان بسبب ذنوبه، والولد من كسب الوالدين، فإذا أصاب الولد مصيبة قبل التكليف فهي بسبب ذنوب والديه، فتكون عقوبة للأبناء بسبب ذنوب الوالدين.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية عدّة أقوال:-

القول الأول: هي الحدود، فالمعنى أن ما عوقبتم في الدنيا من عقوبة بحدّ فبما عملتم من المعاصي(١). **وعلى هذا القول لا يصح هذا الاستنباط.**

القول الثاني: يراد بها المعاقبة فيما كسبت أيديكم، فعلى هذا يجوز أن تصيب الإنسان مصيبة من غير ذنب إذا لم يُقصد بها المعاقبة(٢).

القول الثالث: أن الآية على العموم، ولا يصيب أحداً بلاء وشدة إلا بذنب سبق منه(٣).

وحمل الآية على العموم هو الأولى، كما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي ودخول من الاستغراقية عليها(٤).

وعلى هذا القول وقع الخلاف: هل هذه الآية خاصة بالبالغين فقط؟ أم عامة للبالغين في أنفسهم، وللأطفال في غيرهم من والد أو والدة؟(٥).

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢١/ ٥٣٩)، معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣١٦)، تفسير السمعاني (٥/ ٧٧).

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣١٦)، تفسير السمعاني (٥/ ٧٨).

(٣) ينظر: جامع البيان (٢١/ ٥٣٨)، معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣١٦)، تفسير السمعاني (٥/ ٧٨).

(٤) ينظر: فتح القدير (٤/ ٥٣٩).

(٥) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢٠٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٣٢).

قال النحاس (ت:٣٣٨هـ): "إن كل مصيبة تصيب فإنما هي من أجل ذنب، إما أن يكون الإنسان عمله، وإما أن يكون تنبيهاً له لئلا يعمله، وإما أن يكون امتحاناً له ليعتبر والداه، فقد صارت كل مصيبة على هذا من أجل الذنوب"(١).

وذهب **أكثر أهل العلم** إلى أن هذه الآية خاصة بالمكلفين، وأن الله لا يعذب أحداً من عباده بعمل غيره، ولا يأخذ أحداً بجريرة أحد.

قال قتادة (ت:١١٧هـ): "والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره، ولا يؤاخذ إلا بعمله"(٢).

وقال ابن حزم الظاهري (ت:٤٥٦هـ) في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾[المدثر: ٣٨]: "فصح أن كل واحد من الآباء والأبناء يجازى حسب ما كسب فقط"(٣).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "إن الله لا يجعل الذنب ذنباً لمن لم يفعله، فإنه هو القائل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤]"(٤).

وقال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ) عن هذه الآية السابقة: "إخبار بأن الله تعالى لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره، وأنه لا يعذب الأبناء بذنب الآباء"(٥).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "ولا يحمل عليه ذنب غيره، ولا يأخذ أحداً

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣١٦).

(٢) جامع البيان (١٧/ ٤٠٢).

(٣) الفصل في الملل (٤/ ١٠٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣١٤).

(٥) أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٢٠٠).

بجريرة أحد"[١].

الراجح:

أن هذا الاستنباط غير صحيح؛ لانقطاع الأثر، وغرابة المتن، فالأطفال قد رُفِع القلم عنهم فلا يعاقبون، وما أصابهم من بلاء فهو رفعة ومثوبة لهم عند الله، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب، لم أرض له بثواب دون الجنة)[٢].

وقال السمعاني (ت:٤٨٩هـ): "ويجوز عند أهل السنة أن يوجد الله الألم إلى من يشاء من عباده بغير ذنب سبق منه"[٣].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "إن ما يصيب المؤمن في هذه الدار؛ من إدالة عدوه عليه وغلبته له، وأذاه له في بعض الأحيان، أمر لازم لابد منه، وهو كالحر الشديد والبرد الشديد، والأمراض والهموم والغموم، فهذا أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية في هذه الدار، حتى للأطفال والبهائم؛ لما اقتضته حكمة أحكم الحاكمين، فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر، والنفع عن الضر، واللذة عن الألم، لكان ذلك عالماً غير هذا، ونشأة أخرى غير هذه النشأة، وكانت تفوت الحكمة التي مزج لأجلها بين الخير والشر، والألم واللذة، والنافع والضار، وإنما

(١) شفاء العليل (٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذهاب البصر، برقم: (٢٤٠١)، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ١٣٥٢)، برقم: (٨١٤٠).

(٣) تفسير السمعاني (٥/ ٧٨).

يكون تخليص هذا من هذا، وتمييزه في دار أخرى غير هذه الدار، كما قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[الأنفال: ٣٧]"[1].

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٨٩).

۞الاستنباط السابع والعشرون:(مجاهدة النفس).

أخرج أحمد في الزهد، عن مجاهد قال: كُتِبَ إلى عمر ﷺ يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل؟ أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل لها؟ فكتب عمر: "إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾[الحجرات: ٣]"(١).

تخريجه:

أخرجه أحمد في الزهد(٢) ذكره ابن كثير تفسيره (٦/ ٧٠٦)، وقال محققه: "سنده منقطع؛ لأن مجاهداً لم يدرك عمر ﷺ".

معنى الآية إجمالاً:

في هذه الآية امتدح الله ﷻ الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ ويخاطبونه بأدب ولين، بأن الله امتحن قلوبهم للتقوى؛ أي: ابتلاها واختبرها، فظهرت نتيجة ذلك، بأن صلحت قلوبهم للتقوى، ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم والأجر العظيم(٣).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله امتدح الذين يخفضون أصواتهم مراعاة للأدب مع الله ورسوله

---

(١) الدر المنثور (١٣/ ٥٣٨).

(٢) لم أجده في كتاب الزهد لأحمد.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٧٩٩).

ﷺ مع قدرتهم على رفعها، فدل مفهومها على أن من تأدب مع الله باجتناب ما نهى عنه مع شدة ميل نفسه وجهاده لها، فهو أعلى منزلة ممن سلمت نفسه من إرادة الشهوات فلم تخطر بقلبه، ولم تدعه إليها نفسه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

من ابتلي بالشهوات ودعته نفسه إليها، وجاهدها ومنعها طلباً لمرضاة الله، أفضل ممن سلمت نفسه من إرادة الشهوات فلم تخطر بقلبه، ولم تدعه إليها نفسه.

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "إن ترك المحرمات مع القدرة عليها، وطلب النفس لها، أفضل من تركها بدون ذلك"[(١)].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) أيضاً: "فإذا آمن ولم يفعل هذه المحرمات، ولا اعتقد تحريمها؛ لأنه لم يسمع ذلك، فهذا لا يثاب ولا يعاقب، ولكن إذا علم التحريم فاعتقده أثيب على اعتقاده، وإذا ترك ذلك مع دعاء النفس إليه أثيب ثواباً آخر، كالذي تدعوه نفسه إلى الشهوات فينهاها، كالصائم الذي تشتهي نفسه الأكل والجماع فينهاها، والذي تشتهي نفسه شرب الخمر والفواحش فينهاها، فهذا يثاب ثواباً آخر بحسب نهيه لنفسه وصبره على المحرمات، واشتغاله بالطاعات التي هي ضدها، فإذا فعل تلك الطاعات كانت مانعة له عن المحرمات"[(٢)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "قالوا: وليس العجب من قلب خال عن الشهوات والإرادات، قد ماتت دواعي طبعه وشهوته، إذا عكف على محبوبه ومعبوده، واطمأن إليه واجتمعت همته، وإنما العجب من قلب قد ابتلي بها ابتلي من

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٧٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٨٦).

الهوى والشهوة، ودواعي الطبيعة، مع قوة سلطانها وغلبتها وضعفه، وكثرة الجيوش التي تغير على قلبه كل وقت، إذا آثر ربه ومرضاته على هواه وشهوته، ودواعي طبعه، فهو هارب إلى ربه من بين تلك الجيوش، وعاكف عليه في تلك الزعازع والأهوية التي تغشى على الأسماع والأبصار والأفئدة، يتحمل منها لأجل محبوبه مالا تتحمله الجبال الراسيات"[(١)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) أيضاً: "وهكذا من عرف البِدع والشرك، والباطل وطُرُقَهُ؛ فأبغضها لله، وحَذِرَها وحَذَّر منها، ودفعها عن نفسه ولم يدعها تخدش وجه إيمانه، ولا تورثه شبهة ولا شكاً، بل يزداد بمعرفتها بصيرة في الحق ومحبة له، وكراهة لها ونفرة عنها، أفضل ممن لا تخطر بباله ولا تمر بقلبه، فإنه كلما مرت بقلبه وتصورت له، ازداد محبة للحق ومعرفة بقدره وسروراً به، فيقوى إيمانه به، كما أن صاحب خواطر الشهوات والمعاصي كلما مرت به فرغب عنها إلى ضدها، ازداد محبة لضدها ورغبة فيه، وطلباً له وحرصاً عليه، فما ابتلي الله سبحانه عبده المؤمن بمحبة الشهوات والمعاصي، وميل نفسه إليها إلا ليسوقه بها إلى محبة ما هو أفضل منها، وخير له وأنفع وأدوم، وليجاهد نفسه على تركها له سبحانه، فتورثه تلك المجاهدة الوصول إلى المحبوب الأعلى، فكلما نازعته نفسه إلى تلك الشهوات واشتدَّت إرادته لها وشوقه إليها، صرف ذلك الشوق والإرادة والمحبة إلى النوع العالي الدائم، فكان طلبه له أشد، وحرصه عليه أتمّ، بخلاف النفس الباردة الخالية من ذلك؛ فإنها وإن كانت طالبة للأعلى، لكن بين الطلبين فرق عظيم! ألا ترى أن من مشى إلى محبوبة على الجمر والشوك أعظم ممّن مشى إليه

---

(١) طريق الهجرتين (٣٥٠).

راكباً على النجائب؟ فليس من آثر محبوبه مع منازعة نفسه كمن آثره مع عدم منازعتها إلى غيره، فهو سبحانه يبتلي عبده بالشهوات إما حجاباً له عنه، أو حاجباً له يوصله إلى رضاه وقربه وكرامته"[(١)].

وقال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "وأما المناهي فلم يعذر أحد بارتكابها بقوة الداعي والشهوات، بل كلفهم تركها على كل حال"[(٢)].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "والتحقيق أن الترك المجرد لا ثواب فيه، وإنما يحصل الثواب بالكف الذي هو فعل النفس، فمن لم تخطر المعصية بباله أصلاً ليس كمن خطرت، فكف نفسه عنها خوفاً من الله تعالى"[(٣)].

وقال محمد بن عبدالوهاب (ت:١٢٠٦هـ): "استدل بها على أن من يكف عن المعصية مع منازعة النفس أفضل ممن لا يشتهيها"[(٤)].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ومن غض بصره أنار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته مع دواعي الشهوة كان حفظه لغيره أبلغ"[(٥)].

---

(١) الفوائد (١١٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (٩٧).

(٣) فتح الباري (١/ ١٥).

(٤) تفسير آيات من القرآن الكريم (٣٥٠).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٥٦٦).

۞الاستنباط الثامن والعشرون:(تمام التقوى).

أخرج أحمد في الزهد، وابن المنذر، عن أبي الدرداء قال: "تمام التقوى أن يتَّقِي اللهَ العبدُ حتى يتَّقِيه في مثقال ذرة، حتى أن يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، حتى يكون حاجزاً بينه وبين الحرام، إن الله قد بيَّن للناس الذي هو مُصَيِّرُهم إليه، قال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[الزلزلة: ٧ – ٨]، فلا تحقرنَّ شيئاً من الشرِّ أن تَتَّقيه، ولا شيئاً من الخير أن تفعله"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/ ١٩)، وأحمد في الورع (٤٨)، وأبونعيم في الحلية (١/ ٢١٢). وذكر ابن رجب أن ابن أبي الدنيا رواه بإسناد منقطع. ينظر: فتح الباري لابن رجب (١/ ١٥).

معنى الآيتين إجمالاً:

يبين الله تعالى أن من عمل في الدنيا وزن ذرة من خير يرى ثوابه يوم القيامة، ومن عمل في الدنيا وزن ذرة من شر يرى جزاءه يوم القيامة(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أنه يحاسب العبد يوم القيامة على وزن الذرة من خير أو

---

(١) الدر المنثور (١٥/ ٥٩٢).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٤/ ٥٤٩).

شر، فأخذ بدلالتها على أنه لا يبلغ المتقي تمام التقوى حتى يحاسب نفسه على أدق الأشياء، بل يتورع عن بعض ما أباحه الله له من الحلال خشية الوقوع في الحرام.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الموفق من عباد الله من رزق التقوى، وحاسب نفسه على القليل والكثير من العمل.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، فعن عطية السَّعدِيِّ رضي الله عنه[1] وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به البأس)[2].

وقال الحسن البصري (ت:١١٠هـ): "مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام"[3].

وقال ميمون بن مهران (ت:١١٨هـ): "لا يسلم للرجل الحلال حتى يجعل

---

(١) عطية بن عروة السَّعدِيِّ، ويقال: عطية بن عامر، والأول أكثر، أبومحمد، صحابي معروف، له أحاديث، نزل الشام. ينظر: الاستيعاب (٣/ ١٠٧٠)، الإصابة (٤/ ٥١١).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم: (٢٤٥١)، وابن ماجة، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، برقم: (٤٢١٥). وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه"، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٩١٢)، برقم: (٦٣٢٠)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". المستدرك (٤/ ٣٥٥)، ووافقه الذهبي، وعقب الشيخ أبوإسحاق الحويني عليهما بقوله: "وليس كما قال، وعبدالله بن يزيد ترجمه ابن عدي (٤/ ١٥٥١) وقال: "عبدالله بن يزيد سمعت بن حماد؛ يعني: الدولابي، يقول: عبدالله بن يزيد الذي يروي عنه أبوعقيل الثقفي أحاديثه منكرة. قاله السعدي. وهذا الذي حكاه عن السعدي، لا أقف على معرفة ذلك". تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٥٣-٢٥٤).

(٣) جامع العلوم والحكم (٧٤)، الدر المنثور (١/ ١٣٢).

بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال"[1].

وقال سفيان الثوري (ت:١٦١هـ): "إنما سموا المتقين؛ لأنهم اتقوا مالا يتقى"[2].

وقال موسى بن أعين (ت:١٧٧هـ)[3]: "المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام؛ فسماهم الله متقين"[4].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وذلك لأن النفوس إذا اعتادت المعصية فقد لا تنفطم عنها انفطاماً جيداً إلا بترك ما يقاربها من المباح"[5].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها، ولا السيئة التي يسخط عليه بها"[6].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وهذا فيه الترغيب في فعل الخير ولو قليلاً، والترهيب من فعل الشر ولو حقيراً"[7].

---

(١) الورع لابن حنبل (٤٤)، الحلية (٤/ ٨٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (٧٤)، الدر المنثور (١/ ١٣٢).

(٣) موسى بن أعين الجزري، أبوسعيد، ثقة عابد، توفي سنة (١٧٧هـ)، وقيل: سنة (١٧٥هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ٢٧)، تقريب التهذيب (٥٤٩).

(٤) الورع لابن أبي الدنيا (٥٩)، جامع العلوم والحكم (٧٤).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٩/ ١١٣).

(٦) فتح الباري (١١/ ٣٢١).

(٧) تيسير الكريم الرحمن (٩٣٢).

۞الاستنباط التاسع والعشرون: (الرضا بالقضاء).

أخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾[الكهف: ٨٠]، قال: قال مُطَرِّفُ بن الشِّخِّير[1]: "إنا لنعلم أنهما قد فرحا به يوم ولد، وحزنا عليه يوم قُتل، ولو عاش لكان فيه هلاكهما، فرضِي رجل بما قسم الله له، فإن قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه، وما قضى الله لك فيما تكره خير مما قضى لك في ما تحب"[2].

تخريجه:

أخرجه عبدالرزاق في المصنف (١١/ ١٦٥)، وابن جرير في تفسيره (١٨/ ٨٧)، والبيهقي (١٢/ ٤٣٦)، وقال محققه: "إسناده رجاله موثقون"، وابن كثير في تفسيره (٥/ ١٨٣)، وقال محققه: "أخرجه عبدالرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة". وجميعهم بدون ذكر مطرف بن الشخير.

معنى الآية إجمالاً:

يبين الله تعالى في هذه الآية سبب قتل الخضر للغلام؛ لأن ذلك الغلام قد قُدِّر عليه أنه لو بلغ لحمل أبويه على الطغيان والكفر؛ إما لأجل محبتهما إياه، أو للحاجة إليه يحملهما على ذلك، فقتله الخضر؛ لأن الله أطلعه على ذلك، سلامة لدين أبويه

---

(١) مطرف بن عبدالله بن الشخير الحرشي العامري، أبوعبدالله، من كبار التابعين، ثقة عابد، توفي سنة (٩٥ هـ). ينظر: الكاشف (٢/ ٢٦٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٥٧).

(٢) الدر المنثور (٩/ ٦١٧).

المؤمنين[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن فقد الأبناء من أشدّ المصائب على الوالدين، ومع ذلك كان الخير في موت هذا الغلام، فأخذ بدلالتها على أن المؤمن يرضى بقضاء الله وقدره خيره وشره؛ لأن الخير في اختيار الله الذي يعلم عواقب الأمور، والعبد لا يعلمها.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان، ولعل ما كرهت النفس يكون أصلح في الدين، وأحمد في العاقبة، وما أحبته يكون بضد ذلك[2].

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾[البقرة: ٢١٦].

وفي السنة من حديث صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[3].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت:٢٣هـ): "ما أبالي على أي حال أصبحت، على

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٨٣).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط (٣/ ٢١٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير له، برقم: (٢٩٩٩).

ما أحب أو على ما أكره؛ لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره"[١].

وقال الحسن البصري (ت:١١٠هـ): "لا تكره الملمات الواقعة، والبلايا الحادثة، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر ترجوه فيه عطبك"[٢].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وما يصيب الإنسان إن كان يسره فهو نعمة بيّنة، وإن كان يسوؤه فهو نعمة من جهة أنه يكفر خطاياه، و يثاب بالصبر عليه، ومن جهة أن فيه حكمة و رحمة لا يعلمها"[٣].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييّأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها مالا يعلمه العبد"[٤].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) أيضاً: "وكذلك ما فعله بآدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم من الأمور التي هي في الظاهر محن وابتلاء، وهي في الباطن طرق خفية، أدخلهم بها إلى غاية كمالهم وسعادتهم، فتأمل قصة موسى، وما لطف له من إخراجه في وقت ذبح فرعون للأطفال،...، وهذا كله مما يبيّن أنه سبحانه يفعل ما يفعله لما يريده من العواقب الحميدة، والحكم العظيمة التي لا تدركها عقول الخلق، مع ما في ضمنها من الرحمة التامة، والنعمة السابغة،

---

(١) الزهد لابن المبارك (١٤٣)، الزهد لأبي داود (١٠٨).

(٢) تفسير الثعلبي (٢/ ١٣٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/ ٣٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٠٤).

(٤) الفوائد (١٣٦).

والتعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته"[١].

(١) شفاء العليل (٣٥).

۞الاستنباط الثلاثون: (مصائب الدنيا مقدرة).

أخرج ابن المنذر، عن ابن عباس في قوله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[الحديد: ٢٢]، يريد مصائب المعاش، ولا يريد مصائب الدِّين؛ إنه قال: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[الحديد: ٢٣]، وليس من مصائب الدِّين، أمرهم أن يأسوا على السيئة، ويفرحوا بالحسنة"[(١)].

تخريجه:

لم أجد من ذكر هذا الأثر في ما وقفت عليه من كتب.

وذكر ابن جرير في تفسيره بسند حسن[(٢)] أثراً عن ابن عباس رضي الله عنهما يخالف قوله في هذا الأثر، حيث جعل المراد بهذه الآية عامة المصائب، فقال: "في الدِّين والدنيا"[(٣)].

معنى الآيتين إجمالاً:

يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية، أنها أصابهم من مصيبة في الأرض بجدوبها وقحوطها، وذهاب زرعها وفسادها، ولا في أنفسكم بالأوصاب والأوجاع والأسقام، إلا في اللوح المحفوظ؛ لتعلموا أنها أصابكم لم يكن ليخطئكم، وما أخطئكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا على ما فاتكم؛ لأنه لو

(١) الدر المنثور (١٤/ ٢٨٥).

(٢) ينظر: التفسير الصحيح (٦/ ٧٠).

(٣) جامع البيان (٢٣/ ١٩٧).

قدّر شيء لكان، ولا تفرحوا بما أعطاكم، فإن ذلك ليس بسعيكم، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم، فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً تفتخرون بها على الناس[(١)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيتين.

وذلك أن الله ﷻ ذكر في الآية الأولى أن المصائب مقدرة، وفي الآية التي بعدها نهاهم عن التحسر على ما فاتهم، والفرح بما أعطاهم، فدل على أن المراد مصائب الدنيا؛ لأن العبد مأمور عندها بالصبر والتسليم نظراً إلى القدر، وهذا بخلاف مصائب الدِّين؛ لأن العبد مأمور بالاستغفار والندم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

اختلف المفسرون في المراد بهذه المصيبة، هل هي مصائب الدنيا فقط؟ أو تشمل مصائب الدنيا والدِّين؟ على قولين:

الأول: أن المراد مصائب الدنيا فقط، وممن قال بهذا قتادة، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما[(٢)].

الثاني: أن المراد مصائب الدنيا والدِّين، ونُسِب هذا القول في رواية لابن عباس رضي الله عنهما[(٣)].

وما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من الاستدلال بالآية التي بعدها يؤيد أن

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣١٤-٣١٥).

(٢) جامع البيان (٢٣/ ١٩٥).

(٣) جامع البيان (٢٣/ ١٩٧).

المراد مصائب الدنيا.

قال ابن بطة (ت:٣٨٧هـ): "فلا يجوز لأحد الاحتجاج بالقدر في ترك العمل بتكاليف الشريعة أمراً أو نهياً؛ لأن ذلك ما تقتضيه نصوص الكتاب والسنة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، فالإيمان بالقدر دون العمل بالشريعة هو مذهب الجبرية، كما أن التمسك بتكاليف الشريعة دون الإيمان بالقدر هو مذهب القدرية، ولا شك ان كلا من المذهبين باطل"(١).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "والمؤمن مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب، لا عند الذنوب والمعاصي، فيصبر على المصائب، ويستغفر من الذنوب، كما قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[غافر: ٥٥]"(٢).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) في الردّ على من احتج بقصة آدم وموسى عليهما السلام(٣)، فقال: "ومن هؤلاء من يظن أن آدم احتج على موسى بالقدر على الذنب، وأن ذلك جائز لخاصة الأولياء المشاهدين للقدر؛ وهذا ضلال عظيم، فإن موسى إنما لام آدم على المعصية التي لحقت الذرية بسبب أكله من الشجرة، فقال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة، والعبد مأمور عند المصائب أن يرجع للقدر، فإن سعادة العبد أن يفعل المأمور، ويترك المحظور، ويسلم للمقدور،...، والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب، وإلا فآدم ﷺ قد تاب من الذنب،

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١/ ١٥٥).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٦).

(٣) هذه القصة أخرجها البخاري، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، برقم: (٦٢٤٠)، ومسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم: (٢٦٥٢).

وقد اجتباه ربه وهداه، وموسى أجل قدراً من أن يلوم أحداً على ذنب قد تاب منه، وغفر الله له، فضلاً عن آدم"[١].

وبيّن ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) أن الحزن ليس مذموماً على الإطلاق، فقال: "وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه، ويحمد عليه، فيكون محموداً من تلك الجهة، لا من جهة الحزن، كالحزين على مصيبة في دينه، وعلى مصائب المسلمين عموماً، فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك، ولكن الحزن على ذلك إذا افضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد، وجلب منفعة ودفع مضرة نهي عنه"[٢].

واستدل ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) بعد أن جمع روايات قصة الأعرابي الذي وقع على زوجته في رمضان، وجاء إلى النبي ﷺ يضرب خده، وينتف شعره، على جواز هذا الفعل والقول ممن وقعت له معصية، ويفرق بذلك بين مصيبة الدِّين والدنيا، فيجوز في مصيبة الدِّين لما يشعر به الحال من شدة الندم، وصحة الاقلاع[٣].

وقال صالح الفوزان: "وبعض الناس يخطئون خطأً فاحشاً عندما يحتجون بالقضاء والقدر على فعلهم للمعاصي، وتركهم للواجبات، ويقولون: هذا مُقدّر علينا! ولا يتوبون من ذنوبهم؛ كما قال المشركون: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام: ١٤٨]، وهذا فهم سيء للقضاء والقدر؛ لأنه

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٣-٤٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٧).

(٣) فتح الباري (٤/ ١٦٤).

لا يحتج بهما على فعل المعاصي والمصائب، وإنما يحتج بهما على نزول المصائب؛ فالاحتجاج بهما على فعل المعاصي قبيح؛ لأنه ترك للتوبة وترك للعمل الصالح المأمور بهما، والاحتجاج بهما على المصائب حسن؛ لأنه يحمل على الصبر والاحتساب"[١].

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٣٤٦).

۞**الاستنباط الحادي والثلاثون:(المال والولد فتنة).**

أخرج وكيع في (الغُرَرِ)[1]، عن محمد بن سيرين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾[التغابن: ١٥]، قال: قال ابن عمر لرجل: إنك تحب الفتنة، قال: أنا؟ قال: نعم، فلما رأى ابن عمر ما داخَل الرجل من ذاك، قال: تحب المال والولد"[2].

تخريجه:

أخرجه أحمد البلاذري في كتابه أنساب الأشراف (١٠/ ٤٥١)، ورجال السند ثقات[3].

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذكره: ما أموالكم أيها الناس وأولادكم إلا فتنة؛ يعني بلاء عليكم

---

(١) يقصد: كتاب الغرر من الأخبار لأبي بكر محمد بن خلف القاضي، المعروف بوكيع. ينظر: فتح الباري (١٣/ ٤٩).

(٢) الدر المنثور (١٤/ ٥١٩-٥٢٠).

(٣) رجال الإسناد:

١- محمد بن سيرين الأنصاري، أبوبكر البصري، ثقة ثبت، عابد كبير القدر، توفي سنة (١١٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ٢٨٠)، تقريب التهذيب (٤٨٣).

٢- عبدالله بن عون بن أرطبان المزني، أبوعون البصري، ثقة ثبت فاضل، توفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٥/ ١٣٠)، تقريب التهذيب (٣١٧).

٣-روح بن عبادة بن العلاء القيسي، أبومحمد البصري، ثقة فاضل، توفي سنة (٢٠٥هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٣/ ٤٩٨)، تقريب التهذيب (٢١١).

٤- عمرو بن محمد بن بكير الناقد، أبوعثمان البغدادي، ثقة حافظ، توفي سنة (٢٣٢هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ٢٦٢)، تقريب التهذيب (٤٢٦).

في الدنيا، والله عنده ثواب عظيم لكم، إذا أنتم خالفتم أولادكم وأزواجكم في طاعة الله ربكم، وأطعتم الله ﷻ، وأدّيتم حق الله في أموالكم، والأجر العظيم الذي عند الله الجنة[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله أخبر أن الأموال والأولاد فتنة، والناس فطروا على محبة المال والولد، فلهم رغبة في الاستكثار من ذلك، ومن لازم ذلك الغفلة عن القيام بما أمروا به حتى يفجأهم الموت[٢].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الأموال والأولاد نعمة من الله تعالى، ينبغي الحذر من الاشتغال بهما، وتقديمهما على طاعة الله وذكره.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث عبدالله بن بريدة قال: سمعت أبي بريدة ﷺ يقول: (كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام، عليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال صدق الله: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾[التغابن: ١٥]، فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٣/ ٤٢٦).

(٢) ينظر: فتح الباري (١١/ ٢٥٧).

حتى قطعت حديثي ورفعتهما)[1].

قال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) معلقاً على الحديث: "وظاهر الحديث أن قطع الخطبة والنزول لهما، فتنة دعا إليها محبة الولد، فيكون مرجوحاً، والجواب: أن ذلك إنما هو في حق غيره، وأما فعل النبي ﷺ ذلك فهو لبيان الجواز، فيكون في حقه راجحاً، ولا يلزم من فعل الشيء لبيان الجواز أن لا يكون الأولى ترك فعله، ففيه تنبيه على أن الفتنة بالولد مراتب، وأن هذا من أدناها، وقد يجر إلى ما فوقه فيحذر"[2].

وقد يعترض على ما رجحه ابن حجر في أن المراد بيان الجواز؛ لأن النبي ﷺ يستطيع أن يبيّن الجواز بقوله دون الحاجة إلى القيام بهذا الفعل.

وذكر ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) نوعاً من فتنة الولد، فقال: "فإن الرجل لحبه لولده أو لعتيقه قد يؤثره في بعض الولايات، أو يعطيه ما لا يستحقه، فيكون قد خان أمانته، وكذلك قد يؤثره زيادة في ماله، أو حفظه بأخذ ما لا يستحقه، أو محاباة من يداهنه في بعض الولايات، فيكون قد خان الله ورسوله، وخان أمانته، ثم إن المؤدي للأمانة مع مخالفة هواه يثبته الله، فيحفظه في أهله وماله بعده، والمطيع

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ ، باب مناقب الحسن والحسين، برقم: (٣٧٧٤)، وابن ماجة، كتاب اللباس، باب لبس الأحمر للرجال، برقم: (٣٦٠٠)، وأبوداود، كتاب الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث، برقم: (١١٠٩)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة، برقم: (١٧٣١)، قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، المستدرك (١/ ٤٢٤)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٣٠٤)، برقم: (١٠١٩).

(٢) فتح الباري (١١/ ٢٥٤).

لهواه يعاقبه الله بنقيض قصده، فيذل أهله، ويذهب ماله"[١].

وقال الخازن (ت:٧٢٥): "يجب على العاقل أن يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد؛ لأن ذلك يشغل القلب ويصيره محجوباً عن خدمة المولى، وهذا من أعظم الفتن"[٢].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "المحبة الطبيعية: وهي ميل الانسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد، فتلك لا تذم إلا إذا ألهت عن ذكر الله، وشغلته عن محبته، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾[المنافقون: ٩]"[٣].

وقسّم الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت:١٢٠٦هـ) المحبة إلى أربعة أنواع، وقال في النوع الثالث: "المحبة الثالثة: طبيعية وهي محبة المال والولد ، إذا لم تشغل عن طاعة الله، ولم تعن على محارم الله؛ فهي مباحة"[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٤٨).

(٢) لباب التأويل (٣/ ٢٥).

(٣) الجواب الكافي (١٣٤).

(٤) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (٣٨٢).

۞الاستنباط الثاني والثلاثون: (مكابدة الإنسان في الدنيا).

أخرج ابن المبارك، عن الحسن أنه قرأ هذه الآية: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾[البلد: ٤]، قال: "لا أعلم خليقة يكابد من الأمر ما يكابد هذا الإنسان"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٧٨)، وابن جعد في مسنده (٤٧٢)، وابن أبي الدنيا في الزهد (١/ ١٥٠)، وفي سنده علي بن علي بن نجاد الرفاعي رُمي بالقدر، وقال أبوحاتم: لا يحتج به، وتكلم فيه ابن معين(٢).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر الله تعالى أنه خلق الإنسان يكابد الأمور في جميع مراحل حياته ويقاسيها ويعالجها؛ شدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد(٣).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أن الإنسان خلق في كبد، ومن خلال النظر إلى المراحل التي يمر بها الإنسان، والمشاق والصعوبات التي تقابله، يعلم أنه لا يوجد مخلوق كالإنسان يقاسي مضائق الدنيا، وشدائد الآخرة.

---

(١) الدر المنثور (١٥/ ٤٤٠).

(٢) ينظر: الميزان (٥/ ١٧٧)، تقريب التهذيب (٤٠٤).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٩٢٥).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

جعل الله الدنيا دار ابتلاء واختبار، وخلق الإنسان وجعله يعاني من شدائد الدنيا والآخرة وأهوالها، حتى يميز الخبيث من الطيب.

قال ابن عباس رضي الله عنهما (ت:٦٨هـ): "في شدة معيشته، وحمله وحياته، ونبات أسنانه"(١).

وقال الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ): "الإنسان في كدح وكبد ما لم ينته إلى دار القرار، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾[الانشقاق: ٦]، وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤﴾[البلد: ٤]، وهو مجبول على طلب الراحة"(٢).

وقال الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ) أيضاً: "تنبيهاً أن الإنسان خلقه الله تعالى على حالة لا ينفك من المشاق ما لم يقتحم العقبة، ويستقرّ به القرار ،كما قال: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾[الانشقاق: ١٩]"(٣).

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "قال علماؤنا: أول ما يكابد قطع سُرَّتِهِ، ثم إذا قُمِطَ قِماطًا(٤)، وَشُدَّ رِباطًا، يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ٤٣٤).

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (٦٩).

(٣) المفردات (٤٢٠).

(٤) القَمْط: خرقة عريضة تلف على الصبي، تضم أعضاؤه إلى جسده وتلف عليه. ينظر: العين (٥/ ١١١).

اللطام[(١)]، ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، في مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع الرأس ووجع الأضراس، ورمد العين وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن، ويكابد محناً في المال والنفس، مثل: الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة، ولا يكابد إلا مشقة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مساءلة الملك، وضغطة القبر وظلمته، ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقر به القرار إما في الجنة، وإما في النار، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾[البلد: ٤]، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد، ودل هذا على أن له خالقاً دبره، وقضى عليه بهذه الأحوال؛ فليمتثل أمره"[(٢)].

وقال ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ): "الإنسان يعاني المشقة في أمور الدنيا، وفي طلب الرزق، وفي إصلاح الحرث، وغير ذلك، ويعاني أيضاً معاناة أشد مع نفسه ومجاهدتها على طاعة الله، واجتناب معاصي الله، وهذا الجهاد الذي هو أشق من معاناة طلب الرزق، ولا سيما إذا ابتلي الإنسان ببيئة منحرفة وصار بينهم غريباً، فإنه سيجد المشقة في معاناة نفسه، وفي معاناة الناس أيضاً"[(٣)].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "فإذا كان كل إنسان يكابد في حياته، أياً كان

---

(١) اللطم: ضرب الخد وصفحات الجسم ببسط اليد. ينظر: العين (٧/ ٤٣٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٦٢-٦٣).

(٣) تفسير جزء عم لابن عثيمين (٢١٦-٢١٧).

هو، ولأي غرض كان، فمكابدتك تلك جديرة بالتقدير والإعظام، حتى يقسم بها"[١].

(١) أضواء البيان (٨/ ٥٣١).

۞الاستنباط الثالث والثلاثون: (بركة العمل الصالح على من انقطع عنه لعذر).

أخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ ﴾[التين: ٥ - ٦]، يقول: "فإذا بلغ المؤمن أرذل العمر، وكان يعمل في شبابه عملاً صالحاً كُتِب له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه، ولم يضره ما عمل في كبره، ولم يُكتب عليه الخطايا التي يَعْمَلُ بعدَ ما يَبلُغُ أرذل العمر[(١)]".

وفي لفظ قال: "فأيما رجل كان يعمل عملاً صالحاً وهو قوي شاب فعجز عنه، جرى له أجر ذلك العمل حتى يموت".

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن عكرمة رضي الله عنه قال في الآية: "يوفيه الله أجره وعمله، فلا يؤاخذه إذا ردّ إلى أرذل العمر".

وفي لفظ قال: "من ردَّ منهم إلى أرذل العمر جرى له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه، فذلك الأجر غير ممنون، قال: ولا يُمنّ به عليهم"[(٢)].

تخريجه:

١- الأثر الأول أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٥١١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٨)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٣٠٦)، وابن المنذر كما في فتح الباري مختصراً (٨/ ٧١٣)، وقال ابن حجر: "إسناده حسن".

---

(١) يقصد: إذا غاب عقله.

(٢) الدر المنثور (١٥/ ٥١٢-٥١٣).

٢- الأثر الثاني أخرجه أبوداود في الزهد (٣٦٩)، وابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٥١١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٨)، وقال الشيخ حكمت بشير في تخريج الأثرين: "أخرجه الطبري بسند صحيح عن عكرمة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق حماد عن إبراهيم النخعي، وأخرجه عبدالرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة". تفسير القرآن العظيم (٧/ ٦٠١).

معنى الآيات إجمالاً:

يخبر الله تعالى أنه خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل، منتصب القامة، سوي الأعضاء، ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله، ويتّبع الرسل، واستثنى أهل الإيمان والعمل الصالح من هذا المصير، وبيّن أن لهم أجر غير مقطوع[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله أخبر أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم ردّ الكافر إلى النار، ووعد أهل الإيمان والعمل الصالح بالأجر غير المقطوع، فدل على أن الإنسان الذي يكون في شبابه مقبلاً على طاعة ربه، حتى إذا بلغ أرذل العمر ضعفت قوته، وقلّ عمله، فيعطيه الله بفضله وكرمه ثواب ما كان يعمل في شبابه غير منقوص

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٦٠١).

بالهرم، وردّ الكافر إلى النار سفل حقيقي، والردّ إلى أسفل العمر تسفل في الرتب والأوصاف بالنسبة إلى رتب الشباب وأوصافه[1].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

من كرم الله وفضله على عباده أن العبد إذا مرض أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيماً.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً)[2]، وحديث أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: (إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة، قال: وهم بالمدينة؛ حبسهم العذر)[3].

قال ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ): "المعنى إلا الذين آمنوا في وقت القوة والقدرة، فإنهم حال الكبر غير منقوصين، وإن عجزوا عن الطاعات؛ لأن الله تعالى علم أنهم لو لم يسلبهم القوة لم ينقطعوا عن أفعال الخير، فهو يجري لهم أجر ذلك"[4].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) بعد هذا القول: "وهذا أيضا ثابت في حال

---

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان (٣٢/ ١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، برقم: (٢٨٣٤).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر، برقم: (٤١٦١)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر ، برقم: (١٩١١).

(٤) زاد المسير (٩/ ١٧٣)، مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٨٠).

الشباب، إذا عجز الشاب لمرض أو سفر"[١].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "وهو في حق من كان يعمل طاعة فمنع منها، وكانت نيته لولا المانع أن يدوم عليها"[٢].

وقال القَصَّاب (ت:٣٦٠هـ): "فضيلة لمن أسن في الإسلام؛ لأن الله جل جلاله يكتب أجر ما كان يعمله في شبيبته، ولا يقطعه عنه"[٣].

وقال إبراهيم بن مفلح الحنبلي (ت:٨٨٤هـ): "هذا من التفضيل والخير؛ لأنه لما كمل الخدمة في حال الصحة، ناسب أن يكمل له الأجر في حال العجز"[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٨٠).

(٢) فتح الباري (٦/ ١٣٦).

(٣) نكت القرآن (٤/ ٥٢٦).

(٤) النكت والفوائد السنية (١/ ٩٤).

الفصل الثاني:

محاسن الأخلاق

۞الاستنباط الأول: (هل الاسترجاع عند المصائب خاص بهذه الأمة؟).

أخرج وكيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، والبيهقي في شعب الإيمان، عن سعيد بن جبير قال: "لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة شيئاً لم يعطه الأنبياء قبلهم، ولو أُعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب إذ يقول: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٨٤]، ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾[البقرة: ١٥٦]".

ولفظ البيهقي قال: "لم يعط أحد من الأمم الاسترجاع غير هذه الأمة، أما سمعت قول يعقوب: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾[يوسف: ٨٤]"[1].

تخريجه:

أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٧)، وابن جرير في تفسيره (٣/ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ١٧٨)، وقال محققه: "إسناده حسن"، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٢٧)، وقال محققه: "أخرجه عبدالرزاق بسند صحيح من طريق وكيع عن الثوري به".

معنى الآية إجمالاً:

أخبر تعالى أنه يبتلي عباده بالمحن؛ ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من

---

(١) الدر المنثور (٢/ ٧٣).

وقد روي هذا الأثر مرفوعاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (أعطيت أمتي شيئاً لم يعطه أحد من الأمم عند المصيبة، إنا لله وإنا إليه راجعون). أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ١٧٨)، وقال: "رفعه بعض الضعفاء إلى ابن عباس، ثم منه إلى النبي ﷺ"، وقال الهيثمي: "فيه محمد بن خالد الطحان؛ وهو ضعيف". مجمع الزوائد (٢/ ٣٣٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (١٣٤)، برقم: (٩٤٧).

والخلاصة: أن هذا الحديث لا يصح مرفوعاً، وصح موقوفاً عن سعيد بن جبير.

الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده، فمن وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التسخط قولاً وفعلاً، واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فأولئك عليهم ثناء من الله ورحمة، وهم المهتدون الذين عرفوا الحق وعملوا به[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

ففي الآية الأولى أخبر تعالى أن الصابرين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، وأخبر في الآية الأخرى أن يعقوب عليه السلام لما فقد يوسف عليه السلام قال: يا أسفى على يوسف، ولم يقل هذا الدعاء، مع علمنا بحرص الأنبياء عليهم السلام على أفضل الأقوال والأعمال، فدل على أن هذا الدعاء خصت به أمة محمد ﷺ.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

لا خلاف بين أهل العلم في فضل قول هذا الدعاء عند نزول المصيبة، وقد جاء في السنة ما يبيّن فضله، كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها). قالت: فلما مات أبوسلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٧٦).

أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ، قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لي بنتاً، وأنا غيور، فقال: (أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة)[١].

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "جعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأً لذوي المصائب، وعصمة للممتحنين، لما جمعت من المعاني المباركة، فإن قوله: "إنا لله" توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وقوله: "وإنا إليه راجعون" إقرار بالهلك على أنفسنا، والبعث من قبورنا، واليقين أن رجوع الأمر كله إليه كما هو له"[٢].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتها تسلى عن مصيبته.

أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله ﷻ حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير، وأيضاً فإنه محفوف بعدمين؛ عدم قبله وعدم بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضاً فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يبقي عليه وجوده، فليس له تأثير ولا ملك حقيقي، وأيضاً فإنه متصرف فيه بالأمر تصرف العبد المأمور والمنهي، لا تصرف الملاك، ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، برقم: (٩١٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ١٧٦).

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما حوله ونهايته، فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود؟ ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء"(١).

لكن هل هذه الكلمة خاصة بأمة محمد ﷺ؟ أو: لا؟.

ذهب سعيد بن جبير ومن تبعه إلى أن هذه الكلمة خاصة بأمة محمد ﷺ.

وذهب الرازي (ت:٦٠٤هـ) إلى عدم اختصاص هذه الكلمة بهذه الأمة، فقال: "وهذا عندي ضعيف؛ لأن قوله: "إنا لله" إشارة إلى أنا مملوكون لله، وهو الذي خلقنا وأوجدنا، وقوله: "وإنا إليه راجعون" إشارة إلى أنه لا بد من الحشر والقيامة، ومن المحال أن أمة من الأمم لا يعرفون ذلك، فمن عرف عند نزول بعض المصائب به أنه لا بد في العاقبة من رجوعه إلى الله تعالى، فهناك تحصل السلوة التامة عند تلك المصيبة، ومن المحال أن يكون المؤمن بالله غير عارف بذلك"(٢).

وما ذهب إليه الرازي (ت:٦٠٤هـ) لا ينازع فيه من حيث أن جميع أهل الإسلام من الأمم السابقة يؤمنون بأن الذي خلقهم هو الله، وأنهم راجعون إليه يوم القيامة للحساب، لكن المراد هل كانوا يقولون عند نزول المصائب هذا الدعاء: "إنا لله وإنا إليه راجعون"؟ أو: لا؟.

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٨٩).

(٢) التفسير الكبير (١٨/ ١٥٥).

فالاستدلال الذي ذكره ضعيف؛ لأنه لا نزاع من حيث علم الأمم السابقة بأن الخالق هو الله، وأن الرجوع إليه يوم القيامة، لكن النزاع حول هذه الصيغة من الدعاء بعينها.

وأما القول بأن هذا الدعاء خاص بهذه الأمة دون غيرها من الأمم، فيحتاج إلى دليل صحيح؛ لأن كون يعقوب عليه السلام لم يقله ليس دليلاً في نفيه عن الأمم السابقة، فإن الله عز وجل ذكر صفة من صفات الصابرين أنهم يقولون هذا الدعاء، فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[البقرة: ١٥٥-١٥٦]، ويعقوب عليه السلام لما ابتلي بفقد ولده، قال: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[يوسف: ١٨]؛ أي: إنه صبر لا شكوى فيه، مع الاستعانة بالله، وأثنى سبحانه على أيوب عليه السلام لما ابتلي بالمرض، فقال: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾[ص: ٤٤]، ففي هذه الآيات بيّن سبحانه أنهم من الصابرين، ولم يذكر أنهم قالوا هذا الدعاء، ولم ينف عنهم قوله، فيبقى كلا الاحتمالين وارد.

الراجح:

أن القول بالاختصاص يحتاج إلى دليل، والقول بالعموم يحتاج إلى دليل أيضاً، ولأنه لا يوجد ما يثبت أو ينفي، فالصحيح عدم الجزم بشيء من ذلك، والتوقف أسلم.

خاصة أنه قد جاء في السنة بعض ما اختصت به هذه الأمة من الفضائل التي لم

تعط للأمم السابقة[١]، ولم يكن من بينها هذا الدعاء.

(١) مثل: حديث جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أعطيت خمساً لم يعطهنَّ أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر،...). أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، برقم: (٤٢٧)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم: (٥٢١).

الاستنباط الثاني: (الاحتساب عند المصائب).

أخرج ابن سعد، وعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وهنَّاد[١]، وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن المنذر، والبيهقي في شعب الإيمان، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[البقرة: ١٥٦]، عن عمر بن الخطاب أنه انقطع شسعه، فقال: "إنا لله وإنا إليه راجعون، فقيل له: مالك؟! فقال: انقطع شسعي فساءني، وما ساءك فهو لك مصيبة"[٢].

تخريجه:

أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦/ ١٢١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣٣٦)، وهنَّاد في الزهد (١/ ٢٤٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ١٨٠)، وقال محققه: "إسناده حسن".

معنى الآية إجمالاً:

ذكر في الاستنباط السابق.

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

---

(١) هناد بن السرِي بن مصعب التميمي، أبوالسري الكوفى، ثقة عابد، توفي سنة (٢٤٣هـ). ينظر: الثقات (٩/ ٢٤٦)، تقريب التهذيب (٥٧٤).

(٢) الدر المنثور (٢/ ٧٨).

وروي نحو هذا الأثر مرفوعاً عن أبي أمامة، وأبي هريرة، وشداد بن أوس ﷺ، وقد ضعفها كلها الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٣١).

وذلك لأن المصيبة كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه، فدل مفهومها على أن انقطاع شسع النعل مما يؤذي صاحبها، فيندرج ضمن المصائب التي يؤجر عليها من استرجع وصبر.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

ينبغي أن يعلم المؤمن أن المصيبة داء نافع، ساقه إليه العليم بمصلحته، الرحيم به، فليصبر على تجرعه، ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه، فيذهب نفعه باطلاً[١].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غمّ حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه)[٢].

وحديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها)[٣].

وعن عون بن عبدالله (١٢٠هـ)[٤] قال: "كان عبدالله يمشي مع أصحابه ذات يوم فانقطع شسع نعله فاسترجع، فقال له بعض القوم: يا أبا عبدالرحمن تسترجع

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين (٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، برقم: (٥٣١٨)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، برقم: (٢٥٧٣)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، برقم: (٥٣١٧)، ومسلم، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، برقم: (٢٥٧٢).

(٤) عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبوعبدالله، ثقة عابد، روى عن ابن عمر في الصلاة، والشعبي في البيوع، وأبيه في التفسير، توفي قبل سنة (١٢٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ٣٨٤)، تقريب التهذيب (٤٣٤).

على سير، قال: ما بي إلا أن تكون السيور كثير ولكنها مصيبة"[١].

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "المصيبة: كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه"[٢].

وقال أبوحيان (ت:٧٤٥هـ): "والمصيبة: كل ما أذى المؤمن في نفس، أو مال، أو أهل، صغرت أو كبرت، حتى انطفاء المصباح لمن يحتاجه يسمى مصيبة"[٣].

وقال عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ): "كل شيء ساء المؤمن فهو مصيبة؛ أي: فيؤجر عليه بشرط الصبر والاحتساب"[٤].

وبيّن السعدي(ت:١٣٧٦هـ) المراد بالمصيبة بقوله: "وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما"[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣٣٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ١٧٥).

(٣) البحر المحيط (١/ ٦٢٤).

(٤) فيض القدير (٥/ ٢٥).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٧٦).

۞الاستنباط الثالث: (امتحان المؤمنين لبيان صبرهم).

أخرج ابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[البقرة: ٢٤٩]، قال: "تلقى المؤمنين بعضهم أفضل من بعض جداً وعزماً، وهم كلهم مؤمنون"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٣٥١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٧٦)، وقال محققه: "إسناده صحيح". الجزء الثاني من تفسير سورة البقرة (٩٦٦).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى مخبراً عن طالوت ملك بني إسرائيل حين خرج في جنوده، ومن أطاعه من ملأ بني إسرائيل، وكانوا عدداً كثيراً، امتحنهم الله بنهر؛ فمن ظهرت طاعته في ترك الماء علم أنه يطيع فيما عدا ذلك، ومن غلب شهوته في الماء، وعصى الأمر فهو بالعصيان في الشدائد أحرى، ورخص لهم في الغرفة؛ ليرتفع عنهم أذى العطش بعض الارتفاع، فعصى أكثرهم وشربوا من النهر الشرب المنهي عنه، ورجعوا على أعقابهم، وجاوز النهر طالوت ومن بقي معه من المؤمنين الذين أطاعوه، فرأوا قلتهم، وكثرة أعدائهم، قال كثير منهم: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده؛ لكثرتهم، وقال الذين يستيقنون أنهم ملاقوا الله - وهم أهل الإيمان

(١) الدر المنثور (٣/ ١٤٩).

الثابت، واليقين الراسخ، مثبتين لباقيهم، ومطمئنين لخواطرهم، وآمرين لهم بالصبر- : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله؛ أي: بإرادته ومشيئته، فالأمر لله تعالى، فلا تغني الكثرة مع خذلانه، ولا تضر القلة مع نصره، والله مع الصابرين بالنصر والمعونة والتوفيق(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن بعض المؤمنين الذين كانوا مع طالوت لما رأوا قلتهم، وكثرة أعدائهم، قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، وأما البقية من المؤمنين الذين يستيقنون أنهم ملاقوا الله، أمروهم بالتوكل على الله؛ لأنه لا تغني الكثرة مع خذلانه، ولا تضر القلة مع نصره، فأخذ بدلالتها أن المؤمنين يختلفون في إيمانهم وأعمالهم، وفي توكلهم على الله، وإن اشتركوا في أصل الإيمان.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

جاء في الكتاب ما يدل على تفاضل أهل الإيمان في إيمانهم، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾[فاطر: ٣٢].

قال النسفي (ت:٧١٠هـ): "وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٠٨).

عباده، فإنه قال: فمنهم، ومنهم، ومنهم، والكل راجع إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾[فاطر: ٣٢]، وهم أهل الإيمان، وعليه الجمهور"(١).

وقال ابن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ): "ومن قول أهل السنة: أن الإيمان درجات ومنازل، يتمّ ويزيد وينقص، ولولا ذلك استوى الناس فيه، ولم يكن للسابق فضل على المسبوق، وبرحمة الله وبتمام الإيمان يدخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة فيه يتفاضلون في الدرجات، ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾[الإسراء: ٢١]، ومثل هذا في القرآن كثير"(٢).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "الإيمان بعضه أفضل من بعض، والمؤمنون فيه متفاضلون تفاضلاً عظيماً؛ وهم عند الله درجات، كما أن أولئك دركات، فالمقتصدون في الإيمان أفضل من ظالمي أنفسهم، والسابقون بالخيرات أفضل من المقتصدين"(٣).

وفي السنة من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) (٤).

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس، والقريحة في

---

(١) تفسير النسفي (٢/ ٩٧٩).

(٢) رياض الجنة (٢١١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٨٧).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، برقم: (٢٦٦٤).

أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه، وذهاباً في طلبه، وأشدّ عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار، وسائر العبادات، وأنشط طلباً لها، ومحافظة عليها، ونحو ذلك"[١].

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢١٥).

❁الاستنباط الرابع: (نفقتك لنفسك).

أخرج ابن جرير، عن ابن زيد[1] في قوله: ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾[البقرة:٢٧٢]، قال: "هو مردود عليك، فمالَكَ ولهذا تؤذيه وتمنّ عليه، إنما نفقتك لنفسك وابتغاء وجه الله، والله يجزيك"[2].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٥٨٩)، وقال أبوإسحاق الحويني في سلسلة هذا السند في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٧٦).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى لنبيه ﷺ ليس عليك هداية الخلق، وإنما عليك البلاغ المبين، والهداية بيد الله تعالى، وما تنفقوا من خير قليل أو كثير على أي شخص فنفعه راجع إليكم، ثم أخبر أن المؤمنين لا تكون نفقاتهم إلا لوجه الله تعالى؛ لأن إيمانهم يمنعهم عن المقاصد الردية، ويوجب لهم الإخلاص، وما تنفقوا من خير يوف إليكم أجره يوم القيامة، ولا ينقص من أعمالكم شيئاً ولا مثقال ذرة[3].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

---

(١) عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، مفسر من أتباع التابعين، حديثه ضعيف، مات سنة (١٨٢) هـ. ينظر: التاريخ الكبير (٥/ ٢٨٤)، تقريب التهذيب (٣٤٠).

(٢) الدر المنثور (٣/ ٣٣٣).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١١٦).

وذلك أن الله تعالى أخبر أن المنفق المخلص له يعود نفع إنفاقه على نفسه، ويوف أجره كاملاً يوم القيامة، فأخذ بدلالتها على أن المنفق لا يحق له أن يمنّ على المُعطى ويؤذيه؛ لأن ثمرة الإنفاق تعود على المنفق، والمنّة لله عليه إذ استعمله في الإحسان.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

العبد محسن إلى نفسه بإحسانه إلى الغير، وإنما أُخر جزاءه إلى يوم فقره وفاقته[١].

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾[الإسراء: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾[لقمان: ١٢].

قال الحسن البصري (ت:١١٠هـ): "نفقة المؤمن لنفسه، ولا ينفق المؤمن إذا أنفق إلا ابتغاء وجه الله"[٢].

وقال الشعبي(ت:١٠٤هـ): "من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته، فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه"[٣].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وإذا أحسن إلى الناس فإنما يحسن إليهم ابتغاء وجه ربه الأعلى، ويعلم أن الله قد منّ عليه بأن جعله محسناً، فيرى أن عمله لله

---

(١) ينظر: إغاثة اللهفان (١/ ٤١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٥٣٩)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٣)، وذكر محققه أن في سنده موسى بن محلم لم يقف على ترجمة له.

(٣) إحياء علوم الدين (١/ ٢٢٦)، ربيع الأبرار (٢/ ١٢٥).

وبالله، وهذا مذكور في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: ٥]، فلا يطلب ممن أحسن إليه جزاءً ولا شكوراً، ولا يمنّ عليه بذلك، فإنه قد علم أن الله هو المانُ عليه، إذ استعمله في الإحسان، فعليه أن يشكر الله إذ يسره لليسرى، وعلى ذلك أن يشكر الله إذ يسّر له ما ينفعه"(١).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فهو في الحقيقة إنما أراد الإحسان إلى نفسه، وجعل إحسانه إلى غيره وسيلة وطريقاً إلى وصول نفع ذلك الإحسان إليه"(٢).

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب برّ أو فاجر، أو مستحق أو غيره، وهو مثاب على قصده"(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٢١).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٤١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٧٣).

۞الاستنباط الخامس: (فضيلة صفة الحلم).

أخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب، عن رجاء بن أبي سلمة[(١)] في قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٥٥]، قال: "الحلم أرفع من العقل؛ لأن الله ﷻ تسمَّى به".

وأخرج أبوالشيخ، عن ابن عباس: "الحلم يجمع لصاحبه شرف الدنيا والآخرة؛ ألم تسمع الله وصف نبيه ﷺ بالحلم، فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾[هود: ٧٥]"[(٢)].

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه ابن أبي الدنيا في الحلم (٢٩)، وأحمد في الزهد (٢٢٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٨)، وأبونعيم في الحلية (٦/ ٩٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٤٥)، وقال محققه: "إسناده حسن"، وذكره البيهقي في موضع آخر ونسبه لضمرة (٣/ ٣٠٣)، وقال محققه أيضاً: "إسناده رجاله ثقات".

٢-الأثر الثاني أخرجه ابن أبي الدنيا في الحلم (٥١)، وفي سنده محمد بن هشام بن السائب المعروف والده الكلبي، متروك ليس بثقة، صاحب أنساب وسمر، غالياً في التشيع[(٣)].

---

(١) رجاء بن أبي سلمة مهران، أبوالمقدام الفلسطيني، ثقة فاضل، توفي سنة (١٦١). ينظر: الجرح والتعديل (٣/ ٥٠٢)، تقريب التهذيب (٢٠٨).

(٢) الدر المنثور (٤/ ٨٤)و (٨/ ١٠٥).

(٣) ينظر: المجروحين (٣/ ٩١)، الميزان (٧/ ٨٨).

معنى الآيتين إجمالاً:

في الآية الأولى يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم أُحُد، وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم، ثم أخبر أنه عفا عنهم بعدما فعلوا ما يوجب المؤاخذة، فهو غفور للمذنبين الخطائين، حليم لا يعاجل من عصاه بالعقوبة.

وفي الآية الثاني يثني الله ﷻ على نبيه إبراهيم ﷺ بأنه غير عجول على الانتقام ممن أساء إليه، متذلل لربه، خاشع له، منقاد لأمره، منيب رجاع إلى طاعته[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله ﷻ سمّى نفسه بالحليم، وأما العقل فلا يوصف الله به؛ لأنه لم يرد به الدليل، وما تسمى به فهو أفضل مما لم يتسم به؛ لأن أسماء الله كلها حسنى.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الحلم صفة من صفات الله، وخصلة من خصال الأنبياء والصالحين، ومعلوم أن حلم العبد ليس كحلم الله، وكذلك سائر صفاته؛ فصفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق به.

وجاء في السنة ما يدل على محبة الله للحلم، من حديث أشجّ عبد القيس[٢]

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٥٣و ٣٨٦).

(٢) المنذر بن عائذ بن المنذر المصري العبدي، من عبدالقيس، يعرف بالأشج، وذكروا أنه سيدهم وقائدهم إلى الإسلام. ينظر: الاستيعاب (٤/ ١٤٤٨)، الإصابة (٦/ ٢١٦).

عندما قال له رسول الله ﷺ: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)[(١)].

قال السمعاني (ت:٤٨٩هـ): "الأصل في أسامي الرب تعالى هو التوقيف، ولا توقيف في وصف الله تعالى بالعقل فلا يوصف به"[(٢)].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وقيل: لم ينعت الله الانبياء بأقل من الحلم، وذلك لعزة وجوده، ولقد نعت إبراهيم به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ١١٤﴾[التوبة: ١١٤]، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ٧٥﴾ [هود: ٧٥]"[(٣)].

وقال البقاعي (ت:٨٥٥هـ): "والحلم لا يكون إلا بعد العلم، ورسوخ العلم سبب لوجود الحلم؛ وهو اتساع الصدر لمساوئ الخلق، ومدانئ أخلاقهم"[(٤)].

وقال السيوطي (ت:٩١١هـ): "الباري تعالى يوصف بصفة العلم، ولا يوصف بصفة العقل، وما ساغ وصفه تعالى به أفضل مما لم يسغ"[(٥)].

والصبر ثمرة الحلم، قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "والفرق بين الصبر والحلم: أن الصبر ثمرة الحلم وموجبه، فعلى قدر حلم العبد يكون صبره"[(٦)].

ولا يكون الإنسان حكيماً إلا بتمام عقله، وهناك فرق بين الحلم والعقل، قال الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ): "وليس الحلم في الحقيقة هو العقل، لكن

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، برقم: (١٧).

(٢) قواطع الأدلة في الأصول (١/ ٢٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٣٢).

(٤) نظم الدرر (٦/ ٣٢٦).

(٥) الحاوي للفتاوي (٢/ ١٣٠).

(٦) عدة الصابرين (٢٣٦).

فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل"[١].

(١) المفردات (١٢٩).

۞الاستنباط السادس: (المشاورة).

أخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه، عن الحسن في قوله: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[آل عمران:١٥٩]، قال: "قد علم الله أنه ما به إليهم من حاجة، ولكن أراد أن يستنَّ به من بعده".

وأخرج عبد بن حميد، والبخاري في الأدب، وابن المنذر، عن الحسن قال: "ما تشاور قوم قطُّ إلا هُدُوا، وَأُرْشِدوا أمرهم، ثم تلا: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨]"(١).

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣/ ١٠٩٨)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٤٦٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٠١)، والبيهقي في سننه (١٠/ ١٠٩)، وحسن ابن حجر إسناده في فتح الباري (١٣/ ٣٤٠).

٢- الأثر الثاني أخرجه ابن المنذر في تفسيره (٢/ ٤٦٧)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٠)، برقم: (٢٥٨)، وقوّى ابن حجر إسناده في فتح الباري، ونسبه لابن أبي حاتم إضافة إلى البخاري، ولم أجده في المطبوع (١٣/ ٣٤٠)، وصحح الألباني إسناده في صحيح الأدب المفرد (١١٤)، برقم: (١٩٥).

معنى الآية إجمالاً:

في هذه الآية الأولى أمر الله ﷻ نبيه محمد ﷺ بمشاورة أصحابه في الأمور التي

---

(١) الدر المنثور (٤/ ٨٧)و (١٣/ ١٦٨).

تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإذا عزمت على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه، إن كان يحتاج إلى استشارة، فاعتمد على حول الله وقوته، متبرئاً من حولك وقوتك، فإن الله يحب المتوكلين عليه، اللاجئين إليه.

وفي الآية الثانية يخبر الله تعالى أن المؤمنين في أمرهم الديني والدنيوي شورى بينهم؛ أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعاً عن اجتماعهم، وتوادهم وتحابهم(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه ﷺ؛ وهو يأتيه الوحي من السماء، فيمكنه عن طريقه معرفة صواب الرأي، فدل مفهومها على أن النبي ﷺ غنياً عن مشورتهم، ولكن لتقتدي به الأمة، فهم أولى بالمشورة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله، وهي تنور الأفكار بسبب إعمالها فيما وضعت له، والمشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتمّ له مطلوبه فليس بملوم(٢).

ويدل على هذا المعنى عموم قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب: ٢١].

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٥٤)و (٧٦٠).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٥٤).

قال الشافعي (ت:٢٠٤هـ): "وإنما أُمر بمشاورتهم - والله أعلم - لجمع الألفة، وأن يستن بالاستشارة بعده من ليس له من الأمر ما له"(١).

وقال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "إن الله ﷻ أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه، ومكايد حربه، تألُّفاً منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يُؤْمَنُ عليه معها فتنة الشيطان، وتعريفاً منه أمته مآتي الأمور التي تحزبهم من بعده، ومطلبها ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم، كما كانوا يرونه في حياته ﷺ يفعله"(٢).

وقال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "كان يشاورهم فيما لم ينزل عليه الوحي فيه، وكان النبي ﷺ عاقلاً ذا رأي، ولكنه أُمِرَ بالمشورة ليقتدي به غيره، ولأن في المشاورة تودُّداً لأصحابه؛ لأنه إذا شاورهم يتودَّد قلوبهم، وفي المشورة أيضاً ترك الملامة؛ لأنه يقول: فعلت كذا بمشاورتكم"(٣).

---

(١) الأم (٥/ ١٦٨).

(٢) جامع البيان (٧/ ٣٤٥).

(٣) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (١/ ٢٨٥).

الاستنباط السابع: (تسديد الله للمصلح).

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه، عن ابن عباس: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا﴾، قال: "هما الحكمان، ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾[النساء: ٣٥]، وكذلك كلُّ مُصلح يوفِّقه الله للحقِّ والصواب"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٣٣٢)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٦٩٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٦)، والبيهقي في سننه (٧/ ٣٠٦)، وقال الشيخ حكمت بشير: "أخرجه الطبري، وابن أبي حاتم، بسند ثابت عنه". تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٨).

معنى الآية إجمالاً:

أن الله أمر المسلمين ببعث الحكمين عند خوف الشقاق بين الزوجين؛ للنظر في أمرهما، فإن يرد الحكمان إصلاحاً بين الرجل والمرأة المتنازعين، يوفق الله بين الحكمين، فيتفقا على الإصلاح بينهما، إذا صدق كل واحد منهما في نيته، ويوفق الله بمنّه وكرمه بين الزوجين(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أن الحكمين إذا حسن مقصدهما يوفق الله بينهما، فدل

---

(١) الدر المنثور (٤/ ٤٠٧).

(٢) ينظر: جامع البيان (٨/ ٣١٨-٣٣٣)، تفسير ابن عثيمين لسورة النساء (١/ ٢٩٥).

مفهومها على أن كل مصلح - أياً كان نوع هذا الصلح - إذا حسن قصده في صلحه، فإن الله يوفقه ويسدده.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الصلح من مكارم الأخلاق، رغب الله العباد بفعله، ووعد من حسنة نيته بالتوفيق، والأجر العظيم.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال شعيب خطيب الأنبياء عليه السلام:

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾[هود: ٨٨].

بيّن شعيب عليه السلام أن هدفه صلاح أمته وفلاحها، وأنه يستمد العون والتوفيق من الله تعالى، فدل على أن من أراد الإصلاح حصل له التوفيق من الله تعالى.

قال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "فسمى إرادته الإصلاح توفيقاً، وجعله من الله، لا يحصل في وقت إلا بالله؛ أي بإرادته وهديه"(١).

وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران:١٠٤].

فعلق سبحانه الفلاح والتوفيق على من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من المصلحين، الذين يريدون نجاة المجتمع وصلاحه.

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "الساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة، والصيام، والصدقة، والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله،

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ١٤٥).

كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله، ولا يتمّ له مقصوده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨١﴾ [يونس: ٨١]"[١].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "الصلح الجائز بين المسلمين؛ هو الذي يعتمد فيه رضا الله سبحانه، ورضا الخصمين؛ فهذا أعدل الصلح وأحقه، وهو يعتمد العلم والعدل، فيكون المصلح عالماً بالوقائع، عارفاً بالواجب، قاصداً للعدل"[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢٠٢).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٠٩).

الاستنباط الثامن: (فضل الشفاعة الحسنة).

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الحسن قال: "من يشفع شفاعة حسنة كان له أجرها وإن لم يُشَفَّع؛ لأن الله يقول: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾[النساء: ٨٥]، ولم يقُل: يُشَفَّع"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٥٨١)، وابن المنذر (٢/ ٨١٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٨)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٢)، وقال محققه: "أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق حميد الطويل عن الحسن بنحوه، وأخرجه الطبري بسند ضعيف لم يصرح باسم شيخه بلفظه".

معنى الآية إجمالاً:

الشفاعة هي المعاونة على أمر من الأمور، فمن شفع لغيره، وقام معه على أمر من أمور الخير، كان له نصيب من شفاعته، بحسب سعيه وعمله، ولا ينقص من أجر الأصيل أو المباشر شيء، ومن عاون غيره على أمر من الشر، كان عليه كفل من الإثم بحسب ما قام به، وعاون عليه، وكان الله شاهداً على كل شيء، حسيباً على هذه الأعمال، فيجازي كلاً ما يستحقه[٢].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

---

(١) الدر المنثور (٤/ ٥٥٥).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٩١).

وذلك أن الله ﷻ حث على السعي في قضاء حوائج الناس ومعاونتهم، وشرط الأجر على ذلك، فدل مفهومها على أن الساعي مأجور، وإن لم تقض الحاجة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

معاونة المسلم لأخيه المسلم من الأعمال العظيمة التي يحبها الله، وسبب لتوفيق وسعادة العبد، ومن سبل المعاونة الشفاعة الحسنة.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه ﵁ قال كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طُلِبَتْ إليه حاجة قال: (اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء)[١].

وقال ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ): "والمراد من الحديث أنكم تؤجرون في الشفاعة وإن لم تقض الحوائج"[٢].

وقال ابن بطال (ت:٤٤٩هـ): "فندب أمته إلى السعي في حوائج الناس، وشرط الأجر على ذلك، ودل قوله ﷺ: (ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء)؛ أن الساعي مأجور على كل حال، وإن خاب سعيه، ولم تنجح طلبته"[٣].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "أي إذا عرض المحتاج حاجته عليَّ فاشفعوا له إليّ، فإنكم إن شفعتم حصل لكم الأجر سواء قبلت شفاعتكم أم لا، ويجري الله على لسان نبيه ما شاء؛ أي: من موجبات قضاء الحاجة أو عدمها، أي إن قضيتها أو لم أقضها فهو بتقدير الله تعالى وقضائه،...، وفي الحديث الحض على الخير بالفعل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، برقم: (١٣٦٥).

(٢) كشف المشكل (٤٠٤).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٤٣٤).

وبالتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى الكبير في كشف كربة، ومعونة ضعيف، إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس، ولا التمكن منه ليلج عليه، أو يوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، وإلا فقد كان ﷺ لا يحتجب"(١).

وبيّن ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) معنى الشفاعة وأنواعها، بقوله: "فإن الشفاعة إعانة الطالب حتى يصير معه شفعاً بعد أن كان وتراً، فإن أعانه على بر وتقوى كانت شفاعة حسنة، وإن أعانة على إثم وعدوان كانت شفاعة سيئة، والبِر: ما أُمرت به، والإثم: ما نُهيت عنه"(٢).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وكل من أعان غيره على أمر بقوله أو فعله فقد صار شفيعاً له، والشفاعة للمشفوع له هذا أصلها، فإن الشافع يشفع صاحب الحاجة فيصير له شفعاً في قضائها لعجزه عن الاستقلال بها، فدخل في حكم هذه الآية كل متعاونين على خير أو شر بقول أو عمل، ونظيرها قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾[المائدة: ٢]،...، وتأمل قوله تعالى في الشفاعة الحسنة: ﴿ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾[النساء: ٨٥]، وفي السيئة: ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ ﴾[النساء: ٨٥]، فإن لفظ الكفل يشعر بالحمل والثقل، ولفظ النصيب يشعر بالحظ الذي ينصب طالبه في تحصيله، وإن كان كل منهما يستعمل في الأمرين عند الانفراد، ولكن لما قرن بينهما حسن اختصاص حظ الخير

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٥١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٠٠).

بالنصيب، وحظ الشر بالكِفل"[١].

وقال السمعاني (ت:٤٨٩هـ): "واعلم أن الإنسان يؤجر على الشفاعة وإن لم يُشَفَّع؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ مَّن يَشْفَعْ ﴾[النساء: ٨٥]، ، ولم يقُل: يُشَفَّع"[٢].

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "والشافع يؤجر فيما يجوز وإن لم يُشَفَّع؛ لأنه تعالى قال: ﴿ مَّن يَشْفَعْ ﴾[النساء: ٨٥]، ولم يقُل: يُشَفَّع"[٣].

---

(١) روضة المحبين (٣٧٧-٣٧٨).

(٢) تفسير السمعاني (١/ ٤٥٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٢٩٦).

۞الاستنباط التاسع: (كيفية التحية وجوابها).

أخرج البيهقي من طريق المبارك بن فضالة[١]، عن الحسن في قوله: ﴿ فَحَيُّوا۟ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ ﴾[النساء: ٨٦]، قال: "يقول: إذا سلم عليك أخوك المسلم فقال: السلام عليك، فقل: السلام عليكم ورحمة الله، ﴿ أَوۡ رُدُّوهَآ ﴾[النساء: ٨٦]، يقول: إن لم يقل لك: السلام عليك ورحمة الله، فردَّ عليه كما قال: السلام عليكم، كما سلم، ولا تقل: وعليك".

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي في شعب الإيمان، عن عطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ٧٣ ﴾[هود: ٧٣]، قال: "كنت عند ابن عباس إذ جاءه رجل فسلم عليه، فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فقال ابن عباس: انته إلى ما انتهت إليه الملائكة، ثم تلا: ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ ٧٣ ﴾[هود: ٧٣]".

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عاصم، في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ٧٥ ﴾[الفرقان: ٧٥] قال: "لقي ابن سيرين رجل، فقال: حيَّاك الله، فقال: إن أفضل التحية تحية أهل الجنة؛ السلام"[٢].

---

(١) المبارك بن فضالة بن أبي أمية، أبوفضالة، توفي في خلافة المهدي سنة (١٦٥هـ). ينظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٢٧٧)، المنتظم (٨/ ٢٧٦).

(٢) الدر المنثور (٤/ ٥٦١)و (٨/ ١٠٢)و (١١/ ٢٣٣).

تخريجه:

١- الأثر الأول أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٣٦٣)، وقال محققه: "إسناده ضعيف".

٢- الأثر الثاني أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٤)، والبيهقي في الشعب (٢٢/ ٢٤٥-٢٤٦)، وقال محققه: "إسناده جيد"، وقال الحاكم: "هذا حديث غريب صحيح للثوري، لا أعلم أنا كتبناه إلا بهذا الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

٣- الأثر الثالث أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٤)، ورجال السند ثقات(١).

معنى الآيات إجمالاً:

في الآية الأولى المراد بالتحية هي اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها، وأعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع من السلام ابتداءً ورداً ، فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حيوا

---

(١) رجال الإسناد:

١- عاصم بن بهدلة بن أبي النجود المقرئ، ثقة، صدوق له أوهام، حجة في القراءة، وحديثه في الصحيحين، توفي سنة (١٢٨هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ٣٤٠)، تقريب التهذيب (٢٨٥).

٢- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبوعبدالله الكوفي، ثقة حافظ فقيه، توفي سنة (١٦١هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٤/ ٢٢٢)، تقريب التهذيب (٢٤٤).

٣- عمر بن سعد بن عبيد، أبوداود الحفري، ثقة عابد، توفي سنة (٢٠٣هـ). ينظر: الجرح والتعديل (١٦/ ١١٢)، تقريب التهذيب (٤١٣).

٤- علي بن حرب الموصلي، أبوالحسن الطائي، وثقة الدارقطني وابن حبان، توفي سنة (٢٦٥هـ). ينظر: الثقات (٨/ ٤٧١)، تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٦١).

بأي تحية كانت أن يردوها بأحسن منها لفظاً وبشاشةً، أو مثلها في ذلك، ثم أخبر جل ثناؤه أنه يحفظ أعمال العباد، ثم يجازيهم يوم القيامة بها اقتضاه فضله وعدله.

وفي الآية الثانية عجبت امرأة إبراهيم عليه السلام ببشارة الملائكة؛ لأنها كانت عجوزاً عقيماً، وبعلُها شيخ كبير، فقالت لها الملائكة عليهم السلام: لا تعجبي من أمر الله فإنه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، فلا تزال رحمته وإحسانه وبركاته على هذا البيت المبارك، فهو سبحانه حميد في جميع أفعاله وأقواله، ممجد في صفاته وذاته.

وفي الآية الثالثة لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة والأقوال والأفعال الجليلة، ثم قال بعد ذلك كله: أولئك المتصفون بهذه الصفات يجزون يوم القيامة الجنة بسبب صبرهم، ويبتدرون في الجنة بالسلام والإكرام من الملائكة(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن أعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع من السلام ابتداءً ورداً، وللمسلم في ردّ السلام حالتان، إما الردّ بالأحسن منه لفظاً، أو المثل له لفظاً، فدل مفهومها على أن الردّ بقول: وعليك أقل لفظاً من السلام، فلا يكون مجيباً بالمثل؛ وهو أقل الكمال.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٥٩)و (٥/ ٦١٦)، تيسير الكريم الرحمن (١٩١)و (٣٨٦).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

قد شرع الله ورسوله ﷺ لنا تحية تميزنا عن غيرنا، ورتب على فعلها الثواب، وجعلها حقاً من حقوق المسلم على أخيه.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (السلام عليكم، فردّ عليه السلام، ثم جلس، فقال النبي ﷺ: عشر، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فردّ عليه فجلس، فقال: عشرون، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردّ عليه فجلس، فقال: ثلاثون)(١).

فدل هذا الحديث على أن هدي النبي ﷺ الانتهاء في السلام إلى بركاته، وعدم الزيادة عليها، وأنها أفضل الصيغ(٢).

قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا زيادة في السلام على هذه الصفة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إذ لو شرع أكثر من ذلك لزاده رسول الله ﷺ"(٣).

ودل هذا الحديث على أن زيادة الأجر تكون على قدر ما يقوله المرء منه، فمن

---

(١) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب الأدب، باب كيف السلام، برقم: (٥١٩٥)، والترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما ذكر في فضل السلام، برقم: (٢٦٨٩)، والنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب السلام، برقم: (١٠١٦٩)، قال الترمذي: "حديث حسن صحيح غريب "، وقوى ابن حجر إسناده في فتح الباري (١١/ ٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٧٤)، برقم: (٢٦٨٩).

(٢) ينظر: زاد المعاد (٢/ ٤١٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٧٣).

قالها كاملة أفضل ممن لم يقلها كاملة، ويكون قد أتى بأحسن التحية.

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "صفة الردّ فالأفضل والأكمل أن يقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيأتي بالواو، فلو حذفها جاز، وكان تاركاً للأفضل، ولو اقتصر على: وعليكم السلام، أو على: عليكم السلام أجزأه، ولو اقتصر على: عليكم لم يجزه بلا خلاف، ولو قال: وعليكم بالواو؛ ففي إجزائه وجهان لأصحابنا، قالوا وإذا قال المبتدئ: سلام عليكم، أو السلام عليكم، فقال المجيب: مثله سلام عليكم، أو السلام عليكم، كان جواباً وأجزأه، قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾[هود: ٦٩]، ولكن بالألف واللام أفضل"[(١)].

وقال محمد بن مفلح المقدسي (ت:٧٦٣هـ): "فرد مثلها عدل، والعدل واجب، والتحية بأحسن منها فضل، والفضل مستحب"[(٢)].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "إذا سلّم فردوا عليه أفضل مما سلّم، أو ردوا عليه بمثل ما سلّم، فالزيادة مندوبة، والمماثلة مفروضة"[(٣)].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "واستُدل به [حديث ابن عمر؛ أي: وعليك[(٤)]] على أن هذا الردّ خاص بالكفار، فلا يجزئ في الردّ على المسلم، وقيل:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٤١).

(٢) الآداب الشرعية (١/ ٤٠٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٧٣).

(٤) يقصد: حديث الرسول الله ﷺ: (إذا سلم عليكم اليهود، فإنما يقول: أحدهم السام عليك فقل: وعليك). أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام، برقم: (٥٩٠٢).

إن أجاب بالواو أجزأ وإلا فلا، وقال ابن دقيق العيد: التحقيق أنه كاف في حصول معنى السلام، لا في امتثال الأمر في قوله: ﴿ فَحَيُّوا۟ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٨٦]،...، قلت: لكن لما اشتهرت هذه الصيغة للردّ على غير المسلم، ينبغي ترك جواب المسلم بها، وإن كانت مجزئة في أصل الردّ "(١).

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "واتفقوا على أن من سلم لم يجزئ في جوابه إلا السلام، ولا يجزئ في جوابه: صبحت بالخير، أو: بالسعادة، ونحو ذلك"(٢).

والالتزام بهدي النبي ﷺ في السلام أكمل وأولى، وأما الأحاديث المرفوعة التي وردت فيها زيادة (المغفرة) فقد ضعفها ابن القيم(٣)، وابن مفلح المقدسي(٤)، وابن حجر(٥)، والألباني(٦) وغيرهم.

(١) فتح الباري (١١/ ٤٦).

(٢) فتح الباري (١١/ ١٤).

(٣) ينظر: زاد المعاد (٢/ ٤١٧).

(٤) ينظر: الآداب الشرعية (١/ ٣٥٩).

(٥) ينظر: فتح الباري (١١/ ٦).

(٦) ينظر: ضعيف سنن أبي داود (٤٢٤).

۞الاستنباط العاشر: (ردّ السلام على غير المسلم).

أخرج ابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد، وابن أبي الدنيا في الصمت، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: "من سلَّم عليك من خلق الله فارْدُدْ عليه وإن كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً؛ ذلك بأن الله يقول: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[النساء: ٨٦]"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٥٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٧٨)، برقم: (١١٠٧)، وابن أبي الدنيا في الصمت (١٧٧)، وأبويعلى في مسنده (٣/ ١٠٠)، وابن جرير في تفسيره (٨/ ٥٨٧)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٨١٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢١)، قال الهيثمي: "رواه أبويعلى، ورجاله رجال الصحيح غير اسحاق بن أبي إسرائيل؛ وهو ثقة". مجمع الزوائد (٨/ ٤١)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٢٧)، برقم: (٨٤٣).

معنى الآية إجمالاً:

ذكر في الاستنباط السابق.

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة العموم.

لأن الله ﷻ أمر في هذه الآية الكريمة بردّ التحية، فأخذ من عموم قوله تعالى:

---

(١) الدر المنثور (٤/ ٥٦١).

﴿ حُيِّيتُم ﴾؛ على أنها تُرَدُّ على كل من ألقى عليك التحية.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

اختلف السلف في حكم ردّ السلام على غير المسلم، إلى قولين:

القول الأول: أن حكم رده فرض عام في المسلم والكافر؛ وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والشعبي، وغيرهم[١].

القول الثاني: أن حكم رده خاص في المسلمين دون الكفار؛ وهذا قول عطاء، وابن عمر، ومالك، وغيرهم[٢].

أدلة أصحاب القول الأول:

الأول: عموم لفظ الآية[٣].

الثاني: الأمر بالردّ عليهم في صحيح السنة، كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم)[٤]، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول الله ﷺ قال: (إذا سلم عليكم اليهود، فإنما يقول: أحدهم السام عليك، فقل: وعليك"[٥].

ووجه الدلالة: أنه إذا سلم أهل الكتاب وجب الردّ عليهم، وإنما أمر

---

(١) ينظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٧)، فتح الباري (١١/ ٤٢).

(٢) ينظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٧-٥٨٨)، فتح الباري (١١/ ٤٢).

(٣) ينظر: التمهيد لابن عبد البر (١٧/ ٨٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٠٤)،البحر المحيط (٣/ ٣٢٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام، برقم: (٥٩٠٣)، ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، برقم: (٢١٦٣).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام، برقم: (٥٩٠٢).

بالاقتصار على قول الرادّ: وعليكم على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم.

الثالث: أن الردّ عليهم من باب العدل، والله أمرنا بالعدل(١).

أدلة أصحاب القول الثاني:

الأول: أن الآية مخصوصة بالمسلمين، فلا يرد السلام على الكافر مطلقاً(٢).

الثاني: استدلوا بنفس الأحاديث التي استدل بها أصحاب القول الأول، إلا أنهم قالوا: يردّ على أهل الكتاب إذا سلموا، لكن لا يقال لهم: وعليكم السلام، بل يقال: عليكم فقط، أو: وعليكم(٣).

ووجه الدلالة: أن الردّ عليهم يكون بدون السلام، والاكتفاء بقول: عليكم فقط، وهذا الردّ ليس مماثل لما قالوه، فلا يدخلون في هذه الآية.

الراجح:

أنه إذا سلم الكافر على المسلم سلاماً بيناً واضحاً، فقال: السلام عليكم، فإنه يردّ عليه السلام؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٨٦].

أما إذا لم يكن بيناً واضحاً فإنه يرد عليه بقول: وعليك، وكذلك لو كان سلامه واضحاً يقول فيه: السام عليكم؛ يعني الموت، فإنه يقول: وعليك(٤).

---

(١) ينظر: أحكام أهل الذمة (١/ ٤٢٥).

(٢) ينظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٧)، فتح الباري (١١/ ٤٢).

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٤٤)، سبل السلام (٤/ ٦٨).

(٤) ينظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (٣/ ٣٧).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فلو تحقق السامع أن الذمي قال له: سلام عليكم لا شك فيه، فهل له أن يقول: وعليك السلام، أو يقتصر على قوله: وعليك؟ فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية، وقواعد الشريعة، أن يقال له: وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان ، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[النساء: ٨٦]، فندب إلى الفضل، وأوجب العدل، ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما، فإنه ﷺ إنما أمر بالاقتصار على قول الرادّ: وعليكم بناءً على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم، وأشار إليه في حديث عائشة رضي الله عنها فقال: (ألا تريني قلت: وعليكم لما قالوا: السام عليكم)[١]، ثم قال: (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم)[٢]، والاعتبار وإن كان لعموم اللفظ فإنما يعتبر عمومه في نظير المذكور لا فيما يخالفه"[٣].

(١) نص الحديث أن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم، ففهمتها فقلت: عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: (مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا! قال رسول الله ﷺ فقد قلت: وعليكم). أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف الردّ على أهل الذمة بالسلام، برقم: (٥٩٠١)، ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء اهل الكتاب بالسلام، برقم: (٢١٦٥).

(٢) هذا حديث ابن عمر ﷺ أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام، برقم: (٥٩٠٣)، ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، برقم: (٢١٦٣).

(٣) أحكام أهل الذمة (١/ ٤٢٥-٤٢٦).

۞الاستنباط الحادي عشر: (صيغة تحية الكافر).

أخرج عبدالرزاق في المصنف، والبيهقي في الشعب، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾[طه: ٤٧]، قال: "التسليم على أهل الكتاب إذا دخلت عليهم بيوتهم أن تقول: السلام على من اتَّبع الهدى".

وأخرج ابن أبي شيبة، عن شعيب بن الحبحاب، قال: "كنت مع علي بن عبدالله البارقيِّ، فمرَّ علينا يهودي أو نصراني فسلَّم عليه، فقال شعيب، قلت: إنه يهوديٌّ أو نصرانيٌّ، فقرأ عليّ آخر سورة الزخرف: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[الزخرف: ٨٨ - ٨٩]"[١].

تخريجه:

١- الأثر الأول أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٦/ ١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٢٦١). وقال محققه: "رجاله ثقات".

٢- الأثر الثاني أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٥٩)، وسنده حسن[٢].

(١) الدر المنثور (١٠/ ٢١٠)و (١٣/ ٢٤٣).

(٢) رجال الإسناد:

١- علي بن عبدالله البارقي الأزدي، أبوعبدالله، صدوق ربما أخطأ. ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ١٩٣)، تقريب التهذيب (٤٠٣).

٢- شعيب بن الحبحاب الأزدي، ثقة، تقدم في الاستنباط الثاني والعشرون في الفصل الأول.

٣- عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، أبومحمد البصري، ثقة تغير قبل موته بثلاث سنين، توفي سنة (١٩٤هـ). ينظر: الجرح والتعديل(٦/ ٧١)، تقريب التهذيب (٣٦٨).

معنى الآيات إجمالاً:

يخبر تعالى في الآية الأولى أن من اتبع الصراط المستقيم، واهتدى بالشرع المبين، حصلت له السلامة في الدنيا والآخرة[(١)].

وفي الآية الثانية يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ جواباً له عن دعائه إياه، إذ قال يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون: فاصفح عنهم يا محمد، وأعرض عن أذاهم، وقل سلام؛ أي: لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيء، ولكن تألفهم، وأصفح عنهم فعلاً وقولاً، فسوف يعلمون غب ذنوبهم، وعاقبة جرمهم[(٢)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

لأن هذه الجملة من جملة الأشياء التي أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يقوله لفرعون مع كفره، فدل مفهومها على أنه لا حرج أن تقال هذا الجملة لغير المسلم.

والاستنباط الثاني:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أمر رسوله محمد ﷺ بالإعراض عن أذى المشركين، وأمره بقول: سلام، وهم لا يؤمنون، فدل مفهومها على أن لفظ السلام يطلق على التحية، فأخذ منه جواز بدء الكافر بالسلام.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٥٠٦).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢١/ ٦٥٦)، تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٨٩).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

اختلف السلف في معنى قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ سَلَٰمٌ ﴾، هل المراد تحية الإسلام؟ أو: غير ذلك؟ على قولين:-

القول الأول: سلام عليكم على جهة الموادعة والملاينة، وسواء كان تحية أو عبارة عن الموادعة، فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الآية منسوخة؛ لأن السورة مكية ثم جاء الأمر بالقتال(١)، وعلى ذلك فالاستدلال بهذه الآية على جواز تحية الكافر ضعيف؛ لأنها ليست صريحة في التحية، وكذلك قد جاء النهي عن بدء أهل الكتاب بالسلام في صحيح السنة .

القول الثاني: أمري مسالمة منكم، ولم يؤمر بالسلام عليهم، إنما أمر بالتبرئ منهم، ومن مسالمة دينهم(٢)، وعلى هذا المعنى فلا يصح هذا الاستنباط الثاني.

الراجح:

أنه لا يجوز بدء الكافر بالسلام؛ لأنه اسم الله ووصفه وفعله، والتلفظ به ذكر له، فحقيق بتحية هذا شأنها أن تصان عن بذلها لغير أهل الإسلام، وألا يحيى بها أعداء القدوس السلام(٣)، وأنه إذا احتيج لتحية الكافر، يكتفى بقول: السلام على من اتبع الهدى، أو بأي لفظ آخر يقتضي خروجهم منه.

وجاء في السنة ما يدل على هذا القول، من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٨)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (٦٦١)، المحرر الوجيز (٥/ ٦٧).

(٢) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢٤٣)، التمهيد (١٧/ ٩١-٩٣)، المحرر الوجيز (٥/ ٦٧).

(٣) ينظر: أحكام أهل الذمة (١/ ٤٢٠).

ﷺ قال: (لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام)[١].

قال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "وحديث أبي هريرة في النهي عن ابتدائهم أولى"[٢].

ومن خلال مكاتبة الرسول ﷺ إلى هرقل، والتي جاء فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى)[٣].

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "ولهذا كانت كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار، سلام على من اتبع الهدى، ولم يكتب لكافر سلام عليكم أصلاً، فلهذا قال في أهل الكتاب: (ولا تبدأوهم بالسلام)"[٤].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "والمراد منع ابتدائهم بالسلام المشروع، فأما لو سلم عليهم بلفظ يقتضي خروجهم عنه، كأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فهو جائز، كما كتب النبي ﷺ إلى هرقل وغيره: سلام على من اتبع الهدى"[٥].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) أيضاً: "لم يبدأ الكافر بالسلام قصداً، وأن كان اللفظ يشعر به، لكنه لم يدخل في المراد؛ لأنه ليس ممن أتبع الهدى فلم يسلم

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، برقم: (٢١٦٧).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٩).

(٣) أخرجه البخاري، باب بدء الوحي، برقم: (٧)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه للإسلام، برقم: (١٧٧٣).

(٤) أحكام أهل الذمة (١/ ٤٢١).

(٥) فتح الباري (١١/ ٤٠).

عليه"[١].

وقال السيوطي (ت:٩١١هـ) في هذه الآية: "فيه دليل على منع السلام على الكافر، وأنه إذا احتيج إليه في خطاب أو كتاب يؤتى بهذه الصفة"[٢].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "والسلام على من اتبع الهدى يدخل فيه السلام على فرعون إن اتبع الهدى، ويفهم من الآية: أن من لم يتبع الهدى لا سلام عليه، وهو كذلك"[٣].

---

(١) فتح الباري (١/ ٣٨).

(٢) الإكليل (١٧٦).

(٣) أضواء البيان (٤/ ١٧).

الاستنباط الثاني عشر: (مشروعية بعث السلام).

أخرج الطبرانيُّ، عن أبي البختريِّ[١]، في قوله تعالى: ﴿ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[النور: ٦١]، قال: جاء الاشعث بن قيس[٢] وجرير بن عبدالله البجليُّ إلى سلمان، فقالا: "جئناك من عند أخيك أبي الدرداء، قال: فأين هديته التي أرسل بها معكما؟ قالا: ما أرسل معنا بهدية، قال: اتَّقيا الله وادِّيا الأمانة، ما جاءني أحد من عنده إلا جاء معه بهدية، قالا: والله ما بعث معنا بشيءٍ إلا أنه قال: اقرئوه منِّي السلام، قال: فأي هدية كنت أريد منكما غيرُ هذه، وأيُّ هدية أفضل من السلام، تحية من الله مباركة طيبة؟"[٣].

تخريجه:

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢١٩)، وأبونعيم في الحلية (١/ ٢٠١)، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن إبراهيم المسعودي؛ وهو ثقة". مجمع الزوائد (٨/ ٤١).

معنى الآية إجمالاً:

يمدح الله تعالى في هذه الآية التحية بالسلام الذي شرعه للمسلمين، وجعله تحية مباركة؛ لاشتمالها على السلامة من النقص، وحصول الرحمة، والبركة والنماء

---

(١) سعيد بن فيروز بن أبي عمران، أبوالبختري الطائي، مولاهم الكوفي، تابعي جليل، سمع ابن عباس وابن عمر، توفي سنة (٨٣هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٣/ ٥٠٦)، لسان الميزان (٧/ ٤٥٢).

(٢) الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي، أبومحمد، صحابي نزل الكوفة، ولقب بالأشعث؛ لشعث رأسه، ومات بالكوفة سنة (٤٢هـ). ينظر: الاستيعاب (١/ ١٣٢)، الإصابة (١/ ٨٧).

(٣) الدر المنثور (١١/ ١٢٠).

والزيادة، وهي تحية طيبة؛ لأنها من الكلم الطيب المحبوب عند الله، الذي فيه طيب نفس للمحيا، ومحبة وجلب مودة(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

لأن الله ﷻ مدح التحية بالسلام، وأمر به وأرشد إليه، فأخذ من ذلك فضل التحية بالسلام، وأن إرساله للمسلم الغائب من الهدايا التي تؤلف بين القلوب، وأنه يجب على الرسول تبليغه إن تحمله؛ لعموم الأمر بأداء الأمانة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

بعث السلام من المسلم لأخيه المسلم مما يزيد المحبة والألفة بين القلوب.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: (إن جبريل يقرئك السلام، قالت: وعليه السلام ورحمة الله)(٢).

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "فيه استحباب بعث السلام، ويجب على الرسول تبليغه"(٣).

وفصّل ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) في هذه المسألة، بقوله: "والتحقيق أن الرسول

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٥٧٥).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الاستئذان، باب إذا قال فلان يقرئك السلام، برقم: (٥٨٩٨)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل عائشة رضي الله عنها، برقم: (٢٤٤٧).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٢١١).

إن التزمه أشبه الأمانة، وإلا فوديعة[١]، والودائع إذا لم تقبل لم يلزمه شيء"[٢].

وقال رجل لأبي الدرداء: "فلان يقرئك السلام، فقال: هدية حسنة، ومحمل خفيف"[٣].

(١) الوديعة: ما تستودعه غيرك ليحفظه. العين (٢/ ٢٢٤).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٨).

(٣) البيان والتبين (٢٦٤)، عيون الأخبار (٣/ ٤١).

۞الاستنباط الثالث عشر: (فضيلة مكافأة المحسن).

أخرج ابن أبي حاتم، عن سفيان بن عيينة، في قوله: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾[النساء: ٨٦]، قال: "ترون هذا في السلام وحده؟ هذا في كل شيء، من أحسن إليك فأحسن إليه وكافئه، فإن لم تجد فادع له أو أثن عليه عند إخوانه"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢١)، وقال محققه في سلسلة هذا السند في متن آخر: "لم أقف على ترجمة شيخ ابن أبي حاتم، ولا شيخ شيخه". الجزء الأول من تفسير سورة البقرة (١٢٢).

معنى الآية إجمالاً:

ذكر في الاستنباط التاسع من هذا الفصل.

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أمر بردّ التحية بأحسن منها أو مثلها، من باب المكافئة، فدل مفهومها على أن هذا شامل لجميع أنواع الإحسان، فكل من أحسن ينبغي أن يكافئ ويحسن إليه بقدر الاستطاعة.

---

(١) الدر المنثور (٤/ ٥٦١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

حث ديننا على مكافأة المحسن، ومبادلته الإحسان بالإحسان.

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾[الرحمن: ٦٠].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "يدخل في ذلك كله الإحسان في عبادة الخالق بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والإحسان إلى المخلوقين بجميع وجوه الإحسان من قول وفعل وجاه، وعلم ومال وغيرها"(١).

وجاء في السنة من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)(٢).

قال الأمير الصنعاني (ت:٨٥٢هـ): "ودلّ الحديث على وجوب المكافأة للمحسن إلا إذا لم يجد، فإنه يكافئه بالدعاء، وأجزأه إن علم أنه قد طابت نفسه أو لم تطب به"(٣).

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "مقابلة الحسنة بمثلها عدل واجب، والزيادة

---

(١) القواعد الحسان في تفسير القرآن (٤٥).

(٢) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، برقم: (١٦٧٢)، والنسائي، كتاب الزكاة، باب من سأل بالله، برقم: (٢٣٤٨)، والبخاري في الأدب المفرد، باب من صنع إليه معروف فليكافئه، برقم: (٢١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٣)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه للخلاف الذي بين أصحاب الأعمش فيه"، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الأدب الفرد (٩٨)، برقم: (١٥٨).

(٣) سبل السلام (٤/ ١٧٠).

إحسان مستحب"[1].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) أيضاً: "الدعاء نوع من الجزاء على الإحسان والإساءة"[2].

وقال محمد بن عبدالوهاب (ت:١٢٠٦هـ): "الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه"[3].

وقد أشار شيخ الإسلام (ت:٧٢٨هـ) إلى الحكمة من مشروعية المكافأة؛ وذلك لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، فهو إذا أحسن إليه ولم يكافئه يبقى في قلبه نوع تأله لمن أحسن إليه، فشرع قطع ذلك بالمكافأة، فهذا معنى كلامه[4].

(١) مجموع الفتاوى (٢٩/ ٥٢١).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٩٢).

(٣) كتاب التوحيد (١٢٨).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٠٦)، وقد نقلت هذا الكلام بنصه من كتاب تيسير العزيز الحميد (٥٦٢).

۞الاستنباط الرابع عشر: (التناجي المحمود).

أخرج ابن أبي حاتم، عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿ **لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ** ﴾ [النساء: ١١٤]، من جاءك يناجيك في هذا فاقبل مناجاته، ومن جاء يناجيك في غير هذا فاقطع أنت ذلك عنه، لا تناجيه"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٢٥٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٥)، وقال الشيخ أبوإسحاق الحويني في سلسلة هذا السند في متن آخر: "وإسناده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٣١٢). وقد جاء هذا الأثر عند ابن جرير وابن أبي حاتم بنفس السند.

معنى الآية إجمالاً:

النجوى هي السّر بين الاثنين أو الجماعة، وبيّن سبحانه وتعالى أنه لا خير في كثير من نجوى الناس جميعاً إلا من أمر بصدقة، أو معروف؛ وهو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر، أو إصلاح بين الناس؛ وهو الإصلاح بين المختصمين، ثم وعد سبحانه من فعل ذلك طالباً لمرضاته بالأجر العظيم، والثواب الجزيل يوم القيامة[٢].

---

(١) الدر المنثور (٥/ ٥).

(٢) ينظر: جامع البيان (٩/ ٢٠١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة

وذلك لأن الله سبحانه نفى الخير عن كثير من نجواهم، فدل مفهوم الصفة على أن قليلاً من نجواهم فيه الخير، إذ لا يخلو حديث الناس من تناج فيما فيه نفع، فحصل من مفهوم الصفة ومفهوم الاستثناء قسمان من النجوى يثبت لهما الخير، ومع ذلك فهما قليل من نجواهم، والاستثناء مبين في ثلاثة أمور: الصدقة، والمعروف، والإصلاح بين الناس، وهذه الثلاثة لو لم تذكر لدخلت في القليل من نجواهم الثابت له الخير بمفهوم الصفة، فبقي ما عدا ذلك من نجواهم؛ وهو الكثير موصوفاً بأن لا خير فيه(١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الصراحة من أفضل الأخلاق لدلالتها على ثقة المتكلم برأيه، وعلى شجاعته في إظهار ما يريد إظهاره من تفكيره، فلا يصير إلى المناجاة إلا في أحوال قليلة يناسبها إخفاء الحديث، فمن يناجي في غير تلك الأحوال رمي بأن شأنه ذميم، وحديثه سقيم(٢).

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾[المجادلة: ٩].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٥/ ١٩٩-٢٠٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٥/ ١٩٩).

قال نجم الدين الطوفي (ت:٧١٦هـ) في قوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾[النساء: ١١٤]:"عام في نفي الخير فيه، خص بالاستثناء المذكور"(١).

وقال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "نفى الخير عن كثير مما يتناجى الناس به إلا في الأمر بالمعروف، وخص من أفراده الصدقة، والإصلاح بين الناس؛ لعموم نفعها، فدل ذلك على أن التناجي بذلك خير"(٢).

وقال الأمير الصنعاني (ت:٨٥٢هـ): "واعلم أن فضول الكلام لا تنحصر، بل المهم محصور في كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[النساء: ١١٤]، وآفاته لا تنحصر"(٣).

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير؛ فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه"(٤).

وقال البقاعي (ت:٨٥٥هـ): "فقد بيّن سبحانه وتعالى أن غير المستثنى من التناجي لا خير فيه، وكل ما انتفى عنه الخير كان مجتنباً"(٥).

وقال الرازي (ت:٦٠٤هـ): "وأمرهم أن يتناجوا بالبِر الذي يضاد العدوان،

(١) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (٢/ ٤٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٢).

(٣) سبل السلام (٤/ ١٨١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٢٠٢).

(٥) نظم الدرر (٢/ ٣١٧).

وبالتقوى؛ وهو ما يتقي به من النار من فعل الطاعات وترك المعاصي، واعلم أن القوم متى تناجوا بما هذه صفته قلّت مناجاتهم؛ لأن ما يدعو إلى مثل هذا الكلام يدعو إظهاره، وذلك يقرب من قوله: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[النساء: ١١٤]، وأيضاً فمتى عُرِفت طريقة الرجل في هذه المناجاة لم يتأذ من مناجاته أحد"[١].

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "وقد ظهر من نهي النبي ﷺ: (أن يتناجى اثنان دون ثالث)[٢]، أن النجوى تبعث الريبة في مقاصد المتناجين، فعلمنا من ذلك أنها لا تغلب إلا على أهل الريب والشبهات، بحيث لا تصير دأباً إلا لأولئك، فمن أجل ذلك نفى الله الخير عن أكثر النجوى"[٣].

---

(١) التفسير الكبير (٢٩/ ٢٣٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب لا يتناجى اثنان دون الثالث، برقم: (٥٩٣٠)، ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، برقم: (٢١٨٣).

(٣) التحرير والتنوير (٥/ ١٩٩).

۞الاستنباط الخامس عشر: (الحب في الله).

أخرج أبوعبيد، وابن المنذر، وأبوالشيخ، والبيهقي في الشعب واللفظ له، عن ابن عباس قال: "قرابة الرحم تُقطع، ومنَّة المنعم تُكفر، ولم نر مثل تقارب القلوب، يقول الله: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾[الأنفال: ٦٣]"(١).

تخريجه:

أخرجه عبدالرزاق في المصنف (١١/ ١٧١)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠١)، برقم: (٢٦٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٣٣٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٩)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وصحح الألباني سنده في صحيح الأدب المفرد (١١٥)، برقم: (١٩٨).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر جل ثناؤه أنه ألف بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج فاجتمعوا وائتلفوا، ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة الله، ثم يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: لو أنفقت يا محمد ما في الأرض جميعاً ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك، ولكن الله جمعها على الهدى فائتلفت واجتمعت، تقوية من الله لك وتأييداً منه، ومعونة على عدوك، ثم أخبر سبحانه أنه عزيز الجناب، فلا يخيب رجاء من توكل عليه، حكيم في أفعاله وأحكامه(٢).

---

(١) الدر المنثور (٧/ ١٩٠).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٤/ ٤٥)، تيسير الكريم الرحمن (٣٢٥).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى أمتنّ على المسلمين بجمع الكلمة، وتأليف القلوب، وإذهاب الضغائن التي كانت بينهم بالإسلام، وهذا لم يحصل من قبل بوشائج النسب، فلا يقدر على تقليب القلوب إلا الله تعالى، فأخذ بدلالتها على أنه لا يوجد سبب للتحاب والتآلف كأخوة الإيمان، إذ هي من أعظم الروابط، وأوثق العرى.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الحب والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، ومن أعظم نعم الله على عباده أن ألف بين قلوبهم.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[آل عمران: ١٠٣].

وفي السنة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: (أي عُرى الإيمان أظنّه قال: أوثق، قال: الله ورسوله أعلم، قال: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله)(١).

قال القشيري (ت:٤٦٥هـ): "وهو الذي ألف بين قلوبهم المختلفة، فجمعها على الدين، وإيثار رضاء الحق، ولو كان ذلك بحيل الخلق ما انتظمت هذه الجملة، ولو أبلغت بكل ميسور من الأفعال، وبذلت كل مستطاع من المال لما وصلت

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١١٥٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٧٦)، وقال محققه: "إسناده ضعيف"، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٤٩٧)، برقم: (٢٥٣٩).

إليه"[١].

وقال نجم الدين الطوفي (ت:٧١٦هـ): "واعلم أن الحق سبحانه وتعالى لما كان هو الواحد بالحقيقة، والوحدة من خواصه كانت قوته وبطشه في وحدته، فلا يحتاج إلى تكثير من قلة، ولا تقوية من ضعف، والخلق لما كان التعداد والكثرة والتراكيب من لوازمهم، كانت قوتهم في اجتماعهم وكثرتهم، وشرط اجتماعهم اتفاقهم، واتفاقهم إنما يكون بميل القلوب بعضها إلى بعض، وقد سبق أن الله ﷻ هو المتصرف في القلوب بخلق الدواعي والصوارف، وأنه يحول بين المرء وقلبه، فكان أمر الله تأليف القلوب وتفريقها إليه ﷻ لا إلى غيره، ثم خلق دواعي الميل والألفة، قد يكون مجرداً عن سبب، وقد يكون مبنياً على سبب؛ إما صالح كالإسلام، وظهور المعجزات في تأليف قلوب الصحابة ونحوهم من أتباع الرسل، أو فاسد كأكل الحرام ونحوه، في تأليف قطاع الطرق، ونحوهم من المفسدين"[٢].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فتحبيبه سبحانه الإيمان إلى عباده المؤمنين؛ هو إلقاء محبته في قلوبهم، وهذا لا يقدر عليه سواه، وأما تحبيب العبد الشيء إلى غيره؛ فإنما هو بتزيينه وذكر أوصافه وما يدعو إلى محبته، فأخبر سبحانه أنه جعل في قلوب عباده المؤمنين الأمرين: حبه، وحسنه الداعي إلى حبه، وألقى في قلوبهم كراهة ضده من الكفر والفسوق والعصيان، وأن ذلك محض فضله ومنّته عليهم، حيث لم يكلهم إلى أنفسهم، بل تولى هو سبحانه هذا التحبيب والتزيين وتكريه ضده،

(١) تفسير القشيري (١/ ٤٠٢).

(٢) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (٢/ ٢٦٧-٢٦٨).

فجاد عليهم به فضلاً منه ونعمة"[١].

وذكر ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) السّر الذي يجمع القلوب ويفرقها، فقال: "وسرّه أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل، والميل إلى الدنيا، حصل التنافس وفشا الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق، ورفضت الدنيا والباطل، وأقبلت على الله، اتحدت وجهتها، فذهب التنافس، وقلّ الخلاف، وحسن التعاون والتعاضد، واتسع نطاق الكلمة"[٢].

وفي قصة الأنصار ﷺ مع رسول ﷺ يوم حُنين لما قسم الغنائم ولم يعطهم فوجدوا عليه، فقال ﷺ: (يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي،...)[٣].

قال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) تعليقاً على هذا الحديث: "وقد رتب ﷺ ما منّ الله عليهم على يده من النعم ترتيباً بالغاً؛ فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنى بنعمة الآلفة، وهي أعظم من نعمة المال؛ لأن الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بعاث وغيرها،...، فزال ذلك كله بالإسلام"[٤].

وقال محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ): "لا يوجد سبب للتوحيد والتعاون

---

(١) شفاء العليل (٥٧).

(٢) مقدمة ابن خلدون (١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، برقم: (٤٠٧٥)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم، برقم: (١٠٦١).

(٤) فتح الباري (٨/ ٥٠).

بين البشر كالتآلف والتحاب، ولا يوجد سبب للتحاب والتآلف كأخوة الإيمان،...، وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء"[1].

(١) تفسير المنار (١٠/ ٦٢).

۞الاستنباط السادس عشر: (الإنصاف في الحكم على الناس).

أخرج أبوالشيخ، عن ابن سيرين، قال: "إذا تلا أحدكم هذه الآية: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾[التوبة: ٩٧]، فلْيَتْلُ الآية الأخرى ولا يسكت: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾[التوبة: ٩٩]"[1].

تخريجه:

لم أجد من ذكر هذا الأثر في ما وقفت عليه من كتب.

معنى الآيتين إجمالاً:

يخبر تعالى أن سكان البادية أشد كفراً ونفاقاً من الحاضرة، الذين فيهم كفر ونفاق، وذلك أنهم بعيدون عن معرفة الشرائع الدينية، والأعمال والأحكام، فهم أحرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ من أصول الإيمان، وأحكام الأوامر والنواهي، بخلاف الحاضرة، فإنهم أقرب لأن يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ، ويجالسون أهل الإيمان، ويخالطونهم أكثر من أهل البادية، فلذلك كانوا أحرى للخير من أهل البادية.

وبيّن سبحانه في الآية الثانية أنه ليس الأعراب كلهم مذمومين، بل منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر، فيسلم بذلك من الكفر والنفاق، ويعمل بمقتضى الإيمان، ويحتسب نفقته، ويقصد بها وجه الله تعالى والقرب منه، ويجعلها وسيلة إلى دعاء الرسول ﷺ لهم، وتبريكه عليهم، فسيدخلهم في جملة عباده الصالحين، ويغفر

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٤٩١).

لهم ويرحمهم[(١)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

وذلك أن الله تبارك وتعالى ذمّ بعض الأعراب ومدح بعضهم، فمن الإنصاف الوقف على تمام الحديث عن القسمين، وعدم الوقف على ذمّ الأعراب؛ لأن الوقف عليه ظلم للقسم الثاني.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الإنصاف خلق عزيز، حث عليه الإسلام، واتصف به الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين.

وجاء في كتاب الله كثيراً من الآيات تدل على هذا المعنى، فبعد أن يذكر الله فساد الأمم السابقة، وما فعلوه برسلهم، يذكر ما فيهم من خير ولو كان قليلاً إنصافاً لهم.

فعندما تحدث الله عن جرائم أهل الكتاب، وفسادهم في الأرض، قال بعدها إنصافاً لمن لا يشاركهم في ضلالهم وطغيانهم: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[آل عمران: ١١٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٩]".

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٤٩).

وأمر الله عباده بالإنصاف حتى مع الأعداء، فقال ﷻ: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[المائدة: ٨].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأوّل من أهل الإيمان! فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالماً له، فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا، فإن الشيطان موكل ببني آدم، وهو يعرض للجميع، ولا يسلم أحد من مثل هذه الأمور، دع ما سواها من نوع تقصير في مأمور، أو فعل محظور باجتهاد أو غير اجتهاد، وإن كان هو الحق"(١).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "أهل العدل والإنصاف الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته"(٢).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) أيضاً: "الإنصاف في معاملة الله: فأن يعطي العبودية حقها، وأن لا ينازع ربه صفات إلهيته التي لا تليق بالعبد ولا تنبغي له، من العظمة والكبرياء والجبروت، ومن إنصافه لربه أن لا يشكر سواه على نعمه وينساه، ولا يستعين بها على معاصيه، ولا يحمد على رزقه غيره، ولا يعبد سواه،...، وأما الإنصاف في حق العبيد: فأن يعاملهم مثل ما يحب أن يعاملوه به"(٣).

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "العدل في الحكم، وأداء الشهادة بالحق،

---

(١) الاستقامة (١/ ٣٨).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٠).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٦٣).

هو قوام صلاح المجتمع الإسلامي، والانحراف عن ذلك ولو قيد أنملة يجر إلى فساد متسلسل"(١).

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "ومن أعظم أنواع القسط: القسط في المقالات والقائلين، فلا يحكم لأحد القولين، أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله لأحدهما، بل يجعل وجهته العدل بينهما، ومن القسط أداء الشهادة التي عندك على أي وجه كان، حتى على الأحباب، بل على النفس"(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (٥/ ٢٢٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢٠٨).

۞الاستنباط السابع عشر: (وجوب الصدق).

أخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عدي، وأبوالشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان، عن عبدالله بن مسعود قال: "لا يصلح الكذب في جدٍّ ولا هزلٍ، ولا أن يعد أحدكم صبيَّه شيئاً ثم لا ينجزه، اقرأوا إن شئتم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة: ١١٩] - قال: وهي في قراءة عبدالله هكذا- قال: فهل تجدون لأحد رخصة في الكذب"[1].

تخريجه:

أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٢٩٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٣٦)، والبخاري في الأدب المفرد (١٤٠)، برقم: (٣٨٧)، وابن جرير (١٤/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٠٦)، وابن عدي في الكامل (١/ ٢٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٤٢-٤٤٣)، وقال محققه: "إسناده رجاله ثقات، ولكن فيه انقطاع)، وبيّن الشيخ حكمت بشير الانقطاع؛ وهو أن أبا عبيد لم يسمع من ابن مسعود ﷺ. ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٦٩)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٥٣)، برقم: (٢٩٩).

معنى الآية إجمالاً:

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالقيام بما يقتضيه الإيمان؛ وهو القيام بتقواه، وذلك بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ولزوم الصدق في الأقوال، والأفعال،

(١) الدر المنثور (٧/ ٥٨٢).

والأحوال[١]، وقد نزلت هذه الآية في قصة الثلاثة الذين خلفوا، وقد سبق ذكرها في الاستنباط الثالث عشر في فصل الابتلاء.

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة.

وذلك أن الله أمر عباده المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين، ومن توابع ذلك فاصدقوا كما يصدق الصادقون، ودل مفهوم الصفة على النهي عن الكذب في كل الأحوال، والبعد عن الكاذبين.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أمر الله بالصدق ومدح الصادقين، ونهى عن الكذب وذم الكاذبين، وأخبر أن الصدق ينفع أهله في الدنيا والآخرة، وأن الكذب يضر أهله في الدارين.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)[٢]، وحديث عبدالله بن عامر ﷺ أنه قال دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك،

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾[التوبة: ١١٩]، برقم: (٥٧٤٣)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم: (٢٦٠٧).

فقال لها رسول الله ﷺ: (وما أردت أن تعطيه، قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة)(١).

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فالكذب أصل للشر، وأعظمه الكذب على الله ﷻ، والصدق أصل للخير، وأعظمه الصدق على الله تبارك وتعالى"(٢).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فكل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤه الصدق، وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب، والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يقعده ويثبطه عن مصالحه ومنافعه، ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدها ومضارهما بمثل الكذب"(٣).

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "الصدق خصلة محمودة، ولهذا كان بعض الصحابة ﷺ لم تجرب عليهم كذبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام، وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمارة على النفاق، ومن صدقا نجا"(٤).

قال السيوطي (ت:٩١١هـ): "فيه [يقصد: الآية] الأمر بالصدق في كل قول، وعلى كل حال، وقد استدل به من لم يبح الكذب في موضع من المواضع لا تصريحاً ولا تعريضاً"(٥).

(١) أخرجه أبوداود، كتاب الأدب، باب التشديد في الكذب، برقم: (٤٩٩١)، وحسنه الألباني في سنن أبي داود (٣/ ٢٢٦).

(٢) الجواب الصحيح (١/ ١٢٨).

(٣) الفوائد (١٣٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٩٢).

(٥) الإكليل (١٤٥).

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "الأمر بكونوا مع الصادقين أبلغ في التخلق بالصدق من نحو: اصدقوا"(١).

الحالات التي يرخص فيها الكذب:

جاء من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيراً، وينمي خيراً)، قال بن شهاب: "ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها"(٢).

قال ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ): "وأما الرخصة في الكذب في هذه الأماكن الثلاثة، فاعلم أن الكذب ليس حراماً لعينه، بل لما فيه من الضرر، والكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن أن يتوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً فالكذب فيه حرام، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق، فالكذب فيه مباح إذا كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً، وواجب إذا كان المقصود واجباً، كما لو رأى رجلاً يسعى وراء رجل بسيف ليضربه وهو يعلم أنه ظالم، فسأله: هل رأيته؟ فإنه يجب عليه أن يقول: لا؛ لئلا يعين على سفك دم مسلم، وإذا لم يتم مقصود حرب أو إصلاح ذات بين واستمالة قلب المجني عليه إلا بكذب فذلك مباح، إلا

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، برقم: (٢٥٤٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، برقم: (٢٦٠٥)، وقول ابن شهاب أورده الإمام مسلم فقط بعد الحديث مباشرة.

أنه ينبغي أن يحترز عنه، ويوري بالمعاريض مهما أمكن، ويتبع هذه المواضع الثلاثة أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكر، ويسأله عن فاحشة بينه وبين ربه ﷻ فله أن ينكر، وإنما قلنا هذا؛ لأن المحذور الذي يحصل بالصدق أشدّ وقعاً في الشرع من الكذب، وإن كان المقصود أهون من مقصود الصدق وجب الصدق، وقد يتقابل الأمران فالميل حينئذ إلى الصدق أولى؛ لأن الكذب إنما أبيح لضرورة أو حاجة مهمة، فإذا شك في كونها مهمة فالأصل التحريم"[1].

(١) كشف المشكل (٤/ ٤٥٩-٤٦٠).

۞الاستنباط الثامن عشر: (وجوب اتقان العمل).

أخرج أبوالشيخ، عن ابن المبارك قال: "لو أن رجلاً اتقى مائة شيء ولم يتق شيئاً واحداً لم يكن من المتقين، ولو تورَّع من مائة شيء ولم يتورَّع من شيء واحداً لم يكن ورعاً، ومن كان فيه خَلَّةٌ من الجهل(١) كان من الجاهلين، أما سمعت إلى ما قال نوح ﷺ: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾[هود: ٤٥]، قال الله: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾[هود: ٤٦]"(٢).

تخريجه:

أخرجه أبونعيم في الحلية (٨/ ١٦٧)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ١٣٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٩)، وقال: "إسنادها لا يصح، وقد تقدم عن ابن المبارك خلاف هذا، وأن الاعتبار بالكثرة(٣)".

معنى الآية إجمالاً:

هذا سؤال استعلام من نوح ﷺ عن حال ولده الذي غرق، ظنّاً منه أن الوعد لعموم أهله؛ من آمن ومن لم يؤمن، ثم فوض الأمر لحكمة الله البالغة، فبيّن الله لنوح أن الموعود بنجاته من آمن من أهلك، وولدك ليس منهم؛ لكفره، فلا تسألنّ ما لا تعلم عاقبته، إني أعظك وعظاً تكون به من الكاملين، وتنجو به من صفات الجاهلين، فحينئذ ندم نوح ﷺ ندامة شديدة على ما صدر منه، وسأل الله المغفرة

---

(١) مراده بالخلَّة من الجهل: الإصرار عليها. سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٩).

(٢) الدر المنثور (٨/ ٨٠).

(٣) يقصد: قوله: "إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ عن المحاسن لم تذكر المحاسن". سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٨).

والرحمة[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن نوحاً ﷺ كان أعلم أهل الأرض في زمانه لما أعطاه الله من العلم والدين والرسالة، ولما سأل الله عن حال ولده الذي غرق ظناً منه أنه من أهله الموعود بنجاتهم، فبيّن الله له أن ابنه كافر قد سبق عليه القول، ثم حذر الله نوحاً أن يكون من الجاهلين بسؤاله عما لا علم له به، مع علمه ومكانته، فدل مفهومها على سلب الصفة عن من لم يأتي بجميع شعبها.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

إن كان مراده من هذا الاستنباط: أن من ترك شعبة من شعب أي صفة انتفت عنه هذا الصفة بالكلية، فلا يوافق على هذا المعنى، وهو مثل قول الخوارج في مرتكب الكبيرة، فهم ينفون عنه الإيمان كلياً، ويرون أنه كافر مخلد في النار[2].

وليس في هذا الآية وصف لنوح ﷺ بالجهل، بل تحذيراً له أن تكون فيه صفة من صفات الجاهلين؛ وهي سؤال ما ليس له به علم[3].

وإما إن كان مراده: أن من ترك شعبة من شعب أي صفة، نقص من كمالها بقدر نقصه منها، فهذا المعنى صحيح.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٥٢)، تيسير الكريم الرحمن (٣٨٢).

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق (٩٧)، تفسير القرطبي (٥/ ٣٨٦)، منهاج أهل السنة (٢/ ٣٠٢).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٦).

ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾[المدثر: ٣١]، وذلك أن الإيمان قابل للزيادة، فدل على أنهم لم يبلغوا كمال الإيمان وتمامه، ومع ذلك لم ينف الله عنهم الإيمان.

وكذلك من فعل محرماً أو ترك واجباً، فهو مؤمن ناقص الإيمان، ينقص إيمانه بقدر نقصان شعب الإيمان وتركه لها، فالإيمان لا ينتف بالكلية عنه، بل ينقص من كماله بقدر ما نقص منه(١).

ويؤيده من السنة ما جاء في قصة أبي ذر ﷺ عندما عير أحد إخوانه بأمه، فشكاه إلى النبي ﷺ، فلقيه النبي ﷺ، فقال له: (يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية، قلت: يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه، قال يا أبا ذر: إنك امرؤ فيك جاهلية)(٢).

قال العيني (ت:٨٥٥هـ): "إنك في تعيير أمه على خلق من أخلاق الجاهلية، ولست جاهلاً محضاً"(٣).

وقال النووي (ت:٦٧٦هـ): "فيك جاهلية؛ أي: هذا التعيير من أخلاق الجاهلية، ففيك خلق من أخلاقهم، وينبغي للمسلم أن لا يكون فيه شيء من أخلاقهم، ففيه النهي عن التعيير، وتنقيص الآباء والأمهات، وأنه من أخلاق

---

(١) ينظر: اعتقاد أهل السنة (١/ ١٦٢)، مجموع الفتاوى (٧/ ٣٥٤-٣٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، برقم: (٣٠)، ومسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، برقم: (١٦٦١).

(٣) عمدة القاري (١/ ٢٠٤).

الجاهلية"[١].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فيك جاهلية؛ ذم لتلك الخصلة، فلولا أن هذا الوصف يقتضي ذم ما اشتمل عليه لما حصل به المقصود، وفيه أن التعيير بالأنساب من أخلاق الجاهلية، وفيه أن الرجل مع فضله وعلمه ودينه، قد يكون فيه بعض هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه"[٢].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "من بقيت فيه خصلة من خصال الجاهلية، سوى الشرك لا يخرج عن الإيمان بها، سواء كانت من الصغائر أم الكبائر"[٣].

الراجح:

لا يصح هذا الاستنباط على المعنى الأول لعدة أمور:

الأول: عدم صحة السند.

الثاني: نقل عن ابن المبارك ما يخالف هذا الأثر.

الثالث: نفي الصفة بالكلية عمن نقص جزءاً من أجزائها، وهذا مخالف لدلالة الكتاب والسنة.

وأما على المعنى الثاني: فيصح هذا الاستنباط معنى لا سنداً.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ١٣٢).

(٢) اقتضاء الصراط (٧٥).

(٣) فتح الباري (١/ ٨٥).

۞**الاستنباط التاسع عشر: (وجوب التأسي بالصالحين).**

أخرج ابن جرير، عن ابن إسحاق[١] في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾[يوسف: ٧]، قال: "إنما قصَّ الله على محمد ﷺ خبر يوسف وبغي إخوته عليه، وحسدهم إيَّاه، حين ذكر رُؤْياه، لَمَا رأى رسولُ الله ﷺ من بغي قومه عليه، وحسدِهم إيَّاه، حين أكرمه الله بنبوَّتِه؛ ليتأسَّى به"[٢].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٥٦٢)، وقال الشيخ حكمت بشير في سلسلة رجال هذا السند في متن آخر: "وفي سنده ابن حميد؛ وهو محمد بن حميد الرازي ضعيف". تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٥٦)

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى أن في قصة يوسف عليه السلام وإخوته عِبر وأدلة على كثير من المطالب الحسنة لكل من سأل عنها، بلسان الحال، أو بلسان المقال، فإن السائلين هم الذين ينتفعون بالآيات والعبر، وأما المعرضون فلا ينتفعون بالآيات، ولا بالقصص[٣].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

(١) محمد بن إسحاق بن يسار، أبوبكر المطلبي، إمام المغازي، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، توفي سنة (١٥٠). ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ١٩١)، تقريب التهذيب (٤٦٧).

(٢) الدر المنثور (٨/ ١٨٦).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٩٤).

وذلك أن الله تبارك وتعالى بيّن في سورة يوسف ﷺ ما لقيه يوسف ﷺ من إخوته من الأذى والحسد، فصبر على ما لقيه من إخوته فكانت له العاقبة الحميدة، وقد أُذي النبي ﷺ من قومه وحسدوه، وعذبوا أصحابه، فكان في قصة يوسف ﷺ تسلية وتثبيت للنبي ﷺ وأتباعه؛ لأن التأسي يسهل المصيبة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

ذكر الله ﷻ قصص الأنبياء عليهم السلام تسلية للنبي ﷺ، وتثبيت لفؤاده لما كان يلقى من عناد الكفار وتكذيبهم له.

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[هود: ١٢٠].

قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى: وكل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين، كل هذا مما نثبت به فؤادك يا محمد؛ أي قلبك؛ ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة"(١).

وقال ﷻ: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ) في تفسير هذه الآية: "أمر تعالى رسوله أن يصبر

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٨٦).

على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعياً لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين، سادات الخلق، أولي العزائم، والهمم العالية، الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم، والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم"(١).

وجاء في السنة ما يدل على تأسي النبي ﷺ بمن قبله من الأنبياء عليهم السلام، مثل: حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قسم رسول الله ﷺ قسمة، فقال رجل من الأنصار: والله ما أراد محمد بهذا وجه الله، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فتمعر وجهه، وقال: (رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر)(٢).

قال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "وفيه أن أهل الفضل قد يغضبهم ما يقال فيهم مما ليس فيهم، ومع ذلك فيتلقون ذلك بالصبر والحلم، كما صنع النبي ﷺ اقتداء بموسى عليه السلام"(٣).

وقال الشاطبي (ت:٧٩٠هـ): "وبالجملة؛ فحيث ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام كنوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وهارون، فإنما ذلك تسلية لمحمد عليه الصلاة والسلام، وتثبيت لفؤاده، لما كان يلقى من عناد الكفار وتكذيبهم له على أنواع مختلفة، فتذكر القصة على النحو الذي يقع له مثله، وبذلك اختلف مساق القصة الواحدة بحسب اختلاف الأحوال، والجميع حق واقع لا إشكال في صحته، وعلى حذو ما تقدم من الأمثلة يحتذي في النظر في القرآن لمن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٨٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه، برقم: (٥٧١٢).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٥١٢).

أراد فهم القرآن"[١].

وفى قصص الأنبياء عليهم السلام أسوة وعبرة لأتباعهم، فلا ييأسوا إذا ابتلوا، فقد ابتلي من هو خير منهم، وكانت العاقبة إلى خير[٢].

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فإن العاقل اللبيب يرضى أن يكون له أسوة برسل الله وأنبيائه، وأوليائه وخاصته من خلقه، فإنهم أشد الخلق امتحاناً بالناس، وأذى الناس إليهم أسرع من السيل في الحدور، ويكفي تدبر قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم، وشأن نبينا وأذى أعدائه له بما لم يؤذه من قبله، وقد قال له ورقة بن نوفل: "لتكذبنّ ولتخرجنّ ولتؤذينّ"، وقال له: "ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي"[٣]، وهذا مستمر في ورثته كما كان في مُورِثهم، أفلا يرضى العبد أن يكون له أسوة بخيار خلق الله، وخواص عباده: (الأمثل فالأمثل)[٤]، ومن أحب

---

(١) الموافقات (٤/ ٢٧٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٧٨).

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به الرسول ﷺ من الوحي، برقم: (٦٥٨١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى الرسول ﷺ، برقم: (١٦٠).

(٤) يشير إلى حديث مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء، قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة). أخرجه الترمذي واللفظ له، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم: (٢٣٩٨)، والنسائي، كتاب الطب، باب الطب، برقم: (٧٤٨١)، وابن ماجة، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم: (٤٠٢٣). قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وقال الحاكم: "وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين" المستدرك (١/ ٩٩)، ووافقه الذهبي.

معرفة ذلك فليقف على محن العلماء، وأذى الجهال لهم"[1].

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٢٣).

۞الاستنباط العشرون: (الشكوى لله وحده).

أخرج ابن جرير، عن طلحة بن مصرف الأيامي[١]، قال: "ثلاثة لا تذكرهنّ، واجتنب ذكرهنّ؛ لا تشك مرضك، ولا تشك مصيبتك، ولا تزكِّ نفسك، قال: وأنبئت أن يعقوب عليه السلام دخل عليه جار له، فقال: يا يعقوب ما لي أراك قد انهشمت وفنيت، ولم تبلغ من السنِّ ما بلغ أبوك؟ قال: هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من همِّ يوسف وذكره، فأوحى الله إليه: يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا ربِّ خطيئة أخطأتها فاغفرها لي، قال: فإني قد غفرت لك، فكان بعد ذلك إذا سُئل قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف: ٨٦][٢].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ٢٢٨)، والقصة المذكورة في هذا الاستنباط من الإسرائيليات المنكرة. وأخرج الطبراني هذه القصة مرفوعة عن أنس بن مالك بألفاظ مقاربه لهذا الأثر في المعجم الأوسط (٦/ ١٧١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٨٥)، قال الخطيب: "هذا حديث باطل، لا يحفظ بوجه من الوجوه عن رسول الله ﷺ". الفصل للوصل المدرج (٢/ ٧٩٦)، وعدّه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٣٥)، وقال ابن كثير: "وهذا حديث غريب فيه نكارة". تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٨)، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني في الصغير والأوسط، عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي البصري؛ وهو

---

(١) طلحة بن مصرف بن كعب اليامي، أبوعبدالله ، تابعي ثقة قارئ، توفي سنة (١١٢هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٤/ ٤٧٣)، تقريب التهذيب (٢٨٣).

(٢) الدر المنثور (٨/ ٣١٠).

ضعيف جداً". مجمع الزوائد (٧/ ٤٠)، وقال الألباني: "منكر،...، ففي الإسناد اضطراب وجهالة،...، والأشبه عندي أنه من الإسرائيليات، وهِم في رفعه بعض الرواة" السلسلة الضعيفة (١٤/ ٨٨٦)، برقم: (٦٨٨٠).

يضاف إلى ما سبق أن سياق الآية يخالف مضمون هذا الأثر، فإن أولاد يعقوب عليه السلام عندما لاموه على كثرة ذكر يوسف عليه السلام، أجابهم يعقوب عليه السلام راداً عليهم أني لست ممن يجزع ويضجر فيستحق التعنيف، وإنما أشكو إلى الله، ولا تعنيف في ذلك[1]، وأيضاً قول يعقوب عليه السلام قبلها: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾[يوسف: ١٨]، أي: صبراً جميلاً، سالماً من السخط والتشكي إلى الخلق، وأستعين الله على ذلك، لا على حولي وقوتي[2]، فهذا يدل على أن يعقوب يعقوب لم يشكو إلى أحد من الخلق.

معنى الآية إجمالاً:

يقول يعقوب عليه السلام إنما أشكو ما بي من الهمّ، والحزن الذي أصابني بفقد يوسف وأخيه عليهما السلام إلى الله وحده لا إليكم، ولا إلى غيركم من الخلق، فقولوا ما شئتم، وأعلم من الله ما لا تعلمون من أنه سيردهما عليّ، ويقرّ عيني بالاجتماع بهما[3].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٣).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٩٥).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٠٤).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة.

لأن يعقوب ﷺ أخبر أنه يشكو همه وحزنه إلى الله وحده، فدل مفهوم الحصر على أن الشكوى لا تكون إلا لله تعالى، وأن الشكوى للمخلوق تنافي الصبر الجميل.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الله تعالى يبتلي عبده ليسمع شكواه وتضرعه، وقد ذم سبحانه الذين لا يتضرعون إليه عند نزول البلاء.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى عن نبيه موسى ﷺ: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[القصص: ٢٤]، وقال تعالى عن نبيه أيوب ﷺ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[الأنبياء: ٨٣].

وجاء في السنة من حديث عبدالله بن جعفر قال لما توفي أبوطالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه، فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فانصرف فأتى ظل شجره فصلى ركعتين، ثم قال: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس،...)[(١)].

قال ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ): "الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما المذموم

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء (٣١٥)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني؛ وفيه ابن إسحاق؛ وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات". مجمع الزوائد (٦/ ٣٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (١٦٧)، برقم: (١١٨٢)، والحديث مشهور في السيرة.

الشكوى إلى الخلق"[١].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "والصبر واجب بالاتفاق، ولا يلزم الرضا بمرض وفقر وعاهة،...، والصبر الجميل تنافيه الشكوى إلى المخلوق لا إلى الخالق؛ بل هي مطلوبة بإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام: ٤٢]، إلى غير ذلك من الآيات"[٢].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "الجاهل يشكو الله إلى الناس، وهذا غاية الجهل بالمشكو والمشكو إليه، فإنه لو عرف ربه لما شكاه، ولو عرف الناس لما شكا إليهم"[٣].

والشكوى نوعان:

النوع الأول: الشكوى إلى الله، وهي لا تنافي الصبر؛ لأن الشكوى لله استعطاف، واسترحام له.

النوع الثاني: شكوى المبتلى بلسان الحال والمقال للناس؛ فهذه لا تجتمع مع الصبر، بل تضاده وتبطله؛ وهي مذمومة[٤].

والفرق بين الإخبار بالحال والشكوى:

الإخبار بالحال: يقصد المخبر به قصداً صحيحاً، وهو أن يسأل شخصاً قادراً على فعل شيء أن يفعله؛ كالطبيب يصف له دواء.

---

(١) زاد المسير (٥/ ٣٧٨).

(٢) الفتاوى الكبرى (٤/ ٤٤٣).

(٣) الفوائد (٨٧).

(٤) ينظر: عدة الصابرين (٩-١٠)، الروح (٢٥٩).

ولعل من هذا قول النبي ﷺ لما قالت عائشة رضي الله عنها: (وارأساه، فقال: بل أنا وارأساه)(١).

وأما الشكوى: فهي الإخبار العاري عن القصد الصحيح، بل يكون مصدره السخط، وشكاية المبتلى إلى غيره(٢).

وأما تزكية النفس فقد جاء النهي صريحاً عنه بمنطوق القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾[النجم: ٣٢].

وذكر محاسن النفس ضربان: مذموم ومحبوب

فالمذموم: أن يذكره للافتخار، وإظهار الارتفاع، والتميز على الأقران، وشبه ذلك.

والمحبوب: أن يكون فيه مصلحة دينية؛ وذلك بأن يكون آمراً بمعروف، أو ناهياً عن منكر، أو مصلحاً بين اثنين، أو يدفع عن نفسه شراً، أو نحو ذلك.

وقد جاء هذا المعنى في كثير من النصوص، كحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع)(٣)، وقال يوسف عليه السلام: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾﴾[يوسف: ٥٥]، وقال شعيب عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾[القصص:٢٧](٤).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع، برقم: (٥٣٤٢).

(٢) ينظر: الروح (٢٥٨-٢٥٩).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الرؤيا، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، برقم: (٢٢٧٨).

(٤) ينظر: الأذكار (٢١٩).

ولعل السّر في الجمع عن النهي عن الشكوى مع النهي عن تزكية النفس في هذا الاستنباط: أن الشكوى للخلق تدل على عدم الرضا، والتسخط على قضاء الله وقدره، وقلة الصبر، وأن تزكية النفس تدل الغرور بالنفس، وترفعها على غيرها، وعجبها بعملها، وكفر نعمة الله عليها، فناسب أن يذكرها مع النهي عن الشكوى، فهذا أصابته المصيبة فلم يصبر، وشكى للخلق، والآخر أصابته النعمة فلم يشكر المنعم، وتعال على خلقه.

۞الاستنباط الحادي والعشرون: (عفو يوسف ﷺ).

أخرج ابن أبي حاتم، عن أبي عمران الجوني في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[يوسف: ٩٢]، قال: "أما والله ما سمعنا بعفو قط مثل عفو يوسف"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٥)، وسنده حسن[(٢)].

معنى الآية إجمالاً:

قال يوسف ﷺ لإخوته لا تأنيب عليكم، ولا عتب عليكم اليوم، ولكن لكم عندي الصفح والعفو، ودعا لهم أن يغفر الله لهم ذنبهم فيما أتوا إليه، والله أرحم

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٣٢٣).

(٢) رجال الإسناد:

١- عبدالملك بن حبيب الأزدي، أبوعمران الجوني، مشهور بكنيته، ثقة، توفي سنة (١٢٨هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٥/ ٣٤٦)، تقريب التهذيب (٣٦٢).

٢- جعفر بن سليمان الضبعي، أبوسليمان البصري، صدوق زاهد لكنه كان يتشيع، توفي سنة (١٧٨هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ٤٨١)، تقريب التهذيب (١٤٠).

٣- سيار بن حاتم العنزي، أبوسلمة البصري، صدوق له أوهام، توفي سنة (٢٠٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٤/ ٢٥٧)، تقريب التهذيب (٢٦١).

٤- عبدالله بن أبى زياد القطواني، أبوعبدالرحمن الكوفي، صدوق، توفي سنة (٢٥٥هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٤/ ٢٥٧)، تقريب التهذيب (٢٦١).

٥- محمد بن إدريس الرازي، أبوحاتم ثقة، تقدم ذكره في الاستنباط الثاني والعشرين في الفصل الأول.

الراحمين لمن تاب من ذنبه، وأناب إلى طاعته[(١)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن يوسف عليه السلام ما انتقم لنفسه من ظلم إخوته له مع قدرته على ذلك، بل عفا عنهم، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وأكرم نُزلهم، فدل بالإشارة على أنه من أكمل العفو؛ لأنه عفا عنهم ودعا لهم بالمغفرة، وهذا لا يمكن أن يصدر إلا من خواص الخلق.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

العفو من مكارم الأخلاق، وصفة من صفات الأنبياء والصالحين، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ورفعة في الدنيا والآخرة.

ومما يدل على هذا المعنى أن النبي ﷺ قال مثل قول يوسف عليه السلام مع إخوانه لما فتح مكة، قال: (يا معشر قريش ما تقولون؟ قالوا نقول: ابن أخ وابن عم رحيم كريم، ثم عاد عليهم القول، قالوا: مثل ذلك، قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[يوسف: ٩٢])[(٢)].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٤٠٤).

(٢) أخرجه النسائي، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[الإسراء: ٨١]، برقم: (١١٢٩٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١١٨). وقال الألباني: "رواه ابن إسحاق معضلاً كما في ابن هشام (٢/ ٢٤٧)، وقد ذكره الغزالي في الإحياء

وقال علي ﷺ لأبي سفيان بن الحارث ﷺ: (ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١ ﴾[يوسف: ٩١]، فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولاً، ففعل ذلك أبوسفيان، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢ ﴾[يوسف: ٩٢])[١].

قال ابن جزي (ت:٧٤١هـ): "أسقط حق نفسه بقوله: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾[يوسف: ٩٢]، ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه"[٢].

وقال السعدي(ت:١٣٧٦هـ): "فسمح لهم سماحاً تاماً، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق، وخيار المصطفين"[٣].

(٣/ ١٥٨)، من حديث أبي هريرة دون قوله: "اذهبوا"، وقال الحافظ العراقي في تخريجه: "رواه ابن الحوري في الوفاء من طريق ابن أبي الدنيا وفيه ضعف، ثم ذكره الغزالي من حديث سهل بن عمرو، فقال العراقي: "لم أجده". فقه السيرة (٤١٥)، وسكت عنه ابن حجر في الكاف الشاف (٣/ ٣٢٣).

(١) أخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ١٥٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٦)، وابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٤٠٠)، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: "حديث حسن". فقه السيرة (٤٠٨).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٠٥).

❁الاستنباط الثاني والعشرون: (عظم رحمة الأنبياء عليهم السلام).

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾، قال: "الأصنام، ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[إبراهيم: ٣٦]، قال: اسمعوا إلى قول خليل الله إبراهيم، لا والله ما كانوا لعانين ولا طعانين، قال: وكان يقال: إن من أشرار عباد الله كلَّ لعان، قال: وقال نبي الله ابن مريم: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[المائدة: ١١٨]"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨/١٨). قال الشيخ أبوإسحاق الحويني في سلسلة رجال هذا السند في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/٢٨٦).

معنى الآيتين إجمالاً:

في الآية الأولى بيّن نبي الله إبراهيم عليه السلام أن كثيراً من الناس ضلوا بسبب الأصنام، فمن تبعني على ما جئت به من التوحيد والإخلاص لله رب العالمين فإنه مني؛ لتمام الموافقة، ومن أحب قوماً واتبعهم التحق بهم، ومن عصاني فإنك غفور رحيم، وهذا من شفقة الخليل عليه السلام حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله، والله تبارك وتعالى أرحم منه بعباده، لا يعذب إلا من تمرد عليه.

وفي الآية الثانية قال نبي الله عيسى عليه السلام للخالق سبحانه: إن تعذبهم فإنهم

---

(١) الدر المنثور (٨/٥٥٦).

عبادك، وأنت أرحم بهم من أنفسهم، وأعلم بأحوالهم، فلولا أنهم عباد متمردون لم تعذبهم، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، فمغفرتك صادرة عن تمام عزة وقدرة، لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة، الحكيم حيث كان من مقتضى حكمتك أن تغفر لمن أتى بأسباب المغفرة(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

وذلك أن إبراهيم عليه السلام بيّن أن من تبعه من أمته فإنه منه، ومن عصاه فوض أمره إلى رحمة الله وغفرانه؛ فهو الغفور الرحيم، ولم يحكم بالعذاب على من عصاه، وهذا من رحمة إبراهيم عليه السلام وشفقته على أمته، وفي قول عيسى بن مريم عليه السلام إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت القادر على ذلك، الحكيم في أفعالك، قاله على وجه الاستعطاف لهم والرأفة بهم، كما يستعطف السيد لعبده، ولهذا لم يقل: فإنهم عصوك، فدل الاقتران بين الآيات على اتصاف الرسل عليهم السلام بمكارم الأخلاق، ورحمتهم بأتباعهم، وحرصهم عليهم، وتنزههم عن مساوئ الأخلاق حتى مع من خالفهم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الرحمة بالخلق، والإحسان إليهم، والشفقة بهم، من أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٥٠و٤٢٧).

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾[هود: ٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء: ١٠٧].

قال ابن جزي (ت:٧٤١هـ): "والمعنى على كل وجه أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد ﷺ؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلّمهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلالة، فإن قيل: رحمة للعالمين عموم والكفار لم يرحموا به، فالجواب من وجهين: أحدهما: أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم، والآخر: أنهم رحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان والصيحة، وشبه ذلك"[(١)].

وفي السنة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: (إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة)[(٢)].

وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾[إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[المائدة: ١١٨]، فرفع يديه، وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ٣٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم: (٢٥٩٩).

فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك)[١].

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد، منها: بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته، واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم"[٢].

ومن رحمة الرسل والأنبياء أنهم كانوا حريصين على إيمان قومهم، كما أن نبينا ﷺ كان من أحرص الناس على هداية قومه[٣].

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم، برقم: (٢٠٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٧٨).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٦/ ٣٥٢).

۞الاستنباط الثالث والعشرون: (تراحم المؤمنين).

أخرج عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عساكر، عن قتادة في قوله: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ [العنكبوت: ٣٢]، قال: "لا تلقى المؤمن إلا يرحم المؤمن ويحوطه حيثما كان"(١).

تخريجه:

أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ٩٧)، وابن جرير في تفسيره (٢٠/ ٥٠٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٦)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٠/ ٣١٠)، وذكر ابن جرير هذا الأثر بعد قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ٢٦﴾[يس: ٢٦]، وبلفظ: "فلا تلقى المؤمن إلا ناصحًا، ولا تلقاه غاشاً"، وهذا أعم من اللفظ المذكور في الاستنباط؛ لأن الأول خاص بالمؤمن، وهذا عام يشمل المؤمن وغيره. وقال الشيخ حكمت بشير: "أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة". تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٣٦).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذكره قال إبراهيم ﷺ للرسل من الملائكة، إذ قالوا له: إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين - فلم يستثنوا منهم أحداً، إذ وصفوهم بالظلم - إن فيها لوطاً، وليس من الظالمين، بل هو من رسل الله، فقالت الرسل له: نحن أعلم بمن فيها من الظالمين الكافرين بالله منك، وإن لوطاً ليس منهم، بل هو كما قلتَ من أولياء الله؛ لننجينه وأهله من الهلاك الذي هو نازل بأهل قريته، إلا

(١) الدر المنثور (١١/ ٥٤٦).

امرأته فإنها هالكة مع قومه[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن إبراهيم عليه السلام لما أخبرته الرسل بأنهم جاءوا لعذاب قرية لوط؛ لأنهم كانوا ظلمين، ردّ عليهم إبراهيم عليه السلام بأن لوطاً ليس من الظالمين، بل هو من أولياء الله ورسله، فأخذ بدلالتها على أن مجادلة إبراهيم عن لوط عليهما السلام يدل على أن المؤمن يرحم المؤمن ويهتم بأمره؛ لأن الإيمان يجمعهم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

المؤمنون في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم ومصالحهم كالجسد الواحد، حيث أن الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينية والدنيوية[٢].

وجاء في كتاب الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله ﷺ ما يدل على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩].

وجاء في السنة من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٣].

قال ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ): "إنما جعل المؤمنين كجسد واحد؛ لأن الإيمان

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٠/ ٣٢).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٧٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، برقم: (٢٥٨٦).

يجمعهم كما يجمع الجسد الأعضاء، فلموضع اجتماع الأعضاء يتأذى الكل بتأذي البعض، وكذلك أهل الإيمان يتأذى بعضهم بتأذي البعض"(١).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "ولهذا كان المؤمن يسره ما يسر المؤمنين، ويسوؤه ما يسوؤهم، ومن لم يكن كذلك لم يكن منهم"(٢).

وقال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير، أو يساويه فيه؛ لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله، وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير، من غير أن ينقص عليه منه شيء"(٣).

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "وأما كونهم رحماء بينهم؛ فذلك من رسوخ أخوة الإيمان بينهم في نفوسهم"(٤).

---

(١) كشف المشكل (٢/ ٢١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٧٣).

(٣) جامع العلوم والحكم (١٢١).

(٤) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٤).

۞الاستنباط الرابع والعشرون: (أجمع آية في الحث على الخير واجتناب الشر).

أخرج البيهقي في شعب الإيمان، عن الحسن أنه قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾[النحل: ٩٠]، إلى آخرها، ثم قال: "إن الله ﷻ جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه"[1].

تخريجه:

أخرجه أبونعيم في الحلية (٢/ ١٥٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٩٥).
وقال محققه: "إسناده حسن".

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل؛ وهو القسط، ويندب إلى الإحسان، وذلك في حقوق الله تعالى، وفي حقوق المخلوقين، ويأمر بصلة الأرحام، وينهى عن الفواحش؛ وهي كل قبيح من قول أو فعل، والمعاصي، والبغي؛ وهو العدوان على الناس، يعظكم بما بيّنه لكم في كتابه بأمركم بما فيه غاية صلاحكم، ونهيكم عما فيه مضرتكم، لعلكم تذكرون ما يعظكم به فتفهمونه وتعقلونه[2].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك لأن العدل والإحسان، والفحشاء والمنكر والبغي، تدل على معاني لا

---

(١) الدر المنثور (٩/ ١٠٣).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٧٠٤)، تيسير الكريم الرحمن (٤٤٧).

تحصى من أفعال البر وضدها، فإن الألف واللام في العدل والإحسان للعموم والاستغراق فلا يبقى من دِق العدل وجله شيء إلا اندرج فيه، ولا يبقى من دِق الإحسان وجله شيء إلا اندرج في أمره بالإحسان، وكذلك الألف واللام في الفحشاء و المنكر والبغي عامة مستغرقة لأنواع الفواحش، ولِما يذكر من الأقوال والأعمال، فهذه الألفاظ على قلتها اشتملت على معان كثيرة(١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أمر الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ونهى عن مساوئ الأخلاق، وسفاسف الأمور.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بعثت بجوامع الكلم)(٢).

قال البغوي (ت:٥١٦هـ): "يعني القرآن، جمع الله سبحانه وتعالى بلطفه معاني كثيرة في ألفاظ يسيرة"(٣).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "والقرآن فيه جوامع الكلم"(٤).

ونُقِل عن عبدالله بن مسعود ﷺ قريباً من هذا الأثر، يقول: "إن أجمع آية في القرآن لخير وشر؛ آية في سورة النحل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ

---

(١) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ١٦١).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد، برقم: (٦٦١١)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة في ثوب واحد، برقم: (٥٢٣).

(٣) شرح السنة (١٣/ ١٩٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٣٦٨).

ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل: ٩٠]"[١].

وقال قتادة (ت:١١٧هـ): "إنه ليس من خُلقٍ حسنٍ كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خُلقٍ سيِّءٍ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدّم فيه، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامِّها"[٢].

وقال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "فقد أمر بثلاثة أشياء، ونهى عن ثلاثة أشياء، وجمع في هذه الأشياء الستة علم الأولين والآخرين، وجميع الخصال المحمودة والمذمومة"[٣].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات.

فكل مسألة مشتملة على عدل، أو إحسان، أو إيتاء ذي القربى، فهي مما أمر الله به، وكل مسألة مشتملة على فحشاء، أو منكر، أو بغي، فهي مما نهى الله عنه.

وبها يعلم حسن ما أمر الله به، وقبح ما نهى عنه.

وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال، وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧/ ٢٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٣٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٨)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني في حديث طويل مذكور في سورة الطلاق، وفيه عاصم بن بهدلة؛ وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد (٧/ ٤٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧/ ٢٨٠)، وقال الشيخ أبوإسحاق الحويني في سلسلة رجال هذا السند في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٦).

(٣) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٨٧).

جعل من كلامه الهدى، والشفاء، والنور، والفرقان بين جميع الأشياء"[١].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٤٧).

الاستنباط الخامس والعشرون: (الرفق واللين).

أخرج ابن أبي حاتم، عن الفضل بن عيسى الرقاشي[١]، أنه تلا هذه الآية: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾[طه: ٤٤]، فقال: "يا من يتحبب إلى أعاديه، فكيف بمن يتولَّى ويناديه!"[٢].

تخريجه:

ذكره ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٨٩)، ولم يذكر ابن كثير ولا غيره إسناده، فلم يحكم عليه محققه.

معنى الآية إجمالاً:

أمر الله موسى عليه السلام لما ذهب لدعوة فرعون أن يكون خطابه سهلاً لطيفاً، برفقٍ ولين، وأدب في اللفظ، لعله بسبب القول اللين يتذكر ما ينفعه فيأتيه، أو يخشى ما يضره فيتركه[٣].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى من بره ورحمته أمر موسى عليه السلام أن يلين القول لأعظم أعدائه، وأشدِّهم كفراً، فدل مفهومها على أن إلانة القول والرفق بأهل الإيمان

---

(١) الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي، أبوعيسى البصري، الواعظ، منكر الحديث، ورمي بالقدر. ينظر: التاريخ الكبير (٧/ ١١٨)، تقريب التهذيب (٤٤٦).

(٢) الدر المنثور (١٠/ ٢٠٨).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٥٠٦).

أولى، والأمر به آكد؛ لأن رحمة الله بهم أولى وأحرى.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الدعوة إلى الله تعالى تقوم على الرفق واللين، لا على العنف والشدة.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

قال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ): "يدل على وجوب استعمال اللين والرفق، وترك الفظاظة والغلظة في الدعاء إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[النحل:١٢٥]"(١).

وجاء في السنة الثناء على الرفق، والتحذير من ضده، من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)(٢).

وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ (ت:٢٥٨هـ)(٣) هذه الآية: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[طه: ٤٤]، فبكى يحيى، وقال: "إلهي هذا برك بمن يقول: أنا الإله، فكيف برك بمن يقول: أنت الإله!"(٤).

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً،

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٣٢٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، برقم: (٢٥٩٤).

(٣) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبوزكريا الواعظ، من مشايخ الصوفية، توفي سنة (٢٥٨هـ). ينظر: طبقات الصوفية (٩٨)، تاريخ بغداد (١٤/ ٢٠٨).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٢١٩)، زاد المسير (٥/ ٢٨٨).

ووجهه منبسطاً طلقاً مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظنّ أنه يرضى مذهبه؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾[طه: ٤٤]، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه"[١].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة، واللين والسهولة، والانتقال من رتبة إلى رتبة، والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي"[٢].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "يؤخذ من هذه الآية الكريمة: أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالرفق واللين، لا بالقسوة والشدة والعنف"[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ١٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٩٥).

(٣) أضواء البيان (٤/ ١٥).

۞الاستنباط السادس والعشرون: (وجوب لزوم الجماعة).

أخرج ابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله : ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[طه: ٩٤]، قال: "قد كره الصالحون الفرقة قبلكم"(١).

تخريجه:

ذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٢٥٨)، ولم أجده عند ابن أبي حاتم في المطبوع، ولعله في المفقود منه.

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام حين رجع إلى قومه، فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم، فامتلأ عند ذلك غضباً، وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، فأعتذر هارون لموسى عليهما السلام في سبب تأخره عنه، حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم، بأن الذي منعه من ذلك هو الخوف من مخالفة أمره، وأن تقول لي لم تركتهم وحدهم، وفرقت بينهم، وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن هارون عليه السلام بيّن أن الذي منعه من اللحاق بموسى عليه السلام وإخباره بما حدث؛ هو الخوف من تفرق بني إسرائيل، فقدم أعلى المصلحتين عنده؛ وهو جمع

---

(١) الدر المنثور (١٠/ ٢٣٥).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٠٤).

بني إسرائيل وتأليفهم، ودفع أعظم المفسدتين؛ وهو التفريق بينهم، وإن استلزم ذلك مخالفة أمر أو ارتكاب نهي، فأخذ من ذلك أن كره الفرقة وحب الاجتماع دأب عباد الله الصالحين من الأولين والآخرين(١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أمر الله تبارك وتعالى عباده بالألفة والاجتماع، ونهاهم عن التفرق والتنازع.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟** ﴾[آل عمران: ١٠٣].

قال القاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ): "فالاعتصام بحبل الله؛ هو ترك الفرقة، واتباع القرآن"(٢).

وفي السنة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يرضى لكم ثلاثاً، [وذكر منها] وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)(٣).

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "وأما قوله ﷺ: (ولا تفرقوا)؛ فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتألف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام"(٤).

وقال الشاطبي (ت:٧٩٠هـ): "والفرقة من أخس أوصاف المبتدعة؛ لأنه خرج عن حكم الله، وباين جماعة أهل الإسلام"(٥).

---

(١) ينظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (٣/ ١٣).

(٢) غريب الحديث (٤/ ١٠٢).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، برقم: (١٧١٥).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١١).

(٥) الاعتصام (١/ ١١٣).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فالواجب على المسلم أن يلزم سنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه الراشدين، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وما تنازعت فيه الأمة وتفرقت فيه إن أمكنه أن يفصل النزاع بالعلم والعدل، وإلا استمسك بالجمل الثابتة بالنص والإجماع، وأعرض عن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، فإن مواضع التفرق والاختلاف عامتها تصدر عن اتباع الظنّ، وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى"(١).

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "إذا حصل التفرق والاختلاف فذلك مفضٍ إلى ضياع أمور الدين في خلال ذلك الاختلاف، ثم هو لا يلبث أن يلقي بالأمة إلى العداوة بينها، وقد يجرهم إلى أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[الأنفال: ٤٦].

وأما الاختلاف في فروعه بحسب استنباط أهل العلم بالدين؛ فذلك من التفقه الوارد فيه قول النبي ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)(٢)"(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين، برقم: (٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم: (١٠٣٧).

(٣) التحرير والتنوير (٢٥/ ٥٤).

۞الاستنباط السابع والعشرون: (الإحسان إلى المؤمن).

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن ابن عمر: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الأحزاب: ٥٨]، قال: "فكيف بمن أحسن إليهم! يضاعف لهم الأجر"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ٣٢٣)، وفي سنده انقطاع؛ لأن ثور بن يزيد الكلاعي لم يسمع من عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[٢].

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى متهدداً ومتوعداً من آذوا المؤمنين والمؤمنات، بأي أذية قولية أو فعلية، بغير جناية منهم موجبة للأذى، فقد احتملوا على ظهورهم بهتاناً، حيث آذوهم بغير سبب، وإثماً مبيناً حيث تعدوا عليهم، وانتهكوا حرمة أمر الله باحترامها[٣].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة.

وذلك أن الله ﷻ توعد من آذى المؤمنين والمؤمنات بالعذاب الأليم، فدل مفهوم المخالفة على أن من أحسن إليهم أعطاه الله أجراً عظيماً.

---

(١) الدر المنثور (١٢/ ١٣٩).

(٢) ينظر: الثقات (٣/ ٢٠٩)و (٦/ ١٢٩)، تقريب التهذيب (٣١٥)و (١٣٥).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٧١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الإحسان إلى عباد الله الصالحين من أخلاق أهل النبل والفضل، ولا يصل إلى هذا الخلق الكريم إلا المهتدون الموفقون.

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾[النجم: ٣١].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "ويجزي الذين أحسنوا في عبادة الله تعالى، وأحسنوا إلى خلق الله بأنواع المنافع، بالحسنى؛ أي: بالحالة الحسنة في الدنيا والآخرة، وأكبر ذلك وأجله رضا ربهم، والفوز بالجنة، وما فيها من النعيم"(١).

وجاء في السنة من حديث سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)(٢).

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وللإحسان بوجوهه كلها فوائد لا تحصى، منها: حصول محبة الله للمحسنين التي هي أعلى ما يناله العبد،...، فالجزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا إلى عباد الله أحسن الله إليهم، وأعطاهم أفضل ما يعطي أولياؤه من الجزاء الأوفى الأكمل"(٣).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وقد دل العقل والنقل والفطرة، وتجارب

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٢١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم: (٢٥٨٠).

(٣) فتح الرحيم الملك العلام (١١٨).

الأمم، على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها، على أن التقرب إلى رب العالمين، وطلب مرضاته، والبر والإحسان إلى خلقه، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله، واستدفعت نقمة الله، بمثل طاعته، والتقرب إليه، والإحسان إلى خلقه"[١].

(١) الجواب الكافي (٩).

۞الاستنباط الثامن والعشرون: (العفو عن المؤمنين).

أخرج ابن عساكر، عن أبي مسلم الخولانِيِّ(١) أنه قال لجارية له: "لولا أن الله تعالى يقول: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾[الجاثية:١٤]؛ لأوجعتُك، فقالت: والله إني لِمَّن يرجو أيامه، فما لك لا توجعني؟ فقال: إن الله تعالى يأمرني أن أغفر للذين لا يرجون أيامه، فعمَّن يرجو أيامه أحرى، انطلقي فأنت حرَّةٌ"(٢).

تخريجه:

أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٢٧/ ٢١٨).

معنى الآية إجمالاً:

يأمر تعالى عباده المؤمنين بحسن الخلق، والصبر على أذية المشركين به الذين لا يرجون أيام الله؛ أي: لا يرجون ثوابه، ولا يخافون وقائعه في العاصين، فإنه تعالى سيجزي كل قوم بما يكسبون، فأنتم يا معشر المؤمنين يجزيكم على إيمانكم، وصفحكم وصبركم ثواباً جزيلاً، وهم إن استمروا على تكذيبهم فلا يحل بكم ما حل بهم، من العذاب الشديد والخزي(٣).

---

(١) أبومسلم الخولاني، اسمه عبدالله بن ثوب، ثقة عابد، أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره، ورأى جماعه من أصحاب رسول الله ﷺ، معدود في كبار التابعين، وكان من عباد أهل الشام وزهادهم ولأبيه صحبة، توفي في زمن معاوية. ينظر: الثقات (٥/ ١٨)، الاستيعاب (٤/ ١٧٥٧).

(٢) الدر المنثور (١٢/ ٢٩٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٧٧٦).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن تعالى أمر عباده بالصبر على أذية المشركين، والعفو عنهم، فمن باب أولى أن يصبر المؤمن على أذية إخوانه في الدين، ويعفو ويصفح عنهم، فهم بالعفو أحق من المشركين.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

العفو والتسامح من مكارم الأخلاق، وهو من أبرز أخلاق الرسول ﷺ، ومن أشهر طباعه.

وجاء في آيات كثيرة في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ ﴾[النور: ٢٢].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وفي هذه الآية دليل على النفقة على القريب، وأنه لا تترك النفقة والإحسان بمعصية الإنسان، والحث على العفو والصفح، ولو جرى منه ما جرى من أهل الجرائم"(١).

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "في هذه الآية: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ ﴾، دليل على أن العفو والصفح على المسيء المسلم من موجبات غفران الذنوب، والجزاء من جنس العمل"(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٦٥).

(٢) أضواء البيان (٥/ ٤٨٨).

وقال ﷻ: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[الشورى:٤٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[البقرة:٢٣٧].

وفي السنة من حديث أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[(١)].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "من توهم أنه بالعفو يسقط حقه أو ينقص، غالط جاهل ضال، بل بالعفو يكون أجره أعظم، فكذلك من توهم أنه بالعفو يحصل له ذل، ويحصل للظالم عزّ واستطالة عليه، فهو غالط في ذلك"[(٢)].

وقال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله، فأجر عفوه ذلك على الله، والله مثيبه عليه ثوابه"[(٣)].

وقال أبوحاتم (ت:٣٥٤هـ): "الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشدّ من الاستعمال بمثلها"[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، برقم: (٢٥٨٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٣٦٨).

(٣) جامع البيان (٢١/ ٥٤٨).

(٤) روضة العقلاء (١٦٦).

الاستنباط التاسع والعشرون: (مكانة المرأة في الإسلام).

أخرج البخاري في تاريخه، وابن مردويه، عن ثمامة بن حزن قال: "بينما عمر بن الخطاب يسير على حماره لقيته امرأة، فقالت: قف يا عمر؛ فوقف، فأغلظت له القول، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ما رأيت كاليوم! فقال: وما يمنعني أن أستمع إليها، وهي التي استمع الله لها، أنـزل فيهـا مـا أنزل: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾[المجادلة: ١]"[١].

تخريجه:

أخرجه البخاري في تاريخه (٧/ ٢٤٥)، ورجال السند ثقات[٢].

معنى الآية إجمالاً:

نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار، اشتكته زوجته إلى الله، وجادلته إلى

---

(١) الدر المنثور (١٤/ ٣٠٠).

(٢) رجال الإسناد:

١- ثمامة بن حزن بن عبدالله القشيري، تابعي، ثقة مخضرم، أدرك النبي ﷺ ولم يره. ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ٤٦٥)، الإصابة (١/ ٤١٨).

٢- كهف القشيري البصري، روى عن ثمامة بن حزن، وذكره ابن حبان في الثقات. ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ١٧٥)، الثقات (٧/ ٣٥٩).

٣- عبدالله بن كهف القشيري البصري، روى عن الحسن وابن سيرين، وذكره ابن حبان في الثقات. ينظر: الجرح والتعديل (٥/ ١٤٥)، الثقات (٧/ ٤٧).

٤- حماد بن أسامة القرشي الكوفي، أبوأسامة مشهور بكنيته، ثقة ثبت، ربما دلس، توفي سنة (١١١هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٣/ ١٣٢)، تقريب التهذيب (١٧٧).

٥- محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، أبوكريب الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة حافظ، توفي سنة (١١١هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٥٢)، تقريب التهذيب (٥٠٠).

رسول الله ﷺ لما حرمها على نفسه، بعد الصحبة الطويلة والأولاد، وكان شيخاً كبيراً، فشكت حالها وحاله إلى الله، وإلى رسوله الله ﷺ، فسمع الله شكواها[١]، فهو سميع لجميع الأصوات، بصير يبصر دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء[٢].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك لأن من استمع الله ﷻ ورسوله ﷺ إلى كلامها، فسائر الناس أولى بالسماع لها[٣].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

لم تعرف البشرية ديناً ولا حضارةً عنيت بالمرأة كعناية الإسلام بها، فقد رفع مكانتها، وأكرمها وحفظ حقوقها.

وقد جاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء: ٧٠]، وهذا التكريم شامل للرجل والمرأة.

---

(١) والحديث أخرجه بأطول من هذا أبوداود، كتاب النكاح، باب في الظهار، برقم:(٢٢١٤)، وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". المستدرك (٢/ ٥٢٣)، ووافقه الذهبي،

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٨٤٤).

(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان (٢٩/ ١٧).

وفي السنة من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: (كانت الأَمَةُ[١] من إِماءِ أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت)[٢].

وحديث عائشة رضي الله عنها، قالت سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل، ولا يذكر احتلاماً قال: (يغتسل، وعن الرجل يرى أنه قد احتلم، ولا يجد البلل، قال: لا غسل عليه، فقالت أم سليم: المرأة ترى ذلك أعليها غسل، قال: نعم، إنّما النساء شقائق الرجال)[٣].

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فبيّن أن النساء والرجال شقيقان ونظيران، لا يتفاوتان ولا يتباينان في ذلك، وهذا يدل على أنه من المعلوم الثابت في فطرهم أن حكم الشقيقين والنظيرين حكم واحد، سواء كان ذلك تعليلاً منه ﷺ للقدر أو للشرع أو لهما، فهو دليل على تساوي الشقيقين، وتشابه القرينين، وإعطاء أحدهما حكم الآخر"[٤].

---

(١) الأمة: هي الجارية غير الحرة، والمراد من الأخذ بيده لازمه؛ وهو الرفق والانقياد. ينظر: فتح الباري (١٠/ ٤٩٠)، عمدة القاري (٢٢/ ١٤١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر، برقم: (٥٧٢٤).

(٣) أخرجه أبوداود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه، برقم: (٢٣٦)، والترمذي، كتاب أبواب الطهارة، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللا، برقم: (١١٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٤٦١)، برقم: (٢٣٣٣).

(٤) إعلام الموقعين (١/ ٢٠١).

الاستنباط الثلاثون: (خلق التغافل).

أخرج ابن مردويه، عن علي بن أبي طالب قال: "ما استقصى كريم قط؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾[التحريم:٣]".

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان، عن عطاء الخرساني(١) قال: "ما استقصى حليم قط؛ ألم تسمع إلى قوله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾[التحريم:٣]"(٢).

تخريجه:

١-الأثر الأول ذكره الجصَّاص في أحكام القرآن (٢/ ٢٣٥)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٤٦)، وابن عبدالبر في الاستذكار (٨/ ٥٧٦)، ولم أقف على سنده.

٢-الأثر الثاني أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٥٦٥)، وقال محققه: "إسناده فيه شيخ مجهول".

معنى الآية إجمالاً:

أسرّ النبي ﷺ إلى حفصة رضي الله عنها حديثاً، وأمرها أن لا تخبر به أحداً، فحدثت به عائشة رضي الله عنها، وأخبره الله بذلك الخبر الذي أذاعته، فعرَّفها النبي ﷺ ببعض ما قالت وعاتبها عليه، وسامحها في الآخر، فقالت له: من أنبأك هذا الخبر الذي لم يخرج منا؟ قال: نبأني العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية(٣).

---

(١) عطاء بن ميسرة الخرساني، أبوأيوب، كان فقيهاً واعظاً. ينظر: الثقات (٥/ ٢٠٦)، حلية الأولياء (٥/ ١٩٣).

(٢) الدر المنثور (١٤/ ٥٧٩-٥٨٠).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٨٧٣).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن النبي ﷺ لما أخبره الله تعالى بما قالت زوجة حفصة رضي الله عنها، تلطف في العتاب، وأعرض عن الاستقصاء في الذنب، كرماً منه وحلماً، فأخذ بدلالتها على أن الحليم الذي لا يبالغ في العتاب ويستقصي، بل يتغافل ويصفح.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات، والتقصير في العتاب.

ويؤكد الرسول ﷺ هذا المعنى لأصحابه ﷺ بقوله: (إني لم أُومر أن أنقب قلوب الناس، ولا أشق بطونهم)(١)، وروي من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر)(٢).

قال سفيان الثوري (ت:١٦١هـ) : "ما زال التغافل من فعل الكرام"(٣).

وقال الشافعي (ت:٢٠٤هـ): "الكيس العاقل؛ هو الفطن المتغافل"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن، برقم: (٤٠٩٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم: (١٠٦٤).

(٢) أخرجه أبوداود، كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس، برقم: (٤٨٦٠)، والترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، برقم (٣٨٩٦). وقال الترمذي: " هذا حديث غريب من هذا الوجه"، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (٣٩٥).

(٣) تفسير النسفي (٢/ ١٢٥٧)، تفسير البحر المحيط (٨/ ٢٨٦).

(٤) أخرجه أبونعيم في الحلية (٩/ ١٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٥٧٥).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فليس من شرط أولياء الله المتقين أن لا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء، خطأً مغفوراً لهم، بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقاً، بل ولا من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذى تعقبه التوبة"(١).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "من أساء إليك ثم جاء يعتذر من إساءته، فإن التواضع يوجب عليك قبول معذرته حقاً كانت أو باطلاً، وتكل سريرته إلى الله تعالى، كما فعل رسول الله في المنافقين الذين تخلفوا عنه في الغزو، فلما قدم جاءوا يعتذرون إليه، فقبل أعذارهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى(٢).

وعلامة الكرم والتواضع أنك إذا رأيت الخلل في عذره لا توقفه عليه، ولا تحاجَّه، وقل: يمكن أن يكون الأمر كما تقول، ولو قضي شيء لكان، والمقدور لا مدفع له، ونحو ذلك"(٣).

قال أبو تمام(٤):

ليس الغبيُّ بسيِّد في قومه ... لكنَّ سيَّد قومه المتغابي(٥)

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٦).

(٢) والحديث بتمامه أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، برقم: (٤١٥٦)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، برقم: (٢٧٦٩).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٧).

(٤) حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس، أبو تمام الطائي الشاعر، وكان أوحد عصره في ديباجة لفظه، ونصاعة شعره، توفي بالموصل سنة (٢٣١هـ). ينظر: المنتظم (١١/ ١٣٠)، البلغة (٧٩).

(٥) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي (١/ ٨٧).

الفصل الثالث:

الأدب

۞الاستنباط الأول: (إكرام الكبير والقريب).

أخرج ابن جرير، عن ابن زيد في الآية: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾[البقرة: ١٣٣]، قال: "يقال: بدأ بإسماعيل؛ لأنه أكبر".

وأخرج ابن أبي حاتم، عن أبي العالية في الآية: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾[البقرة: ١٣٣]، قال: "سمَّى العمَّ أباً".

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن محمد بن كعب قال: "الخال والد، والعمُّ والد، نسب الله عيسى إلى أخواله، قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾[الأنعام: ٨٤]، حتى بلغ إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[الأنعام: ٨٥]"[١].

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٩٩)، وقال الشيخ أبوإسحاق الحويني في سلسلة رجال هذا السند في متن آخر: "سنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٣).

٢-الأثر الثاني أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٢٤٠)، وقال الشيخ أبوإسحاق الحويني في سلسلة قريبة من سلسلة هذا السند لكن بدون أبي العالية في متن آخر: "في إسناده أبوجعفر الرازي، تكلم العلماء في حفظه". تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٢٩).

٣-الأثر الثالث أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٣٦)، وقال الشيخ حكمت بشير في سلسلة رجال هذا السند في متن آخر: "في سنده موسى بن عبيدة؛

---

(١) الدر المنثور (١/ ٧٢١)و (٦/ ١٢٢).

وهو ضعيف". تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٢٥).

معنى الآيتين إجمالاً:

لما كان اليهود يزعمون أنهم على ملة إبراهيم ومن بعده يعقوب عليهما السلام، قال الله تعالى منكراً عليهم: أم كنتم شهداء؛ أي حضوراً إذ حضر يعقوب الموت؛ أي مقدماته وأسبابه، فقال لبنيه - على وجه الاختبار، ولتقرّ عينه في حياته بامتثالهم ما وصاهم به -: ما تعبدون من بعدي؟ فأجابوه بما قرّت به عينه، فقالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً، فلا نشرك به شيئاً، ولا نعدل به أحداً، ونحن له مسلمون، فجمعوا بين التوحيد والعمل.

ومن المعلوم أنهم لم يحضروا يعقوب؛ لأنهم لم يوجدوا بعد فإذا لم يحضروا، فقد أخبر الله عنه أنه أوصى بنيه بالحنيفية لا باليهودية.

و ذكر الله سبحانه في الآية الثانية ما منّ به على عبده وخليله إبراهيم عليه السلام، من العلم والدعوة والصبر، وذكر ما أكرمه الله به من الذرية الصالحة، والنسل الطيب، وأن الله جعل صفوة الخلق من نسله، والضمير في ذريته: يحتمل أن يعود على نوح؛ لأنه أقرب مذكور؛ لأن الله ذكر مع من ذكر لوطاً؛ وهو من ذرية نوح، لا من ذرية إبراهيم؛ لأنه ابن أخيه، ويحتمل أن الضمير يعود إلى إبراهيم؛ لأن السياق في مدحه والثناء عليه، ولوط وإن لم يكن من ذريته فإنه ممن آمن على يده، فكان منقبة الخليل وفضيلته بذلك أبلغ من كونه مجرد ابن له، وداود وسليمان بن داود، وأيوب، ويوسف بن يعقوب، وموسى وهرون ابني عمران، وكذلك كما أصلحنا ذرية إبراهيم الخليل؛ لأنه أحسن في عبادة ربه، وأحسن في نفع الخلق، كذلك نجزي المحسنين بأن نجعل لهم من الذكر الحسن، والذرية الصالحة بحسب

إحسانهم، وزكريا ويحيى ابنه، وعيسى بن مريم، وإلياس، كل هؤلاء من الصالحين في أخلاقهم وأعمالهم، وعلومهم، بل هم سادة الصالحين وقادتهم وأئمتهم[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أنهم بدأوا بذكر جدهم إبراهيم ثم إسماعيل وبعده إسحاق عليهم السلام، فدل الترتيب على أنهم قدموا ذكر إسماعيل على إسحاق؛ لأن إسماعيل كان أسنّ من إسحاق.

ومن المعلوم أن إسماعيل ليس أباً ليعقوب عليهما السلام، ومع ذلك سمّوه أباً؛ لأن العمّ يُنزّل منزِلة الوالد.

ونجد أن القرآن شرك بين عيسى وسائر الأنبياء المذكورين معه في كونهم من ذرية إبراهيم، مع أن عيسى انتمى إليه من جهة أمه؛ لأنه ولد من غير أب، فدل على أن الخال والد[٢].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

توقير الكبار وإجلالهم من الآداب الحميدة، والإحسان إلى ذوي القربى، والقيام بحقهم، ومعرفة فضلهم من شيم الرجال، وخصال أهل الإيمان.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أراني أتسوك بسواك، فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر،

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٧)و (٢٦٣).

(٢) ينظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (٢/ ١٨٠).

فناولت السواك الأصغر منهما، فقيل لي: كبر؛ فدفعته إلى الأكبر منهما)[(١)].

قال ابن بطال (ت:٤٤٩هـ): "فيه تقديم ذي السن في السواك، وكذلك ينبغي تقديم ذي السن في الطعام والشراب، والكلام والمشي والكتاب، وكل منزلة قياساً على السواك،...، وهذا من باب أدب الإسلام"[(٢)].

وقال ابن بطال (ت:٤٤٩هـ) أيضاً: "إكرام الكبير، وتقديمه في الكلام، وجميع الأمور، من أدب الإسلام، ومعالي الأخلاق"[(٣)].

وقال عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ): "فيندب تقديم الأكبر في السواك وغيره من سائر وجوه الإكرام والتوقير"[(٤)].

وجاء في حديث أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: (يا عمر أما شعرت أن عمَّ الرجل صنو أبيه)[(٥)].

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "أي: مثل أبيه، وفيه تعظيم حق العمّ"[(٦)].

وقال عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ): "وفيه حث على القيام بحق العمّ، وتنزيله منزلة الأب في الطاعة، وعدم العقوق"[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب دفع السواك إلى الأكبر، برقم: (٢٤٣)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، برقم: (٢٢٧١).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٣٦٣).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٣١٧).

(٤) فيض القدير (٥/ ١٠٠).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها، برقم:(٩٨٣).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ٥٧).

(٧) فيض القدير (٤/ ٣٥٩).

وقال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "وإسماعيل كان عمّ يعقوب، ولكن العمّ بمنزلة الأب"[١].

وجاء في حديث البراء بن عازب ﵁ قال رسول الله ﷺ: (الخالة بمنزلة الأم)[٢].

وقال البغوي (ت:٥١٦هـ): "وكان إسماعيل عمّاً لهم، والعرب تسمي العمّ أباً، كما تسمي الخالة أماً"[٣].

فهم قدّموا إسماعيل؛ لأنه كان أكبر من إسحاق، وجعله من جملة آبائهم مع كونه عمّاً لهم؛ لأن العمّ ينزل منزلة الأب.

ويطلق على الخال أباً، وعلى الخالة أُمّاً؛ لانخراطهما في سلك واحد؛ وهو الأخوة لا تفاوت بينهما، وهذا كله من باب الأدب والاحترام؛ لأنهم لا يقومون مقام الوالدين إجماعاً[٤].

---

(١) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (٧/ ٥٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، برقم: (٢٥٥٢).

(٣) تفسير البغوي (١/ ١١٩).

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ١٠١)، الإكليل (٣٣)، حدائق الروح والريحان (٢/ ٣٠٣).

۞الاستنباط الثاني: (الحث على ترك الألفاظ المحتملة).

أخرج ابن أبي الدنيا في الصمت، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس: "أنه كان يكره أن يقول الرجل: إني كسلان، ويتأوَّل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾[النساء: ١٤٢]"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣٢٠)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٢٠٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٩٦)، وقال الشيخ حكمت بشير: "سنده حسن". تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٤٣).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه من قبيح الصفات، وأن طريقتهم مخادعة الله تعالى بما أظهروه من الإيمان وأبطنوه من الكفر، ظنوا أنه يروج على الله ولا يعلمه، والحال أن الله خادعهم، فمجرد وجود هذه الحال منهم، ومشيهم عليها خداع لأنفسهم، وأي خداع أعظم ممن يسعى سعياً يعود عليه بالهوان والذل والحرمان!.

ومن صفاتهم أنهم إذا قاموا إلى الصلاة التي هي أكبر الطاعات العملية، قاموا كسالى متثاقلين لها، متبرمين من فعلها، يراؤون الناس؛ أي: هذا الذي انطوت عليه سرائرهم، يقصدون رؤية الناس وتعظيمهم، ولا يخلصون لله؛ فلهذا لا يذكرون الله إلا قليلاً؛ لامتلاء قلوبهم من الرياء، فإن ذِكر الله تعالى وملازمته لا يكون إلا

---

(١) الدر المنثور (٥/ ٨١-٨٢).

من مؤمن، ممتلئ قلبه بمحبة الله وعظمته[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى ذكر أن الكسل صفة من صفات المنافقين، فدل على قبح هذه الصفة، وأنه لا ينبغي للمؤمن أن ينسبه لنفسه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الكسل داء مهلك، يعوق نهضة الأمم والشعوب، ويمنع الأفراد من العمل الجاد، والسعي النافع.

قال الزمخشري (ت:٥٣٨هـ): "الكسل من صفات المنافقين، فما ينبغي أن يسنده المؤمن إلى نفسه"[٢].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "الكسل لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم؛ فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله، وإلى ما عنده، عادمة للإيمان، لم يصدر منهم الكسل"[٣].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أنس بن مالك ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ، يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الكسل)[٤].

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢١١).

(٢) الكشاف (٢/ ٢٦٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢١١).

(٤) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الدعوات، باب التعوذ من أرذل العمر، برقم: (٦٠١٠)، ومسلم،

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "وأما الكسل فهو عدم انبعاث النفس للخير، وقلة الرغبة مع إمكانه"[(١)].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (لا يقولنّ أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي)[(٢)].

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم، وعلمهم الأدب في الألفاظ، واستعمال حسنها، وهجران خبيثها"[(٣)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "نهي أن يقول الرجل: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي، سداً لذريعة اعتياد اللسان للكلام الفاحش، وسداً لذريعة اتصاف النفس بمعنى هذا اللفظ، فإن الألفاظ تتقاضى معانيها، وتطلبها بالمشاكلة والمناسبة التي بين اللفظ والمعنى، ولهذا قل من تجده يعتاد لفظاً إلا ومعناه غالب عليه، فسدّ رسول الله ﷺ ذريعة الخبث لفظاً ومعنىً"[(٤)].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "ويؤخذ من الحديث استحباب مجانبة الألفاظ القبيحة والأسماء، والعدول إلى ما لا قبح فيه، والخبث واللقس وإن كان المعنى المراد يَتَأَدَّى بكل منهما، لكن لفظ الخبث قبيح، ويجمع أموراً زائدة على المراد،

كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل، برقم: (٢٧٢٣).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ٢٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يقل خبثت نفسي، برقم: (٥٨٢٥)، ومسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيره، باب كراهية قول الإنسان خبثت نفسي، برقم: (٢٢٥٠).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٨).

(٤) إعلام الموقعين (٣/ ١٥٠).

بخلاف اللقس فإنه يختص بامتلاء المعدة"[1].

(١) فتح الباري (١٠/ ٥٦٤).

۞الاستنباط الثالث: (الرفق بالحيوان).

أخرج البيهقي في شعب الإيمان، والخطيب في تالي التلخيص، وابن عساكر، عن عبيدالله بن زيادة البكري[١] قال: "دخلت على ابني بُسْر المازنيَّيْن[٢] صاحبي رسول الله ﷺ فقلت: يرحمكما الله، الرجل يركب منا دابة فيضربها بالسوط، أو يكبحها باللِّجام، فهل سمعتما من رسول الله ﷺ في ذلك شيئاً؟ فقالا: لا، قال عبيدالله: فنادتني امرأة من الداخل فقالت: يا هذا، إن الله يقول في كتابه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[الأنعام: ٣٨]، فقالا: هذه أختنا، وهي أكبر منا، وقد أدركت رسول الله ﷺ"[٣].

تخريجه:

أخرجه أحمد في المسند (١٣/ ٤٦٣)، وقال محققه: "إسناده صحيح"، والبيهقي في الشعب (١٣/ ٤١٣)، وقال محققه: "إسناده جيد"، والخطيب في تالي التلخيص (٢/ ٤٨٥)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣٧/ ٤٣١).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر الله تعالى عباده أن جميع ما في الأرض من البهائم والوحوش والطيور

---

(١) عبيدالله بن زيادة، ويقال: زياد، أبوزيادة البكري، ثقة. ينظر: الثقات (٥/ ٧١)، تقريب التهذيب (٣٧١).

(٢) هما عبدالله وعطية ابنا بسر المازني، صحابيان، نزلا بحمص. ينظر: الاستيعاب (٣/ ١٠٧٠)و (٣/ ٨٧٤)، الإصابة (٤/ ٢٣)و (٤/ ٥٠٩).

(٣) الدر المنثور (٦/ ٤٥-٤٦).

وغيرها، كلها أمم أمثالكم خلقها كما خلقناكم، ورزقها كما رزقناكم، لم يهمل سبحانه في اللوح المحفوظ شيئاً من المخلوقات، بل جميعها صغيرها وكبيرها مثبتة في اللوح المحفوظ، ثم جميع الأمم تجمع وتحشر إلى الله في موقف القيامة، فيجازيهم بعدله وإحسانه(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أن ما على الأرض من الدواب والطيور تشاركنا في كونها أمة مثلنا، وأن خالقها ورازقها هو الله، وأنها تحشر إليه يوم القيامة، فدل على أنه ينبغي الرفق والرحمة بالدواب وغيرها من الحيوان، وأن الله تعالى يحاسب الناس على ظلمهم لها يوم يحشرهم إليه جميعاً.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

جاء الإسلام بالحث على الرفق بالحيوانات، والإحسان إليها، وأعدّ الله الأجر العظيم، والثواب الجزيل لمن أحسن إليها.

قال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "وفي الآية تنبيه للمسلمين على الرفق بالحيوان، فإن الإخبار بأنها أمم أمثالنا تنبيه على المشاركة في المخلوقية، وصفات الحيوانية كلها"(٢).

وقال محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ): "استدلت بالآية على وجوب الرفق

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٥٥-٢٥٦).

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٢١٨).

والرحمة بالدواب وغيرها من الحيوان، وأنه تعالى يحاسب الناس على ظلمهم لها يوم يحشرهم إليه جميعاً"[١].

وقال أبوزهرة (ت:١٣٩٤هـ): "وفي ذلك بيان لقدرة الله تعالى، وبيان لأن الإنسان لا يصح أن يعلو ويستكبر، فأمثاله من الأحياء عدد كثير، وليس عدداً قليلاً"[٢].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (بينما رجل يمشي بطريق اشتدَّ عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا يا رسول الله: وإن لنا في البهائم أجراً، فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر)[٣].

وقال ابن عبدالبر (ت:٤٦٣هـ): "في هذا الحديث دليل على أن الإساءة إلى البهائم والحيوان لا يجوز ولا يحل، وأن فاعلها يأثم فيها؛ لأن النص إذا ورد بأن في الإحسان إليهنّ أجراً وحسنات، قام الدليل بأن في الإساءة إليهنّ وزراً وذنوباً"[٤].

وجاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (دخلت امرأة

---

(١) تفسير المنار (٧/ ٣٣١).

(٢) زهرة التفاسير (٥/ ٤٢٩١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم: (٥٦٦٣)، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، برقم: (٢٢٤٤).

(٤) التمهيد (٢٢/ ٨).

النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)[(١)].

وقال عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ): "وفيه [أي هذا الحديث] تفخيم الذنب ولو صغيراً، وأن تعذيب الحيوان حرام، وأنه يسلط يوم القيامة على ظالمه"[(٢)].

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب يقتلن في الحرم، برقم: (٣١٤٠)، ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان، برقم: (٢٢٤٢).

(٢) فيض القدير (٣/ ٥٢٣).

۞الاستنباط الرابع: (أداء حقوق الأبناء).

أخرج البخاري في الأدب المفرد، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨ ﴾[آل عمران: ١٩٨]، قال: "إنما سمَّاهم الله أبراراً؛ لأنهم برُّوا الآباء والأبناء، كما أن لوالدك عليك حقَّاً، كذلك لولدك عليك حقٌّ"(١).

تخريجه:

أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٧)، برقم: (٩٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٦)، وضعف الألباني إسناده في ضعيف الأدب المفرد (٢٩)، برقم: (٢١).

معنى الآية إجمالاً:

يبين الله تعالى أن ما عنده من النعيم وحسن المآب خير للأبرار، الذين برّت قلوبهم، فبرّت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البَرُّ الرحيم من برّه أجراً عظيماً، وعطاء جسيماً، وفوزاً دائماً(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك لأن الأبرار هم الذين يؤدون حق الله ﷻ وحق خلقه، والأبناء أمانة عند والديهم، لهم حقوق كما عليهم، فيجب على الآباء تأديبهم وتعليمهم ما

---

(١) الدر المنثور (٤/ ١٩١).

(٢) ينظر: جامع البيان (٧/ ٤٩٥)، تيسير الكريم الرحمن (١٦٢).

يحتاجون إليه، وهم أحق الناس بحسن الخلق، وأداء حقهم مما يعينهم على بر الوالدين والقيام بحقهما، والبعد عن عقوقهما.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الأبناء زينة الحياة الدنيا، ونعمة من نعم الله العظيمة التي امتنّ بها على عباده، وهم أمانة يُسأل عنهم العبد يوم القيامة.

وقد جاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾[طه: ١٣٢]، وقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾[التحريم:٦].

وفي السنة من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (وإن لولدك عليك حقاً)[١].

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "فيه أن على الأب تأديب ولده وتعليمه ما يحتاج إليه من وظائف الدين، وهذا التعليم واجب على الأب وسائر الأولياء، قبل بلوغ الصبي والصبية"[٢].

وحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، برقم: (١١٥٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٨/ ٤٣).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الاستقراض، باب العبد راع في مال سيده، برقم: (٢٢٧٨)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، برقم: (١٨٢٩).

قال الشافعي (ت:٢٠٤هـ): "على الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم، ويعلموهم الطهارة والصلاة، ويضربوهم على ذلك إذا عقلوا، فمن احْتَلَمَ أو حَاضَ أو استكمل خمس عشر سنة لزمه الفرض"(١).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وكم ممن أشقى ولده، وفلذة كبده في الدنيا والآخرة، بإهماله وترك تأديبه، وإعانته له على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء"(٢).

وقال عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ): "إنما سمى الله تعالى الأبرار أبراراً في القرآن؛ لأنهم برّوا الآباء والأمهات والأبناء؛ أي: أحسنوا إلى آبائهم وأمهاتهم وأبنائهم، ورفقوا بهم وتحرّوا محابهم، وتوقوا مكارههم، ولم يوقعوا الضغائن بينهم، بتفضيل بعضهم على بعض، بنحو عطية أو إكرام بلا موجب شرعي، كما أن لوالديك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حقاً؛ أي: حقوقا كثيرة؛ منها تعليمهم الفروض العينية، وتأدبهم بالآداب الشرعية، والعدل بينهم في العطية"(٣).

---

(١) مختصر المزني (٢٢).

(٢) تحفة المولود (٢٤٢).

(٣) فيض القدير (٢/ ٥٧٤).

۞الاستنباط الخامس: (العفو قبل العتاب).

أخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن عون بن عبدالله قال: "سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا، بدأ بالعفو قبل المعاتبة، فقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾[التوبة: ٤٣]"[1].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٥)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٩٨)، وقال محققه: "سنده صحيح".

معنى الآية إجمالاً:

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: عفا الله عنك؛ أي سامحك، وغفر لك ما أجريت، لم أذنت لهم في التخلف حتى يتبيّن لك الذين صدقوا، وتعلم الكاذبين، بأن تمتحنهم ليتبين لك الصادق من الكاذب، فتعذر من يستحق العذر ممن لا يستحق ذلك[2].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى بدأ بذكر العفو قبل بيان وجه العتاب، فدل على أن هذا الأسلوب في المعاتبة من أحسن أساليب العتاب؛ لأن العادة أن العتاب يقدم على

---

(١) الدر المنثور (٤/ ١٩١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣٣٨).

العفو.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

من الآداب العالية، والأخلاق الفاضلة قلة العتاب، والتماس الأعذار للأصحاب.

ذكر نجم الدين الطوفي (ت:٧١٦هـ) أن هذه الآية يحتج بها على: "كرامة النبي ﷺ على ربه؛ حيث بدأه بالعفو قبل العتاب"(١).

وقال النسفي (ت:٧١٠هـ): "وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب، وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام؛ حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء عليهم"(٢).

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "وافتتاح العتاب بالإعلام بالعفو إكرام عظيم، ولطافة شريفة، فأخبره بالعفو قبل أن يباشره بالعتاب، وفي هذا الافتتاح كناية عن خفة موجب العتاب؛ لأنه بمنزلة أن يقال: ما كان ينبغي،...، وهذا من صيغ التلطف في الإنكار أو اللوم، بأن يُظْهِر المُنْكِرُ نفسه كالسائل عن العلة التي خفيت عليه"(٣).

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ) في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]: "تسكيناً لخواطرهم، وفي ذلك تلطف معهم على عادة القرآن في تقريع المؤمنين، وأعظم من ذلك تقديم العفو على الملام في ملام الرسول ﷺ

(١) الإرشادات الإلهية إلى المباحث الأصولية (٢/ ٢٧٨).

(٢) تفسير النسفي (١/ ٤٣٧).

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٠).

في قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾[التوبة: ٤٣]، فتلك رتبة أشرف من رتبة تعقيب الملام بذكر العفو"[1].

(١) التحرير والتنوير (٤/ ١٣٠).

۞الاستنباط السادس: (الترغيب في التوبة).

أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: "دعا اللهُ إلى توبته من قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[النازعات:٢٤]، وقال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[القصص: ٣٨]، ومن آيس العباد من التوبة بعد هؤلاء فقد جحد كتاب الله، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه، وهو قوله: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ﴾[التوبة: ١١٨]، فبدء التوبة من الله ﷻ"[1].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم مختصراً (٦/ ١٩٠٥)، وقال محققه في سلسلة رجال هذا السند في متن آخر: "هذا إسناد ضعيف". الجزء الثاني من تفسير سورة البقرة (١/ ٩٧).

معنى الآيات إجمالاً:

لما جاوز فرعون الحدّ في كفره وطغيانه، وظلمه وعدوانه، أرسل الله إليه موسى عليه السلام، وأمره بدعوته إلى التوبة والإنابة، وأن يكون خطابه معه سهلاً لطيفاً، برفق ولين، وأدب في اللفظ، لعله يتذكر ما ينفعه فيأتيه، أو يخشى ما يضره فيتركه، ولم يوفق فرعون للتوبة؛ لأنه لا بد للعبد من توفيق الله تعالى؛ لكي تقع منه التوبة، فيتوب الله عليهم[2].

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٥٨٠).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٥٤و٥٠٦).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

وذلك أن الله أمر موسى عليه السلام أن يدعو فرعون إلى التوبة والإنابة، مع ما صدر منه من كفر وطغيان، فدل على عظم رحمة الله وكرمه، وأنه لا ينبغي لأحد أن يقنط الناس من رحمة الله مهما فعلوا، بل عليه أن يرغبهم في التوبة، ويحول دون يأسهم من فضل الله وعفوه، ويوقن أن التوفيق للتوبة من الله تعالى وحده.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

مهما فعل العبد من السيئات فإن رحمة الله أعظم من ذنبه، ومغفرته أوسع من جرمه، والقنوط من رحمة الله أعظم من الإجرام.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾** ﴾[الزمر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ **قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾** ﴾[الحجر: ٥٦].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (حدّث أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك أو كما قال)[1].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الانسان من رحمة الله، برقم: (٢٦٢١).

قال ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ): "وهذا المتألي جهل سعة الكرم فعوقب بإحباط العمل"[١].

قال الطحاوي (ت:٣٢١هـ): "والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة"[٢].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فمن تاب تاب الله عليه، بخلاف ما عليه طائفة من الناس فإنهم إذا رأوا من عمل من هذه الفواحش شيئاً أيسوه من رحمة الله، حتى يقول أحدهم: من عمل من ذلك شيئاً لا يفلح أبداً، ولا يرجون له قبول توبة،...، فهذا من أعظم الضلال والغي، فإن القنوط من رحمة الله بمنزلة الأمن من مكر الله تعالى، وحالهم مقابل لحال مستحلي الفواحش، فإن هذا أمن مكر الله بأهلها، وذاك قنط أهلها من رحمة الله، والفقيه كل الفقيه هو الذى لا يؤيس الناس من رحمة الله، ولا يجرئهم على معاصي الله"[٣].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "لا يقنطنّ عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب الرحمة والتوبة واسع"[٤].

وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ): "فمن أبى هذا التّفضل العظيم، والعطاء الجسيم، وظنّ أن تقنيط عباد الله، وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط، وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير وعدم التقنيط الذي

---

(١) كشف المشكل (٢/ ٥٠).

(٢) متن العقيدة الطحاوية (٤٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٠٤-٤٠٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٦٠).

جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز، والمسلك الذى سلكه رسوله ﷺ"(١).

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين، فكانت سبباً ومقتضياً لتوبتهم، فدل على أنهم ما تابوا حتى تاب الله تعالى عليهم، والحكم ينتف لانتفاء علته"(٢).

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وختمه كثيراً من الآيات بهذين الاسمين: "التواب الرحيم" بعد ذكر ما يدعو به العبد إلى التعرض من رحمته ومغفرته، وتوفيقه وحلمه، فمناسبته جليلة لكل أحد، وأنه لما كان هو التواب الرحيم، أقبل بقلوب التائبين إليه، ووفقهم للأخذ بالأسباب التي ترجعهم إلى الفطرة السليمة التي يعرفون بها نعمة ربهم، فيقدرونها ويشكرونها، ويستجيبون لما يدعوهم بها إليه سبحانه، فيرجعون في كل شئونهم وأمورهم إلى ربهم، فيفرح بهم ويزيدهم من فضله، ويتوب عليهم ثم يغفر لهم ويرحمهم، فتاب عليهم أولاً بتوفيقهم للتوبة وأسبابها، وتاب عليهم ثانياً حين قبل متابهم وأجاب سؤالهم، ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾[التوبة: ١١٨]؛ أي: أقبل بقلوبهم عليه، فإنه لولا توفيقه وجذب قلوبهم إلى ذلك بنعمه الكونية والعلمية لم يكن لهم سبيل إلى ذلك حين استولت عليهم النفس الأمارة، فإنها لا تأمر إلا بالسوء، إلا من رحم الله فأعاذه منها، ومن نزغات الشيطان"(٣).

---

(١) فتح القدير (٤/ ٤٧٠).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣١٣).

(٣) القواعد الحسان في تفسير القرآن (٥٧).

۞الاستنباط السابع: (الحرص على تجنب الألفاظ الموهمة).

أخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[التوبة: ١٢٧]، قال: "لا تقولوا: انصرفنا من الصلاة، فإن قوماً انصرفوا صرف الله قلوبهم، ولكن قولوا: قضينا الصلاة".

وأخرج ابن أبي شيبة، عن ابن عمر قال: "لا يقال: انصرفنا من الصلاة، ولكن: قد قضيت الصلاة"[1].

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٠١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٥٦)، وابن جرير في تفسيره (١٤/ ٥٨٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩١٧)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". المستدرك (٢/ ٣٦٨)، ووافقه الذهبي.

٢-الأثر الثاني أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٥٦)، وقال محققه الشيخ سعد الشثري: "حسن؛ سعيد بن زيد صدوق". (٥/ ١٣٥).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى أن المنافقين يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، فإذا ما أنزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها، نظر بعضهم إلى بعض جازمين

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٦٠١).

على ترك العمل بها، ينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ويقولون: هل يراكم من أحد ثم ينصرفون متسللين معرضين، فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل، صرف الله قلوبهم، فصدّها عن الحق وخذلها، وذلك بأنهم قوم لا يفقهون فقهاً ينفعهم، فإنهم لو فقهوا لكانوا إذا نزلت سورة آمنوا بها، وانقادوا لأمرها(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم لما انصرفوا عن الحق صرف الله قلوبهم، فأخذ من ذلك النهي عن قول: انصرفنا من الصلاة؛ حتى لا يصرف الله عن الحق قائلها، من باب الربط بين اللازم وملزومه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

النهي عن قول: انصرفنا من الصلاة، جاء عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم.

وجاء في صحيح السنة عدّة أحاديث تعارض هذا الاستنباط، منها: حديث أبي معبد مولى ابن عباس رضي الله عنهما أخبره: "أن ابن عباس رضي الله عنهما أخبره: أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ، وقال ابن عباس: "كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته"(٢).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٥٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة، برقم: (٨٠٥)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة، برقم: (٥٨٣).

وحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ كان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين)(١).

وحديث عباد بن تميم، عن عمه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ الرجل الذي يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، فقال: (لا ينفتل أولا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً)(٢).

قال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ) معلقاً على قول ابن عباس رضي الله عنهما: "وهذا كلام فيه نظر، وما أظنه يصح عنه، فإن نظام الكلام أن يقال: لا يقل أحد انصرفنا من الصلاة، فإن قوماً قيل فيهم: ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم، فإن ذلك كان مقولاً فيهم، ولم يكن منهم"(٣).

وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ): "وليس في إطلاقه هنا على رجوع المنافقين عن مجلس الخير ما يدل على أنه لا يطلق إلا على نحو ذلك، وإلا لزم أن كل لفظ يستعمل في لغة العرب في الأمور المتعددة إذا استعمل في القرآن في حكاية ما وقع من الكفار، لا يجوز استعماله في حكاية ما وقع عن أهل الخير، كالرجوع والذهاب، والدخول والخروج، والقيام والقعود، واللازم باطل بالإجماع، فالملزوم

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة وقبلها، برقم: (٨٩٥)، ومسلم، كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، برقم: (٨٨٢).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الوضوء، باب لا يتوضأ من الشك، برقم: (١٣٧)، ومسلم، كتاب الحيض، باب الدليل على أن من تيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك، برقم: (٣١٦).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٦٠٥).

مثله، ووجه الملازمة ظاهر لا يخفى"[(١)].

الراجح:

عدم صحة هذا الاستنباط لما يأتي:

الأول: مخالفته لما جاء في السنة الصحيحة.

الثاني: أن الانصراف كلمة عامة لا تذم ولا تمدح لذاتها، وإنما بحسب سياقها، والانصراف المذكور في الآية إنما هو انصراف عن الخير، لذا ذمّهم الله تعالى، فلا يلزم منه أن كل انصراف مذموم.

الثالث: أن الله تعالى بيّن أن المنافقين لما انصرفوا عن الحق صرف الله قلوبهم، فدل على أن سبب صرفهم ما فعلوه من الإعراض عن الحق، وليس بسبب قولهم.

---

(١) فتح القدير (٢/ ٤١٩).

۞الاستنباط الثامن: (قول تصدق الله عليك).

أخرج ابن أبي حاتم، عن عمر بن عبدالعزيز في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[يوسف: ٨٨]، أن رجلاً قال له: "تصدق عليَّ تصدق الله عليك بالجنة، فقال: ويحك، إن الله لا يتصدق، ولكنّ الله يجزي المتصدقين".

وأخرج أبوعبيد، وابن المنذر، عن مجاهد أنه سئل: "أيكره أن يقول الرجل في دعائه: اللهم تصدق علي؟ فقال: نعم، إنما الصدقة لمن يبتغي الثواب"[(١)].

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٤٠٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣٢٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٣)، وسنده عند ابن أبي شيبة رجاله ثقات[(٢)].

٢-الأثر الثاني أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٤٠٩)، وابن جرير في تفسيره (١٦/ ٢٤٣)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٣٠)، وقال محققه: "أخرجه سعيد بن منصور بسند حسن".

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٣٢٠-٣٢١).

(٢) رجال الإسناد:

١- مختار بن فلفل الكوفي، تابعي، ثقة له أوهام، روى له مسلم. ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٣١٠)، تهذيب الكمال (٢٧/ ٣١٩).

٢- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبوعبدالله الكوفي، ثقة حافظ فقيه، توفي سنة (١٦١هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٤/ ٢٢٢)، تقريب التهذيب (٢٤٤).

٣- حماد بن أسامة القرشي الكوفي، ثقة ثبت، تقدم ذكره في الاستنباط التاسع والعشرون في الفصل الثاني.

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى مخبراً عن يعقوب عليه السلام أنه ندب بنيه على الذهاب في الأرض يستعلِمُون أخبار يوسف وأخيه، وأمرهم أن لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرُومُونه، فذهبوا ودخلوا مصر ودخلوا على يوسف عليه السلام، وقالوا له: مسّنا وأهلنا الضر؛ يعنون من الجدب والقحط، وقلة الطعام، وجئنا ببضاعة قليلة رديئة كاسدة، لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجوز من البائع فيها، فأعطنا ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد الوافي، وتصدق علينا إن الله يثيب المتصدقين(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه يجزي المتصدقين، ولم يقل: يتصدق على المتصدقين، فأخذ بدلالتها على كراهة أن يقال: تصدق الله عليك؛ لأن المتصدق يرجو الثواب.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

اختلف السلف في هذه المسألة إلى قولين:

القول الأول: كراهة قول: تصدق الله عليك، وينسب هذا القول لعمر بن عبدالعزيز ومجاهد رحمهما الله.

وحجة أصحاب هذا القول: أن الله لا يتصدق؛ لأن الصدقة ممن يرجو الثواب.

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٢/ ٤٤٦)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٨).

القول الثاني: جواز هذه العبارة، وهو قول الجمهور.

واستدل الجمهور بحديث يعلي بن أمية رضي الله عنه قال قلت: لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾[النساء: ١٠١]، فقد أَمِنَ الناس، فقال: عَجِبتُ مما عَجِبتَ منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: (صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته)(١).

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "وفيه جواز قول: تصدق الله علينا، واللهم تصدق علينا، وقد كرهه بعض السلف؛ وهو غلط ظاهر"(٢).

وقال النووي (ت:٦٧٦هـ) أيضاً: "والصواب الذي عليه الجمهور لا كراهة فيه"(٣).

الراجح:

عدم صحة هذا الاستنباط لمعارضته للحديث الصحيح.

قال النووي (ت:٦٧٦هـ) معلقاً على هذا الأثر: "هذا الحكم خطأ صريح، وجهل قبيح، والاستدلال أشد فساداً"(٤).

وقال ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ): "واعلم أنهما إنما قالا هذا بمقتضى العرف، ولم يقع إليهما الحديث"(٥).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها، برقم: (٦٨٦).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ١٩٦).

(٣) المجموع (٤/ ٢٧٣).

(٤) الأذكار (٣٠٦).

(٥) كشف المشكل (١/ ١٥٣).

۞الاستنباط التاسع: (الحذر من تلقين الأبناء الشر).

أخرج ابن أبي حاتم، عن أبي مجلز[١] في قوله تعالى: ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾[يوسف: ١٣]، قال: "لا ينبغي لأحد أن يلقِّن ابنه الشَّرَّ، فإن بني يعقوب لم يدروا أن الذئب يأكل الناس[٢] حتى قال لهم أبوهم: إني أخاف أن يأكله الذئب"[٣].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٨)، في سنده عبدالوهاب بن عطاء الخفاف، ضعيف الحديث مضطرب[٤].

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى مخبراً عن نبيه يعقوب عليه السلام أنه قال لبنيه في جواب ما سألوا من إرسال يوسف معهم إلى الرعي في الصحراء، إني ليحزنني أن تذهبوا به؛ أي: يشق علي مفارقته مدة ذهابكم به إلى أن يرجع، وذلك لفرط محبته له، فهذا مانع من إرساله، ومانع ثان؛ وهو أخشى أن تشتغلوا عنه برميكم ورعيكم، فيأتيه ذئب فيأكله، وأنتم لا تشعرون[٥].

---

(١) لاحق بن حميد بن سعيد، أبومجلز السدوسي البصري، مشهور بكنيته، تابعي ثقة، توفي سنة (١٠٩هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٨/ ٢٥٨)، تقريب التهذيب (٥٨٦).

(٢) هذا يحتاج إلى دليل، فهم أهل غنم ورعي، وفي الشام ، ومثل هذا لا يخفى عليهم.

(٣) الدر المنثور (٨/ ٢٠٤).

(٤) ينظر: الضعفاء والمتروكين (٢/ ١٨٥)، الميزان (٤/ ٤٣٥).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٩٦).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن يعقوب عليه السلام لما أظهر لبنيه خوفه على يوسف عليه السلام أن يأكله الذئب عند الذهاب معهم، أخذوها منه وجعلوها عذرهم، ففهم من ذلك أنه لا ينبغي للأب أن يلقن ابنه الشر مخافة الوقوع فيه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

ينبغي للوالدين أن يحرصا على تربية أبنائهم على الخير، وأن يكونا قدوة صالحة لهم، وأن يحذرا أن يقعوا في الشر بسببهما.

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "لما سمعوا أباهم يقول: ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾، أخذوا ذلك من فِيْهِ فتحرموا به؛ لأنه كان أظهر المخاوف عليه"[1].

وقال أبوحيان (ت:٧٤٥هـ): "كأن يعقوب بقوله: ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾، لقنهم ما يقولون من العذر إذا جاؤوا وليس معهم يوسف، فَلُقِّنُوا ذلك وجعلوه عُدَّةً للجواب"[2].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "فأخذوا من فمه هذه الكلمة، وجعلوها عذرهم فيما فعلوه"[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٤٨).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٢٨٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٩٦).

وقال محمد بن عبدالوهاب (ت:١٢٠٦هـ): "فأخذوها منه، وجعلوها عذرهم، ومن الأمثال: البلاء موكل بالمنطق"[١].

وقال الألوسي (ت:١٢٧٠هـ): "وبالجملة ما وقع منه ﷺ من هذا القول كان تلقيناً للجواب من غير قصد، وهو على أسلوب قوله سبحانه: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾[الانفطار: ٦]"[٢].

(١) تفسير آيات من القرآن الكريم (١٣٢).

(٢) روح المعاني (١٢/ ١٩٥).

۞الاستنباط العاشر: (بلاغة الأنبياء عليهم السلام).

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ ﴾[النمل: ٣٠ – ٣١]، يقول: "لا تخالفوا عليَّ، ﴿ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[النمل: ٣١]، قال: وكذلك كانت الأنبياء تكتب جميلاً، لا يُطْنِبون، ولا يُكْثِرون"[1].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٤٥٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٧٤)، وسنده عند ابن جرير ضعيف؛ لضعف ابن داود؛ وهو سُنيد[2]، وقال محقق ابن أبي حاتم عن سلسلة هذا السند في متن آخر: "رجاله كلهم ثقات لكن سعيد بن أبي عروبة كثير الإرسال والتدليس". الجزء الأول من تفسير سورة البقرة (٣٤).

معنى الآيتين إجمالاً:

لما ألقى الهدهد الكتاب المرسل من سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ، فقرأته ثم جمعت أهل ملكها، فقالت لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[النمل: ٢٩ – ٣١]؛ أي: لا تكونوا فوقي، بل اخضعوا تحت سلطاني، وانقادوا لأوامري، وأقبلوا إليّ مسلمين[3].

---

(١) الدر المنثور (١١/ ٣٥٩).

(٢) ينظر: الجرح والتعديل (٤/ ٣٢٦)، تقريب التهذيب (٢٥٧).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٠٤).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك من خلال ما كتبه سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ، فقد كان في غاية الإيجاز والبلاغة، مع البيان التام، فدل مفهومها على أن رسائل الأنبياء عليهم السلام في غاية الوجازة، مع تمام البيان.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أحسن الرسائل والكلمات ما كانت جزلة جامعة؛ لأن خير الكلام ما قلّ ودلّ ولم يُمل.

وجاء في رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك ما يدل على هذا المعنى، كما في رسالته إلى ملك الروم، وفيها: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين،...)(١).

وقال النحاس (ت:٣٣٨هـ): "وكانت كتب الأنبياء مختصرة"(٢).

وقال الماوردي (ت:٤٥٠هـ): "فأوجز واختصر، وهكذا تكون كتب الأنبياء

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، برقم: (٢٧٨٢)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، برقم: (١٧٧٣).

(٢) معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٢٩).

موجزة مختصرة"(١).

وقال أبوحيان (ت:٧٤٥هـ): "وما كتبه سليمان في غاية الإيجاز والبلاغة، وكذلك كتب الأنبياء"(٢).

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة، فإنه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها"(٣).

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وهذا في غاية الوجازة، مع البيان التام، فإنه تضمن نهيهم عن العلو عليه، والبقاء على حالهم التي هم عليها، والانقياد لأمره، والدخول تحت طاعته، ومجيئهم إليه، ودعوتهم إلى الإسلام"(٤).

---

(١) الحاوي الكبير (١٦/ ٢١١).

(٢) البحر المحيط (٧/ ٧٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٦٦٩).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٦٠٤).

۞الاستنباط الحادي عشر: (التفاضل إنما يكون بالتقوى).

أخرج البخاري في الأدب، عن ابن عباس قال: "لا أرى أحداً يعمل بهذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾، حتى بلغ: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[الحجرات: ١٣]، فيقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك، فليس أحد أكرمَ من أحد إلا بتقوى الله"(١).

تخريجه:

أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٩)، برقم: (٨٩٨)، وصحح الألباني إسناده في صحيح الأدب المفرد (٣٣٣)، برقم: (٦٨٩).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى أنه خلق بني آدم من أصل واحد، يرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، وجعلهم شعوباً وقبائل؛ وذلك لأجل أن يتعارفوا، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة، وانكفافاً عن المعاصي، والله تعالى عليم خبير، يعلم منهم من يقوم بتقوى الله ظاهراً وباطناً، فيجازي كلا بما يستحق(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة.

وذلك أن الله تعالى بيّن أن الأكرم عنده هو الأتقى، وإن كان عبداً حبشياً، أما

---

(١) الدر المنثور (١٣/ ٥٩٨).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٨٠٢).

التفاخر بالأنساب فإن ذلك لا يوجب كرماً، ولا يثبت فضلاً، فدل مفهومها على أن من تفاخر بنسبه ولونه لم يعمل بهذه الآية.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

التفاضل بين الناس لا يحكمه نسب ولا مال، ولا غيرها من الأمور الدنيوية، وإنما أساس التفاضل بين الناس عند الله بالتقوى.

وجاء في السنة عدّة أحاديث تؤيد هذا المعنى، منها: حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عُبية الجاهلية[1]، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعنَّ رجالٌ فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكوننّ أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن)[2].

وحديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[3].

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) معلقاً على هذا الحديث: "فانظر إلى سريان هذه النكتة الإبليسية في نفوس أكثر الناس من تفضيلهم بمجرد الأصول

(١)العُبية: الكبر والنخوة، وهو ما كان عليه أهل الجاهلية من التفاخر بالأنساب والتباهي بها. ينظر: غريب الحديث للخطابي (١/ ٢٩٠)، شرح السنة (١٣/ ١٢٤).

(٢) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، برقم: (٥١١٦)، والترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن، برقم: (٣٩٥٦). وقال الترمذي: "وهذا حديث حسن غريب"، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٣٦٨)، برقم: (١٧٨٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله، برقم: (٢٥٦٤).

والأنساب"[١].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وقد أجمع المسلمون على أن من كان أعظم إيماناً وتقوى كان أفضل ممن هو دونه في الإيمان والتقوى، وإن كان الأول أسود حبشياً والثاني علوياً أو عباسياً"[٢].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) أيضاً: "ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحداً بنسبه، ولا يذم أحداً بنسبه، وإنما يمدح بالإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان"[٣].

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٠٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٤٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٢٣٠).

۞الاستنباط الثاني عشر: (النهي عن قول زرعت).

أخرج البزار، وابن جرير، وابن مردويه، وأبونعيم، والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه[1]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يقولنّ أحدكم: زرعت، ولكن ليقل: حرثت)، قال أبوهريرة: "ألم تسمعوا الله يقول: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ ﴾[الواقعة: ٦٣ - ٦٤]"[2].

تخريجه:

أخرجه البزار في كشف الأستار عن زوائد البزار (٢/ ٩٦)، برقم: (١٢٨٩)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٣٠)، وابن جرير في تفسيره (٢٣/ ١٣٩)، وأبونعيم في الحلية (٨/ ٢٦٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٨١). قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط، والبزار، وفيه مسلم بن أبي مسلم الجرمي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات". مجمع الزوائد (٤/ ١٢٠)، وقال ابن حجر: "ورجاله ثقات إلا أن مسلم بن أبي مسلم الجرمي قال فيه ابن حبان: ربما أخطأ". فتح الباري (٥/ ٤)، وقال الألباني: " إسناده جيد". السلسلة الصحيحة (٦/ ٧١٥)، برقم: (٢٨٠١).

معنى الآيتين إجمالاً:

هذا امتنان من الله على عباده، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من حرث الأرض للزراعة، فيخرج الله لهم الأقوات والأرزاق والفواكه بفضله وكرمه،

---

(١) ضعفه في السنن الكبرى، بقوله: "وقد روي فيه حديث مرفوع غير قوي"، ثم ساق هذا الحديث (٦/ ١٣٨).

(٢) الدر المنثور (١٤/ ٢١٥).

فقررهم سبحانه بمنته عليهم فقال: ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾؛ أي: أنتم أخرجتموه نباتاً من الأرض؟ أم أنتم الذين نميتموه؟ أم الله الذي انفرد بذلك وحده، وأنعم به عليكم؟ وأنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض وتشقوها، وتلقوا فيها البذر، ثم لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ نسب الحرث إليهم، ونفى عنهم الزرع ونسبه إلى نفسه، ففهم من ذلك كراهية أن ينسب الإنسان لنفسه ما نسبه الله تعالى لنفسه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

المراد بالزراعة هنا إنبات ما يزرع وتمام خلقته؛ لأن ذلك مما انفرد الله به، ولا يدعيه غيره(٢).

قال الماوردي (ت:٤٥٠هـ): "فأضاف الحرث إليهم، والزرع إليه تعالى؛ لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله، وينبت على اختياره، لا على اختيارهم"(٣).

وقال الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ): "فنسب الحرث إليهم، ونفى عنهم

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٨٣٥).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٩١).

(٣) النكت والعيون (٥/ ٤٦٠).

الزرع، ونسبه إلى نفسه، وإذا نُسب إلى العبد فلكونه فاعلاً للأسباب التي هي سبب الزرع، كما تقول: أنبتُ كذا، إذا كنت من أسباب نباته"(١).

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "فنفى عنهم الزرع ونسبه إلى نفسه واقتصر عليه، ويطلق فعل (زرع) بمعنى: بذر الحب في الأرض؛ لقول صاحب لسان العرب: زرع الحب: بذره، أي ومنه سمي الحب الذي يبذر في الأرض زريعة(٢). لكن لا ينبغي حمل الآية على هذا الإطلاق؛ فالمعنى: أفرأيتم الذي تحرثون الأرض لأجله؛ وهو النبات، ما أنتم تنبتونه، بل نحن ننبته"(٣).

وجاء في الكتاب والسنة نسبة الزرع إلى الآدمي، قال الله تعالى: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾[الفتح: ٢٩].

وفي السنة من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة)(٤).

قال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "فيه جواز نسبة الزرع إلى الآدمي"(٥).

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "وقد يقال: فلان زرَّاع كما يقال: حرَّاث؛ أي يفعل ما يؤول إلى أن يكون زرعاً يعجب الزرَّاع، وقد يطلق لفظ الزرع على

---

(١) المفردات (٢١٢).

(٢) ينظر: اللسان (٨/ ١٤١).

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٢٠).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الغرس والزرع إذا أكل منه، برقم: (٢١٩٥)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، برقم: (١٥٥٣).

(٥) فتح الباري (٥/ ٤).

بذر الأرض وتكريبها[١] تجوّزاً"[٢].

والجمع بين هذه الأدلة:

أن الأدلة التي جاء فيها النهي عن نسبة الزرع إلى غير الله فالمراد بها حقيقة الزرع التي لا تكون إلا بفعل الله وحده؛ لأن الإخراج من الأرض والإنبات صنع الله تعالى وحده، لا صنع للعبد فيه.

وأما الأدلة التي جاء فيها نسبة الزرع إلى العبد؛ لكونه فاعلاً للأسباب التي هي سبب الزرع والإنبات، كالبذر والسقي، فهي نسبة تجوز لا حقيقة، وأما إذا كان المراد بالزرع في هذه النصوص البذر فلا إشكال.

ولعل الحكمة في النهي عن نسبة الزَّارع إلى الآدمي؛ لئلا تلتبس الحقيقة بالمجاز.

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "فهو نهي إرشاد وأدب، لا نهي حظر وإيجاب، ومنه قوله ﷺ: (لا يقولنّ أحدكم عبدي وأمتي، وليقل: غلامي وجاريتي، وفتاي وفتاتي)[٣]"[٤].

---

(١) كرب الأرض يكربها كَرْباً و كِراباً: قلبها للحرث، وأثارها للزرع. اللسان (١/ ٧١٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة، برقم: (٢٢٤٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٢١٨).

الاستنباط الثالث عشر: (وجوب التثبت في الأخبار).

أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد: "أنه كره زعموا؛ لقول الله: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾[التغابن: ٧]"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٥٢)، ورجال السند ثقات[(٢)].

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن عناد الكافرين، وتكذيبهم بالبعث بغير علم، ولا هدى، ولا كتابٍ مُنير، فأمر أشرف خلقه أن يقسم بربه على بعثهم، وجزائهم بأعمالهم الخبيثة، وتكذيبهم بالحق، وذلك على الله يسير، فإنه وإن كان عسيراً، بل متعذراً بالنسبة إلى الخلق، فإن قواهم كلهم لو اجتمعت على إحياء ميت واحد ما قدروا على ذلك، وأما الله تعالى فإنه إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون[(٣)].

---

(١) الدر المنثور (١٥/ ٥١٤).

(٢) رجال الإسناد:

١- مجاهد بن جبر، أبوالحجاج المخزومي، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، توفي سنة (١٠٤هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٣١٩)، تقريب التهذيب (٥٢٠).

٢- عبدربه بن سعيد بن قيس الأنصاري، ثقة مأمون، توفي سنة (١٣٩هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ٤١)، تقريب التهذيب (٣٣٥).

٣- شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي، أبوبسطام البصري، ثقة حافظ متقن، توفي سنة (١٦٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ٤١)، تقريب التهذيب (٣٣٥).

٤- وكيع بن الجراح الرُؤاسي، أبوسفيان الكوفي، ثقة حافظ عابد، توفي سنة (١٩٧هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٩/ ٣٧)، تقريب التهذيب (٥٨١).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٨٦٦).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ نسب هذا الزعم إلى الكفار في إنكارهم لحقيقة البعث، فجاءت في موضع الذمّ، ففهم منه كراهة هذه اللفظة؛ لأنها كلمة تشعر بأنه لا دليل على القول سوى ادعائه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

لا توجد كلمة زعم مستعملة في فصيح من الكلام إلا عبارة عن الكذب، أو قول انفرد به قائله، فيريد ناقله أن يبقي عهدته على الزاعم(١).

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قيل له ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في زعموا، قال: (بئس مطية الرجل زعموا)(٢).

قال الخطابي (ت:٣٨٨هـ): "أصل هذا أن الرجل إذا أراد الظعن في حاجة، والمسير إلى بلد، ركب مطيته، وسار حتى يبلغ حاجته، فشبه النبي ﷺ ما يقدم الرجل أمام كلامه، ويتوصل به إلى حاجته، من قولهم: زعموا، بالمطية التي يتوصل

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣١٩).

(٢) أخرجه أبوداود، كتاب الأدب، باب قول الرجل زعموا، برقم: (٤٩٧٢)، وأحمد في مسنده (١٣/ ٢٥٨)، برقم: (١٧٠١٢)، وقال محققه: "إسناده صحيح، رجاله أئمة"، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢٢١)، وقال ابن حجر: "رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً". فتح الباري (١٠/ ٥٥١)، وقال السخاوي: "ورجاله موثقون، فثبت اتصاله، وتأكد الجزم بأنه عن أبي مسعود". المقاصد الحسنة (٢٤٤).

بها إلى الموضع الذي يؤمه ويقصده، وإنما يقال: زعموا في حديث لا سند له ولا يثبت، إنما هو شيء يُحكى على الألسن على سبيل البلاغ، فذمّ النبي ﷺ من الحديث ما هذا سبيله، وأمر بالتثبت فيه، والتوثق لما يحكيه من ذلك، فلا يرويه حتى يكون معزياً إلى ثبت، ومروياً عن ثقة"(١).

قال ابن عمر (ت:٧٣هـ): "زعم كُنية الكذب"(٢).

وقال شريح القاضي (ت:٨٠هـ): "إنَّ زعموا كُنية الكذب"(٣).

قال أبوجعفر الطحاوي (ت:٣٢١هـ): "زعموا لم تجئ في القرآن إلا في الإخبار عن المذمومين، بأشياء مذمومة كانت منهم،...، وكل هذه الأشياء إخبار من الله تعالى بها عن قوم مذمومين، في أحوال لهم مذمومة، وبأقوال كانت منهم كانوا فيها كاذبين مفترين على الله تعالى، فكان مكروهاً لأحد من الناس لزوم أخلاق المذمومين، في أخلاقهم الكافرين، في أديانهم الكاذبين، في أقوالهم، وكان الأولى بأهل الإيمان لزوم أخلاق المؤمنين، الذين سبقوهم بالإيمان، وما كانوا عليه من المذاهب المحمودة، والأقوال الصادقة، التي حمدهم الله تعالى عليها"(٤).

وقال الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ): "الزَّعْم حكاية قول يكون مظنَّة للكذب، ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذمّ القائلون به نحو: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾[التغابن: ٧]، ﴿ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ ﴾[الكهف: ٤٨]، ﴿كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٢٢ ﴾

(١) معالم السنن في شرح سنن أبي داود (٤/ ١٣٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٤١٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٥٢).

(٤) شرح مشكل الآثار (١/ ١٧٤-١٧٦).

[الأنعام: ٢٢]، ﴿زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾[الإسراء:٥٦]"[١].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "الأصل في زعم أنها تقال: في الأمر الذي لا يوقف على حقيقته"[٢].

(١) المفردات (٢١٣).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٥٥١).

۞الاستنباط الرابع عشر: (صفة أولياء الله مع القرآن).

أخرج عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن قتادة في قوله: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾[الزمر: ٢٣]، قال: "هذا نعت أولياء الله نعتهم الله تعالى، فقال: تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله تعالى، ولم ينعتهم الله تعالى بذهاب عقولهم، والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وإنما هو من الشيطان"[١].

تخريجه:

أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ١٢٧)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ٤٤٩)، وقال محققه: "سنده صحيح".

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن كتابه الذي نزله أنه أحسن الحديث على الإطلاق، وأفضل الكتب المنزلة، ولما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة، أثَّر في قلوب أولي الألباب المهتدين، فلهذا تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم؛ لما فيه من التخويف والترهيب، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله؛ أي عند ذكر الرجاء والترغيب، فهو تارة يرغب لعمل الخير، وتارة يرهبهم من عمل الشر، ذلك الذي ذكره الله من تأثير القرآن فيهم؛ وهو هداية من الله تعالى لعباده؛ وهو من جملة فضله وإحسانه عليهم، يهدي الله بهذا القرآن من يشاء من عباده ممن حسُن قصده، ومن يضلل الله فما له من هاد؛ لأنه لا طريق يوصل إليه إلا توفيقه، والتوفيق بالإقبال

(١) الدر المنثور (١٢/ ٦٤٩).

على كتابه[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة.

وذلك أن الله تعالى بيّن في كتابه صفة من هداهم عند سماع القرآن، فدل مفهوم المخالفة على أن من خالف هذا النعت عند سماع كلام الله، فليس من أولياء الله، بل ممن أضله الله.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

القرآن الكريم كلام الله تعالى، نزل ليخاطب العقول لا ليذهبها، إذ فيه الخير والنور، والهدى والفلاح، فينبغي للمسلم أن يتأدب مع تلاوته وسماعه.

قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) في هذه الآية : "هذه صفة من هداه الله، ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله"[٢].

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "هذا هو الخشوع المحمود؛ لأن الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوع الظاهر، فلا يملك صاحبه دفعه، فتراه مطرقاً متأدباً متذللاً، وقد كان السلف يجتهدون في ستر ما يظهر من ذلك، وأما المذّموم فتكلُّفُه، والتباكي، ومطأطأة الرأس، كما يفعله الجهال؛ ليروا بعين البِر والإجلال، وذلك خدع من الشيطان، وتسويل من نفس الإنسان"[٣].

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٧٢٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٤٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٣٧٥).

ومرّ ابن عمر رضي الله عنهما برجل من أهل العراق ساقط، والناس حوله، فقال: "ما هذا؟ قالوا: إذا قرئ عليه القرآن، أو سمع الله ﷻ يذكر خرّ من خشية الله، قال ابن عمر: والله إنا لنخشى الله، ولا نسقط، ثم قال: إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم، ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ"(١).

وقال الشاطبي (ت:٧٩٠هـ) تعليقاً على قول ابن عمر: "وهذا إنكار"(٢).

وقيل لعائشة رضي الله عنها: "إن قوما إذا سمعوا القرآن يغشى عليهم، فقالت: "إن القرآن أكرم من أن تنزف عنه عقول الرجال، ولكنه كما قال الله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[الزمر: ٢٣]"(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل عن القوم يقرأ عليهم القرآن فيصعقون، فقال: "ذلك فعل الخوارج"(٤).

قال الشاطبي (ت:٧٩٠هـ): "وياليتهم وقفوا عند هذا الحدّ المذموم، ولكن زادوا على ذلك الرقص والزمر والدوران، والضرب على الصدور، وبعضهم يضرب على رأسه وما أشبه ذلك، من العمل المضحك للحمقى؛ لكونه من أعمال الصبيان والمجانين، المبكي للعقلاء رحمة لهم، إذ لم يتخذ مثل هذا طريقاً إلى الله، وتشبهاً بالصالحين"(٥).

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٣١)، وابن بطال في شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٨٢).

(٢) الاعتصام (١/ ٢٧٦).

(٣) فضائل القرآن لابن سلام (٢١٤-٢١٥)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٢٨٢).

(٤) فضائل القرآن لابن سلام (٢١٤-٢١٥)، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٣/ ١٩٩).

(٥) الاعتصام (١/ ٢٧٨).

وقال الآجري (ت:٣٦٠هـ): "يقال لمن فعل هذا: اعلم أن النبي ﷺ أصدق الناس موعظة، وأنصح الناس لأمته، وأرق الناس قلباً، وأصحابه أرق الناس قلوباً، وخير الناس ممن جاء بعدهم، ولا يشك في هذا عاقل، ما صرخوا عند موعظته، ولا زعقوا، ولا رقصوا، لا زفنوا[1]، ولو كان هذا صحيحاً لكانوا أحق الناس بهذا أن يفعلوه بين يدي رسول الله ﷺ، ولكنه بدعة وباطل ومنكر، فاعلم ذلك، فتمسكوا رحمكم الله بسنته، وسنة الخلفاء من بعده الراشدين المهديين، وسائر الصحابة ﷺأجمعين"[2].

---

(١) الزفن: الرقص واللعب. ينظر: اللسان (١٣/ ١٩٧).

(٢) كتاب الأربعين حديثا (٩٧-٩٨).

۞الاستنباط الخامس عشر: (النهي عن تزكية النفس).

أخرج الزبير بن بكار في المُوفَّقيات[١]، عن جده عبدالله بن مصعب، قال: قال أبوبكر الصديق لقيس بن عاصم[٢]: صف لنا نفسك، فقال: إن الله يقول: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[النجم: ٣٢]، فلست بمزكٍّ نفسي، وقد نهاني الله عنه، فأعجَب أبا بكر ذلك منه"[٣].

تخريجه:

لم أجده في المطبوع من كتاب المُوفَّقيات، وذكر ابن جحر هذا الأثر في ترجمة قيس بن عاصم. الإصابة (٥/ ٤٨٤)، ولم أقف على سنده.

معنى الآية إجمالاً:

يقول جل ثناؤه لا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية على وجه التمدَّح، بريئة من الذنوب والمعاصي، فإن التقوى محلها القلب، والله هو المطلع عليه، المجازي على ما فيه من بر وتقوى، وأما الناس فلا يغنون عنكم من الله شيئاً[٤].

---

(١) كتاب الأخبار المُوفَّقيات لأبي عبدالله الزبير بن بكار القرشي (ت:٢٥٦هـ)، كتاب كبير؛ ضاع أكثر أجزائه؛ ولم يعثر منه إلا على قطعتين، ألفه الزبير بن بكار للموفق ابن الخليفة المتوكل بالله العباسي؛ وبه سمى الكتاب؛ وهو عبارة عن كتاب أخبار وأشعار وأنساب، وقصص تاريخية. ينظر: مقدمة المحقق للمُوفَّقيات (١٢- ٢٤).

(٢) قيس بن عاصم بن سنان المنقري التميمي، أبوعلي، قدم في وفد بني تميم على رسول الله ﷺ، وذلك في سنة تسع، وكان ﷺ عاقلاً حليماً مشهوراً بالحلم، نزل البصرة ومات فيها. ينظر: الاستيعاب (٣/ ١٢٩٤)، الإصابة (٥/ ٤٨٣).

(٣) الدر المنثور (١٤/ ٤٣).

(٤) ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٥٤٠)، تيسير الكريم الرحمن (٨٢١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى نهى عن تزكية النفس، فدل مفهومها على أن وصف الإنسان نفسه، وتبرئتها من الآثام، وذكر محاسنها على وجه الافتخار والتعالي، من تزكية النفس المنهي عنه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

تزكية العبد لنفسه تؤدي به إلى تعظيم ذاته، وهضم الآخرين وتنقصهم، واحتقار أعمالهم ولو كانت كبيرة.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾[النساء: ٤٩].

قال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "فتقتضي هذه الآية الغض من المزكي لنفسه بلسانه، والإعلام بأن الزاكي المزكى من حسنت أفعاله، وزكاه الله ﷻ"(١).

وفي السنة من حديث محمد بن عمرو بن عطاء قال: "سميت بنتي بَرَّة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وَسُمِّيتُ بَرَّة، فقال رسول الله ﷺ: (لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البِر منكم، فقالوا: بم نسميها؟ قال: سمُّوها زينب)(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه (ت:٣٢هـ): "إن الرجل ليغدو بدينه، ثم يرجع وما معه

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٦٥-٦٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح، برقم: (٢١٤٢).

منه شيء! يلقى الرجل ليس يملك له نفعًا ولا ضرًا، فيقول: والله إنك لذَيْتَ وذَيْتَ، ولعله أن يرجع ولم يَحْلَ من حاجته بشيء، وقد أسخط الله عليه، ثم قرأ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ﴾[النساء: ٤٩]"(١).

وقال الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ): "ونهيه عن ذلك تأديب؛ لقبح مدح الإنسان نفسه عقلاً وشرعاً، ولهذا قيل لحكيم: ما الذي لا يحسُن وإن كان حقاً، فقال: مدح الرجل نفسه"(٢).

وقال العز بن عبدالسلام (ت:٦٦٠هـ): "ومدحك نفسك أقبح من مدحك غيرك، فإن غَلَطَ الإنسان في حق نفسه أكثر من غَلَطِهِ في حق غيره، فإن حُبَّك الشيء يُعْمِي وَيُصِمُّ، ولا شيء أحب إلى الإنسان من نفسه، ولذلك يرى عيوب غيره، ولا يرى عيوب نفسه، وَيَعْذُرُ به نفسه بما لا يَعْذُرُ به غيره"(٣).

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "دلّ الكتاب والسنة على المنع من تزكية الإنسان نفسه، ويجري هذا المجرى ما قد كثر في هذه الديار المصرية، من نعتهم أنفسهم بالنعوت التي تقتضي التزكية؛ كزكي الدين، ومحي الدين وما أشبه ذلك، لكن لما كثُرت قبائح المسمين بهذه الأسماء ظهر تخلف هذه النعوت عن أصلها، فصارت لا تفيد شيئاً(٤).

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٤٥٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٣)، وقال: "هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٢) المفردات (٢١٤).

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ١٧٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٢٤٦).

وقد سبق أن ذكر محاسن النفس ينقسم إلى ضربين، وبيان حكم كل نوع منهما[1].

(١) ينظر: الفصل الثاني: محاسن الأخلاق: (الاستنباط العشرون).

الفصل الرابع:

العلم

الاستنباط الأول: (ذم الرأي الذي ليس له أصل).

أخرج ابن المنذر، وابن بطَّة في أماليه، عن ابن عباس قال: "إيَّاكم والرَّأي، فإن الله تعالى ردَّ الرَّأي على الملائكة؛ وذلك أن الله قال: ﴿ جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾، قالت الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾، قال: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة: ٣٠]".

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: "إيَّاكم والرَّأي، فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[النساء:١٠٥]، ولم يقل: بما رأيت".

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عمر بن الخطاب قال: "احذروا هذا الرأي على الدين، فإنما كان الرأي من رسول الله ﷺ مصيباً؛ لأن الله كان يريه، وإنما هو منَّا تكلف وظنٌّ، ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾[النجم: ٢٨]"(١).

تخريجه:

١- الأثر الأول أخرجه ابن بطَّة في الإبانة (٢/ ٦٢١)، وقال محققه: "في سنده أبوبكر الهذلي متروك الحديث".

٢- الأثر الثاني أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٥٩)، وفي سنده أبوبكر الهذلي متروك الحديث(٢).

٣- الأثر الثالث أخرجه أبوداود بدون ذكر الآية، كتاب الأقضية، باب في قضاء

---

(١) الدر المنثور (١/ ٢٤٦)و (٤/ ٦٨٩)و (١٤/ ٣٥).

(٢) ينظر: الميزان (٧/ ٤٣٣)، تقريب التهذيب (٦٢٥).

القاضي إذا أخطأ، برقم: (٣٥٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١٧)، وقال البيهقي بعد أن ذكر ثلاثة آثار كلها عن عمر ﵁ عن الرأي، ومنها هذا الأثر: "وهذه الآثار عن عمر ﵁ كلها مراسيل". المدخل إلى السنن الكبرى (١٨٩)؛ يعني منقطعة؛ لأن ابن شهاب لم يدرك عمر بن الخطاب ﵁. ينظر: إيقاظ الهمم (١١)، وقال الألباني: "ضعيف مقطوع". ضعيف سنن أبي داود (٢٨٦)، برقم: (٣٥٨٦).

معنى الآيات إجمالاً:

في الآية الأولى بيان فضل آدم ﵇ ، حيث أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض، فقالت الملائكة عليهم السلام: أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي، ويسفك الدماء، ونحن ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ونطهرك عن النقائص، فردّ الله على الملائكة إني أعلم من هذا الخليفة ما لا تعلمون؛ لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة أضعاف أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر.

وفي الآية الثانية يخبر تعالى أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب بالحق، وأخبر أنه أنزله ليحكم بين الناس؛ في الدماء والأعراض والأموال، وسائر الحقوق وفي العقائد، بما أراك الله لا بهواك، بل بما علمك الله وألهمك، ولما أمر الله بالحكم بين الناس المتضمن للعدل والقسط، نهاه عن الجور والظلم، الذي هو ضد العدل.

وفي الآية الثالثة يخبر تعالى أن المشركين بالله، المكذبين لرسله، الذين لا يؤمنون بالآخرة، بسبب عدم إيمانهم بالله تعالى، تجرأوا على ما تجرأوا عليه من الأقوال والأفعال المحادة لله ولرسوله، والحال أنه ليس لهم بذلك علم، وإنما يتبعون الظنّ

الذي لا يغني من الحق شيئاً، فإن الحق لا بد فيه من اليقين المستفاد من الأدلة(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى لما أخبر الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة، ردّ على استفهام الملائكة بأنه يعلم ما لا يعلمون، وأمر نبيه ﷺ بالحكم بما علمه لا بهواه، فأخذ من ذلك ذمّ الرأي المبني على غير أصل.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الرأي المبني على غير أس، والمستند إلى غير أصل، من كتاب ولا سنة؛ هو الرأي المذموم المنهي عنه(٢).

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[الإسراء: ٣٦].

وفي السنة من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال، يستفتون فيفتون برأيهم، فيَضِلُّون ويُضِلُّون)(٣).

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٨)و (١٩٩)و (٨٢٠).

(٢) ينظر: الاعتصام (١/ ٩٩).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي، برقم: (٦٨٧٧)، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، برقم: (٢٦٧٣).

قال البيهقي (ت:٤٥٨هـ): "وإنما أراد به - والله أعلم - الرأي الذي لا يكون مشبهاً بأصل، وفي معناه ورد ما روي عنه وعن غيره في ذمّ الرأي، فقد روينا عن أكثرهم اجتهاد الرأي في غير موضع النص"(١).

وقال الشاطبي (ت:٧٩٠هـ): "جميع البدع إنما هي رأي على غير أصل، ولذلك وصُف بوصف الضلال"(٢).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه(ت:٢٣هـ): "إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا: بالرأي فضلوا وأضلوا"(٣).

وقال السرخسي (ت:٤٩٠هـ): "أصل أحكام الشرع غير مبني على الرأي، ولهذا لا يجوز إثبات الحكم به ابتداء"(٤).

وقال الشهرستاني (ت:٥٤٨هـ): "اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس - لعنة الله - ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها؛ وهى النار، على مادة آدم عليه السلام؛ وهى الطين"(٥).

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "فظاهر في أنه أراد ذمّ من قال بالرأي مع وجود النص من الحديث؛ لإغفاله التنقيب عليه؛ فهذا يلام، وأولى منه باللوم من

(١) سنن البيهقي الكبرى (١٠/ ١١٧).

(٢) الاعتصام (١/ ٩٩).

(٣) أخرجه الدارقطني في سننه (٤/١٤٦). قال ابن القيم: "وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة". إعلام الموقعين (١/ ٥٥).

(٤) أصول السرخسي (٢/ ١٣٣).

(٥) الملل والنحل (١/ ١٦).

عرف النص، وعمل بما عارضه من الرأي، وتكلف لردّه بالتأويل"[١].

وقال الشاطبي (ت:٧٩٠هـ): "وأما الرأي غير الجاري على موافقة العربية، أو الجاري على الأدلة الشرعية، فهذا هو الرأي المذّموم من غير إشكال"[٢].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "ومعلوم أن هذه الآثار الذَّامّة للرأي، لم يقصد بها اجتهاد الرأي على الأصول من الكتاب والسنة والإجماع في حادثة لم توجد في كتاب ولا سنة ولا إجماع، ممن يعرف الأشباه والنظائر، وفقه معاني الأحكام، فيقيس قياس تشبيه وتمثيل، أو قياس تعليل وتأصيل، قياساً لم يعارضه ما هو أولى منه، فإن أدلة جواز هذا المفتي لغيره، والعامل لنفسه، ووجوبه على الحاكم والإمام، أشهر من أن تذكر هنا"[٣].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "والمقصود أن السلف جميعهم على ذمّ الرأي والقياس المخالف للكتاب والسنة، وأنه لا يحل العمل به، لا فتياً ولا قضاء، وأن الرأي الذي لا يعلم مخالفته للكتاب والسنة ولا موافقته، فغايته أن يسوغ العمل به عند الحاجة إليه، من غير إلزام، ولا إنكار على من خالفه"[٤].

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٨٩).

(٢) الموافقات (٣/ ٤٢٢).

(٣) الفتاوى الكبرى (٣/ ٢٢٩).

(٤) إعلام الموقعين (١/ ٧٧).

۞الاستنباط الثاني: (المحاجة بالباطل).

أخرج ابن أبي حاتم، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ ﴾[آل عمران: ٦٦]، قال: "يُعذر من حاجَّ بعلم، ولا يُعذر من حاجَّ بالجهل"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧٢)، وقال محققه في سلسلة رجال هذا السند في متن آخر: "في إسناده موسى بن محلب، لم أقف على ترجمته، وعباد بن منصور صدوق يدلس وتغير". الجزء الثاني من تفسير البقرة (٥٠٨).

معنى الآية إجمالاً:

في هذه الآية إنكار على من يحاجّ فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجُّوا في إبراهيم ﵇ بلا علم، ولو تحاجّوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى منهم، وإنما تكلموا فيما لا يعلمون، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم بردّ ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن اليهود والنصارى تحاجُّوا في إبراهيم بدون علم، فأنكر الله عليهم

(١) الدر المنثور (٣/ ٦١٨).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٦١).

محاجتهم فيما لا علم لهم به، فدل مفهومها على ذمّ الجدل بغير علم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الجدل بغير علم بالحجة والشُّبهة مذموم؛ لأن الاعتماد في الجدل على إقامة الحجة، أو حل الشبهة فيما وقعت فيه مخالفة[١].

قال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ): "أوضح دليل على صحة الاحتجاج للحق؛ لأنه لو كان الحِجَاج كله محظوراً لما فرق بين المحاجّة بالعلم وبينها إذا كانت بغير علم"[٢].

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده"[٣].

وقال نجم الدين الطوفي (ت:٧١٦هـ): "هذا حجة على أن شرط صحة المناظرة أن تكون في علم يعلمه المناظران، أما أن يناظرا في علم لا يعلمه أحدهما فلا، إذ مقصودها تحقيق الحق، وإبطال الباطل بالدليل، ومن لا يعرف ذلك العلم لا يمكنه ذلك، وإنما هو كالأعمى يريد الكتابة"[٤].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وقد ذمَّ الله تعالى في القرآن ثلاثة أنواع من المجادلة: ذمَّ صاحب المجادلة بالباطل ليدحض به الحق، وذمَّ المجادلة في الحق بعدما تبيّن، وذمّ المحاجَّة فيما لا يعلم المحاجّ،...، والذي ذمَّه السلف والأئمة من

---

(١) ينظر: التحبير شرح التحرير (٧/ ٣٧٢٩).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٩٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ١٠٨).

(٤) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (١/ ٤٠٩).

المجادلة والكلام هو من هذا الباب، فإن أصل ذمّهم الكلام؛ هو الكلام المخالف للكتاب والسنة، وهذا لا يكون في نفس الأمر إلا باطلاً، فمن جادل به جادل بالباطل"[١].

---

(١) درء التعارض (٧/ ١٧٠).

الاستنباط الثالث: (قياس إبليس الفاسد).

أخرج ابن جرير، عن الحسن في قوله: ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢]، قال: "قاس إبليس؛ وهو أول من قاس"(١).

تخريجه:

أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٧٦)، وابن جرير في تفسيره (١٢/ ٣٢٧)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ١١)، وقال: "إسناده صحيح".

معنى الآية إجمالاً:

لما أمر الله الملائكة الكرام أن يسجدوا لآدم - إكراماً واحتراماً - امتثلوا أمر ربهم فسجدوا إلا إبليس أبى أن يسجد له، تكبراً عليه، وإعجاباً بنفسه، فوبخه الله على ذلك، وقال: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾، قال إبليس معارضاً لربه: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾، ثم برهن على هذه الدعوى الباطلة بقوله له: ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾، وموجب هذا أن المخلوق من نار أفضل من المخلوق من طين؛ لعلو النار على الطين وصعودها؛ وهو قياس باطل، ولذلك بعدها أهبط إبليس من مرتبته العالية إلى أسفل سافلين(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

---

(١) الدر المنثور (٦/ ٣٣٦).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٨٤).

وذلك أن الله تعالى أمر إبليس بالسجود لآدم، فقاس ليدفع بقياسه ما أمره الله به نصاً، فجعل قوة النار على الطين دليل على أن الأضعف حكمه أن يخضع للأقوى، وأن آدم أولى بالسجود له، فوضع القياس في غير موضعه، فكان ذلك فاسداً لمخالفة النص، فكان أول ذنب عصي الله به القياس من إبليس[(١)].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

إذا جاء النص بخلاف القياس، علمنا قطعاً أنه قياس فاسد، فليس في الشريعة ما يخالف قياساً صحيحاً، لكن فيها ما يخالف القياس الفاسد، وإن كان من الناس من لا يعلم فساده[(٢)].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث علي ﷺ قال: (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه)[(٣)].

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "معنى كلام علي ﷺ: لكان مسح الأسفل أولى؛ كونه يلاقي النجاسات والأقذار، لكن الرأي متروك بالنص"[(٤)].

وقال الأمير الصنعاني (ت:٨٥٢هـ): "أي: بالقياس وملاحظة المعاني"[(٥)].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "كل قياس عارض النص فإنه لا يكون إلا

(١) ينظر: الفقيه والمتفقه (١/ ٥٠٣).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٠٥).

(٣) أخرجه أبوداود، كتاب الطهارة، باب كيف المسح، برقم: (١٦٢)، قال ابن حجر: "ورجال إسناده ثقات". فتح الباري (٤/ ١٩٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٥٣).

(٤) المجموع (١/ ٥٨٥).

(٥) سبل السلام (١/ ٥٨).

فاسداً، وأما القياس الصحيح فهو من الميزان الذى أنزله الله، ولا يكون مخالفاً للنص قط، بل موافقاً له"[١].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وما فسد ما فسد من أمر العالم، وخرب ما خرب منه، إلا بالقياس الفاسد، وأول ذنب عصي الله به القياس الفاسد، وهو الذي جرّ على آدم وذريته من صاحب هذا القياس ما جرّ، فأصل شر الدنيا والآخرة جميعه من هذا القياس الفاسد"[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٠٠).

(٢) إعلام الموقعين (٢/ ٢٧).

۞الاستنباط الرابع: (فضل الجمع بين تعلم القرآن والفقه).

أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الضحاك في قوله: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾[آل عمران: ٧٩]، قال: "حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً".

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن الضحاك قال: "لا يُعذر أحد؛ حر ولا عبد، ولا رجل ولا امرأة، لا يتعلم من القرآن جهده ما بلغ منه، فإن الله يقول: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ﴾[آل عمران: ٧٩]، يقول: "كونوا فقهاء، كونوا علماء"[(١)].

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٣٥٣)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ٢٦٨)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٢)، وقال محققه: "في إسناده ميمون"[(٢)]. الجزء الأول من تفسير سورة آل عمران (٣٦٧).

٢-الأثر الثاني أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٢)، وقال محققه: "في إسناده جويبر ضعيف؛ فالإسناد ضعيف". الجزء الأول من تفسير سورة آل عمران (٣٦٨).

---

(١) الدر المنثور (٣/ ٦٤٤-٦٤٥).

(٢) المراد: ميمون الوراق الخراساني، قال عنه ابن حجر: "مستور من السابعة"؛ ويطلق لفظ مستور، أو مجهول الحال؛ على من روى عنه أكثر من واحد ولم يوثق. ينظر: تقريب التهذيب (٧٤)و (٥٥٦).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى أنه لا ينبغي لأحد من البشر أن ينزل الله عليه كتابه، ويعلمه الحكمة، ويعطيه النبوة، ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه من دون الله؛ لأن هذا أقبح الأوامر على الإطلاق، والأنبياء أكمل الخلق على الإطلاق، فلا يأمرون إلا بمعالي الأمور، وهم أعظم الناس نهياً عن الأمور القبيحة، ولكن يقول لهم: كونوا ربانيين؛ يعني: حكماء حلماء معلمين للناس، ومربيهم بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أن الربانيين هم الذين جمعوا بين العلم والتعليم لكتاب الله، ومدارسة والتفقه فيه، فدل مفهومها على أن من تعلم القرآن ينبغي له أن يتعلم الفقه؛ لأن من صفات الرباني الجمع بين العلم والفقه، وأهل القرآن هم أولى الناس بهذا الوصف.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

العالم الربَّاني هو الذي وفقه الله للجمع بين العلم والعمل، والفقه في الدين.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾[البقرة: ٢٦٩].

(١) ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٣٨)، تيسير الكريم الرحمن (١٣٦).

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وأحسن ما قيل في الحكمة: قول مجاهد ومالك: أنها معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقه في شرائع الإسلام، وحقائق الإيمان"(١).

وفي السنة من حديث معاوية ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (من يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين)(٢).

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "فيه فضيلة العلم والتفقه في الدين والحث عليه، وسببه أنه قائد إلى تقوى الله تعالى"(٣).

وقال الأمير الصنعاني (ت:٨٥٢هـ): "والحديث دليل على عظمة شأن التفقه في الدين، وأنه لا يعطاه إلا من أراد الله به خيراً عظيماً"(٤).

قال نجم الدين الطوفي (ت:٧١٦هـ): "تدل [يقصد الآية] على أن من علم الكتاب وعلمه ودرسه كان ربانياً، وهو مُشَاهد"(٥).

وقال ابن عبدالبر (ت:٤٦٣هـ): "فأول العلم حفظ كتاب الله جلّ وعزّ وتفهمه، وكل ما يُعِين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول: أن حفظه كله فرض ولكن أقول: أن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالماً، ليس من

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين، برقم: (٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم: (١٠٣٧).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٢٨).

(٤) سبل السلام (٤/ ٢٠٥).

(٥) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (١/ ٤١٢).

باب الفرض"[١].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "إن كان قد حفظ القرآن أو بعضه وهو لا يفهم معانيه، فَتَعلُّمِه لما يفهمه من معاني القرآن أفضل من تلاوة ما لا يفهم معانيه"[٢].

وقال الخازن (ت:٧٢٥هـ): "فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً، فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه، وخاب سعيه"[٣].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٦٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٥٦).

(٣) لباب التأويل (١/ ٣٧٣).

۞**الاستنباط الخامس: (وجوب اتباع الدليل).**

أخرج ابن أبي شيبة، والبخاري، وأبوداود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، عن هزيل بن شرحبيل[١] قال: "جاء رجل إلى أبي موسى[٢] وسلمان بن ربيعة[٣] فسألهما عن ابنة وابنة ابن وأخت؟ فقال: "للابنة النصف، وللأخت النصف، وائتِ عبدالله فإنه سيُتابعُنا، فأتى عبدالله فأخبره، فقال: ﴿ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾[الأنعام: ٥٦]؛ لأقضينّ فيها بقضاء رسول الله ﷺ؛ للابنة النصف، ولابنة الابن السدس، وما بقي فللأخت"[٤].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ١٩٤)، والبخاري، كتاب الفرائض، باب ميراث ابنة بن مع ابنة، برقم: (٦٣٥٥)، وأبوداود، كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الصُّلب، برقم: (٢٨٩٠)، والترمذي، كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث ابنة الابن مع ابنة الصُّلب، برقم: (٢٠٩٣)، والنسائي، كتاب الفرائض، باب توريث ابنة الابن مع الابنة، برقم: (٦٣٣٠)، وابن ماجة، كتاب الفرائض، باب فرائض الصُّلب، برقم: (٢٧٢١)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٠٢).

---

(١) هزيل بن شرحبيل الأودي الكوفي، تابعي ثقة، قليل الحديث، من أصحاب ابن مسعود ﷺ. ينظر: طبقات ابن سعد (٦/ ١٧٦)، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٠).

(٢) يقصد به الاشعري ﷺ.

(٣) سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي، أبوعبدالله، مختلف في صحبته، ثقة، بعثه عمر قاضياً على الكوفة، استشهد في بلاد أرمينية سنه (٢٨هـ)، في خلافة عثمان ﷺ. ينظر: الاستيعاب (٢/ ٦٣٢)، الإصابة (٣/ ١٣٩).

(٤) الدر المنثور (٦/ ٦١).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى لنبيه ﷺ قل لهؤلاء المشركين الذين يدعون مع الله آلهة أخرى: إني نُهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله من الأنداد والأوثان، التي لا تملك نفعاً ولا ضراً، وليس لكم في عبادتها حجة ولا شبهة، إلا اتباع الهوى الذي اتّباعه أعظم الضلال، ولهذا قال: ﴿ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا ﴾؛ أي: إن اتبعت أهواءكم، وما أنا من المهتدين بوجه من الوجوه، وأما ما أنا عليه من توحيد الله، وإخلاص العمل له، فإنه هو الحق الذي تقوم عليه البراهين، والأدلة القاطعة[(١)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى نهى نبيه محمد ﷺ عن عبادة ما يعبده المشركون من بعد ما جاءه الهدى، وإن فعلت ذلك صرت ضالاً مثلكم، فدل مفهومها على أن الفتيا بالخطأ ضلال، وخلاف للهدى[(٢)].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أوجب الله علينا اتباع كتابه وسنة رسوله ﷺ، والرجوع إليهما عند التنازع والاختلاف.

وجاء في آيات كثيرة ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٥٨).

(٢) ينظر: الإحكام لابن حزم (٥/ ٧١).

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[النساء: ٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾[الأعراف: ٣]، وقوله جل وعلا: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور: ٦٣].

قال ابن حزم (ت:٤٥٦هـ): "فصح أنه لا يحل الردّ عند التنازع إلى شيء غير كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وفي هذا تحريم الرجوع إلى قول أحد دون رسول الله ﷺ؛ لأن من رجع إلى قول إنسان دونه ﵇ فقد خالف أمر الله تعالى بالردّ إليه، وإلى رسوله، لا سيما مع تَعْلِيقِه تعالى ذلك بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[النساء: ٥٩]، ولم يأمر الله تعالى بالرجوع إلى قول بعض المؤمنين دون جميعهم"[١].

وقال ابن عبدالبر (ت:٤٦٣هـ): "إذا كان الصحابة خير أمة أخرجت للناس، وهم أهل العلم والفضل، لا يكون أحدهم حجة على صاحبه، إلا الحجة من كتاب الله أو سنة نبيه، فمن دونهم أولى أن يعضد قوله بما يجب التسليم له"[٢].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله سبحانه وتعالى فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله"[٣].

---

(١) المحلى (١/ ٥٥).

(٢) الاستذكار (٤/ ٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١٠).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "ولا خلاف بين الأئمة أنه إذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ، لم يكن عدم العلم بالقائل به مسوغاً لمخالفته، فإنه دليل موجب للاتباع، وعدم العلم بالمخالف لا يصلح أن يكون معارضاً، فلا يجوز ترك الدليل له"(١).

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "لا يلتفت إلى الآراء ولو قَوِيت مع وجود سنة تخالفها، ولا يقال: كيف خفي ذا على فلان"(٢).

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٥٧٩).

(٢) فتح الباري (١/ ٧٦).

۞**الاستنباط السادس: (الحذر من عالم السوء).**

أخرج أبوالشيخ، عن الفضيل بن عياض قال: "اتبعوا عالم الآخرة، واحذروا عالم الدنيا لا يضركم بسكره، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٣٤]"[(١)].

تخريجه:

أخرجه أبونعيم في الحلية (٨/ ٩٢)، ورجال السند ثقات[(٢)].

معنى الآية إجمالاً:

في هذه الآية تحذير من الله تعالى لعباده المؤمنين عن كثير من علماء وعبَّاد أهل الكتاب الذين يأكلون أموال الناس بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، فإنهم إذا كانت لهم رواتب من أموال الناس، أو بذَل الناس لهم من أموالهم، فإنه لأجل علمهم وعبادتهم، ولأجل هُداهم وهدايتهم، وهؤلاء يأخذونها ويمنعون الناس

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٣٢٧).

(٢) رجال الإسناد:

١- الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي، أبوعلي الزاهد المشهور، ثقة عابد، توفي سنة (١٨٧هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ٧٣)، تقريب التهذيب (٤٤٨).

٢- عبدالصمد بن يزيد الصائغ أبوعبدالله مردويه، ثقة من أهل السنة والورع، توفي سنة (٢٣٥هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ٥٢)، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٩٣).

٣- أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، أبويعلى، ثقة حافظ، صاحب المسند الكبير، توفي سنة (٣٠٧هـ). ينظر: الثقات (٨/ ٥٥)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٠٧).

٤- محمد بن إبراهيم بن علي الأصفهاني المقرئ، ثقة مأمون، صاحب المعجم الكبير، توفي سنة (٣٨١هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٥٩)، طبقات الحفاظ (٣٨٨).

من الدخول في الإسلام، فيكون أخذهم لها على هذا الوجه سُحتاً وظلماً، فإن الناس ما بذلوا لهم من أموالهم إلا ليدلوهم على الطريق المستقيم، ومن أخذهم لأموال الناس بغير حق أن يعطوهم ليفتوهم، أو يحكموا لهم بغير ما أنزل الله، فهؤلاء الأحبار والرهبان يُحذر منهم هاتان الحالتان: أخذهم لأموال الناس بغير حق، وصدهم الناس عن سبيل الله(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أن كثيراً من علماء أهل الكتاب يأكلون أموال الناس بغير حق، ويصدون عن الدين، فدل مفهوم الصفة على أن القليل منهم خلاف ذلك، وأنه يجب على هذه الأمة الحذر من علماء السوء الذين يشابهون أهل الكتاب في فعلهم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

كل من آثر الدنيا على الآخرة من أهل العلم فلا بد أن يقول على الله غير الحق، في فتواه وحكمه؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس(٢).

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٣٥).

(٢) ينظر: الفوائد (١٠٠).

لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ ﴾[الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه"(١).

وقال أبوطالب المكي (ت:٢٨٦هـ): "واعلم أن كل محب للدنيا ناطق بعلم، فإنه آكل للمال بالباطل، وكل من أكل أموال الناس بالباطل، فإنه يصدّ عن سبيل الله لا محالة، وإن لم يظهر ذلك في مقاله، ولكنك تعرفه في لحن معناه، بدقائق الصد عن مجالسة غيره، وبلطائف المنع من طرقات الآخرة؛ لأن حب الدنيا وغلبة الهوى يحكمان عليه بذلك شاء أم أبى،...، وقد وصف الله تعالى علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم، ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد"(٢).

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "والمقصود التحذير من علماء السوء، وعباد الضلال، كما قال سفيان بن عيينة: "من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى"(٣).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع الطرق"(٤).

---

(١) الفوائد (١٠١).

(٢) قوت القلوب (١/ ٢٤٤-٢٤٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٧٨).

(٤) الفوائد (٦١).

وبيّن ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) الفرق بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا، بقوله: "والأمر الفارق بين الفئتين: أن علماء الدنيا، ينظرون إلى الرياسة فيها، ويحبون كثرة الجمع والثناء، وعلماء الآخرة بمعزل من إيثار ذلك، وقد كانوا يتخوفونه، ويرحمون من بلي به"[1].

(١) صيد الخاطر (٢٠).

الاستنباط السابع: (فقه الفتوى).

أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن زيد قال: "لم يرض يوسف عليه السلام أن أفتاهم بالتأويل حتى أمرهم بالرفق، فقال: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ ﴾[يوسف: ٤٧]؛ لأن الحبَّ إذا كان في سنبله لا يُؤكلُ"[1].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٣)، وقال محققه في سلسلة رجال هذا السند في متن آخر: "في إسناده عبدالرحمن بن زيد؛ وهو ضعيف، وعليه فهو إسناد ضعيف". الجزء الثاني من تفسير سورة البقرة (٩٠٦).

معنى الآية إجمالاً:

تحدثت الآية عن رؤيا ملك مصر، وذلك أنه رأى هذه الرؤيا فهالته وتعجب من أمرها، فجمع علماء قومه، وذوي الرأي منهم، فقص عليهم ما رأى، وسألهم عن تأويلها، فلم يعرفوا ذلك، فعند ذلك تذكر الذي نجا من الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف، فقال للملك والذين جمعهم لذلك، أنا أنبئكم بتأويل هذا المنام، فابعثون إلى يوسف الصديق في السجن، فذكر له المنام الذي رآه الملك، فعند ذلك ذكر له يوسف عليه السلام تعبيرها، فقال: يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات، ففسّر البقر بالسنين؛ لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمار والزروع، وهنّ السنبلات الخضر، ثم أرشدهم إلى استغلال السبع السنين الخصب، بأن يتركوا الحب في سنبله؛ ليكون أبقى له، إلا المقدار الذي يأكلونه، ولا يسرفوا فيه؛

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٢٦٧).

لينتفعوا في السبع الشِّداد، التي تعقب هذه السبع المتواليات، وأخبرهم أنهنّ لا ينبتن شيئاً، وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شيء، ثم بشرهم بعد الجدب العام المتوالي بأنه يعقبهم بعد ذلك عام يأتيهم الغيث، وتغل البلاد، ويعصر الناس ما كانوا يعصرون[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن يوسف عليه السلام لما عَبَّرَ لهم الرؤيا، أمرهم أن يتركوا الحب في سنبله؛ ليكون أبقى له، وأشار عليهم بتقليل ما يأكلون، فدل ذلك على أن يوسف عليه السلام قدم لهم هذه النصيحة زيادة على تعبير الرؤيا، من باب الرفق بهم مما سيحدث لهم بعد السبع السنين الخصب من الشدة والقحط.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

يستحب للمفتي إذا رأى بالسائل حاجة إلى غير ما سأل، أن يضمه في الجواب، وهو من كمال نصحه وعلمه وإرشاده[٢].

قال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "وهذا مشورة أشار بها نبي الله ﷺ على القوم، ورأي رآه لهم صلاحاً، يأمرهم باستبقاء طعامهم"[٣].

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "إشارة برأي نبيل نافع، بحسب طعام مصر

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٥).

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ١٦٩)، إعلام الموقعين (٤/ ١٥٨).

(٣) جامع البيان (١٦/ ١٢٦).

وحنطتها، التي لا تبقى عامين بوجه، إلا بحيلة إبقائها في السنبل، فإن الحبة إذا بقيت في خبائها انحفظت"(١).

ويدل على هذا المعنى ما جاء في السنة، من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سأل رجل النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر، فقال رسول الله ﷺ: (هو الطهور ماؤه، الحل ميتته)(٢).

قال ابن الصلاح (ت:٦٤٣هـ): "إذا كان المُستفتِي بعيد الفهم، فينبغي للمُفتي أن يكون رفيقاً به، صبوراً عليه، حسن التأني في التفهم منه، والتفهيم له، حسن الإقبال عليه، لا سيما إذا كان ضعيف الحال، محتسباً أجر ذلك فإنه جزيل"(٣).

وقال النووي (ت:٦٧٦هـ): "يستحب للعالم والمفتي إذا سئل عن شيء، وعلم أن بالسائل حاجة إلى أمر آخر متعلق بالمسؤول عنه، لم يذكره السائل، أن يذكره له ويعلمه إياه؛ لأنه سأل عن ماء البحر، فأجيب بمائه وحكم ميتته؛ لأنهم

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٠).

(٢) أخرجه أبوداود، كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر، برقم: (٨٣)، والترمذي، كتاب أبواب الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر، برقم: (٦٩)، والنسائي، كتاب الطهارة، باب ذكر ماء البحر والوضوء منه، برقم: (٥٨)، وابن ماجة، كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر، برقم: (٣٨٦).
قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وقال الهيثمي: "إسناده حسن". مجمع الزوائد (١/ ٢١٥).

(٣) أدب المفتي والمستفتي (١٣٥).

يحتاجون إلى الطعام كالماء"[١].

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية، التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال، فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، وكل ما يفوّت شيئاً منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة، ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية؛ ليحصل لهم التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته، الموصلتين إلى السعادة الأخروية"[٢].

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "وكان ما أشار به يوسف عليه السلام على الملك من الادخار تمهيداً لشرع ادخار الأقوات للتموين، كما كان الوفاء في الكيل والميزان ابتداء دعوة شعيب عليه السلام، وأشار إلى إبقاء ما فضل عن أقواتهم في سنبله ليكون أسلم له من إصابة السوس الذي يصيب الحب إذا تراكم بعضه على بعض، فإذا كان في سنبله دفع عنه السوس، وأشار عليهم بتقليل ما يأكلون في سنوات الخصب لادخار ما فضل عن ذلك لزمن الشدة"[٣].

---

(١) المجموع (١/ ١٢٦).

(٢) جامع أحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٢٠٣).

(٣) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٧).

۞الاستنباط الثامن: (الخوف من الفتيا).

أخرج ابن أبي حاتم، عن أبي نضرة[1] قال: "قرأتُ هذه الآية في سورة النحل: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾[النحل: ١١٦] إلى آخر الآية، فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا".

وأخرج الطبراني، عن ابن مسعود قال: "عسى رجل أن يقول: إن الله أمر بكذا، ونهى عن كذا، فيقول الله ﷻ له: كذبت، أو يقول: إن الله حرم كذا، وأحل كذا، فيقول الله له: كذبت"[2].

تخريجه:

١- الأثر الأول لم أجده في المطبوع من تفسير ابن أبي حاتم؛ ولم أقف على سنده.

٢- الأثر الثاني أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٠٤)، قال الهيثمي: "فيه من لم يُسمّ". مجمع الزوائد (١/ ١٧٧).

معنى الآية إجمالاً:

أوضحت هذه الآية الكريمة أن المُشَرِّعِينَ غَيرَ ما شَرَّعهُ الله إنما تصف ألسنتهم الكذب؛ لأجل أن يفتروه على الله، وأنهم لا يفلحون، وأنهم يمتعون قليلاً ثم يعذبون العذاب الأليم[3].

---

(١) المنذر بن مالك الغفاري، أبونضرة، مشهور بكنيته، تابعي ثقة، من أهل البصرة، وكان من فصحاء الناس، توفي سنة (١٠٨هـ)، وقيل: (١٠٩هـ). ينظر: الثقات (٥/ ٤٢٠)، تقريب التهذيب (٥٤٦).

(٢) الدر المنثور (٩/ ١٢٩).

(٣) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٥٣).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ نهى الكفار عن تحريم ما أحله من رزقه، وتحليل ما حرمه، وأخبر أن هذا التحليل والتحريم من الكذب عليه، فأخذ من ذلك أن كل من أفتى بخلاف ما في كتاب الله والسنة فهو مفترٍ على الله؛ لأنه يخبر عن حكم الله تعالى.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

المفتي بالحجة والبرهان من ورثة الأنبياء عليهم السلام، وقائم بفرض الكفاية، ولقد هاب السلف ﷺ التصدّر للفتوى؛ لعظيم خطرها، إذ أن المفتي موقع عن الله تعالى.

وقد جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تؤيد هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال جل وعلا: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾** ﴾[الأعراف: ٣٣].

وفي السنة من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من أُفْتِي بغير علم كان إثمه على من أفتاه)[(١)].

---

(١) أخرجه أبوداود، كتاب العلم، باب التوقي في الفتيا، برقم: (٣٦٥٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٥)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ولا أعرف له علة"، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢ / ٤١٠)، برقم: (٣٦٥٧).

قال ابن أبي ليلى (ت:١٤٨هـ): "أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ فما كان منهم مُحدِّث إلا ودَّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مُفتٍ إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفُتيا"(١).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويودُّ كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره"(٢).

قال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "ويقال في الآية تنبيه للقضاة والمفتين كي لا يقولوا قولاً بغير حجة وبيان"(٣).

وقال ابن الصلاح (ت:٦٤٣هـ): "شامل بمعناه من زاغ في فتواه، فقال في الحرام: هذا حلال، أو في الحلال: هذا حرام، أو نحو ذلك"(٤).

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه"(٥).

قال الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ): "هذه الآية تتناول بعموم لفظها فتيا من أفتى بخلاف ما في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ"(٦).

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٩)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٦٣).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٣٣).

(٣) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٩٥).

(٤) أدب المفتي والمستفتي (٨٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٧١٨).

(٦) فتح القدير (٣/ ٢٠١).

وقال الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾[يونس:٥٩]: "كفى بهذه الآية زاجرة زجراً بليغاً عن التَّجوّز فيما يُسأل عنه من الأحكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه، وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان، ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت، وإلا فهو مُفترٍ على الله"(١).

(١) الكشاف (٢/ ٣٣٧).

۞الاستنباط التاسع: (التؤدة في تعلم القرآن).

أخرج البيهقي في شعب الإيمان، عن عمر في قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[الإسراء: ١٠٦]، قال: "تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً خمساً"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٤٦-٣٤٧)، وقال محققه: "إسناده فيه مستور"، وقال ابن كثير: "رويناه عنه بسند جيد". فضائل القرآن (١٤٢)، وضعف الألباني الجزء الثاني من هذا الأثر في ضعيف الجامع الصغير (٦٥٣)، برقم: (٤٥١٥).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز؛ وهو القرآن، أنه أنزله مفرقاً، أي: فارقاً بين الهدى والضلال، والحق والباطل، لتقرأه على الناس على مهل؛ ليتدبروه، ويتفكروا في معانيه، ونزّله الله شيئاً فشيئاً، مُفرقاً في ثلاث وعشرين سنة(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى أنزل القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ مفرقاً؛ ليقرأه على الناس على مَهَلٍ وتُؤَدةٍ، فأخذ من ذلك أن تعلم القرآن ينبغي أن يكون كذلك.

---

(١) الدر المنثور (٩/ ٤٥٨).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٦٨).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

من أفضل ما صُرِفت فيه الأوقات، وأنفقت فيه الأعمار، تعلم كتاب الله تعالى وحفظه وتعليمه.

قال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "وقد بيّن جل وعلا أنه بيّن هذا القرآن لنبيه ليقرأه على الناس على مُكث؛ أي مَهَلٍ وتُؤَدةٍ وتَثَبُّتٍ، وذلك يدل على أن القرآن لا ينبغي أن يقرأ إلا كذلك، وقد أمر تعالى بما يدل على ذلك في قوله: ﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾[المزمل: ٤]، ويدل لذلك أيضاً قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٢]"(١).

وعن أبي عبدالرحمن السلمي (ت:٧٤هـ) قال: "حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات، لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعاً"(٢).

قال إسحاق بن عيسى (ت:٢١٥هـ)(٣): سمعت مالكاً يوماً عاب العجلة في الأمور، ثم قال: "قرأ ابن عمر البقرة في ثمان سنين"(٤).

---

(١) أضواء البيان (٣/ ١٨٨).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٨٠)، وقال أحمد شاكر: "هذا إسناد صحيح متصل،...، وإبهام الصحابي لا يضر، بل يكون حديثه مسندًا متصلاً"، وصححه محقق تفسير ابن كثير. (١/ ٧).

(٣) إسحاق بن عيسى البغدادي، أبويعقوب، صدوق، توفي سنة (٢١٥هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ٢٣٠)، تقريب التهذيب (١٠٢).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٤٥)، وقال محققه: "إسناده رجاله ثقات".

عن عمرو بن مُرَّة أنه سمع أبا وائل يحدث: أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال: "إني قرأت المُفصل الليلة كله في ركعة، فقال عبدالله: هذّاً كهذِّ الشِّعر"(١).

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "ففيه النهي عن الهذِّ، والحث على الترتيل والتدبر، وبه قال جمهور العلماء"(٢).

قال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "وفائدة هذا أن يرسخ حفظه، ويتلقاه السامعون فيعلق بحوافظهم، ويتدبر قارئه وسامعه معانيه؛ كي لا يسبق لفظ اللسان عمل الفهم"(٣).

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وفي قوله: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه: ١١٤]، أدب طالب العلم، وأنه ينبغي له أن يتأنى في تدبره وتأمله للعلم، ولا يستعجل بالحكم على الأشياء، ولا يعجب بنفسه، ويسأل ربه العلم النافع والتسهيل"(٤).

وأما الجزء الثاني من الحديث؛ فهو ضعيف كما سبق، واختُلِف في المراد به.

فقال السيوطي (ت:٩١١هـ): "فالجواب: أن معناه - إن صح - إلقاؤه إلى النبي ﷺ بهذا القدر حتى يحفظه، ثم يلقى إليه الباقي لا إنزاله بهذا القدر خاصة، ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقي أيضاً، عن خالد بن دينار قال: قال لنا أبو العالية:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القرآن واجتناب الهذّ، برقم: (٨٢٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٠٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٦٠).

(٤) فتح الرحيم الملك العلام (١٦٧).

تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً"[(١)](٢).

وقال عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ): "يحتمل أن المراد خمس آيات، ويحتمل الأحزاب، ويحتمل السور، ولم أر من تعرض لتعيين ذلك"[(٣)].

وهذا القول إذا صح فالمراد به الغالب، فإنه قد صح أنه نزل بأكثر من ذلك، وبأقل منه، ونزلت سور كاملة، وسور عدد آياتها أقل من خمس[(٤)].

قال السيوطي (ت:٩١١هـ): "الذي اسْتُقْرِئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها: أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة، خمس آيات وعشراً، وأكثر وأقل"[(٥)].

الخلاصة:

أن التؤدة والتمهل في تعلم القرآن يثبت الحفظ، ويساعد على الفهم والتدبر، وأن التحديد بنزول القرآن خمس آيات مع ضعفه يخالف ما جاء في الأحاديث الصحيحة.

وأما مُجرَّد الحفظ والتعليم فلا يخالف الأحاديث الصحيحة ولا يوافقها.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/٣٤٦)، وقال محققه: "إسناده ضعيف؛ لأجل أحمد بن عبدالجبار؛ وهو العطاردي".

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٢٤).

(٣) فيض القدير (٥/ ١٩٣).

(٤) ينظر: روح المعاني (١٥/ ١٨٨).

(٥) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٢٣).

۞الاستنباط العاشر: (أثر العلم على العبد في عبادته).

أخرج ابن المبارك، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن عبدالأعلى التيمي(١) قال: "إن من أُوتي من العلم ما لا يبكيه، لخليق أن قد أُوتي من العلم ما لا ينفعه؛ لأن الله نعت أهل العلم، فقال: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾[الإسراء: ١٠٩]"(٢).

تخريجه:

أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٤١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٠٤)، والدارمي في سننه (١/ ٣٣٥)، وقال محققه: "إسناده جيد"، وأحمد في الزهد (١٦٦)، وابن جرير في تفسيره (١٧/ ٥٧٩).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين - بما جئتهم به من هذا القرآن العظيم - : سواء آمنتم به، أو لم تؤمنوا، فهو حق في نفسه، أنزله الله، ونوّه بذكره في سالف الأزمان في كتبه المنزلة على رسله، ولهذا قال: إن الذين أوتوا العلم من قبله؛ أي: من صالحي أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابهم ويقيمونه، ولم يبدلوه ولا حرفوه، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون للأذقان سجداً لله ﷻ شكراً على ما أنعم به عليهم، من جعلهم أهلاً إن يدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه هذا

---

(١) عبدالأعلى التيمي، رجل صالح، وأحد العباد الخائفين، روى عن إبراهيم التيمي وغيره، وروى عنه مسعر بن كدام والمسعودي، ترجم له ابن حاتم في الثقات. ينظر: العلل ومعرفة الرجال (١/ ٣٠٦)، الثقات (٧/ ١٣١)، تاريخ الإسلام (٨/ ٤٥٨).

(٢) الدر المنثور (٩/ ٤٦٠).

الكتاب[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى وصف أهل العلم من أهل الكتاب بأنهم يبكون عند سماع آيات الله، فدل مفهومها على أن أهل العلم حقيقة هم الذين يخشون عند سماع آيات الله تعالى؛ لأن العلم يورث الخشية، فمن كان بالله وصفاته أعلم كان له أخشى وأتقى.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

البكاء من خشية الله تعالى من أجل أعمال القلوب، وكل من خشي الله واتقاه، وانتهى عما نهاه، وقام بما افترض عليه فهو العالم بشهادة الله له[2].

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال سبحانه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾[مريم: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر: ٢٨].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "يقتضي أن كل من خشي الله فهو عالم، فإنه لا يخشاه إلا عالم، ويقتضي أيضاً أن العالم من يخشى الله، كما قال السلف"[3].

وفي السنة من حديث عمرو بن مُرَّة قال: (قال لي النبي ﷺ اقرأ علي، قلت: آقرأ

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٢٨).

(٢) ينظر: الاستذكار (٨/ ٥٨٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٢).

عليك وعليك أنزل، قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾[النساء: ٤١]، قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان)(١).

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "ويستحب البكاء عند القراءة، وهي صفة العارفين، وشعار عباد الله الصالحين،...، وطريقه في تحصيل البكاء: أن يتأمل ما يقرؤه من التهديد والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود، ثم يفكر في تقصيره فيها، فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء، فليبك على فقد ذلك، فإنه من المصائب"(٢).

وجاء في حديث عمر بن أبي سلمة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له)(٣).

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فجمع بين العلم والخشية، وهما الأصلان اللذان جمع القرآن بينهما"(٤).

وقال ابن جزي (ت:٧٤١هـ): "العبد إذا عرف الله خاف من عقابه، وإذا لم يعرفه لم يخف منه، فلذلك خص العلماء بالخشية"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب التفسير، باب ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾، برقم: (٤٣٠٦)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن، برقم: (٨٠٠).

(٢) المجموع (٢/ ١٨٧-١٨٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة، برقم: (١١٠٨).

(٤) هداية الحيارى (١٥٥).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ١٥٨).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وكل من خشيه وأطاعه، وترك معصيته فهو عالم، كما قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾[الزمر: ٩]"(١).

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه، وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:٥٠]، والأنبياء بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ ﴾[الأحزاب: ٣٩]، وإنما كان خوف المقربين أشدّ؛ لأنهم يُطالبوُن بما لا يُطالبُ به غيرهم، فيراعون تلك المنزلة؛ ولأن الواجب لله منه الشكر على المنزلة، فيضاعف بالنسبة لعلو تلك المنزلة، فالعبد إن كان مستقيماً فخوفه من سوء العاقبة؛ لقوله تعالى: ﴿ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾[الأنفال: ٢٤]، أو نقصان الدرجة بالنسبة، وإن كان مائلاً فخوفه من سوء فعله، وينفعه ذلك مع الندم والإقلاع، فإن الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية، والتصديق بالوعيد عليها، وأن يحُرم التوبة، أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له، فهو مشفق من ذنبه، طالب من ربه أن يدخله فيمن يغفر له"(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٢).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣١٣).

۞الاستنباط الحادي عشر: (فضل كتابة العلم).

أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي المَلِيح قال: "الناس يعيبُون علينا الكتابَ، وقال الله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾[طه: ٥٢]"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣١٤)، والدارمي في سننه (١/ ٤٣١)، وقال محققه: "إسناده صحيح".

معنى الآية إجمالاً:

لما أخبر موسى عليه السلام فرعون أن ربه الذي أرسله؛ هو الذي خلق ورزق، وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى؛ أي: الذين لم يعبدوا الله؛ أي: فما بالهم إذا كان الأمر كذلك لم يعبدوا ربك، بل عبدوا غيره، فقال له موسى في جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه، فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله؛ وهو اللوح المحفوظ، وكتاب الأعمال، لا يضل ربي ولا ينسى؛ أي: لا يشذُّ عنه شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئاً[(٢)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعال أحصى وكتب أعمال الأمم السابقة وأودعها في اللوح المحفوظ، مع كمال علمه سبحانه، وإحاطته بكل شيء؛ ولم يودعها خشية النسيان

---

(١) الدر المنثور (١٠/ ٢١٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٩٢).

والضلال؛ لأنه مُنزَّه عن ذلك، فدل مفهومها على أن الإنسان أولى بالكتابة؛ لأن علمه ناقص، إذ أنه معرض للخطأ والنسيان.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

لقد امتنَّ الله على الإنسان بالقراءة والكتابة، ولا شك أن تدوين العلم وتقييده بالكتاب مما يُحفَظه من الضياع والنسيان.

قال البلقيني (ت:٨٠٥هـ)(١) في هذا الأثر: "هذا أحسن استنباط لكتابة الحديث والعلم"(٢).

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال ابن فارس (ت:٣٩٥هـ): "وأعلى ما يحتجّ به في ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ ﴾[القلم: ١]"(٣).

وقد أدَّب الله جل ثناؤه عباده بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾، ثم قال: ﴿ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ ﴾[البقرة:٢٨٢]، فجعل كتابة الدين وأجله وكميته من القسط عنده، وجعل ذلك قيماً للشهادة،

(١) لعل المراد: سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الشافعي المتوفي (٨٠٥هـ)، وقد ذكر هذا الأثر في النوع الخامس والعشرين: في كتابة الحديث وكيفية ضبط الكتاب وتقييده، في كتابه محاسن الاصطلاح (٣٦٨)، وهذا الباب هو مظنة هذه المقولة إلا أني لم أجدها، فلعلها سقطت من هذا الكتاب أو ذكرها في كتبه التي لم تطبع.

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل (١٧٧).

(٣) مأخذ العلم (٢٩).

ونفياً للارتياب"[(١)].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي هريرة ﷺ في فتح مكة، وفيه: فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن، فقال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ:(اكتبوا لأبي شاه)[(٢)].

قال البغوي (ت:٥١٦هـ): "وفيه دليل على جواز كتبة أحاديث الرسول ﷺ وتدوينها، وعلى جواز كتبة العلم، وعليه أكثر السلف وعامة الخلف"[(٣)].

وقال النووي (ت:٦٧٦هـ): "هذا تصريح بجواز كتابة العلم غير القرآن،...، وجاءت أحاديث بالنهي عن كتابة غير القرآن، فمن السلف من منع كتابة العلم، وقال جمهور السلف بجوازه، ثم أجمعت الأمة بعدهم على استحبابه، وأجابوا عن أحاديث النهي بجوابين، أحدهما: أنها منسوخة، وكان النهي في أول الأمر قبل اشتهار القرآن لكل أحد، فنهي عن كتابة غيره خوفاً من اختلاطه واشتباهه، فلما اشتهر وأمنت تلك المفسدة أُذِن فيه، والثاني: أن النهي نهى تنزيه لمن وثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة، والإذن لمن لم يوثق بحفظه"[(٤)].

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "العلم لا يضبط إلا بالكتاب، ثم بالمقابلة والمدارسة، والتعهد والتحفظ، والمذاكرة والسؤال، والفحص عن الناقلين، والثقة

---

(١) ينظر: مأخذ العلم (٢٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب في اللقطة، باب كيف تعرَّف لقطة أهل مكة، برقم: (٢٣٠٢)، ومسلم، كتاب الحج، باب تحريم منة وصيدها، برقم: (١٣٥٥).

(٣) شرح السنة (٧/ ٣٠٢).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ١٢٩).

بما نقلوا، وإنما كره الكتب من كره من الصدر الأول؛ لقرب العهد، وتقارب الإسناد؛ لئلا يعتمده الكاتب فيهمله، أو يرغب عن حفظه والعمل به، فأما والوقت متباعد، والإسناد غير متقارب، والطرق مختلفة، والنقلة متشابهون، وآفة النسيان معترضة، والوهم غير مأمون، فإن تقييد العلم بالكتاب أولى وأشفى، والدليل على وجوبه أقوى"[١].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٢٩).

۞الاستنباط الثاني عشر: (فضل العلم).

أخرج ابن أبي حاتم، عن عمرو بن مُرَّة قال: "ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفُها إلا أحزنتني؛ لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ۝٤٣﴾[العنكبوت: ٤٣]"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٤)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ٦٢)، وقال محققه: "سنده حسن".

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذكره: وهذه الأمثال؛ وهي الأشباه والنظائر، نُمثلها ونُشبهها، وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم، المتضلعون منه(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أن الأمثال المضروبة في القرآن يفهمها العلماء، فدل الحصر على أن من لم يفهمها ليس من أهل العلم؛ لأن الأمثال تضرب للأمور الكبار، والمسائل الجليلة، فإذا لم يعرف هذه المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى.

---

(١) الدر المنثور (١١/ ٥٥٠).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٠/ ٤٠)، تفسير القرآن العظيم (٦/ ٦٢).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أهل العلم هم المنتفعون بأمثال القرآن، فهم الذين يعقلون صحة هذه الأمثال وحسنها وفائدتها.

قال الحكيم الترمذي (ت:٣٢٠هـ): "فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم؛ لحاجتهم إليها؛ ليعقلوا بها، فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة، فمن عقل الأمثال سماه الله تعالى في كتابه عالماً"(١).

وقال الماوردي (ت:٤٥٠هـ): "فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمراً، أو يفهم منه زجراً"(٢).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "الراسخون في العلم الذين يعلمون معاني القرآن محكمه ومتشابهه، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٣]، فدل على أن الْعَالِمِينَ يعقلونها، وإن كان غيرهم لا يعقلها"(٣).

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم، المتضلعون منه"(٤).

وقال الدَّمِيري (ت:٨٠٨هـ): "والعالِمون كل من عقل عن الله ﷻ، وعمل بطاعته، وانتهى عن معصيته، فهم يعقلون صحة هذه الأمثال وحسنها

---

(١) الأمثال من الكتاب والسنة (١٤).

(٢) أدب الدنيا والدين (٣٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٢٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٦٢).

وفائدتها"(١).

وقال عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ): "وكلما كان حظ العبد من العقل أوفر فسلطان الدلالة فيه أبعد، فالعاقل من عقل عن الله أمره ونهيه، فائتمر بما أمره، وانزجر عما نهاه، فتلك علامة العقل"(٢).

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "والعقل هنا بمعنى الفهم؛ أي: لا يفهم مغزاها إلا الذين كملت عقولهم، فكانوا علماء غير سفهاء الأحلام، وفي هذا تعريض بأن الذين لم ينتفعوا بها جهلاء العقول"(٣).

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها؛ لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها، وأما من لم يعقلها مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم؛ لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى"(٤).

---

(١) حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٢٢٧).

(٢) فيض القدير (٣/ ٥٣٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٥٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٦٣١).

۞الاستنباط الثالث عشر: (مضاعفة النعيم والعذاب سببه أحوال الناس في الإيمان).

أخرج ابن أبي حاتم، عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ ﴾[الأحزاب: ٣٠و٣٢]، الآيتين، قال: "إن الحجَّة على الأنبياء أشدُّ منها على الأتباع في الخطيئة، وإن الحجَّة على العلماء أشدُّ منها على غيرهم، وإن الحجَّة على نساء النبي ﷺ أشدّ منها على غيرهنَّ، فقال: إنه من عصى منكنَّ فإنه يكون عليها العذاب الضعف منه على سائر نساء المؤمنين، ومن عمل صالحاً فإن الأجر لها الضعف على سائر نساء المسلمين"[1].

تخريجه:

ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٨/ ٢٣١)، ولم أقف على سنده.

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى واعظاً نساء النبي ﷺ اللاتي اخترنّ الله ورسوله والدار والآخرة، واستقر أمرهنّ تحت رسول الله ﷺ، فناسب أن يخبرهنّ بحكمهنّ، وتخصيصهنّ دون سائر النساء، فذكر مضاعفة أجرهنّ، ومضاعفة وزرهنّ وإثمهنّ لو وقعن في فاحشة مبيّنة، ليزداد حذرهنّ، وشكرهنّ الله تعالى[2].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

---

(١) الدر المنثور (١٢/ ٢٦-٢٧).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٨١)، تيسير الكريم الرحمن (٦٦٣).

وذلك أن الله تعالى لما أخبر أن نساء النبي ﷺ يضاعف لهنّ العذاب ضعفين، كما يضاعف لهنّ الأجر، وسبب ذلك أنه لما كانت نعمتهنّ أكثر جعل عقوبتهنّ أشدّ، فدل مفهومها على أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشدّ.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

العبد كلما كملت نعمة الله عليه، ينبغي له أن تكون طاعته له أكمل، وشكره له أتمّ، وصدور المعصية منه أقبح من صدورها ممن لم يعط هذه النعمة(١).

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[الإسراء: ٧٤ – ٧٥].

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "وهذا التضعيف شائع مع النبي ﷺ في أجره وفي ألمه، وعقاب أزواجه"(٢).

وفي السنة من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكاً شديداً قال: (أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت: ذلك بأن لك أجرين، قال: أجل ذلك) (٣).

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "قال العلماء: والحكمة في كون الأنبياء أشدّ بلاء،

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٣/ ٣٤٤).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٤٧٥).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء، برقم: (٥٣٢٤) ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، برقم: (٢٥٧١).

ثم الأمثل فالأمثل، أنهم مخصوصون بكمال الصبر، وصحة الاحتساب، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى ليتم لهم الخير، ويضاعف لهم الأجر، ويظهر صبرهم ورضاهم"(١).

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "والسر فيه أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشدّ، ومن ثم ضُوعف حدَّ الحُرِ على العبد"(٢).

وقال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "فلما كانت نعمتهنّ أكثر جعل عقوبتهنّ أشدّ، فكذلك الأَمَةُ لما كانت نعمتها أقل كانت عقوبتها أدنى"(٣).

قال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ): "النعمة كلما عظمت كان كفرانها أعظم فيما يستحق به من العقاب، إذ كان استحقاق العقاب على حسب كفران النعمة، ألا ترى أن من لطم أباه استحق من العقوبة أكثر مما يستحقه من لطم أجنبياً؛ لعظم نعمة أبيه عليه، وكفرانه لها بلطمته"(٤).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "العبد كلما كملت نعمة الله عليه، ينبغي له أن تكون طاعته له أكمل، وشكره له أتمّ، ومعصيته له أقبح، وشدة العقوبة تابعة لقبح المعصية، ولهذا كان أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالماً لم ينفعه الله بعلمه(٥)،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١٢٩).

(٢) فتح الباري (١٠/ ١١٢).

(٣) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (١/ ٣٢١).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٢٩).

(٥) ومما يستدل به على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه،...، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما

فإن نعمة الله عليه بالعلم أعظم من نعمته على الجاهل، وصدور المعصية منه أقبح من صدورها من الجاهل، ولا يستوي عند الملوك والرؤساء من عصاهم من خواصهم وحشمهم، ومن هو قريب منهم، ومن عصاهم من الأطراف والبعداء، فجعل حدّ العبد أخف من حد الحر، جمعاً بين حكمة الزجر، وحكمة نقصه، ولهذا كان على النصف منه في النكاح والطلاق والعدة؛ إظهاراً لشرف الحرية وخطرها، وإعطاء لكل مرتبة حقها من الأمر، كما أعطاها حقها من القدر، ولا تنتقض هذه الحكمة بإعطاء العبد في الآخرة أجرين، بل هذا محض الحكمة، فإن العبد كان عليه في الدنيا حقان: حق لله، وحق لسيده، فأعطي بإزاء قيامه بكل حق أجراً، فاتفقت حكمة الشرع والقدر والجزاء"(١).

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه،...، وإنما كان خوف المقربين أشدّ؛ لأنهم يطالبون بما لا يطالب به غيرهم، فيراعون تلك المنزلة"(٢).

عملت فيها، قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم، ليقال: عالم، وقرأت القرآن، ليقال: هو قارئ، فقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار،...). أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، برقم: (١٩٠٥).

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٢٩).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣١٣).

۞الاستنباط الرابع عشر: (آفة العلم).

أخرج ابن المبارك، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب، عن الضحاك قال: "ما تعلم أحد القرآن، ثم نسيه إلا بذنب يحدثه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن؟"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٢٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٥٣)، وقال محققه: "رجاله ثقات غير شيخ المؤلف فإنه متكلم فيه"، وقال الشيخ حكمت بشير: "أخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع به، وسنده حسن". تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٥٦).

معنى الآية إجمالاً:

سبق ذكر المعنى الإجمالي(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أنه ما أصاب العباد من مصيبة إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، فدل مفهومها على أن زوال النعم عن العبد من المصائب،

---

(١) الدر المنثور (١١/ ١٦٤).

(٢) ينظر: الفصل الأول: الاستنباط السادس والعشرون.

وحفظ كتاب الله من أعظم النعم، ونسيانه من المصيبة في الدين التي هي من أعظم المصائب.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

حِفظُ كتاب الله من أشرف العلوم وأجلّها، وحَفَظة القرآن العاملون به هم أولياء الله وخاصته، ونسيانه من غير عذر مذموم.

وجاء في السنة الأمر بتعاهد القرآن، والتحذير من نسيانه، فعن أبي موسى ﵁ عن النبي ﷺ قال: (تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ تفصياً من الإبل من عقلها)(١).

وقال عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ): "تعاهدوا القرآن؛ أي: داوِمُوا على تكراره ودرسه لئلا تنسوه،...، والله سبحانه بلطفه العميم منَّ عليهم ومنحهم هذه النعم العظيمة، فينبغي تعاهده بالحفظ والمواظبة ما أمكن"(٢).

وقال النووي (ت:٦٧٦هـ): "وليحذر كل الحذر من نسيانه، أو نسيان شيء منه، أو تعرضه للنسيان"(٣).

وقال ابن المنادي (ت:٣٣٦هـ): "ما زال السلف يرهبون نسيان القرآن بعد الحفظ، لما في ذلك من النقص"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، برقم: (٤٧٤٦)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهد القرآن، برقم: (٧٩١).

(٢) فيض القدير (٣/ ٢٩٤).

(٣) المجموع (٢/ ١٩٢).

(٤) متشابه القرآن العظيم (٥٢).

وقال أبوالعباس القرطبي (ت:٦٥٦هـ): "من جمع القرآن فقد علت رتبته ومرتبته، وشرف في نفسه وقومه شرفاً عظيماً، وكيف لا يكون ذلك ومن حفظ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين كتفيه! وقد صار ممن يقال فيه: هو من أهل الله وخاصته، وإذا كان كذلك فمن المناسب تغليظ العقوبة على من أخلَّ بمرتبته الدينية، ومؤاخذته بما لا يؤاخذ به غيره، كما قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾[الأحزاب: ٣٠]، لا سيما إذا كان ذلك الذنب مما يحبط تلك المنزلة ويسقطها؛ كترك معاهدة القرآن المؤدِّي به إلى الرجوع إلى الجهالة"[1].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "الإعراض عن تلاوة القرآن، وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به، فيه تهاون كبير، وتفريط شديد، نعوذ بالله منه"[2].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "نسيان القرآن من الذنوب"[3].

وقال أبوطالب المكي (ت:٢٨٦هـ): "ويقال: نسيان القرآن بعد حفظه من أشدّ العقوبات، والمنع من تلاوته وضيق الصدر بقراءته، والاشتغال عنه بضده، عقوبة الإصرار"[4].

والمقصود بالنسيان: الذي ينشأ عن تقصير وإهمال لكتاب الله تعالى، وذلك يكون بالإعراض عن القرآن، وعدم المبالاة به، أو الانشغال بأمر دنيوي حتى يؤدي

---

(١) المفهم (٢/ ٤١٩).

(٢) فضائل القرآن لابن كثير (١٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٢٣).

(٤) قوت القلوب (١/ ٣١٢).

بصاحبه إلى إهمال مراجعة القرآن، وترك تلاوته، فهذا هو المذموم؛ وهو المراد بهذا الاستنباط.

وأما النسيان: الذي يكون بمقتضى الطبيعة، سواء كان ناتج عن ضعف الذاكرة، أو تقدم السن، أو الاشتغال بأمور لا طاقة له في دفعها أو غير ذلك، فهذا لا يلام صاحبه؛ وهو معذور(١).

قال أبوعبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ): "إنما هذا على الترك، فأما الذي هو دائب في تلاوته، حريص على حفظه، إلا أن النسيان يغلبه، فليس من ذلك في شيء، ومما يحقق ذلك أن النبي ﷺ كان ينسى الشيء من القرآن حتى يذكرهُ، من ذلك حديث عائشة عن النبي ﷺ: (سمع قراءة رجل في المسجد فقال: ما له - رحمه الله - لقد أذكرني آيات كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا)(٢)" (٣).

ونقل ابن رشد المالكي (ت:٥٢٠هـ) الإجماع على ذلك، فقال: "لا إثم على من ترك المعاهدة على درس القرآن غفلة عن ذلك، واشتغالاً بما سواه من الواجبات والمندوبات حتى نسي منه سورة أو آية، بإجماع من أهل العلم"(٤).

و قد نقل الهيثمي (ت:٩٧٣هـ) عن بعض العلماء أن محل كون نسيان القرآن كبيرة؛ مشروط بأن يكون عن تكاسل و تهاون، ثم قال: "وكأنه احترز بذلك عما

---

(١) ينظر: كتاب العلم لابن عثيمين (٨٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن، برقم: (٤٧٥١)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعاهد القرآن، برقم: (٧٨٨).

(٣) غريب الحديث لابن سلام (٣/ ١٤٩).

(٤) فتاوى ابن رشد (٢/ ٧٧٦).

لو اشتغل عنه بنحو إغماء، أو مرض مانع له من القراءة وغيرهما، من كل ما لا يتأتى معه القراءة، وعدم التأثيم بالنسيان حينئذ واضح؛ لأنه مغلوب عليه، لا اختيار له فيه بوجه، بخلاف ما إذا اشتغل عنه بما يمكنه القراءة معه"[١].

(١) الزواجر (١/ ٢٣٣).

الاستنباط الخامس عشر: (التحذير من اتباع الهوى).

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾[الحجرات: ٧]، قال: "هؤلاء أصحاب نبي الله ﷺ، لو أطاعهم نبي الله في كثير من الأمر لعنتوا، فأنتم والله أسخف قلوباً، وأطيش عقولاً، فاتَّهَمَ رجل رأيه، وانتصح كتاب الله[1]؛ فإن كتاب الله ثقة لمن أخذ به وانتهى إليه، وإن ما سوى كتاب الله تغرير".

وأخرج عبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن مردويه، عن أبي نضرة قال: قرأ أبوسعيد الخدري: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ [الحجرات: ٧]، قال: "هذا نبيكم يوحى إليه، وخيار أمتكم لو أطاعهم في كثير من الأمر لعَنِتُوا، فكيف بكم اليوم!".

وأخرج ابن مردويه، عن أبي سعيد قال: "لما قُبِض رسول الله ﷺ أنكرنا أنفسنا، وكيف لا ننكر أنفسنا! والله يقول: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾[الحجرات: ٧]"[2].

تخريجه:

١- الأثر الأول أخرجه عبدالرزاق في تفسيره مختصراً (٣/ ٢٣٢)، وابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٢٩١)، وقال أبوإسحاق الحويني في سلسلة رجال هذا السند في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٦).

---

(١) أي: قَبِلَ نصحه. ينظر: الصحاح (١/ ٤١١).

(٢) الدر المنثور (١٣/ ٥٥٢).

٢-الأثر الثاني أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجرات، برقم: (٣٢٦٩)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، وصحح الألباني سنده في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٣٣٤)، برقم: (٣٢٦٩).

٣-الأثر الثالث أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (١/ ٢٠٣)، وقال: "يقال: لم يروه غير صالح بن عمر، وهو حديث غريب، وصالح بن عمر ثقة ".

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله ﷺ: واعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله أن رسول الله ﷺ بين أظهركم، لو يطيعكم في كثير من الأمر لشق عليكم وأعنتكم، ولكن الرسول يرشدكم، والله تعالى يحبب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم، ويكره إليكم الكفر والفسوق، بما نصبه من الأدلة والشواهد على فساده ومضرته، وعدم قبول الفطر له، ثم بيّن سبحانه أن هؤلاء الذين حبب الله إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، هم الراشدون السالكون طريق الحق[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أن الرسول ﷺ لو أطاع الصحابة في كثير مما يرونه باجتهادهم لنالهم من ذلك مشقة شديدة، فدل مفهومها على أن آراء من هم دونهم

(١) ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٢٨٩)، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٠).

في المنزلة من باب أولى أن توقع في الشدة والمشقة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

التمسك بالكتاب والسنة، والتحاكم إليهما في كل صغير وكبير، وعدم قبول قول من يعارضهما؛ هو العصمة من الفتن.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾[الأعراف: ٣]، وقوله تعالى:﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[المؤمنون: ٧١].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وأمثال هذا في القرآن كثير، فتبيّن أن على العبد أن يتبع الحق الذي بعث الله به رسوله، ولا يجعل دينه تبعاً لهواه"(١).

وذكر الشهرستاني (ت:٥٤٨هـ) أن مبدأ أنواع كل الضلالات؛ هو من تقديم الرأي على النص، واختيار الهوى على الشرع(٢).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) أيضاً: "فليس حسن النية بالرعية والإحسان إليهم أن يفعل ما يهوونه، ويترك ما يكرهونه،...، وإنما الإحسان إليهم فعل ما ينفعهم في الدين والدنيا، ولو كرهه من كرهه، لكن ينبغي له أن يرفق بهم فيما يكرهونه"(٣).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٤١).

(٢) ينظر: الملل والنحل (١/ ١٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٦٤).

الشرع، والهوى على العقل"[١].

وقال محمد بن عبدالوهاب (ت:١٢٠٦هـ): "التسليم لأمر الله، ومعرفة أنه هو المصلحة، وتقديم الرأي عليه هو المضرة"[٢].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "العبد حقيقة من يتبع الحق، فيما يحب ويكره، وفيما يسره ويحزنه، وأما الذي يتبع الشرع عند موافقة هواه، وينبذه عند مخالفته، ويقدم الهوى على الشرع، فليس بعبد لله على الحقيقة"[٣].

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٧).

(٢) تفسير آيات من القرآن الكريم (٣٥٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥٧٢).

الاستنباط السادس عشر: (الفرق بين العلم والمال).

أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن مسعود قال: "منهومان لا يشبعان؛ صاحب علم، وصاحب دنيا، وهما لا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾[العلق: ٦- ٧]"(١).

تخريجه:

أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٣٥٥)، وقال محققه: "إسناده منقطع؛ عون بن عبدالله بن عتبة أرسل عن ابن مسعود؛ وهو مرسل، ولكن وصله الطبراني في الكبير، وإسناده ضعيف"، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٠)، وسنده منقطع؛ لأن عوناً لم يسمع من ابن مسعود. ينظر: جامع التحصيل (٢٤٩)، وقال الألباني: "منقطع". مشكاة المصابيح (١/ ٨٧).

معنى الآيتين إجمالاً:

في الآية الأولى يخبر تعالى أن من يخافه ويتقيه هم العلماء؛ لأن كل من كان بالله أعلم، كان له أخشع، وأوجبت له خشية الله الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه.

وفي الآية الثانية يقول سبحانه إن الإنسان لجهله وظلمه، إذا رأى نفسه غنياً، طغى وبغى، وتجبر عن الهدى، ونسي أن لربه الرجعى، ولم يخف الجزاء، بل ربما

---

(١) الدر المنثور (١٥/ ٥٢٦).

وصلت به الحال إلى أنه يترك الهدى بنفسه، ويدعو غيره إلى تركه[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيتين والحديث.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أن الذين يخافونه هم العلماء، وفي الآية الثانية أخبر أن الإنسان إذا اغتنى طغى وبغى، وجاء في السنة أن طالب العلم والمال لا يشبعان[٢]، فدل الاقتران أن صاحب العلم كلما زاد علماً ازداد خشية لله تعالى وقرباً منه، وأن صاحب المال كلما زاد ماله ازداد طغياناً وفساداً، وبعداً عن الله، وهذا في الغالب.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

كلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه[٣]، بخلاف حب المال والسعي في طلبه فهو موجب لزيادة الطغيان، إلا من عصمه الله من هذه الجبلة.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٨٩)و (٩٣٠).

(٢) جاء في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (منهومان لا يشبعان طالبهما، طالب علم وطالب الدنيا). أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٨٠)، والحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك (١/ ١٦٩)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولم أجد له علة"، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ١١٢٥)، برقم: (٦٦٢٤). وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٩٤)، وضعفه الهيثمي. مجمع الزوائد (١/ ١٣٥)، وقال ابن حجر: "ليث ضعيف، وله شاهد عن ابن مسعود عند الطبراني، قال: وعن أنس عن ابن عدي ورفعاه ،وعن الحسن مرسل، وسنده صحيح إلى الحسن". المطالب العالية (١٢/ ٦٧٦).

(٣) روضة المحبين (٤٠٦).

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٣].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ) في الآية الأولى: "أمره تعالى أن يسأله زيادة العلم؛ فإن العلم خير، وكثرة الخير مطلوبة؛ وهي من الله، والطريق إليها الاجتهاد، والشوق للعلم، وسؤال الله، والاستعانة به، والافتقار إليه في كل وقت"(١).

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ) في الآية الثانية: "هذه طبيعة الإنسان من حيث هو إلا من هداه الله؛ فإن الإنسان عند إنعام الله عليه يفرح بالنعم، ويبطر بها، ويعرض وينأى بجانبه عن ربه، فلا يشكره"(٢).

وقد تكلم ابن القيم (ت:٧٥١هـ) على فضل العلم على المال من وجوه، وذكر منها: أن النفس تشرف وتزكو بجمع العلم وتحصيله، وذلك من كمالها وشرفها، والمال لا يزكيها ولا يكملها، ولا يزيدها صفة كمال، بل النفس تنقص وتشح وتبخل بجمعه والحرص عليه، فحرصها على العلم عين كمالها، وحرصها على المال عين نقصها.

ومنها: أن المال يدعوها إلى الطغيان والفخر والخيلاء، والعلم يدعوها إلى التواضع والقيام بالعبودية، فالمال يدعوها إلى صفات الملوك، والعلم يدعوها إلى

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥١٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٦٥).

صفات العبيد[١].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) أيضاً: "ما أطاع الله أحد قط إلا بالعلم، وعامة من يعصيه إنما يعصيه بالمال"[٢].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم، الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتمّ، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر"[٣].

وقال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "فمن كان بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه أعلم، كان له أخشى وأتقى، إنما تنقص الخشية والتقوى بحسب نقص المعرفة بالله"[٤].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "ظاهر هذه الآية: أن الاستغناء موجب للطغيان عند الإنسان، ولفظ الإنسان هنا عام، ولكن وجدنا بعض الإنسان يستغني ولا يطغى، فيكون هذا من العام المخصوص، ومخصصه إما من نفس الآية أو من خارج عنها، ففي نفس الآية ما يفيده قوله تعالى: ﴿ أَن رَّءَاهُ ﴾؛ أي: إن رأى الإنسان نفسه، وقد يكون رأياً واهماً، ويكون الحقيقة خلاف ذلك، ومع ذلك يطغى، فلا يكون الاستغناء هو سبب الطغيان، ولذا جاء في السنة ذم العائل

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة (١/ ١٣١).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٢٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٠٨).

(٤) فتح الباري لابن رجب (١/ ٨٢).

المتكبر[(١)]؛ لأنه مع فقره يرى نفسه استغنى، فهو معنى في نفسه لا بسبب غناه.

أما من خارج الآية: فقد دل على هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾[النازعات: ٣٧ - ٣٩]، فإيثار الحياة الدنيا هو موجب الطغيان، وكما في قوله: ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ﴾[الهمزة: ٢ - ٤] الآية.

ومفهومه: أن من لم يؤثر الحياة الدنيا، ولم يحسب أن ماله أخلده، لن يطغيه ماله ولا غناه، كما جاء في قصة النفر الثلاثة الأعمى والأبرص والأقرع من بني إسرائيل[(٢)]"[(٣)].

---

(١) جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، - قال أبومعاوية -: ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر). أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، برقم: (١٠٧).

(٢) قصة الثلاثة أخرجها البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم: (٣٢٧٧)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم: (٢٩٦٤).

(٣) أضواء البيان (٩/ ٢٦).

۞الاستنباط السابع عشر: (فضيلة الوسطية والاعتدال).

أخرج ابن سعد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن مطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير قال: "العلم خير من العمل، وخير الأمور أوساطُها، والحسنة بين تلك السَّيئتين؛ وذلك لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾[الإسراء: ١١٠]".

وأخرج ابن جرير، عن يزيد بن مرَّة الجعفيِّ[1] قال: "العلم خير من العمل، والحسنة بين السِّيِّئين؛ يعني: ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾[الفرقان: ٦٧]، وخير الأمور أوساطُها"[2].

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ١٤٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٤٩)، وكلاهما أورد هذا الأثر مختصراً، وابن جرير في تفسيره (١٩/ ٣٠٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٩٧)، وقال محققه: "إسناده لا بأس به".

٢-الأثر الثاني أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٣٠٠)، وفي سنده محمد بن حميد بن حيان الرازي، حافظ ضعيف، قال عن الذهبي: "وثقه جماعة، والأولى تركه"[3].

---

(١) يزيد بن مرة الجعفي، روى عن عمر بن الخطاب مرسل، وعن سلمة بن يزيد، وروى عنه جابر الجعفي. ينظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢٨٧).

(٢) الدر المنثور (٩/ ٤٦٩)و (١١/ ٢١١).

(٣) ينظر: الكاشف (٢/ ١٦٦)، تقريب التهذيب (٤٧٥).

معنى الآيتين إجمالاً:

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لمشركي قومك المنكرين دعاء الرحمن: ادعوا الله أيها القوم أو ادعوا الرحمن، أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، بأي أسمائه جل جلاله تدعون ربكم فإنما تدعون واحداً، وله الأسماء الحسنى، ثم أمر رسول الله ﷺ أن لا يجهر بصلاته وأن لا يخافت بها، فإن في كل من الأمرين محذوراً ، أما الجهر: فإن المشركين المكذبين به إذا سمعوه سبّوه، وسبّوا من جاء به، وأما المخافتة: فإنه لا يحصل المقصود لمن أراد استماعه مع الإخفاء، وأمره بالتوسط بين الجهر والإخفات.

وفي الآية الثانية يقول سبحانه وتعالى في وصف عباد الرحمن: أنهم إذا أنفقوا - النفقات الواجبة والمستحبة - لم يسرفوا بأن يزيدوا على الحدِّ، فيدخلوا في قسم التبذير، وإهمال الحقوق الواجبة، ولم يقتروا فيدخلوا في باب البخل والشح، وكان إنفاقهم عدلاً وسطاً سالماً من عيب الإسراف والقتر(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ أمر في الآيتين بالتوسط بين طرفين، وذمّ الانحراف إلى أحدهما، فدل المفهوم على أن التوسط والاعتدال خير على كل حال؛ لأنه لا يخرج عن حد التقصير والإخلال، ولا يبلغ بصاحبه إلى درجة الغلو والمجاوزة.

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٧/ ٥٨٠)، تيسير الكريم الرحمن (٤٦٨)و (٥٨٦).

وأما وجه الاستنباط من الجزء الأول من الأثر:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى نهى عن الغلو والتقصير، فأخذ بالإشارة على أن ترك التوسط، والانحراف إلى التقصير أو الغلو سببه الجهل؛ لأن العمل بغير علم يوقع صاحبه في المحذور.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

من أهم مميزات الإسلام التوسط والاعتدال في كل أمور الحياة الدينية والدنيوية، فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾[الأعراف: ٣١]، وقال جل وعلا: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الإسراء: ٢٩].

قال نجم الدين الطوفي (ت:٧١٦هـ): "شاهد على التوسط، وذم الانحراف والتطرف"[١].

وقال ابن جزي (ت:٧٤١هـ): "فنهى الله عن الطرفين، وأمر بالتوسط بينهما"[٢].

وجاء في السنة رفع منزلة حامل القرآن المقتصد فيه، فعن موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل

---

(١) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (٢/ ٣٩٥).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٧٠).

القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)[١].

قال ابن الجزري (ت:٦٠٦هـ): "إنما قال ذلك؛ لأن من أخلاقه وآدابه التي أمر بها القصد في الأمور، وخير الأمور أوساطها"[٢].

وجاء عند الدارمي زيادة لتوضيح معنى أن العلم خير من العمل، وذلك أن مطرف بن عبدالله بن الشخير قال لابنه: "يا بني إن العلم خير من العمل بلا علم"[٣].

وبيَّن عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ) سبب تفضيل العلم على العمل، فقال: "العلم خير من العمل؛ لأن العلم وظيفة القلب؛ وهو أشرف الأعضاء، والعمل وظيفة الجوارح الظاهرة، ولا يكون العمل مقصوداً إلا به، والقصد صادر عن القلب، فالعلم مقدم على العمل شرفاً وحالاً، إذ الشيء يعلم أولاً ثم يعمل به، وملاك الدين الورع، والعالم من يعمل، ومن لا يعمل فهو والجاهل سواء، بل الجاهل خير منه؛ لأن علمه حجة عليه، فأس الطريق العلم ونتيجته العمل، وفائدة العلم إنما هي العمل به؛ لأن العلم بلا عمل عاطل، والعمل بغير علم باطل، إذ لا يصح العمل إلا بمعرفة كيفيته، ولا تظهر فائدة العلم إلا بالعمل به على مقتضى السنة"[٤].

---

(١) أخرجه أبوداود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، برقم: (٤٨٤٣). وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٤٣٨)، برقم: (٢١٩٥).

(٢) النهاية (٣/ ٣٨٢).

(٣) أخرجه الدارمي (١/ ١١٢). باب فضل العلم والعالم، برقم: (٣٥٠).

(٤) فيض القدير (٤/ ٣٨٩).

وقال الحسن البصري (ت:١١٠هـ): "إن دين الله تعالى وضع دون الغلو وفوق التقصير"[١].

وقال ابن حزم (ت:٤٥٦هـ): "الفضيلة وسيطة بين الإفراط والتفريط، فكلا الطرفين مذموم، والفضيلة وسيطة بينهما محمودة، حاشا العقل فإنه لا إفراط فيه"[٢].

وقال العز بن عبدالسلام (ت:٦٦٠هـ): "الاقتصاد رتبة بين رتبتين، ومنزلة بين منزلتين، والمنازل ثلاثة: التقصير في جلب المصالح، والإسراف في جلبها، والاقتصاد بينهما"[٣].

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "فالقنوط إياس، والرجاء إهمال، وخير الأمور أوساطها"[٤].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "الاقتصاد: هو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وله طرفان هما ضدان له تقصير ومجاوزة، فالمقتصد قد أخذ بالوسط، وعدل عن الطرفين،...، والدين كله بين هذين الطرفين، بل الإسلام قصد بين الملل، والسنة قصد بين البدع، ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وكذلك الاجتهاد هو بذل الجهد في موافقة الأمر، والغلو مجاوزته وتعديه، وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: فأما إلى غلو ومجاوزة، وإما إلى تفريط وتقصير، وهما

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (٢٨٢)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ١٦٧).

(٢) رسائل ابن حزم (١/ ٤٠١).

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ١٧٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٤).

آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلف رسول الله، وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به، لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم، وهذان المرضان الخطران قد استوليا على أكثر بني آدم، ولهذا حذر السلف منهما أشدَّ التحذير، وخوفوا من بلي بأحدهما بالهلاك، وقد يجتمعان في الشخص الواحد كما هو الحال، أكثر الخلق يكون مقصراً مفرطاً في بعض دينه، غالياً متجاوزاً في بعضه، والمهدي من هداه الله"(١).

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، لا إفراط ولا تفريط"(٢).

---

(١) الروح (٢٥٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٥٤).

الاستنباط الثامن عشر: (الدليل على حجية الإجماع).

أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن مسعود قال: "ما رآه المؤمنون حسناً فهو حسن عند الله، وما رآه المؤمنون سيِّئاً فهو سيء عند الله"، وكان الأعمش يتأوَّل بعده: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[غافر: ٣٥]"[(١)].

تخريجه:

أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٧٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٨٣)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد أصح منه إلا أن فيه إرسالاً"، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر: "هذا حديث حسن". الأمالي المطلقة (٦٥)، وقال السخاوي: "وهو موقوف حسن". المقاصد الحسنة (٥٨١).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذكره في وصف المسّرف المرتاب: أنه الذي يجادل في آيات الله - التي بينت الحق من الباطل - بعد وضوحها؛ ليدفعها ويبطلها، بغير حجة وبرهان، كبر ذلك القول - المتضمن لرد الحق بالباطل - مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا، فالله أشدُّ بغضاً لصاحبه؛ لأنه تضمن التكذيب بالحق، والتصديق بالباطل، ونسبته إليه، وهذه أمور يشتد بغض الله لها ولمن اتصف بها، وكذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشدّ المقت موافقة لربهم، كذلك كما طبع على قلوب آل فرعون يطبع الله على كل قلب متكبر جبار، متكبر في نفسه على الحق برده، وعلى

(١) الدر المنثور (١٣/ ٤٠).

الخلق باحتقارهم، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه يبغض الذين يجادلون في آياته بغير حجة، والمؤمنون يبغضون من تكون هذه صفته موافقة لربهم، فأخذ من العطف أن رأي المؤمنين معتبر في الشرع.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الإجماع هو أحد مصادر التشريع الإسلامي، وإجماع كل عصر إجماع صحيح إذا لم يتقدم قبله في تلك المسألة خلاف[٢].

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾[النساء: ١١٥].

قال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "وفي الآية دليل أن الإجماع حجة؛ لأن من خالف الإجماع، فقد خالف سبيل المؤمنين"[٣].

قال الماوردي (ت:٤٥٠هـ): "لا يخلو مراده من أحد أمرين: إما أن يريد ما رآه جميع المسلمين حسناً؛ فهو الإجماع، ونحن نقول به، أو يريد ما رآه بعضهم

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٧٣٨).

(٢) ينظر: مراتب الإجماع (١١).

(٣) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (١/ ٣٦٣).

حسناً؛ فليس بعضهم الذي استحسنه بأولى من البعض الذي استقبحه، وهذا يتعارض، فصار محمولاً على الإجماع دون الاختلاف"[١].

وقال الغزالي (ت:٥٠٥هـ): "فإن أراد الجميع فهو صحيح؛ إذ الأمة لا تجتمع على حسن شيء إلا عن دليل، والإجماع حجة؛ وهو مراد الخبر"[٢].

وقال نجم الدين الطوفي (ت:٧١٦هـ): "ما رآه المسلمون حسناً فهو دليل الإجماع كما سبق، لا دليل الاستحسان، وإن سلم أن له دلالة على الاستحسان، فالجواب عنه ما ذكر من أن المراد: ما قام دليل رجحانه شرعا؛ أي: ما رآه المسلمون حسناً مع النظر والاستدلال، وقيام دليل الرجحان شرعاً"[٣].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وكذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشدَّ المقت موافقة لربهم، وهؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه"[٤].

---

(١) الحاوي الكبير (١٦/ ١٦٥).

(٢) المستصفى (١٧٢).

(٣) شرح مختصر الروضة (٣/ ١٩٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٧٣٨).

الاستنباط التاسع عشر: (أول نعم الله على عبده).

أخرج ابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٨]، قال: "كان يقال: إن أول نعمة الله على عبده حين خلقه"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٧٩)، والأثر ضعيف الإسناد؛ لأن فيه سعيد بن بشير الأزدي يروي أحاديث منكرة عن قتادة؛ وهو ضعيف على العموم(٢).

معنى الآيات إجمالاً:

أخبر إبراهيم عليه السلام قومه أنه لا يعبد الأصنام، وإنما يعبد رب العالمين، الذي خلقه فهو يهديه للصواب من القول والعمل، ويسدده للرشاد، والذي يطعمه الطعام ويسقيه الشراب، ويرزقه بالأرزاق، وإذا سقم جسمه واعتل فهو يبرئه ويعافيه(٣).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن إبراهيم عليه السلام لما وصف رب العالمين، بدأ بصفة الخلق والإيجاد، فأخذ من ذلك أن أول نعمة على العبد هي الإيجاد من العدم؛ لأن جميع النعم مترتبة عليها.

---

(١) الدر المنثور (١١/ ٢٦٩).

(٢) ينظر: المجروحين (١/ ٣١٩)، تهذيب التهذيب (٤/ ٩).

(٣) ينظر: جامع البيان (١٩/ ٣٦٣).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أول النعم على المخلوق هي نعمة الخلق والإيجاد، إذ قبل أن يخلقه الله لم يكن شيئاً مذكوراً.

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[البقرة: ٢٨].

قال الرازي (ت:٦٠٦هـ): "إن أول ما أنعم الله به على عبيده؛ هو أن خلقهم أحياء، [ثم استدل بالآية السابقة]، وهذا صريح في أن أصل النعم الحياة؛ لأنه تعالى أول ما ذكر من النعم فإنما ذكر الحياة، ثم إنه تعالى ذكر عقيبها سائر النعم"(١).

وقال النسفي (ت:٧١٠هـ): "هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد"(٢).

وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ): "ولا شك أن نعمة خلق الخلق وتقديره، من البواعث على الحمد وتكريره؛ لكون ذلك أول نعمة أنعم الله بها على الحامد"(٣).

وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ) أيضاً: "وإنما خص نعمة الخلق وامتنَّ بها عليهم؛ لأن جميع النعم مترتبة عليها، وهي أصلُها الذي لا يوجد شيء منها

---

(١) التفسير الكبير (٣/ ٢٩).

(٢) تفسير النسفي (٢/ ١٢٤٦).

(٣) نيل الأوطار (١/ ١٤).

بدونها"[١].

ورجح ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) أن الإيمان أول النعم، فقال: "أول نعمة الله على العبد، فقيل: الإيمان، وقيل: الحياة، وقيل: الصحة، والأول أولى؛ فإنه نعمة مطلقة، وأما الحياة والصحة فإنهما نعمة دنيوية، ولا تكون نعمة حقيقة إلا إذا صاحبت الإيمان"[٢].

وذهب ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) إلى أن هذا الخلاف لفظي، إذ أن مبناه على أن اللذة التي يعقبها ألم، هل تسمى نعمة؟ أم: لا؟[٣].

---

(١) فتح القدير (١/ ٥٠).

(٢) فتح الباري (١١/ ٢٣١).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٠).

۞الاستنباط العشرون: (المخرج من الذنب).

أخـرج ابن المنذر، وابن أبي حـاتم، عن قتادة في قولـه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾[القصص: ١٦]، قال: "عرف نبي الله من أين المخرج، فأراد المخرج فلم يلق ذنبه على ربه؛ قال بعض الناس: أي من جهة المقدور"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٥٥)، وذكره ابن جرير مختصراً (١٩/ ٥٤١)، وقال أبوإسحاق الحويني في سلسلة رجال هذا السند عند ابن جرير في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٦).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التي قتلها، وتوبته إليه، ومسألته غفران ذلك، بقوله: رب إني ظلمت نفسي بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها، فاعف عن ذنبي ذلك، واستره عليّ، ولا تؤاخذني به فتعاقبني عليه[٢].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن موسى عليه السلام لما قتل القبطي ندم واستغفر، ولم يحتج بالقدر، فدل على أن القدر ليس بحجة؛ لأنه لو كان حجة لم يحتج إلى التوبة، ففهم أن المخرج من

---

(١) الدر المنثور (١١/ ٤٣٩).

(٢) جامع البيان (١٩/ ٥٤١).

الذنب هو الاستغفار والتوبة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

جعل الله تعالى التوبة فرجاً ومخرجاً للمذنبين، وأمر عباده في كثير من الآيات بالتوبة والاستغفار.

وجاء في قصة آدم عليه السلام في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فجميع الذنوب تدخل في ظلم العبد نفسه، وأول من اعترف بهذا أبوالبشر لما تلقى من ربه الكلمات، فقال: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف: ٢٣]، فكان في هذه الكلمات اعترافه بذنبه، وطلبه ربه على وجه الافتقار والمغفرة والرحمة، فالمغفرة إزالة السيئات، والرحمة إنزال الخيرات"(١).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) أيضاً: "القدر نؤمن به ولا نحتج به، فمن احتج بالقدر فحجته داحضة، ومن اعتذر بالقدر فعذره غير مقبول، ولو كان الاحتجاج مقبولاً لقبل من إبليس وغيره من العصاة، ولو كان القدر حجة للعباد لم يعذب أحد من الخلق لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولو كان القدر حجة لم تقطع يد سارق، ولا قُتِل قاتل، ولا أقيم حد على ذي جريمة، ولا جوهد في سبيل الله، ولا أمر بالمعروف ولا نهي عن المنكر"(٢).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع، ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته، كما

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٩/ ٢٧٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٦٤).

فعل آدم، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد، ومعرفة أسماء الرب وصفاته، وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع؛ لأنه لا يدفع بالقدر أمراً ولا نهياً، ولا يبطل به شريعة، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد، والبراءة من الحول والقوة،...، وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل؛ بأن يرتكب فعلاً محرماً أو يترك واجباً، فيلومه عليه لائم، فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقاً، ويرتكب باطلاً، كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم غير الله، فقالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾[الأنعام: ١٤٨]، ﴿ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾[الزخرف: ٢٠]، فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه، وأنهم لم يندموا على فعله، ولم يعزموا على تركه، ولم يقروا بفساده، فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه، وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود، فإذا لامه لائم بعد ذلك، قال: كان ما كان بقدر الله.

ونكتة المسألة: أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعاً فالاحتجاج بالقدر باطل"(١).

وقال محمد بن مفلح المقدسي (ت:٧٦٣هـ): "وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء"(٢).

---

(١) شفاء العليل (١٨).

(٢) الآداب الشرعية (١/ ٢٧٨).

۞الاستنباط الحادي والعشرون: (أفرس الناس).

أخرج سعيد بن منصور، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبوالشيخ، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود قال: "أفرس الناس ثلاثة؛ العزيز حين تفرَّس في يوسف فقال لامرأته: ﴿ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ﴾[يوسف: ٢١]، والمرأة التي أتت موسى فقالت لأبيها: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُ ﴾[القصص: ٢٦]، وأبوبكر حين استخلف عمر"(١).

تخريجه:

أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٧٩)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٧٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٣٥)، وابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٦٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٦)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح".

معنى الآيتين إجمالاً:

في الآية الأولى يخبر تعالى بألطافه بيوسف عليه السلام حيث قيض له الذي اشتراه من مصر حتى اعتنى به، وأكرمه وأوصى أهله به، وتوسم فيه الخير والصلاح، فقال لامرأته: ﴿ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ﴾، ومكن الله ليوسف

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٢١٦).

ﷺ في بلاد مصر، ورزقه العلم النافع، وتعبير الرؤى، والله غالب على أمره، إذا أراد شيئاً فلا يُرد ولا يُمانع، بل هو الغالب لما سواه، ولكن أكثر الناس لا يدرون حكمته في خلقه وتلطفه، وفعله لما يريد.

وفي الآية الثانية يخبر تعالى عن قول إحدى المرأتين اللتين سقى لهما موسى ﷺ لأبيها حين أتاه موسى ﷺ: استأجره ليرعى لك ماشيتك، فإن خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك، والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيانته فيما تأمنه عليه[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن كل واحد من هؤلاء الثلاثة توسم خيراً في صاحبه، مع عدم وجود دليل واضح على ما سيكون لهم في المستقبل، فلما كبروا صار لهم شأن عظيم، ومناقب حميدة، فأخذ من ذلك أنهم أجود الناس فراسة وأصدقهم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الفراسة الصادقة هي نور يقذفه الله في القلب، يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب[2].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٩/ ٥٦١)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٠١)

(٢) ينظر: مدارج السالكين (١/ ١٢٩).

﴿لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾[الحجر: ٧٥]"(١).

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "وفراسة العزيز إنما كانت في نفس نجابة يوسف، لا أنه تفرس الذي كان كما في المثالين الآخرين، فإن ما تفرس خرج بعينه"(٢).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وكان الصديق رضي الله عنه أعظم الأمة فراسة"(٣).

وقد تعجب ابن العربي (ت:٥٤٣هـ) من المفسرين في اتفاقهم على جلب هذا الخبر؛ لأنه لم يعدّ من الفرسة غير قول عزيز مصر؛ لأنه لم يكن معه علامة ظاهرة، وأما بنت شعيب فكانت معها العلامة البينة؛ حيث شاهدت قوة موسى عليه السلام وأمانته، وأما أبوبكر في ولاية عمر فبالتجربة في الأعمال والمواظبة على الصحبة وطولها(٤).

وقال مشرفي أ. د. محمد العواجي: "ويلاحظ أنهم لم يذكروا قول امرأة فرعون في موسى عليه السلام؛ وهو مشابه لقول العزيز في يوسف عليه السلام"(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر، برقم: (٣١٢٧)، قال الترمذي: "هذا حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه"، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني، وإسناده حسن". مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير(٢٠)، برقم: (١٢٧).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٢٣١).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٤٨٥).

(٤) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٤٥).

(٥) في تعليقه على هذا الاستنباط.

الراجح:

أنها كلها من الفراسة؛ وذلك لأن الفراسة لها سببان:-

الأول: جودة ذهن المتفرس، وحدّة قلبه، وحسن فطنته.

الثاني: ظهور العلامات، والأدلة على المتفرس فيه[1].

فظهور بعض العلامات والأدلة على المتفرس فيه لا ينفي وجود الفراسة، كما أن ظهور بعض العلامات ليس دليلاً على من وجدت فيه أن يكون له شأن في المستقبل.

(١) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٨٩).

الفصل الخامس:

الذِّكر

الاستنباط الأول: (المداومة على الذِّكر).

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبونعيم، عن محمد بن كعب القرظي قال: "لو رخص الله لأحد في ترك الذِّكر لرخص لزكريا عليه السلام حيث قال: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزًاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا ﴾[آل عمران: ٤١]، ولو رخص لأحد في ترك الذِّكر لرخص للذين يقاتلون في سبيل الله، قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأنفال: ٤٥]".

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾[آل عمران: ١٩١]، قال: "هو ذِكر الله في الصلاة وفي غير الصلاة، وقراءة القرآن".

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾[الأحزاب: ٤١]، يقول: "لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذِّكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، فقال: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ ﴾[النساء: ١٠٣]، بالليل والنهار، في البر والبحر، في السفر والحضر، في الغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٢]، فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته، قال الله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾[الأحزاب: ٤٣]"[١].

تخريجه:

١- الأثر الأول أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/ ٣٩١)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ١٩٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٦)، مقتصرين على الآية الأولى، وأخرجه أبونعيم في الحلية كاملاً (٣/ ٢١٥)، وقال الشيخ حكمت بشير في سلسلة رجال هذا السند عند ابن جرير في متن آخر لكن بدون محمد القرظي: "وفي سنده الحسين؛ وهو ابن داود ضعيف". تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٠٩)، وأما محمد القرظي فهو ثقة[٢].

٢- الأثر الثاني أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ٤٧٥)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٥٣٤)، وقال الشيخ حكمت بشير في سلسلة رجال هذا السند عند ابن جرير في متن آخر: "وسنده ضعيف؛ لضعف الحسين؛ وهو ابن داود". تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٠٥).

٣- الأثر الثالث أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٦٤)، وقال الشيخ حكمت بشير: "أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة به". تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٠٥).

معنى الآيات إجمالاً:

في الآية الأولى يخبر تعالى عن زكريا عليه السلام أنه لما بُشِّر بالولد، قال استعجالاً لهذا

---

(١) الدر المنثور (٣/ ٥٣٧)و (٤/ ١٧٩)و (١٢/ ٦٥)

(٢) ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٦٧)، تقريب التهذيب (٥٠٤).

الأمر، وليحصل له كمال الطمأنينة، رب اجعل علامة على وجود الولد، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً؛ أي: ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة، ولا سوء، فلا تقدر إلا على الإشارة والرمز، وأمره الله أن يشكره ويكثر من ذِكره بالعشي والإبكار.

وفي الآية الثانية تعليم من الله لعباده المؤمنين آداب اللقاء، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء، فأمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء، والصبر على مبارزتهم، والإكثار من ذِكر الله، إذ أن الثبات والصبر والإكثار من ذِكر الله من أكبر أسباب النصر والفلاح.

وفي الآية الثالثة وصف الله أولي الألباب بأنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، وهذا يشمل جميع أنواع الذِّكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنب.

وفي الآية الرابعة والخامسة يأمر تعالى المؤمنين بذِكره ذِكراً كثيراً؛ من تهليل وتحميد وتسبيح وتكبير وغير ذلك، في أول النهار وآخره، وفي جميع الأحوال(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بالإكثار من ذِكره في أضيق الأوقات، وأشدّ المواقف، وعلى كل الهيئات، فمن باب أولى أن لا يُترك ذِكره تعالى في وقت الرخاء، ولا يقتصر على ذِكره وقت أداء العبادة.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢١٤)، تيسير الكريم الرحمن (١٣٠)و (١٦١)و (٦٦٧).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

ذِكْرُ الله تعالى من أيسر العبادات، ومن أزكى الأعمال وأفضلها، وهو تجارة رابحة لكن لا يوفق له إلا قليل.

وجاء في كتاب الله تعالى الأمر بكثرة ذِكره سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الجمعة: ١٠].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وينبغي مداومة ذلك في جميع الأوقات، على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح"(١).

وذكر سبحانه أن من صفات أولي الألباب ذِكره على كل حال، فقال تبارك وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[آل عمران: ١٩١].

قال البغوي (ت:٥١٦هـ): "وقال سائر المفسرين: أراد به المداومة على الذِّكر في عموم الأحوال؛ لأن الإنسان قلَّ ما يخلوا من إحدى هذه الحالات الثلاث"(٢).

وجاء في السنة الحث على مداومة الذِّكر، فعن عبدالله بن بُسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ؛ فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: (لا يزال لسانك رطباً من ذِكر الله)(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٦٧).

(٢) تفسير البغوي (١/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه الترمذي واللفظ له، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الذكر، برقم: (٣٣٧٥)، وابن ماجة، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، برقم: (٣٧٩٣)، وقال الترمذي: " حديث حسن غريب"، وصحح الحاكم إسناده. المستدرك (١/ ٦٧٢)، ووافقه الذهبي.

قال المباركفوري (ت:١٣٥٣هـ): "كناية عن المداومة على الذِّكر"[(١)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذِكر الله ﷻ كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله"[(٢)].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "وفي الأمر بالإكثار من ذِكر الله تعالى في أضيق الأوقات؛ وهو وقت التحام القتال، دليل واضح على أن المسلم ينبغي له الإكثار من ذِكر الله على كل حال، ولا سيما في وقت الضيق، والمحب الصادق في حبه لا ينسى محبوبه عند نزول الشدائد"[(٣)].

---

(١) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٢٣).

(٢) الوابل الصيب (٥٩).

(٣) أضواء البيان (٢/ ١٠٢).

❁الاستنباط الثاني: (الذِّكر أحب الأعمال إلى الله).

أخرج ابن أبي حاتم، عن كعب الأحبار قال: "ما من شيء أحبَّ إلى الله من قراءة القرآن والذِّكر، ولولا ذلك ما أمر الله الناس بالصلاة والقتال، ألا ترون أنه قد أمر الناس بالذِّكر عند القتال، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنفال: ٤٥]"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٧١١)، قال الشيخ حكمت بشير: "في سنده يزيد بن قَوْذَر سكت عنه ابن أبي حاتم". تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢١٥).

معنى الآية إجمالاً:

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالثبات عند مقاتلة الكفار، والاستعانة على ذلك بالإكثار من ذِكره، وذلك أن الصبر والثبات، والإكثار من ذِكر الله من أكبر الأسباب للنصر والفلاح[٢].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أمر بذِكره عند ملاقاة الكفار، وهي تلك الحالة التي ترجف فيها القلوب، وتزيغ عندها الأبصار، فدل مفهومها على أن الأمر بذِكر الله تعالى في هذه الحالة يدل على أن الذِّكر من أحب الأعمال لله ﷻ، وأن ملازمته في

---

(١) الدر المنثور (٧/ ١٤٠).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٢٢).

أوقات الرخاء أولى.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

جعل الله لكل شيء سبباً، وجعل سبب المحبة دوام الذِّكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عَجَلَّ فليلهج لسانه بذِكره[1].

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، وذلك أن هذه هي العبادة التي لم يجعل الله لها حداً معلوماً، بل أمر عباده بالإكثار منه في آيات كثيرة؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "والأحاديث والآيات والآثار في الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جداً، وفي هذه الآية الكريمة الحث على الإكثار من ذلك"[2].

وفي السنة من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى، قال: ذِكر الله)[3].

---

(١) ينظر: الوابل الصيب (٦٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٠٥).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات عن الرسول ﷺ، باب ما جاء في فضل الذكر، برقم: (٣٣٧٧)، وابن ماجة، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، برقم: (٣٧٩٠). قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". المستدرك (١/ ٦٧٣)، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: "رواه أحمد، وإسناده حسن". مجمع الزوائد (١٠/ ٧٣).

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ تلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾[فصلت: ٤١ – ٤٢]، فقال رسول الله ﷺ: (إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أحب إليه من شيء خرج منه [يعني القرآن])(١).

وذكر ابن جزي (ت:٧٤١هـ) أن الذِّكر أفضل الأعمال على الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها؛ فإن ذلك لما فيها من معنى الذِّكر، والحضور مع الله تعالى، ودلّل على فضيلة الذِّكر من ثلاثة أوجه:

الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال.

الثاني: أن الله تعالى حيث ما أمر بالذِّكر أو أثنى على الذِّكر اشترط فيه الكثرة، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال.

الثالث: أن للذِّكر مزية خاصة به ليست لغيره؛ وهي معية الله وذِكره للذَّاكر(٢).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "أفضل الأعمال بعد الفرائض فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه، وما يناسب أوقاتهم، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد، لكن مما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره أن ملازمة ذِكر الله دائماً؛ هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة،...، والدلائل القرآنية

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٣٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٩)، وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٦٤).

والإيمانية بصراً وخبراً ونظراً على ذلك كثيرة، وأقل ذلك أن يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين"[١].

ويتفاضل أهل كل عمل بكثرة ذكر الله فيه، قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "إن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذِكراً لله ﷻ، فأفضل الصوام أكثرهم ذِكراً لله ﷻ في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذِكراً لله ﷻ، وأفضل الحُجاج أكثرهم ذِكراً لله ﷻ، وهكذا سائر الأحوال"[٢].

وقد جمع ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) بين حديث أبي الدرداء في أن الذِّكر من أفضل الأعمال، وبين الأحاديث التي ورد فيها تفضيل لبعض الأعمال، فقال: "والله أعلم أن المراد بذِكر الله في حديث أبي الدرداء الذِّكر الكامل؛ وهو ما يجتمع فيه ذِكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنى، واستحضار عظمة الله تعالى، وأن الذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار مثلاً من غير استحضار لذلك، وأن أفضلية الجهاد إنما هي بالنسبة إلى ذِكر اللسان المجرد، فمن اتفق له أنه جمع ذلك كمن يذكر الله بلسانه وقلبه واستحضاره، وكل ذلك حال صلاته أو في صيامه أو تصدقه أو قتاله الكفار مثلاً، فهو الذي بلغ الغاية القصوى، والعلم عند الله تعالى"[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٠).

(٢) الوابل الصيب (١٠٤).

(٣) فتح الباري (١١/ ٢١٠).

۞الاستنباط الثالث: (الذِّكر أفضل الطاعات).

أخرج أحمد في الزهد، وابن المنذر، عن معاذ بن جبل قال: "ما عمل آدميٌّ عملاً أنجى له من عذاب الله من ذِكر الله، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[العنكبوت: ٤٥]"[1].

تخريجه:

أخرجه أحمد في الزهد (١٨٤)، وقال ابن حجر: "وأصله في الترمذي وغيره". المطالب العالية (١٤/ ٨٤).

معنى الآية إجمالاً:

يأمر تعالى بتلاوة وحيه وتنزيله، وإقامة الصلاة، من باب عطف الخاص على العام؛ لفضل الصلاة وشرفها، وذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصد الصلاة وثمراتها، وثمَّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذِكر الله، بالقلب واللسان والبدن، والله يعلم ما تصنعون من خير وشر، فيجازيكم على ذلك[2].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أن ذِكره أكبر من كل شيء، ففهم منه أن الذِّكر من

---

(١) الدر المنثور (١١/ ٥٥٦).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٣٢).

أفضل الطاعات، وأعظم الحسنات.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

جاء الأمر بكثرة ذِكر الله وملازمته، وذلك لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين(١).

هذا الاستنباط يحتمل معنيين:

الأول: أن الذِّكر المجرد أفضل الأعمال، وأنه أحسن من غيره من العبادات كالصلاة وغيرها، فهذا لا يوافق عليه.

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "ومن ظنّ أن المعنى: ولذكر الله أكبر من الصلاة فقد أخطأ، فإن الصلاة أفضل من الذِّكر المجرد بالنص والإجماع، والصلاة ذِكر الله لكنها ذِكر على أكمل الوجوه، فكيف يفضل ذِكر الله المطلق على أفضل أنواعه"(٢).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) أيضاً: "ولما كانت الصلاة متضمنة لذِكر الله تعالى الذي هو مطلوب لذاته، والنهي عن الشر الذي هو مطلوب لغيره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ أي: ذِكر الله الذي في الصلاة أكبر من كونها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وليس المراد أن ذِكر الله خارج الصلاة أفضل من الصلاة وما فيها من ذِكر الله، فإن هذا خلاف الإجماع"(٣).

---

(١) ينظر: الوابل الصيب (٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٩٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٣٢).

وذهب السعدي (ت:١٣٧٦هـ) إلى أن الذِّكر في الصلاة أفضل من الذِّكر خارجها[١].

الثاني: أن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذِكراً لله ﷻ، وهذا صحيح.

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "إن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذِكراً لله ﷻ، فأفضل الصوّام أكثرهم ذِكراً لله ﷻ في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذِكراً لله ﷻ، وأفصل الحُجاج أكثرهم ذِكراً لله ﷻ، وهكذا سائر الاحوال"[٢].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) أيضاً: "وأما مصاحبته [يقصد الذِّكر] لجميع الأعمال واقترانه بها وأنه روحها، فإنه سبحانه قرنه بالصلاة كقوله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾[طه: ١٤]، وقرنه بالصيام وبالحج ومناسكه، بل هو روح الحج ولُبّه ومقصوده، كما قال النبي: (إنما جُعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذِكر الله)[٣]، وقرنه بالجهاد، وأمر بذِكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٣٢).

(٢) الوابل الصيب (١٠٤).

(٣) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب المناسك، باب في الرمل، برقم: (١٨٨٨)، والترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء كيف ترمى الجمار، برقم: (٩٠٢). وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وقال النووي: "هذا الإسناد كله صحيح إلا عبيدالله فضعفه أكثرهم ضعفاً يسيراً، ولم يضعف أبوداود هذا الحديث، فهو حسن عنده كما سبق. وروى الترمذي هذا الحديث من رواية عبيد الله هذا، وقال: هو حديث حسن، وفي بعض النسخ حسن صحيح، فلعله اعتضد برواية أخرى بحديث اتصف بذلك". المجموع (٨/ ٦١). والصحيح أنه من قول عائشة رضي الله عنها، وهذا مما لا يقال بالرأي فله حكم الرفع.

فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنفال: ٤٥]"[١].

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٢٧).

۞الاستنباط الرابع: (الذِّكر سبب لصلاة الملائكة على العبد).

أخرج الحاكم، والبيهقي في الدلائل، عن سُلَيْمِ بن عامر[1] قال: "جاء رجل إلى أبي أمامة فقال: إني رأيت في منامي أن الملائكة تصلِّي عليك كلما دخلت، وكلما خرجت، وكلما قمت، وكلما جلست! قال: وأنتم لو شئتم صَلَّت عليكم الملائكة، ثم قرأ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾[الأحزاب: ٤١] الآية"[2].

تخريجه:

أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٢٥)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

معنى الآيات إجمالاً:

يأمر تعالى المؤمنين بذِكره ذِكراً كثيراً؛ من تهليل وتحميد وتسبيح وتكبير وغير ذلك، في أول النهار وآخره، وفي جميع الأحوال، ومن رحمته تعالى بالمؤمنين ولطفه بهم، أن جعل من صلاته عليهم وثنائه، وصلاة ملائكته ودعائهم، ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل إلى نور الإيمان[3].

---

(١) سليم بن عامر الكلاعي، ويقال: الخبائري، أبويحيى الحمصي، ثقة، توفي سنة (١٣٠هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٤/ ١٢٥)، تقريب التهذيب (٢٤٩).

(٢) الدر المنثور (١٢/ ٧٢).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٦٧).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

وذلك أن الله تعالى أمر في الآية الأولى بالإكثار من ذِكره، وفي الآية التي تليها أخبر سبحانه أنه وملائكته يصلون على المؤمنين، فأخذ من ذلك أن سبب صلاة الله وملائكته على عباده هي الإكثار من ذِكره ﷻ؛ لأن الآية جاءت مستأنفة كالتعليل لما قبلها من الأمر بالذِّكر والتسبيح.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

كثرة ذِكر الله تعالى يوجب صلاة الله ﷻ وملائكته على الذَّاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز(١).

قال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "يقول تعالى ذِكره: ربكم الذي تذكرونه الذِّكر الكثير، وتسبحونه بكرة وأصيلاً، إذا أنتم فعلتم ذلك الذي يرحمكم، ويثني عليكم هو، ويدعو لكم ملائكته"(٢).

قال الحكيم الترمذي (٣٢٠هـ): "ولما أقبلوا على التقوى الظاهر؛ وهو حفظ الجوارح عن المناهي، وأحكموا هذه التقوى، ثم ذكروا ذِكراً كثيراً عند كل نعمة وبؤس، وسبحوه بكرة وأصيلاً ليعمروا ما خرب منهم، وليتداركوا بذلك التسبيح أدناس العيوب ويتطهروا، وصلّت عليهم الملائكة؛ وصلاة الملائكة أن تستغفر لهم

---

(١) ينظر: الوابل الصيب (١٠٠).

(٢) جامع البيان (٢٠/ ٢٧٩).

من العيوب، وصلى عليهم الرب جل وعلا، وجعل لهم مخرجاً"[١].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وجعل سبحانه ذِكره سبباً لصلاته على عبده وذِكره له"[٢].

قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "هذا تهييج إلى الذِّكر؛ أي: أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم"[٣].

وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ): "والجملة مستأنفة كالتعليل لما قبلها من الأمر بالذِّكر والتسبيح"[٤].

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "تعليل للأمر بذِكر الله وتسبيحه؛ بأن ذلك مجلبة لانتفاع المؤمنين بجزاء الله على ذلك بأفضل منه من جنسه؛ وهو صلاته وصلاة ملائكته"[٥].

---

(١) الأمثال من الكتاب والسنة (٢٢٣).

(٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٨١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٠٥).

(٤) فتح القدير (٤/ ٢٨٧).

(٥) التحرير والتنوير (٢٢/ ٤٩).

۞الاستنباط الخامس: (حسبنا الله ونعم الوكيل).

أخرج البخاري، والنسائي، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، عن ابن عباس قال: "﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣ ﴾[آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قالوا: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣ ﴾[آل عمران: ١٧٣]"(1).

تخريجه:

أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾، برقم: (٤٢٨٧)، والنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا خاف قوماً، برقم: (١٠٤٣٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨١٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣١٧).

معنى الآية إجمالاً:

لما رجع النبي ﷺ من أُحُدٍ إلى المدينة ندب أصحابه إلى الخروج؛ فخرجوا - على ما بهم من الجراح - استجابة لله ولرسوله، فوصلوا إلى حمراء الأسد، وجاءهم من جاءهم، وقال لهم: إن الناس قد جمعوا لكم، وهمّوا باستئصالكم؛ تخويفاً لهم وترهيباً، فلم يزدهم ذلك إلا إيماناً بالله، واتكالاً عليه، وقالوا حسبنا الله؛ أي: كافينا كل ما أهمّنا، ونعم الوكيل؛ المفوّض إليه تدبير عباده، والقائم بمصالحهم(2).

---

(١) الدر المنثور (٤/ ١٤٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١٥٧).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآية والأثر.

وذلك أن الله تعالى أخبر أن النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين لما خُوِّف من العدو وعتادهم، قالوا هذه الكلمة، وجاء في الأثر أن الخليل إبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار قال هذه الكلمة، فدل ذلك على فضل هذا الذِّكر، وأنه يُقال في الشدائد، وهومن أسباب الفرج والنصر بإذن الله.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

حسبنا الله ونعم الوكيل من الأذكار العظيمة، والكلمات المباركة التي يجدر بكل مسلم أن يعنى بها.

وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بقولها عند إعراض الكفار عنه، وعدم الإيمان به، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ ﴾[التوبة: ١٢٩].

وأرشد النبي ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم إلى هذا الدعاء عندما شق عليهم خبر صاحب القرن، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ، فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا)(١).

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور، برقم: (٢٤٣١)، والنسائي، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ ﴾، برقم:

قال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ): "وفيه تعليم لنا أن نقتدي بهم، ونرجع إلى أمر الله، والصبر عليه، والاتكال عليه، وأن نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، وأَنَّا متى فعلنا ذلك أعقبنا ذلك من الله النصر والتأييد، وصرف كيد العدو وشرهم، مع حيازة رضوان الله وثوابه"(١).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "والعبد مفتقر دائماً إلى التوكل على الله والاستعانة به، كما هو مفتقر إلى عبادته، فلابد أن يشهد دائماً فقره إلى الله، وحاجته في أن يكون معبوداً له، وأن يكون معيناً له، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ من الله إلا إليه"(٢).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فالقوة كل القوة في التوكل على الله، كما قال بعض السلف: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله؛ فالقوة مضمونة للمتوكل، والكفاية والحسب والدفع عنه، وإنما ينقص عليه من ذلك بقدر ما ينقص من التقوى والتوكل، وإلا فمع تحققه بهما لا بد أن يجعل الله له مخرجاً من كل ما ضاق على الناس، ويكون الله حسبه وكافيه، والمقصود أن النبي ﷺ أرشد العبد إلى ما فيه غاية كماله، ونيل مطلوبه، أن يحرص على ما ينفعه، ويبذل فيه جهده، وحينئذ ينفعه التحسب، وقول: حسبي الله ونعم الوكيل.

بخلاف من عجز وفرّط حتى فاتته مصلحته، ثم قال: حسبي الله ونعم

(١١٠٨٢)، وقال الترمذي: " حديث حسن"، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٦٧)، برقم: (١٠٧٩).

(١) أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٣٣٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٥٦).

الوكيل، فإن الله يلومه، ولا يكون في هذا الحال حسبه، فإنما هو حسب من اتقاه وتوكل عليه"[١].

وقال محمد بن عبدالوهاب (ت:١٢٠٦هـ): "عِظَم شأن هذه الكلمة؛ أنها قول إبراهيم ومحمد ﷺ في الشدائد"[٢].

(١) زاد المعاد (٢/ ٣٦٤).

(٢) كتاب التوحيد (٩٤).

۞الاستنباط السادس: (شكر النِّعم).

أخرج سعيد بن منصور، وأبوعبيد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب، عن أبي هاشم[(١)] قال: "كتب عدي بن أرطاة[(٢)] إلى عمر بن عبدالعزيز أن من قبلنا من أهل البصرة قد أصابهم من الخير خير حتى خفت عليهم، فكتب إليه عمر: قد فهمت كتابك، وإن الله لما أدخل أهل الجنة الجنة رضي منهم بأن قالوا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾[الأعراف: ٤٣]، فمُرْ من قبلك أن يحمدوا الله"[(٣)].

تخريجه:

أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/ ٣٨٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٣٣)، وقال محققه: "إسناده رجاله ثقات".

معنى الآية إجمالاً:

لما رأى أهل الجنة ما أنعم الله عليهم وأكرمهم به، قالوا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾، بأن منّ علينا، وهدى قلوبنا فآمنت به، وانقادت للأعمال الموصلة إلى هذه الدار، ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾؛ أي: ليس في نفوسنا قابلية للهدى لولا أنه تعالى منّ علينا بهدايته، واتباع رسله، ورأينا ما وعدتنا به الرسل، وأن جميع ما جاؤوا به حق اليقين، لا مِرية فيه ولا إشكال، ونودوا تهنئة لهم،

---

(١) يحيى بن دينار الرماني، أبوهاشم، اختلف في اسم أبيه، ثقة، توفي سنة (١٢٢هـ)، وقيل: (١٤٥هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٨/ ٢٧١)، تقريب التهذيب (٦٨٠).

(٢) عدي بن أرطاة الفزاري الدمشقي، أمير البصرة لعمر بن عبدالعزيز، تابعي مقبول، قتل سنة (١٠٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٣)، تقريب التهذيب (٣٨٨).

(٣) الدر المنثور (٦/ ٣٩٤).

وإكراماً وتحية، ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾؛ أي: كنتم الوارثين لها، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أن أهل الجنة لما رأوا ما أنعم الله عليهم وأكرمهم به، قالوا: الحمد لله، فرضي الله عنهم، ولم يطلب منهم زيادة على ذلك، فدل مفهومها على أن العبد إذا رزقه الله في الدنيا من فضله فشكره على ذلك وحمده، فإن الله يرضى عنه، ويزيده من فضله.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

إذا تحلى المسلم بخلق الشكر والحمد لربه، فإنه يضمن بذلك المزيد من نعم الله في الدنيا، والفوز برضوان الله وجنته، ويأمن عذابه في الآخرة.

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، فقد أمر سبحانه مع أكل الطيبات بالشكر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[البقرة: ١٧٢][2].

وقد ذمَّ الله سبحانه الكنود؛ وهو الذى لا يشكر نعمه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٨٩).

(٢) ينظر: قاعدة في المحبة (١٦٣).

ﭐلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦﴾[العاديات: ٦][(١)].

و في السنة من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمده عليها)[(٢)].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فجميع ما يتقلب فيه العالم من خير الدنيا والآخرة هو نعمة محضة منه بلا سبب سابق يوجب لهم حقاً، ولا حول لهم من أنفسهم إلا به، وهو خالق نفوسهم، وخالق أعمالهم الصالحة، وخالق الجزاء،...، فإذا تدبر العبد علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله، فشكر الله فزاده الله من فضله عملاً صالحاً، ونعماً يفيضها عليه، وإذا علم أن الشر لا يحصل له إلا من نفسه بذنوبه، استغفر وتاب، فزال عنه سبب الشر، فيكون العبد دائماً شاكراً مستغفراً، فلا يزال الخير يتضاعف له، والشر يندفع عنه"[(٣)].

وقال أبوحامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ): "اعلم أنه لم يُقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه: الحمد لله، الشكر لله! ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها؛ وهى طاعة الله ﷻ فلا يمنع من الشكر بعد

---

(١) ينظر: عدة الصابرين (٩٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، برقم: (٢٧٣٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٦٢).

حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة، واستيلاء الشيطان"[١].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وأما من هداه الله، فإنه عند النعم يخضع لربه، ويشكر نعمته، وعند الضراء يتضرع، ويرجو من الله عافيته، وإزالة ما يقع فيه، وبذلك يخف عليه البلاء"[٢].

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ١٢٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٦٥).

۞الاستنباط السابع: (الحمد أول الكلام وآخره).

أخرج ابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن ابن أبي الهذيل[١] قال: "الحمد أول الكلام وآخر الكلام، ثم تلا: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠ ﴾[يونس: ١٠]"[٢].

تخريجه:

لم أجد من ذكر هذا الأثر حسب ما وقفت عليه من كتب.

معنى الآية إجمالاً:

هذا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وامتثلوا ما أُمروا به، فعمِلوا الصالحات، بأن الله تعالى سيهديهم بإيمانهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم، تجري من تحتهم الأنهار، دعواهم فيها سبحانك اللهم؛ أي عبادتهم فيها لله، أولها تسبيح لله، وتنزيه له عن النقائص، وآخرها تحميد لله[٣].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات والأحاديث.

وذلك أن الله تعالى افتتح خطابه بالحمد، فقد حمد نفسه عند ابتداء خلقه

---

(١) عبدالله بن أبي الهذيل العنزي، أبوالمغيرة، تابعي ثقة، حديثه في الكوفيين، وكان شديد الخوف من الله تعالى. ينظر: المنتظم (٦/ ٢٢٠)، الكاشف (١/ ٦٠٥).

(٢) الدر المنثور (٧/ ٦٣٦).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٨٤)، تيسير الكريم الرحمن (٣٥٩).

واستمراره، وفي ابتداء كتابه، وعند ابتداء تنزيله، وأول ما خلق آدم كان أول شيء أنطقه به الحمد، والحمد مفتاح كل أمر ذي بال؛ من مناجاة الرب، ومخاطبة العباد بعضهم بعضاً، وفى الخطب وغير ذلك، وختمها بالحمد، فبعد القضاء بين الخلائق يحمدونه تعالى، وفي الجنة آخر دعواهم الحمد لله(١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الحمد لله الذي افتتح بالحمد كتابه، وجعله آخر دعاء أهل الجنة(٢).

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، فقد افتتح الله أول سورة في كتابه بالحمد، فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة: ٢].

وفي السنة لما خُلق آدم عليه السلام أول ما أنطقه بالحمد، فقد جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح، عطس فقال: الحمد لله؛ فحمد الله بإذن الله، فقال له ربه: رحمك الله ربك يا آدم،...)(٣).

قال قتادة (ت:١١٧هـ): "فتح أول الخلق بالحمد لله، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[الأنعام: ١]، وختم بالحمد، فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٤)و (٢٢/ ٣٩٨)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٨٤).

(٢) كتاب سيبويه (١/ ٥).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب (٩٤)، برقم: (٣٣٦٨)، والنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا عطس، برقم: (١٠٠٤٦). وقال الترمذي: " هذا حديث حسن، غريب من هذا الوجه"، وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح على شرط مسلم". المستدرك (١/ ١٣٢)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٩٢٥)، برقم: (٥٢٠٩).

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾[الزمر: ٧٥]"[١].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وهو سبحانه يفتتح خطابه بالحمد، ويختم الأمور بالحمد، وأول ما خلق آدم كان أول شيء أنطقه به الحمد، فإنه عطس فأنطقه بقوله: الحمد لله، فقال له: يرحمك ربك يا آدم، وكان أول ما تكلم به الحمد، وأول ما سمعه الرحمة، وهو يختم الأمور بالحمد، كقوله: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾[الزمر: ٧٥]، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٥﴾[الأنعام: ٤٥]، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾[يونس: ١٠]، وهو سبحانه له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون"[٢].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) معلقاً على آية يونس: "هذا فيه دلالة على أنه تعالى هو المحمود أبداً، المعبود على طول المدى، ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره، وفي ابتداء كتابه وعند ابتداء تنزيله، حيث يقول تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[الكهف: ١]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[الأنعام: ١]، إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها، وأنه المحمود في الأولى والآخرة، في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، في جميع الأحوال"[٣].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١/ ٣٤٤)، وقال الشيخ حكمت بشير: "سنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٧٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٨٥).

وقال ابن الجوزي: (ت:٥٩٧هـ): "قال المفسرون ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد، فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[الأنعام: ١]، وختم غاية الأمر؛ وهو استقرار الفريقين في منازلهم بالحمد لله بهذه الآية [يقصد آية الزمر]، فنبه على تحميده في بداية كل أمر وخاتمته"[١].

(١) زاد المسير (٧/ ٢٠٢).

۞الاستنباط الثامن: (كفارة النسيان).

أخرج البيهقي، من طريق المعتمر بن سليمان[1] قال: "سمعت أبي يحدث عن رجل من أهل الكوفة كان يقرأ القرآن، ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[الكهف: ٢٤]، في الآية قال: إذا نسي الإنسان أن يقول: إن شاء الله؛ فتوبته من ذلك أن يقول: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الكهف: ٢٤]"[2].

تخريجه:

أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٤٤٥) وقال محققه: "إسناده إلى سليمان التيمي صحيح".

معنى الآيتين إجمالاً:

نهى الله العبد أن يقول في الأمور المستقبلة: إني فاعل ذلك من دون أن يقرنه بمشيئة الله، وذلك لما فيه من المحذور؛ وهو الكلام على الغيوب المستقبلة التي لا يدري هل يفعلها؟ أم: لا؟ وفيه رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالاً، وذلك محذور محظور؛ لأن المشيئة كلها لله، ولما في ذكر مشيئة الله من تيسير الأمر وتسهيله، ولما كان العبد بشراً لا بد أن يسهو عن ذكر المشيئة، أمره الله أن يستثني بعد ذلك إذا ذكر؛ ليحصل المطلوب، ويندفع المحذور، ولما كان العبد مفتقراً إلى الله في توفيقه للإصابة وعدم الخطأ، أمره الله أن يقول: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ ﴾، فأمره أن يدعو الله ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى

---

(١) المعتمر بن سليمان التيمي، أبومحمد، ثقة، توفي بالبصرة في خلافة هارون، سنة (١٨٧هـ). ينظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٩٠)، الكنى والأسماء (٢/ ٧٣٦).

(٢) الدر المنثور (٩/ ٥١٩).

الرشد[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين أجزاء الآية.

وذلك أن الله تعالى أمر في أول الآية بذِكره عند النسيان، ثم ذكر في بقية الآية هذا الذِّكر، فأخذ من ذلك إنها بألفاظها كفارة لمن نسي ذِكر الله تعالى.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

جاء الأمر بذِكر الله تعالى عند النسيان، إذ أن الذِّكر يطرد الشيطان، ويرضي الرحمن، ويورث محبته.

واختلف العلماء في هذا الذِّكر المأمور به على قولين:

الأول: أن قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾﴾، بألفاظها كفارة لمن نسي ذِكر الله تعالى، وممن ذهب إلى هذا القول محمد الكوفي المفسر[٢].

الثاني: أن هذا دعاء مأمور به دون هذا التخصيص، وأن الأمر بذِكر الله عند النسيان عام يشمل هذا الذِّكر وغيره من الأذكار، وهذا قول الجمهور[٣].

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٧٤).

(٢) محمد بن مروان بن عبدالله بن إسماعيل الكوفي، السدي الصغير، صاحب التفسير عن محمد الكلبي، متهم بالكذب، توفي سنة (١٢٧هـ). ينظر: الوافي بالوفيات (٩/ ٨٥)، وتقريب التهذيب (٥٠٦).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٠٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٨٥).

الراجح:

أن الأمر بذِكر الله عند النسيان ليس مقصوراً على هذه الآية بألفاظها، بل هذا عام يشمل جميع أنواع الذِّكر.

قال ابن جزي (ت:٧٤١هـ): "والظاهر أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت ذِكره؛ أي: ارجع إلى الذِّكر إذا غفلت عنه، واذكره في كل حال، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)[١]، ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾[الكهف: ٢٤]"[٢].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "ويحتمل في الآية وجه آخر؛ وهو أن يكون الله تعالى قد أرشد من نسي الشيء في كلامه إلى ذِكر الله تعالى؛ لأن النسيان منشؤه من الشيطان، كما قال فتى موسى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾[الكهف: ٦٣]، وذِكر الله تعالى يطرد الشيطان، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان، فذِكر الله سبب للذِكر، ولهذا قال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾"[٣].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "ويؤخذ من عموم قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾، الأمر بذِكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذِكر الله أن يذكر ربه، ولا يكوننّ من الغافلين"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، برقم: (٦٠٧)، ومسلم، كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى حال الجنابة، برقم: (٣٧٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٨٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٥٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٤٧٤).

۞الاستنباط التاسع: (الذِّكر الذي به تحفظ النِّعم).

أخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب الإيمان، عن عروة: "أنه كان إذا رأى من ماله شيئاً يعجبه، أو دخل حائطاً من حيطانه قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ويتأوّل قول الله: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[الكهف: ٣٩]".

وأخرج ابن أبي حاتم، عن أنس قال: "من رأى شيئاً من ماله فأعجبه، فقال: ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾، لم يصب ذلك المال آفة أبداً، وقرأ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾[الكهف: ٣٩]الآية"[(١)].

تخريجه:

١- الأثر الأول أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٥١٨)، وقال محققه: "إسناده حسن".

٢- الأثر الثاني لم أجده عند ابن أبي حاتم في المطبوع ولعله في المفقود منه، ونسب ابن كثير هذا القول لبعض السلف بدون سند أو نسبة لمن قاله منهم[(٢)]. تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٥٨).

---

(١) الدر المنثور (٩/ ٥٤٢و٥٤٥).

(٢) وأخرجه مرفوعاً الطبراني في الأوسط (٤/ ٣٠١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٧١)، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه عبدالملك بن زرارة؛ وهو ضعيف". مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٠)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥/ ٢٥)، برقم: (٢٠١٢).

معنى الآية إجمالاً:

في هذه الآية توبيخ ووصية من المؤمن لصاحبه، وردّ عليه إذ قال: ما أظن أن تبيد هذه أبداً، فقال له: هلا إذ دخلت بستانك فأعجبك ما رأيت منه، قلت: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فما اجتمع لك من المال فهو بقدرة الله تعالى وقوته، لا بقدرتك وقوتك، ولو شاء لنزع البركة منه فلم يجتمع[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر عن صاحب الجنة أنه عندما دخلها تكبر وظلم، وأصابه العجب، وكفر نعمة الله، فأهلك الله جنته، وسلبه نعمته، وكان الواجب عليه أن يشكر نعمة الله عليه، وأن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فدل مفهومها على أن العبد ينبغي له إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده أن يضيف النعمة إلى مُولِيها ومُسدِيها، وأن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

يستحب لكل من أعجبه شيء من مال أو أهل أو غيره أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، مثل قوله ﷺ: (إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه شيئاً يعجبه فليدع بالبركة، فإن العين حق)[2].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٨/ ٢٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٠٦).

(٢) أخرجه النسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقرأ على من أصيب بعين، برقم: (١٠٨٧٢)،

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "وليقل لدفع الآفات: ما شاء الله لا قوة إلا بالله"(١).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "ولهذا يؤمر بهذا من يخاف العين على شيء، فقوله: ما شاء الله؛ تقديره: ما شاء الله كان، فلا يَأْمَنُ؛ بل يُؤْمِنُ بالقدر، ويقول: لا قوة الا بالله"(٢).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فينبغي لمن دخل بستانه أو داره أو رأى في ماله وأهله ما يعجبه، أن يبادر إلى هذه الكلمة، فإنه لا يرى فيه سوءاً"(٣).

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده، فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة"(٤).

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وأن العبد ينبغي له إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده، أن يضيف النعمة إلى موليها ومسديها، وأن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ ليكون شاكراً متسبباً لبقاء نعمته عليه، لقوله: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[الكهف: ٣٩]"(٥).

وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". المستدرك (٤/ ٢٤٠)، ووافقه الذهبي.

(١) المجموع (٤/ ٥٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٢١).

(٣) الوابل الصيب (١٦٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٥٨).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٤٧٨).

۞الاستنباط العاشر: (الجبال تتباهى بالذَّاكر).

أخرج ابن المبارك، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وابن أبي حاتم، وأبوالشيخ في العظمة، والطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان، من طريق عون عن ابن مسعود قال: "إن الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان هل مرَّ بك اليوم أحد ذكر الله؟ فإذا قال: نعم، استبشر، قال عون: أفيسمعن الزور إذا قيل ولا يسمعن الخير؟! هنَّ للخير أسمع، وقرأ: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [مريم: ٨٨] الآيات "[1].

تخريجه:

أخرجه ابن المبارك في الزهد (١١٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١١٠)، وابن أبي حاتم وقد ذكره ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٦٣)، وأبوالشيخ في العظمة (١٧١٧/٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٠٣)، وأبونعيم في الحلية (٤/ ٢٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٧٣)، وقال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد (١٠/ ٧٩)

معنى الآيات إجمالاً:

في هذه الآيات تقبيح وتشنيع لقول المعاندين الجاحدين، الذين زعموا أن الرحمن اتخذ ولداً، لقد جئتم شيئاً عظيماً وخيماً، من عظيم أمره أنه تكاد السماوات على عظمتها وصلابتها يتفطرنّ من هذا القول، وتتصدع الأرض منه وتنفطر، وتندك الجبال، من أجل هذه الدعوى القبيحة، تكاد هذه المخلوقات أن يكون منها

---

(١) الدر المنثور (١٠/ ١٤٢).

ما ذكر، والحال أنه لا يليق ولا يكون للرحمن أن يتخذ ولداً، وذلك لأن اتخاذه الولد يدل على نقصه واحتياجه، وهو الغني الحميد(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أن الجبال تكاد تنفطر من قول الزور والباطل، فدل على أن لها إدراكاً وشعوراً، فمن باب أولى أن تسمع الخير.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

جعل الله تبارك وتعالى في الجمادات شعوراً وإدراكاً تسبح به ربها، وتسقط الحجارة من خشيته، وتسجد له الجبال والشجر، وتسبحه الحصى والمياه والنبات وغيرها(٢).

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "أخبر الله تعالى أن لهذه العوالم كلها إدراكاً تاماً كإدراك الإنسان أو أشدّ منه، قال تعالى عن السماوات والأرض والجبال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فأثبت تعالى لهذه العوالم إدراكاً وإشفاقاً من تحمل الأمانة، بينما سجل على الإنسان ظلماً وجهالة في تحمله إياها، ولم يكن هذا العرض مجرد تسخير، ولا هذا الإباء مجرد سلبية، بل عن إدراك تام، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٥٠١).

(٢) ينظر: الروح (٧٢).

ﭐسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾[فصلت: ١١]، فهما طائعين لله، وهما يأبين أن يحملن الأمانة إشفاقاً منها.

وفي أواخر هذه السورة الكريمة سورة الحشر، قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[الحشر: ٢١]، ومثله قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ٧٤]، وهذا هو عين الإدراك أشدُّ من إدراك الإنسان"[١].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، قال رسول الله ﷺ: (لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة)[٢].

قال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "يدل على أن الجمادات سواء كانت رطبة أو يابسة فإن لها سماعاً في الدنيا، وشهادة في الآخرة، فدل ذلك على صحة أشياء مختلف في بعضها، منها: إدراك الجمادات ونطقها، وقد أثبت ذلك جمهور السلف سواء كانت رطبة أو يابسة، كما دل عليه قوله: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴾[سبأ:١٠]، وقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾[الإسراء: ٤٤]"[٣].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "فبم سيشهد إن لم يك مدركاً الأذان

---

(١) أضواء البيان (٨/ ٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالنداء، برقم: (٥٨٤).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٣/ ٤٣٥).

والمؤذن"[١].

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طلع له أُحُد فقال: (هذا جبل يحبنا ونحبه)[٢].

قال البغوي (ت:٥١٦هـ): "والأولى إجراؤه على ظاهره، ولا يُنكر وصف الجمادات بحب الأنبياء والأولياء وأهل الطاعة"[٣].

وقال النووي (ت:٦٧٦هـ): "الصحيح المختار أن معناه: أن أُحُداً يحبنا حقيقة، جعل الله تعالى فيه تمييزاً يحب به"[٤].

---

(١) أضواء البيان (٨/ ٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب أحد يحبنا ونحبه، برقم: (٣٨٦٥)، ومسلم، كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، برقم: (١٣٩٣).

(٣) شرح السنة (٧/ ٣١٤).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ١٣٩).

۞الاستنباط الحادي عشر: (ذِكر الركوب والنزول).

أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[المؤمنون: ٢٩]، قال: "يُعلِّمُكم كيف تقولون إذا ركبتم، وكيف تقولون إذا نزلتم، أما عند الركوب: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[الزخرف: ١٣ - ١٤]، و ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾[هود: ٤١]، وعند النزول: ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[المؤمنون: ٢٩]"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١/ ٥٧٦)، وقال أبوإسحاق الحويني في سلسلة رجال هذا السند في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٦).

معنى الآيات إجمالاً:

في الآية الأولى اعتراف بنعمة الله التي سخرها لنا، والثناء عليه تعالى بذلك، فلولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك والأنعام ما كنا مُطِيقين لذلك، وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى سخرها وذلّلها، ويسر أسبابها، وهو سبحانه الذي يستحق أن يعبد ويصلى له، وإنا إلى خالقنا لراجعون بعد هذه الحياة ليحاسب كلاً بما قدمت يداه.

وفي الآية الثانية ذكر الله تعالى أن نبيه نوحاً عليه السلام أمر أصحابه الذين قيل له

---

(١) الدر المنثور (١٠/ ٥٨٥).

أحملهم فيها أن يركبوا فيها، قائلا: بسم الله مجراها ومرساها؛ أي بسم الله يكون جريها على وجه الماء، وبسم الله يكون منتهى سيرها، إن ربي لغفور رحيم حيث غفر لنا ورحمنا، ونجانا من القوم الظالمين.

وفي الآية الثالثة أمر الله نوحاً إذا استوى على السفينة هو ومن معه أن يحمدوا الله الذي نجاهم من الكفرة الظالمين، ويسألوه أن ينزلهم منزلاً مباركاً(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

وذلك أن الله تعالى بيّن في آية الزخرف ما يقولون إذا ركبوا، وفي آية المؤمنون بيّن لهم سبحانه ما يقولون إذا نزلوا.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

إن جميع وسائل النقل في الدنيا هي من تسخير الله تعالى، ولولا أن الله ﷻ قد سخرها وذلَّلها لنا ما كنَّا لنستطيع ركوبها.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما علمهم: (أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[الزخرف: ١٣- ١٤]، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ...)(٢).

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٨٢و ٧٦٣)، أضواء البيان (٢/ ١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج أو غيره، برقم: (١٣٤٢).

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "وفي هذا الحديث استحباب هذا الذِّكر عند ابتداء الأسفار كلها"(١).

وحديث علي بن ربيعة قال: (شهدت علياً رضي الله عنه وأتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب، قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الزخرف: ١٣ - ١٤]، ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقيل: يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟ قال رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت، ثم ضحك، فقلت: يا رسول الله من أي شيء ضحكت؟ قال: إن ربك يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري)(٢).

قال ابن العربي (ت:٥٣٤هـ): "فعلّمنا الله تعالى ما نقول إذا ركبنا الدواب، وعلمنا الله في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول إذا ركبنا السفن"(٣).

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "وبالجملة فالآية تعليم من الله عز وجل لعباده إذا

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ١١١).

(٢) أخرجه أبوداود، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا ركب، برقم: (٢٦٠٢)، والترمذي، كتاب الدعوات عن رسول ﷺ، باب ما يقول إذا ركب الناقة، برقم: (٣٤٤٦)، والنسائي، كتاب السير، باب التسمية عند ركوب الدابة والتحميد والدعاء، برقم: (٨٧٩٩). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". المستدرك (٢/ ١٠٨)، ووافقه الذهبي.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٠١).

ركبوا وإذا نزلوا أن يقولوا هذا، بل وإذا دخلوا بيوتهم وسلموا قالوا"[(١)].

وقال النووي (ت:٦٧٦هـ): "السنة إذا خرج من بيته وأراد ركوب دابته أن يقول: بسم الله، فإذا استوى عليها قال: الحمد لله، ثم يأتي بالتسبيح والذِّكر والدعاء الذي ثبت في الأحاديث"[(٢)].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "يدل على استحباب هذه الأذكار عند ركوب كل مركوب، من دابة وسفينة، ومراكب برية وبحرية وهوائية"[(٣)].

وقال الشيخ ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ): "ظاهر القرآن أن الإنسان كلما ركب على البعير أو السيارة أو السفينة أو القطار أن يقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[الزخرف: ١٣ - ١٤]"[(٤)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/ ١٢٠).

(٢) المجموع (٤/ ٣٢٨).

(٣) فتح الرحيم الملك العلام (١٦٥).

(٤) لقاء الباب المفتوح (٢/ ٢٩٨).

۞الاستنباط الثاني عشر: (عقوبة نسيان الذِّكر).

أخرج عبد بن حميد، عن قتادة: ﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾[الفرقان: ١٨] قال: "البُور الفاسد، وإنه ما نسي الذِّكر قوم قط إلا باروا وفسدوا"[1].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٣)، وقال محققه في سلسلة رجال هذا السند في متن آخر: "هذا إسناد صحيح". تفسير الجزء الأول من سورة البقرة (٢١٦).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن حالة المشركين وشركائهم يوم القيامة، وتبرئهم منهم، وبطلان سعيهم، وتنزه المعبودين أنفسهم أن يدعوا لعبادة غير الله، أو يكونوا أضلوهم، ثم ذكروا السبب الموجب لإضلال المشركين فقالوا: ﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ في لذات الدنيا وشهواتها، ﴿ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾، اشتغالاً في لذات الدنيا، وانكباباً على شهواتها، فحافظوا على دنياهم، وضيعوا دينهم، ﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ بائرين لا خير فيهم، لا يصلحون إلا للهلاك والبوار[2].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

---

(١) الدر المنثور (١١/ ١٤٧).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٥٨٠).

وذلك أن الله تعالى أخبر في هذه الآية عن سبب هلاك القوم؛ وذلك أنه طال عليهم الأمد وغرتهم الدنيا، فحملهم ذلك على الطغيان، ونسيان الذِّكر، فدل مفهومها على أن ترك الذِّكر والانشغال بالدنيا سبب للهلاك والخسارة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

لقد حذر الله تعالى عباده من الإعراض ذِكره في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله ﷺ.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه: ١٢٤]، وقوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦].

قال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "فترتيبه قوله: ﴿ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا ﴾، على قوله: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾، ترتيب الجزاء على الشرط، يدل على أن سبب تقييضه له هو غفلته عن ذِكر الرحمن"[(١)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة"[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النجم: ٢٩]، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فأمر نبيه بأن يعرض عمن كان

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٢٧).

(٢) الوابل الصيب (٦٨).

معرضاً عن ذِكر الله، ولم يكن له مراد إلا ما يكون في الدنيا، وهذه حال من فسد قلبه، ولم يذكر ربه، ولم ينب إليه، فَيُرِيد وجهه ويُخلص له الدين"[١].

(١) الوابل الصيب (٦٨).

۞الاستنباط الثالث عشر: (الحمد أفضل نعم الدنيا).

أخرج ابن أبي حاتم، عن عمر بن عبدالعزيز أنه كتب: "إن الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها، إلا كان حمده أفضل من نعمته، لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾[النمل: ١٥]، وأيُّ نعمة أفضل مما أُوتي داود وسليمان!"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٤)، وقال الشيخ حكمت بشير: "وسنده ضعيف؛ لأنه معلق". تفسير القرآن العظيم (٥/ ٦٦٣).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى وينوه بمنّته على داود وسليمان عليهما السلام بالعلم الواسع الكثير، بدليل التنكير، وقالا - شاكرين لربهما منته -: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، فحمدا الله على جعلهما من المؤمنين أهل السعادة، وأنهما كانا من خواصهم، إذ هما من جملة الرسل الفضلاء الكرام الذين نوه الله بذِكرهم، ومدحهم في كتابه، مدحاً عظيماً، فحمدا الله على بلوغ هذه المنزلة، وهذا عنوان سعادة العبد أن يكون شاكراً لله على نعمه، الدينية والدنيوية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها، بل يرى أنها تستحق عليه شكراً كثيراً[٢].

(١) الدر المنثور (١١/ ٣٣٩).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٠٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر في هذه الآية أنه أنعم على داود وسليمان عليهما السلام، وآتاهما علماً كثيراً، ثم ذكر سبحانه أنهما قالا: الحمد لله على هذه النعمة، ففهم منه أن الحمد أعظم النعم التي وهبهم الله إياها.

ولا يظهر صحة هذا الاستنباط من هذه الآية، وإن كان هذا المعنى قد تكلم عليه العلماء لكن ليس فهماً من الآية.

قال الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ): "أقول ليس في الآية ما يدل على ما فهمه رحمه الله، والذي تدل عليه: أنهما حمدا الله سبحانه على ما فضلهما به من النعم، فمن أين تدل على أن حمده أفضل من نعمته؟"(١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

قول الحمد لله نعمة من الله على عبده، والمحمود عليه نعمته أيضاً، وبعض النعم أجل من بعض، فنعمة الشكر أجل من نعمة المال أو الجاه أو الولد(٢).

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ)(٣).

---

(١) فتح القدير (٤/ ١٣٤).

(٢) ينظر: فيض القدير (٥/ ٤٢٨).

(٣) أخرجه ابن ماجة، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم: (٣٨٠٥)، قال البويصري: "هذا إسناد

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "معناه عندنا: أنه قد أعطي الدنيا، ثم أعطي على أثرها هذه الكلمة حتى نطق بها، فكانت هذه الكلمة أفضل من الدنيا كلها؛ لأن الدنيا فانية، والكلمة باقية؛ هي من الباقيات الصالحات"(١).

قال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "وقد ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن بعض العلماء أنه صوّب هذا القول؛ أعني قول من قال: إن الحمد أفضل من النعمة(٢)، وعن ابن عيينة: أنه خطأ قائله، وقال لا يكون فعل العبد أفضل من فعل الرب ﷻ، ولكن الصواب قول من صوّبه، فإن المراد بالنعم: النعم الدنيوية كالعافية والرزق والصحة، ودفع المكروه ونحو ذلك، والحمد لله هو من النعم الدينية، وكلاهما نعمة من الله، لكن نعمة الله على عبده بهدايته لشكر نعمه بالحمد عليها أفضل من النعمة الدنيوية على عبده، فإن النعم الدنيوية إن لم يقترن بها الشكر كانت بلية،...، فإذا وفق الله عبده للشكر على نعمه الدنيوية بالحمد أو غيره من أنواع الشكر كانت هذه النعمة خيراً من تلك النعم، وأحب إلى الله ﷻ، فإن الله يحب المحامد، و يرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها، والثناء بالنعم والحمد عليها وشكرها عند أهل الجود والكرم أحب إليهم من أموالهم، فهم يبذلونها طلباً للثناء، والله ﷻ أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، فهو يبذل نعمه لعباده ويطلب منهم الثناء بها،

حسن، شبيب بن بشر مختلف فيه". مصباح الزجاجة (٤/ ١٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٩٧٥)، برقم: (٥٥٦٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٣١).

(٢) الشكر (٤٠)، وذكر هذا القول عن الحسن.

وذِكْرِها منهم، والحمد عليها، ويرضى منهم بذلك شكراً عليها، وإن كان ذلك كله من فضله عليهم، وهو غير محتاج إلى شكرهم، لكنه يحب ذلك من عباده حيث كان صلاح العبد وفلاحه وكماله فيه، ومن فضله سبحانه أنه نسب الحمد والشكر إليهم، وإن كان من أعظم نعمه عليهم، وهذا كما أنه أعطاهم ما أعطاهم من الأموال واستقرض منهم بعضه، ومدحهم بإعطائه، والكل ملكه ومن فضله، ولكن كرمه اقتضى ذلك"(١).

(١) جامع العلوم والحكم (٢٤٥).

۞**الاستنباط الرابع عشر: (إذا مر المصلي بآية فيها ذِكر النبي ﷺ هل يصلي عليه؟).**

أخرج ابن أبي شيبه، عن الحسن قال: "إذا قال الرجل في الصلاة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾[الأحزاب: ٥٦] الآية، فليصلِّ عليه"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٢٦)، وفي سنده هشام بن حسان الأزدي في روايته عن الحسن مقال؛ لأنه كان يرسل عنه[٢]، وذكر ابن القيم هذا الأثر بزيادة "في التطوع". جلاء الأفهام (٤٣٧).

معنى الآية إجمالاً:

في هذه الآية تنبيه على كمال رسول الله ﷺ، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، وأن الله تعالى وملائكته يصلون على النبي؛ أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى لمحبته تعالى إياه، ويثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون، ثم أمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلاً لإيمانكم، وتعظيما له ﷺ، ومحبة وإكراماً، وزيادة في حسناتكم، وتكفيراً عن سيئاتكم[٣].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

---

(١) الدر المنثور (١٢/ ١٢٣).

(٢) ينظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ١٨١)، تقريب التهذيب (٥٧٢).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٧١).

وذلك أن الله سبحانه أمر المؤمنين بالصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ، وأمره المطلق على الوجوب في الصلاة وفي غيرها، ما لم يقم دليل على خلافه(١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

جاء الأمر في كتاب الله تعالى بالصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ، إذ أنها من أفضل العبادات؛ لأن الله تعالى تولاها هو وملائكته، ثم أمر بها المؤمنين.

واختلف السلف في المصلي إذا سمع ذِكر النبي ﷺ هل تشرع له الصلاة والسلام عليه في الفرض والنفل؟ أو: في النفل فقط؟.

القول الأول: أنه إذا قرأ الإمام: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، جاز للمأموم أن يصلي على النبي ﷺ، سواء في صلاة الفرض أو النفل، وللإمام والمأموم والمنفرد؛ لأنه دعاء فاستووا فيه كالتأمين(٢).

القول الثاني: أن المصلي إذا مر بآية فيها ذِكر النبي ﷺ، فإن كان نفل صلى على النبي ﷺ، ولا يُسن في صلاة الفريضة.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠٤].

قال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام، وكان من خلفه ممن يأتم به يسمعه، وفي الخطبة"(٣).

---

(١) ينظر: جلاء الأفهام (٣٤٦).

(٢) ينظر: المجموع (٤/ ٧٦).

(٣) جامع البيان (١٣/ ٣٥٢).

وبحديث حذيفة ﷺ قال: (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها: ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ،...)[(١)].

ووجه الدلالة من هذا الحديث: أن المنقول عنه ﷺ في النفل، فيقتصر عليه[(٢)].

قال السرخسي (ت:٤٨٣هـ): "فأما إذا كان إماماً كرهت له ذلك؛ لأن رسول الله لم يفعله في المكتوبات، والأئمة بعده إلى يومنا هذا"[(٣)].

وقال الكاساني (ت:٥٨٧هـ): "وأما الإمام في الفرائض فيكره له ذلك؛ لأن النبي لم يفعله في المكتوبات وكذا الأئمة بعده إلى يومنا هذا، فكان من المحدثات، ولأنه يثقل على القوم وذلك مكروه، ولكن لا تفسد صلاته؛ لأنه يزيد في خشوعه، والخشوع زينة الصلاة، وكذا المأموم يستمع وينصت لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠٤]"[(٤)].

وقال ابن قدامة (ت:٦٢٠هـ): "ولا يستحب ذلك في الفريضة؛ لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ في فريضة مع كثرة من وصف قراءته فيها"[(٥)].

وبيّن الكرابيسي (٥٧٠هـ) الفرق بين صلاة الفريضة والنافل، فقال: "والفرق

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم: (٧٧٢).

(٢) ينظر: المبدع (١/ ٤٩٣).

(٣) المبسوط (١/ ١٩٩).

(٤) بدائع الصنائع (١/ ٢٣٥).

(٥) المغني (١/ ٣٢٢).

أنه إذا كان إماماً فهو فيما يقف يشكك القوم؛ لأنهم ربما يظنون أنه ارتج عليه فيفتحون عليه، ولأنه يؤدي إلى تطويل الصلاة عليهم،...، وأما في التطوع وحده لا يؤدى إلى التطويل على أحد، ولا إلى التغليظ والتشكيك، والاشتغال بالقراءة تطوع، والتدبر تطوع، فاستويا فإن شاء وقف وتدبر، وإن شاء مضى على صلاته"(١).

الراجح:

إذا سمع المصلي ذِكر النبي ﷺ تشرع له الصلاة والسلام عليه في النفل دون الفرض، وذلك لعموم لفظ الآية التي أمرت بالاستماع والانصات عند القراءة، ولأن الحديث جاء في صلاة النفل.

قال الشيخ ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ): "والراجح في حكم هذه المسألة أن نقول: أما في النفل - ولا سيما في صلاة الليل - فإنه يُسنُ له أن يتعوذ عند آية الوعيد، ويسأل عند آية الرحمة؛ اقتداء برسول الله ﷺ؛ ولأن ذلك أحضر للقلب وأبلغ في التدبر، وصلاة الليل يسن فيها التطويل، وكثرة القراءة والركوع والسجود، وما أشبه ذلك.

وأما في صلاة الفرض فليس بسنة وإن كان جائزاً،...، ولو كان سنة لفعله، ولو فعله لنقل، فلما لم ينقل علمنا أنه لم يفعله، ولما لم يفعله علمنا أنه ليس بسنة، والصحابة رضي الله عنهم حريصون على تتبع حركات النبي ﷺ وسكناته، حتى إنهم كانوا يستدلون على قراءته في السرية باضطراب لحيته(٢)، ولما سكت بين

(١) الفروق (١/ ٤٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب القراءة في الظهر، برقم: (٧٢٦).

التكبير والقراءة سأله أبوهريرة ماذا يقول؟[١] ولو كان يسكت عند آية الوعيد من أجل أن يتعوذ، أو آية الرحمة من أجل أن يسأل، لنقلوا ذلك بلا شك"[٢].

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير، برقم: (٧١١)، ومسلم، كتاب المساجد، باب ما يقول بين تكبيرة الإحرام القراءة، برقم: (٥٩٨).

(٢) الشرح الممتع (٣/ ٢٨٩-٢٩٠).

۞الاستنباط الخامس عشر: (هل يشرع الجمع بين الحمد والتهليل؟).

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن ابن عباس قال: "من قال: لا إله إلا الله، فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين؛ وذلك قوله: ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥]"[1].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١/ ٤١١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٠٧)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

معنى الآية إجمالاً:

في هذه الآية يبيّن تعالى أنه هو الحي الذي له الحياة الكاملة التامة، لا إله إلا هو؛ أي: لا معبود بحق إلا هو فادعوه، وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، واقصدوا بكل عبادة ودعاء وعمل وجه الله تعالى، فله جميع المحامد والمدائح والثناء، بالقول؛ كنطق الخلق بذِكره، والفعل؛ كعبادتهم له، كل ذلك لله تعالى وحده لا شريك له، لكماله في أوصافه وأفعاله، وتمام نعمه[2].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين أجزاء الآية.

---

(١) الدر المنثور (١٣/ ٧٣).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٧٤٢).

وذلك أن الله سبحانه جمع بين التوحيد والتحميد في الآية، وهو خبر، وفيه إضمار الأمر، ومعناه فادعوه واحمدوه[١]، فأخذ من ذلك أنه ينبغي الجمع بين كلمة الإخلاص والحمد امتثالاً للآية.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أفضل الذِّكر لا إله إلا الله، فهي كلمة التوحيد، وأفضل الدعاء الحمد لله، فهي كلمة تدل على شكر المنعم تعالى.

وقد جاء في فضلهما أحاديث كثيره، وفيها الجمع بين التوحيد والتحميد، ومن ذلك حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺيقول: (أفضل الذِّكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله)[٢].

وحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك)[٣].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٤/ ١٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، برقم: (٣٣٨٣)، والنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب أفضل الذكر وأفضل الدعاء، برقم: (١٠٦٦٧)، وابن ماجة، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم: (٣٨٠٠). قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". المستدرك (١/ ٦٧٦)، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم: (٣١١٩)، ومسلم، كتاب

وجاء في كفارة المجلس الجمع بينهما، ففي حديث أبي برزة الأسلمي ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يقول بِأَخَرَةٍ إذا أراد أن يقوم من المجلس: (سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك)[١].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فلا بد في الخطب من الحمد لله، ومن توحيده، ولهذا كانت الخُطب في الجمع والأعياد وغير ذلك مشتملة على هذين الأصلين، وكذلك التشهد في آخر الصلاة أوله ثناء على الله، وآخره الشهادتان، ولا يكون الثناء إلا على محبوب، ولا التأله إلا لمحبوب"[٢].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) أيضاً: "فكل ما بالخلق من النعم فمنه وحده لا شريك له، ولهذا هو سبحانه يجمع بين الشكر والتوحيد، ففي الصلاة أول الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة: ٢]، وأوسطها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: ٥]، والخطب،...، فالحمد أول الأمر، كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم[٣]، والتوحيد نهايته، ولهذا كان النصف من الفاتحة

الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم: (٢٦٩١).

(١) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، برقم: (٤٨٥٩)، والترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا قام من المجلس، برقم: (٣٤٣٣)، والنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب كفارة ما يكون في المجلس، برقم: (١٠٢٥٩). قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه لا نعرفه من حديث سهيل إلا من هذا الوجه"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢١٦)، برقم: (١٥١٧).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٤٠٨).

(٣) يشير إلى حديث أخرجه أبوداود، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، برقم: (٤٨٤٠)، والنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يستحب من الكلام عند الحاجة، برقم: (١٠٣٢٨)، وابن ماجه،

الذي هو لله أوله حمد، وآخره توحيد إياك نعبد، والحمد رأس الشكر، فالحامد يشكره أولاً على نعمه، ثم يعبده وحده، فإن العبد أول ما يعرف ما يحصل له من النعمة، مثل خلقه حياً، وخلق طرق العلم السمع والبصر والعقل"(١).

وقول ابن عباس رضي الله عنهما: "فليقل"، يشعر بأن هذا الأمر مشروع، ولم أجد في السنة الأمر بالجمع بينهما، لاسيما وقد وردت أحاديث فيها لا إله إلا الله بدون الحمد، وكذلك المؤذن يقول لا إله إلا الله، ولا يشرع له أن يقول: الحمد لله.

كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، برقم: (١٨٩٤). قال النووي: "وهذا الحديث حسن". شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ٤٣).

(١) رسالة في تحقيق الشكر (١٠٨).

۞الاستنباط السادس عشر: (ما ذا يقال بعد الفراغ من الأذان).

أخرج سعيد بن منصور، عن عاصم بن هبيرة(١) قال: "إذا فرغت من آذانك فقل: لا إله إلا الله، والله أكبر، وأنا من المسلمين، ثم قرأ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت: ٣٣]"(٢).

تخريجه:

أخرجه أحمد في الزهد (٣٦٣)، ورجال السند ثقات(٣).

معنى الآية إجمالاً:

في هذه الآية استفهام بمعنى النفي المتقرر؛ أي: لا أحد أحسن كلاماً وطريقة وحالة ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، وعمل صالحاً مع دعوته الخلق إلى الله،

---

(١) عاصم بن هبيرة، يروي عن الكوفيين، وروى عنه فضيل بن أبي رفيدة، ومغيرة بن مقسم، ولم أقف على وفاته. ينظر: التاريخ الكبير (٦/ ٤٨٦)، الثقات (٧/ ٢٥٧).

(٢) الدر المنثور (١٣/ ١١١).

(٣) رجال الإسناد:

١- فضيل بن أبي رفيدة، يروى عن عاصم بن هبيرة، وروى عنه جرير بن عبدالحميد الضبي، وذكره ابن حبان في الثقات. ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ٢٧)، الثقات (٩/ ٩).

٢- جرير بن عبدالحميد الضبي، أبوعبدالله الكوفي، نزيل الرّي وقاضيها، ثقة، توفي سنة (١٨٨هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ٥٠٥)، تقريب التهذيب (١٣٩).

٣- إسماعيل بن إبراهيم الهذلي، أبومعمر القطيعي، ثقة مأمون، توفي سنة (٢٣٦هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ١٥٧)، تقريب التهذيب (١٠٥).

٤- عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني، أبوعبدالرحمن ولد الإمام، صدوقاً ثقة، توفي سنة (٢٩٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٥/ ٧)، تقريب التهذيب (١٠٥).

بادر بنفسه إلى امتثال أمر الله بالعمل الصالح، وقال: إنني من المسلمين المنقادين لأمره، السالكين في طريقه[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة العموم.

وذلك أن تعالى أخبر في الآية أنه لا أحد أحسن قولاً ممن جمع بين هذه الخصال الثلاث، والأذان دعوة إلى الله؛ لأن المؤذن يدعو الناس إلى الصلاة، والذِّكر من الأعمال الصالحة، فإذا جمع المؤذن بين الأذان والذِّكر، وقال إنني المسلمين المنقادين لأمر الله، فإنه يدخل في عموم الآية .

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

قال ابن جزي (ت:٧٤١هـ): "ويدخل في ذلك كل من دعا إلى عبادة الله، أو طاعته على العموم"[٢].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى، من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك، مما يبتغى به وجه الله، وعمل هو في نفسه صالحاً، وقال قولاً صالحاً أيضاً، فلا أحد أحسن حالاً من هذا"[٣].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) أيضاً: "وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٧٤٩).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ١٤).

(٣) فضائل القرآن لابن كثير (١٢٧).

في نفسه مهتد"[١].

وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ): "والأولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ، ويدخل فيها من كان سبباً لنزولها دخولاً أولياً، فكل من جمع بين دعاء العباد إلى ما شرعه الله، وعمل عملاً صالحاً؛ وهو تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه عليه، وكان من المسلمين ديناً لا من غيرهم، فلا شيء أحسن منه، ولا أوضح من طريقته، ولا أكثر ثواباً من عمله"[٢].

ولكن الإشكال في هذا الاستنباط قوله: "فقل"؛ لأنه يشعر بأنه بيان لذِكر مشروع، وقد بحثت عنه في السنة فلم أجده.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٢٨).

(٢) فتح القدير (٤/ ٥١٥).

۞الاستنباط السابع عشر: (بركة الطاعة وشؤم المعصية).

أخرج عبد بن حميد، عن الحسن: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٣]، قال: "تعلَّمْ - والله - أن التضرع في الرخاء استعدادٌ لنزول البلاء، ويجد صاحبه مُتَّكأً إذا نزل به، وإن سالف السيئة تلحق صاحبها وإن قَدُمَتْ"(١).

تخريجه:

لم أجد من ذكر هذا الأثر في ما وقفت عليه من كتب.

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذِكره فلولا أن يونس كان من المصلين لله قبل البلاء الذي ابتلي به - من العقوبة بالحبس في بطن الحوت - للبث في بطنه إلى يوم يبعثون؛ أي: لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء، فذكره الله في حال البلاء، فأنقذه ونجاه(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة.

وذلك أن الله تعالى أخبر في الآية أن يونس عليه السلام ذكر الله في حال الرخاء فنجاه الله في الشدة ببركة عمله الصالح، فدل مفهوم المخالفة على أن من نسي الله في حال الرخاء نسيه الله في الشدائد، ولحقه شؤم ذنبه في وقت الرخاء.

---

(١) الدر المنثور (١٢/ ٤٧١).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢١/ ١٠٨).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

العبد إذا اتقى الله وحفظ حقوقه في حال رخائه، نجاه الله في وقت الشدة، وإذا نسي العبد ربه في وقت الرخاء، نسيه في وقت الشدائد.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى من قصة فرعون لما تنكّر إلى ربه في حال رخائه، وأدركه الغرق لم ينجه اللجأ عند البلاء، بل قال الله تعالى له: ﴿ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[يونس: ٩١].

قال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "يقول تعالى ذِكره معرفاً فرعون قبح صنيعه أيام حياته، وإساءته إلى نفسه أيام صحته، بتماديه في طغيانه، ومعصيته ربه حين فزع إليه في حال حلول سخطه به، ونزول عقابه مستجيراً به من عذابه الواقع به، لما ناداه وقد علته أمواج البحر، وغشيته كرب الموت، آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين له، المنقادين بالذلة له، المعترفين بالعبودية، الآن تُقرّ لله بالعبودية، وتستسلم له بالذلة، وتخلص له الألوهة، وقد عصيته قبل نزول نقمته بك، فأسخطته على نفسك، وكنت من المفسدين في الأرض، الصادين عن سبيله، فهلا وأنت في مهل، وباب التوبة لك منفتح، أقررت بما أنت به الآن مُقرٌّ"(١).

قال الضَّحَّاك بن قيس (ت:٦٤هـ)(٢): "اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، فإن يونس كان عبداً صالحاً ذاكراً لله، فلما وقع في بطن الحوت قال الله:

---

(١) جامع البيان (١٥/ ١٩٤).

(٢) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري، أبو أنيس، له صحبة، ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسبع سنين ونحوها، وقتل سنة (٦٤هـ). ينظر: الاستيعاب (٢/ ٧٤٤)، الإصابة (٣/ ٤٧٩).

﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[الصافات: ١٤٣- ١٤٤]، وإن فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً لذِكر الله، فلما أدركه الغرق: ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[يونس: ٩٠ - ٩١]"[(١)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فالأعمال تشفع لصاحبها عند الله، وَتُذَكِّرُ به إذا وقع في الشدائد،...، وفرعون لما لم تكن له سابقة خير تشفع له"[(٢)].

وقال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "فمن ذكر الله في حال صحته ورخائه، واستعد حينئذ للقاء الله ﷻ بالموت وما بعده، ذكره الله عند هذه الشدائد، فكان معه فيها، ولطف به وأعانه، وتولاه وثبته على التوحيد، فلقيه وهو عنه راض، ومن نسي الله في حال صحته ورخائه، ولم يستعد حينئذ للقائه، نسيه الله في هذه الشدائد؛ بمعنى: أنه أعرض عنه فأهمله"[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٣٨)، وابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٩٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٢٩).

(٣) جامع العلوم والحكم (١٩٠).

الفصل السادس:

الدعـــــاء

۞الاستنباط الأول: (فضل خفض الصوت بالدعاء).

أخرج ابن أبي شيبة، عن عبدالله بن شبيب في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[البقرة: ١٨٦]، قال: "صليتُ إلى جنب سعيد بن المُسيّب المغرب، فرفعت صوتي بالدعاء، فانتهرني وقال: ظننت أن الله ليس بقريب منك؟"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٢٣٢)، وسنده ضعيف؛ لضعف عبدالله بن شبيب(٢).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ وإذا سألك يا محمد عبادي عني، فإني قريب منهم، أسمع دعاءهم، وأجيب دعوة الداعي منهم(٣).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فدل مفهومها

---

(١) الدر المنثور (٢/ ٢٦٩).

(٢) عبدالله بن شبيب بن خالد القيسي، أبوسعيد البصري، علامة لكنه واه، توفي قبل سنة (٢٦٠هـ). ينظر: المجروحين (٢/ ٤٧)، الميزان (٤/ ١١٨).

(٣) ينظر: جامع البيان (٣/ ٤٨٠).

على أن الله تعالى قريب يسمع مناجاة عبده، فلا حاجة لرفع الصوت في الدعاء[١].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الدعاء سلاح المؤمن، وله فضائل لا تحصى، وثمرات لا تعد، ويكفي أنه نوع من أنواع العبادة، بل هو العبادة.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال النحاس (ت:٣٣٩هـ): "العلماء مجمعون على كراهية رفع الصوت بالدعاء، وقد قال الله ﷻ: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ ﴾[الأعراف: ٥٥]"[٢].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وحاصل ما ذكر الله من آداب الدعاء: الإخلاص فيه لله وحده؛ لأن ذلك يتضمنه الخفية، وإخفاؤه وإسراره أن يكون القلب خائفاً طامعاً، لا غافلاً ولا آمناً، ولا غير مبال بالإجابة، وهذا من إحسان الدعاء، فإن الإحسان في كل عبادة، بذل الجهد فيها وأداؤها كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه"[٣].

وفي السنة من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فكنا إذا أشرفنا على واد هلَّلنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: (يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً، إنه معكم، إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده)[٤].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٣/ ٥١٩).

(٢) الناسخ والمنسوخ (٣/ ٤٨٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٩٢).

(٤) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب ما يكره من رفع الصوت بالتكبير، برقم:

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "ارفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب"(١).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "رفع الأصوات في الذِّكر المشروع لا يجوز، إلا حيث جاءت به السنة كالأذان والتلبية ونحو ذلك، فالسنة للذَّاكرين والداعين ألا يرفعوا أصواتهم رفعاً شديداً"(٢).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وإنما يُسأل مسألة القريب المناجى، لا مسألة البعيد المنادى"(٣).

وقال محمد بن مفلح المقدسي (ت:٧٦٣هـ): "يكره رفع الصوت بالدعاء مطلقاً"(٤).

(٢٨٣٠)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم:(٢٧٠٤).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ٢٦).

(٢) الاستقامة (١/ ٣٢٢).

(٣) بدائع الفوائد (٣/ ٥١٩).

(٤) الآداب الشرعية (٢/ ٢٦١).

۞الاستنباط الثاني: (اسم الله الأعظم).

أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: "اسم الله الأعظم: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ إلى قوله: ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[آل عمران: ٢٦-٢٧]"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٤)، وقال محققه: "رجاله ثقات إلا عمرو بن مالك ولم يرو عنه ابنه؛ فالإسناد حسن". تفسير الجزء الأول من سورة آل عمران (١٧٢)[(٢)].

معنى الآيتين إجمالاً:

يقول تبارك وتعالى: قل يا محمد - معظماً لربك وشاكراً له، ومفوضاً إليه، ومتوكلاً عليه - اللهم مالك الملك؛ أي: لك الملك كله، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء؛ أي: أنت المعطي، وأنت

---

(١) الدر المنثور (٣/ ٤٩٧).

(٢) وجاء هذا الأثر مرفوعاً عند الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٧١)، وقال الهيثمي: "وفيه جسر بن فرقد؛ وهو ضعيف". مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٦)، وقال الألباني: "موضوع"، وقال في الحاشية: "وفي الصحيح ما يعارضه". ضعيف الجامع الصغير (١٢٢)، برقم: (٨٥٢)، وقال الشيخ حكمت بشير: "وكون الرواية مخالفة لما في الصحيح، ومحمد بن زكريا وجسر بن فرقد ضعيفين، لا يقتضي الحكم عليها بالوضع، وأيضاً فقد روي من غير طريق بن زكريا وجسر بن فرقد، ولكن موقوفاً، فالإنصاف في الحكم: بأن رفعه ضعيف والموقوف أصح، هذا وقد استشهد ابن كثير برواية الطبراني فذكره بنفس الإسناد واللفظ، وماحكم عليه بالوضع، ولا أظن أن ابن كثير يفوته حديث موضوع ولم يكشف النقاب عنه". تفسير الجزء الأول من سورة آل عمران (١٧٣).

المانع، وأنت الذي ما شئت كان، وما لم تشأ لم يكن، لا يمتنع عليك أمر من الأمور، بل الأشياء كلها طوّع مشيئتك وقدرتك، تدخل الليل على النهار، والنهار على الليل، فينشأ عن ذلك الفصول، والضياء والنور، والشمس والظل، والسكون والانتشار، وتخرج الحي من الميت؛ كالفرخ من البيضة، وكالشجر من النوى، وكالزرع من بذره، وكالمؤمن من الكافر، وتخريج الميت من الحي؛ كالبيضة من الطائر، وكالنوى من الشجر، وكالحب من الزرع، وكالكافر من المؤمن، وترزق من تشاء رزقاً واسعاً من حيث لا يحتسب ولا يكتسب(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى أمر نبيه محمد ﷺ بهذا الدعاء، فتناول هذا الدعاء ملكه وحده، وعموم قدرته، وأن تصريف جميع الأمور كلها بيده؛ لأن حقيقة الملك إنما تتم بالعطاء والمنع، والإكرام والإهانة، والإثابة والعقوبة، والغضب والرضا(٢)، فأخذ من ذلك أنه اسم الله الأعظم؛ لأن العظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال(٣).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

اختلف السلف في المقصود بالاسم الأعظم إلى عدّة أقوال:

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٣٢)، تيسير الكريم الرحمن (١٢٧).

(٢) ينظر: طريق الهجرتين (٢٠٦)، شفاء العليل (١/ ١٧٩).

(٣) ينظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦٨).

القول الأول: أن اسم الله الأعظم معيناً، ثم اختلفوا في هذا الاسم، وجاء في السنة تعيين الاسم الأعظم، وسأذكر بعض ما جاء في ذلك:

الحديث الأول: عن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: (اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فقال: لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب). وفي رواية الترمذي وابن ماجة: (لقد سأل الله باسمه الأعظم)(١).

قال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك"(٢).

الحديث الثاني: عن أنس ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي، ثم دعا: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى)(٣).

---

(١) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم: (١٤٩٣)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ، برقم: (٣٤٧٥)، وابن ماجة، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم: (٣٨٥٧). قال الترمذي: "حديث حسن غريب"، وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرط مسلم". المستدرك (١/ ٦٨٣)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٤١٠)، برقم: (١٤٩٣).

(٢) فتح الباري (١١/ ٢٢٥).

(٣) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم: (١٤٩٥)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب خلق الله مئة رحمة، برقم: (٣٥٤٤)، والنسائي، كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء بعد الذكر، برقم: (١٢٢٣)، وابن ماجة، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم: (٣٨٥٨). قال الترمذي: "هذا حديث غريب"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

الحديث الثالث: عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن اسم الله الأعظم في سور ثلاث من القرآن، في سورة البقرة وآل عمران وطه)، قال القاسم (١١٢هـ)(١) الراوي عن أبي أمامة: "فالتمستُها أنه الحي القيوم"(٢).

الحديث الرابع: عن أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ قال: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة: ١٦٣]، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿ الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾[آل عمران: ١ - ٢])(٣).

القول الثاني: أن الله تعالى استأثر بعلم الاسم الأعظم، ولم يُطلع عليه أحداً من خلقه(٤).

القول الثالث: أن المراد بالأعظم العظيم، وأن أسماء الله كلها عظيمة، فكل

المستدرك (١/ ٦٨٣)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٤١٠)، برقم: (١٤٩٥).

(١) القاسم بن عبدالرحمن الدمشقي، أبو عبدالرحمن، صاحب أبي أمامة، من فقهاء دمشق، صدوق، توفي سنة (١١٢هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٧/ ١٥٩)، تقريب التهذيب (٤٥٠).

(٢) أخرجه ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم: (٣٨٥٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٨٤)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٢٢٨)، برقم: (٩٧٩).

(٣) أخرجه أبوداود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم: (١٤٩٦)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب جمع الدعوات عن النبي ﷺ، برقم: (٣٤٧٨)، وابن ماجة، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم: (٣٨٥٥). قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٢٢٩)، برقم: (٩٨٠).

(٤) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٨٦)، فتح الباري (١١/ ٢٢٤).

اسم من أسماء الله تعالى دعا به العبد مستغرقاً، بحيث لا يكون في فكره حالة إذ غير الله تعالى، فإن من تأتى له ذلك استجيب له[١].

ومن خلال هذه الأقوال يتبين أن هذا الاستنباط لا يصح على القولين الأوليين، ويصح على القول الثالث، لا سيما أن هذا الدعاء اشتمل على الثناء على الخالق سبحانه.

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "من فوائد الذكر والثناء أنه يجعل الدعاء مستجاباً، فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة، من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته، وافتقاره واعترافه، كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله"[٢].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "والتحقيق أن الاسم الأعظم اسم جنس لا يراد به اسم معين ، فإن أسماء الله نوعان:

أحدهما: ما دلَّ على صفة واحدة أو صفتين أو تضمن أوصافاً معدودة.

والثاني: ما دلَّ على جميع ما لله من صفات الكمال، وتضمَّن ما له من نعوت العظمة والجلال والجمال، فهذا النوع هو الاسم الأعظم لما دلَّ عليه من المعاني التي هي أعظم المعاني وأوسعها.

فالله اسم أعظم، وكذلك الصمد، وكذلك الحي القيوم، وكذلك الحميد المجيد، وكذلك الكبير العظيم، وكذلك المحيط. وهذا التحقيق هو الذي تدل

---

(١) ينظر: فتح الباري (١١/ ٢٢٤).

(٢) الوابل الصيب (١٢١).

عليه التسمية وهو مقتضى الحكمة، وبه أيضا تجتمع الأقوال الصحيحة كلها"(١).

وقال ابن باز (ت:١٤٢٠هـ): "والصواب أن الأعظم بمعنى العظيم، وأن أسماء الله سبحانه كلّها حسنى، وكلّها عظمى، ومن سأل الله سبحانه بشيء منها صادقاً مخلصاً سالماً من الموانع رُجيت له إجابته، ويدل على ذلك اختلاف الأحاديث الواردة في ذلك، ولأنَّ المعنى يقتضي ذلك، فكلُّ أسمائه حسنى، وكلّها عظمى ﷻ"(٢).

ويجاب عن الأحاديث التي ورد فيها ذكر اسم الله الأعظم أنها لم تحدد هذا الاسم على وجه التعيين، فدل على أنه اسم جنس، ليس اسماً له بعينه.

وقال ابن حبان(ت:٣٥٤هـ): "الأعظمية الواردة في الأخبار: إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك، كما أطلق ذلك في القرآن، والمراد به: مزيد ثواب القارئ"(٣).

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام (٢٦).

(٢) في تعليق له على كتاب فقه الأدعية والأذكار (١/ ١٥٥).

(٣) فتح الباري (١١/ ٢٢٤).

الاستنباط الثالث: (تكرار ذكر ربوبيته).

أخرج ابن أبي حاتم، عن عطاء قال: "ما من عبد يقول: يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ، ثلاث مرات إلا نظر الله إليه، فذُكِر للحسن فقال: أما تقرأُ القرآن: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا﴾، إلى قوله: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾[آل عمران: ١٩٣-١٩٥]"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٤)، وفي سنده أبوبكر الهذلي متروك الحديث(٢).

معنى الآيات إجمالاً:

هذه الآيات حكاية عن أولي الألباب أنهم يقولون: ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان؛ وهو محمد ﷺ يدعو الناس إليه، ويرغبهم فيه، فأجبناه مبادرة، وسارعنا إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنّة الله عليهم، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم، ويكفر سيئاتهم، وأن يتوفهم مع الأبرار، ولما ذكروا توفيق الله إياهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة، سألوه الثواب على ذلك، وأن ينجز لهم ما وعدهم به على ألسنة رسله من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز برضوان الله وجنته في الآخرة، فإنه تعالى لا يخلف الميعاد، فأجاب الله دعاءهم، وقبل تضرعهم(٣).

---

(١) الدر المنثور (٤/ ١٨٧).

(٢) ينظر: الميزان (٧/ ٤٣٣)، تقريب التهذيب (٦٢٥).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (١/ ٥٥٦)، تيسير الكريم الرحمن (١٦١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

وذلك أن الله أخبر أن المؤمنين ما زالوا يقولون في دعائهم: ربنا ربنا، ثم ذكر بعدها أنه استجاب لهم، فدل الاقتران على أن الإلحاح على الله ﷻ بتكرار ذكر ربوبيته من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء(١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الإلحاح على الله ﷻ بتكرار ذكر ربوبيته من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء، فإن الإلحاح يدل على صدق الرغبة، والله تعالى يُحب المُلحِّين في الدعاء.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾[المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾[البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك)(٢).

وذكر ابن رجب (ت:٧٩٥هـ) أن من أسباب إجابة الدعاء، تكرير ذكر

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (١٠٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة، برقم: (١٠١٥).

ربوبيته، فقال: "الإلحاح على الله ﷻ بتكرير ذكر ربوبيته؛ وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء"[١].

قال قتادة (ت:١١٧هـ): "المؤمنون هم العجاجون[٢] بالليل والنهار، والله ما زالوا يقولون: ربنا ربنا، حتى استجيب لهم"[٣].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وجميع ما يفعل الله بعبده من الخير من مقتضى اسمه الرب، ولهذا يقال في الدعاء: يارب يارب كما قال آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف: ٢٣]، وقال نوح: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾[هود: ٤٧]، وقال إبراهيم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾[إبراهيم: ٣٧]، وكذلك سائر الأنبياء"[٤].

وقال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "ومن تأمل الأدعية المذكورة في القرآن وجدها غالباً تفتتح باسم الرب، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[البقرة: ٢٠١]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) جامع العلوم والحكم (١٠٦).

(٢) العج: رفع الصوت، والعجاجون: هم الذين يرفعون أصواتهم بالدعاء. ينظر: تهذيب اللغة (١/ ٥٥)، اللسان (٢/ ٣١٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١١٧)، وأبونعيم في الحلية (٢/ ٣٣٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٢٠٧).

مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾[البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا ﴾[آل عمران: ٨]، ومثل هذا في القرآن كثير"[١].

(١) جامع العلوم والحكم (١٠٦).

۞الاستنباط الرابع: (الاعتداء في الدعاء).

أخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا ﴾؛ يعني: مستكيناً، ﴿ وَخُفۡيَةً ﴾؛ يعني: في خفض وسكون في حاجاتكم من أمر الدنيا والآخرة، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥ ﴾[الأعراف: ٥٥]؛ يقول: لا تدعوا على المؤمن والمؤمنة بالشر؛ اللهم أخزه والعنه، ونحو ذلك، فإن ذلك عدوان".

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن أبي مجلز في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥ ﴾[الأعراف: ٥٥]، قال: "لا تسألوا منازل الأنبياء".

وأخرج ابن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم: "كان يُرَى أن الجهر بالدعاء الاعتداء".

وأخرج الطيالسيُّ، وابن أبي شيبة، وأحمد، وأبوداود، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، وابن مردويه، عن سعد بن أبي وقاص أنه سمع ابناً له يدعو ويقول: "اللهم إني أسألك الجنة، ونعيمها وإستبرقها، ونحو هذا، وأعوذ بك من النار، وسلاسلها وأغلالها، فقال: لقد سألت الله خيراً، وتعوذت به من شر كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء)، وقرأ هذه الآية: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥ ﴾[الأعراف: ٥٥]، وإن بحسبك أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة، وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل"[١].

---

(١) الدر المنثور (٦/ ٤٢٦-٤٢٧).

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٩٩)، وقال محققه في سلسلة هذا السند في متن آخر: "إسناد ضعيف". تفسير الجزء الثاني من سورة البقرة (١٠١)، وقال الشيخ حكمت بشير في سلسلة هذا السند في متن آخر: "وسنده مرسل". تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٥).

٢-الأثر الثاني أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٢٤٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٠٠)، وحسّن سنده الشيخ حكمت بشير. ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٥).

٣-الأثر الثالث أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٠٠)، ورجال السند ثقات[١].

٤-الأثر الرابع أخرجه الطيالسي(٢٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٥٣)، وأحمد في المسند (١/ ١٧٢)، وأبوداود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم: (١٤٨٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٠٠). وقال الألباني: "حسن صحيح".

---

(١) رجال الإسناد:

١- زيد بن أسلم العدوي، أبوأسامة المدني، ثقة عالم، وكان يرسل، توفي سنة (١٣٦هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٣/ ٣٥٥)، تقريب التهذيب (٢٢٢).

٢- عبدالرحمن بن أبي الرِجال، واسمه محمد بن عبدالرحمن الأنصاري، ثقة ربما أخطأ. ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ٣١٧)، تقريب التهذيب (٣٤٠).

٣- محمد بن عثمان التنوخي، أبوالجماهر، ثقة، توفي سنة (٢٢٤هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٢٥)، تقريب التهذيب (٤٩٦).

٤- محمد بن إدريس الرازي، أبوحاتم ثقة، تقدم ذكره في الاستنباط الثاني والعشرين في الفصل الأول.

صحيح سنن أبي داود (١/ ٤٠٧)، برقم: (١٤٨٠).

معنى الآية إجمالاً:

أرشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه - الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم - وأن يكون دعاءهم بتذلل واستكانة في طاعته، لا جهر أو علانية، يُخاف منه الرياء، بل خفية، وإخلاصاً لله تعالى، إذ أنه سبحانه لا يحب المتجاوزين للحد في كل الأمور(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة العموم.

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه لا يحب المعتدين، ولفظ الآية عاماً يشمل كل اعتداء، والاعتداء في الدعاء مراداً بها، فهو من جملة المراد، وقد دلت الآية على محبوب للرب سبحانه؛ وهو الدعاء تضرعاً وخفية، ومكروه له؛ وهو الاعتداء في الدعاء وغيره، ' فأخذ من ذلك أنه ليس كل دعاء جائز(٢).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أمر الله تعالى بدعائه، وبيّن سبحانه أن الدعاء ليس كله جائزاً، بل فيه عدوان محرم، والدعاء المشروع لا عدوان فيه(٣).

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٤)، تيسير الكريم الرحمن (٢٩١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٢)، بدائع الفوائد (٣/ ٥٢٤).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٧٤).

قال: كنا مع رسول الله ﷺ فكنا إذا أشرفنا على واد هلَّلنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: (يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنه معكم، إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده)(١).

قال القَصَّاب (ت:٣٦٠هـ) : "وقوله: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾، دليل على أن الجهر في الدعاء عدوان، ألا تراه يقول: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعـراف: ٥٥]"(٢).

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "والاعتداء في الدعاء على وجوه، منها: الجهر الكثير والصياح،...، ومنها: أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة نبي، أو يدعو في محال، ونحو هذا من الشطط، ومنها: أن يدعو طالباً معصية وغير ذلك، ومنها: أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة "(٣).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "أمر الله تعالى بدعائه، وبيّن سبحانه أن الدعاء ليس كله جائزاً، بل فيه عدوان محرم، والمشروع لا عدوان فيه، وأن العدوان يكون تارة في كثرة الألفاظ، وتارة في المعاني،...، فيقال: الدعاء المستحب هو الدعاء المشروع، فإن الاستحباب إنما يتلقى من الشارع، فما لم يشرعه لا يكون مستحباً، بل يكون شَرَعَ من الدين مالم يأذن به الله، فإن الدعاء من أعظم الدين"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب ما يكره من رفع الصوت بالتكبير، برقم: (٢٨٣٠)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم:(٢٧٠٤).

(٢) نكت القرآن (١/ ٤٢٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٢٢٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٧٥).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) أيضاً: "الاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله؛ من المعونة على المحرمات، وتارة يسأل ما لا يفعله الله، مثل: أن يسأل تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية؛ من الحاجة إلى الطعام والشراب، ويسأله بأن يطلعه على غيبه، أو أن يجعله من المعصومين، أو يهب له ولداً من غير زوجة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء لا يحبه الله، ولا يحب سائله.

وفُسِّر الاعتداء: برفع الصوت أيضاً في الدعاء، وبعد فالآية أعم من ذلك كله، وإن كان الاعتداء بالدعاء مراداً بها فهو من جملة المراد، إن الله لا يحب المعتدين في كل شيء، دعاء كان أو غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾[البقرة: ١٩٠]، وعلى هذا فيكون أمر بدعائه وعبادته،...، ومن العدوان أن يدعوه غير متضرع، بل دعاء هذا كالمُستغني المُدلي على ربه، وهذا من أعظم الاعتداء لمنافاته لدعاء الذليل، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد، ومن الاعتداء أن يعبده بما لم يشرع، ويثني عليه بما لم يثن به على نفسه، ولا أذن فيه، فإن هذا اعتداء في دعائه الثناء والعبادة، وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب، وعلى هذا فتكون الآية دالة على شيئين:

أحدهما: محبوب للرب سبحانه؛ وهو الدعاء تضرعاً وخفية.

الثاني: مكروه له مسخوط؛ وهو الاعتداء.

فأمر بما يحبه وندب إليه، وحذر مما يبغضه وزجر عنه، بما هو أبلغ طرق الزجر

والتحذير"[١].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "والاعتداء في الدعاء يقع بزيادة الرفع فوق الحاجة، أو بطلب ما يستحيل حصوله شرعاً، أو بطلب معصية، أو يدعو بما لم يؤثر، خصوصاً ما وردت كراهته؛ كالسجع المتكلف، وترك المأمور"[٢].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "ومن الاعتداء: كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو ينقطع في السؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه"[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٢-٢٣).

(٢) فتح الباري (٨/ ٢٩٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٩١).

۞الاستنباط الخامس: (الاستعاذة من مضلات الفتن).

أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن ابن مسعود قال: "ما منكم من أحد إلا وهو يشتملُ على فتنة؛ لأن الله يقول: ﴿ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾[الأنفال: ٢٨]، فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مُضلَّات الفتن"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٤٧٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٥)، قال الشيخ حكمت بشير في هذا الأثر: "أخرجه الطبري من طريق القاسم عن ابن مسعود"، وسكت عنه، وقال في سلسلة هذا السند في متن آخر: "وسنده ضعيف؛ لضعف سفيان بن وكيع". تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٨٢)و (٥/ ٢٤٠).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين: واعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم التي رزقكم الله إياها، وأولادكم الذين وهبهم الله لكم، اختبار وبلاء من الله تعالى؛ لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها، وأن الله عنده خير وثواب عظيم على طاعتكم إياه فيما أمركم، ونهاكم في أموالكم وأولادكم التي اختبركم بها في الدنيا[٢].

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٩٣).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٣/ ٤٨٦).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أن الأموال والأولاد مما يُفتن به الناس، وهذا عام في جميع الخلق، فلا ينفك أحد عن هذه الفتنة، فدل مفهومها على أنه ينبغي للإنسان أن يتعوذ بالله من مضلات الفتن؛ لأنه لا يسلم من الفتنة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الفتنة جاءت في كتاب الله تعالى له معان متعددة، ومضلات الفتن هي الفتن التي تصيب الناس فتنحرف بهم عن سواء السبيل، وتصدهم عن الصراط المستقيم(١).

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، عن بريدة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر، ثم قال: صدق الله ﴿ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]، رأيت هذين فلم أصبر، ثم أخذ في الخطبة)(٢).

(١) ينظر: رسالة في التوبة (٢٣١).

(٢) أخرجه أبوداود، كتاب الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث، برقم: (١١٠٩)، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، برقم: (٣٧٧٤)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب التبكير إلى الجمعة، برقم: (١٧٣١)، وابن ماجة، كتاب اللبس، باب لبس الأحمر للرجال، برقم: (٣٦٠٠). قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". المستدرك (٤/ ٢١٠)، ووافقه الذهبي. قال الزيلعي: "وهو مما ينتقد عليه، فإن الحسين بن واقد احتج به مسلم فقط". تخريج الأحاديث والآثار

قال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "الإنسان يبتلى بماله وولده وأهله، وبجاره المجاور له، ويفتتن بذلك؛ فتارة يلهيه الاشتغال به عما ينفعه في آخرته، وتارة تحمله محبته على أن يفعل لأجله بعض ما لا يحبه الله، وتارة يقصر في حقه الواجب عليه، وتارة يظلمه ويأتي إليه ما يكرهه الله من قول أو فعل، فيُسأل عنه ويُطالب به"(١).

وحديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول: (اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: قلت يا رسول الله: وإن القلوب تتقلب، قال: نعم، ما من خلق الله من بشر من بني آدم إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله ﷻ فإن شاء الله أقامه، وإن شاء أزاغه، فنسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، قلت: يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي، قال: بلى، قولي: اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتنا)(٢).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وأما مضلات الفتن فأن يفتن العبد فيضل عن سبيل الله وهو يحسب أنه مهتد، كما قال: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[الزخرف: ٣٦- ٣٧]، وقال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ

(٤/ ٤٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٣٠٤)، برقم: (١١٠٩).

(١) فتح الباري لابن رجب (٣/ ٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١٣٠)، وعبد بن حميد في مسنده (٤٤٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٣٣٨). قال الهيثمي: "عند الترمذي بعضه، رواه أحمد، وإسناده حسن". مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٦).

﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾[فاطر: ٨]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾[غافر: ٣٧]، وقال: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾[الكهف: ١٠٣- ١٠٤]"[(١)].

كما جاء في السنة خلاف هذا الاستنباط، فقد قال رسول ﷺ: (تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن)[(٢)].

والفتنة جاءت في كتاب الله تعالى لها معان متعددة، فيختلف المراد بها حسب السياق والقرائن.

فتارة يراد بها الامتحان والاختبار، والابتلاء من الله لعباده بالخير والشر، بالنعم والمصائب فهذه لون، وفتنة المشركين لون، وفتنة المؤمن في ماله وولده وجاره لون آخر، والفتنة التي بين أهل الإسلام لون، كالفتنة التي وقعت بين أصحاب علي ومعاوية رضي الله عنهما، وبين أهل الجمل وصِفِّين[(٣)] وبين المسلمين حتى يتقاتلوا ويتهاجروا لون آخر[(٤)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) أيضاً: "ولفظ الفتنة في كتاب الله تعالى يراد بها الامتحان الذي لم يفتتن صاحبه؛ بل خلص من الافتتان، ويراد بها الامتحان الذي

---

(١) رسالة في التوبة (٢٣١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، برقم: (٢٨٦٧).

(٣) موقعة صفين: هي المعركة التي وقعت بين جيش علي بن أبي طالب ﷺ، وجيش معاوية بن أبي سفيان ﷺ، في سنة (٣٧ هـ). ينظر: تاريخ الطبري (٣/ ٧١-١٠٦)، البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣-٢٥٥).

(٤) ينظر: زاد المعاد (٣/ ١٦٩).

حصل معه افتتان.

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿ وَفَتَنَّكَ فُتُونًا ﴾[طه: ٤٠].

ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[البقرة: ١٩٣]،...، ويطلق على ما يتناول الأمرين كقوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾[العنكبوت: ٢ - ٣]،...، وتطلق الفتنة على أعم من ذلك كقوله تعالى: ﴿ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[الأنفال: ٢٨]"(١).

الراجح:

أن الخلاف لفظي، فمن استعاذ من الفتنة لا يقصد الفتنة العامة التي لا يسلم منها أحد، بل يريد الفتنة التي يضل بها عن سبيل الله، وأكثر ما جاء في السنة الاستعاذة من الفتنة يراد بها هذا المعنى، ومع ذلك لم يضاف لها مضلات الفتن.

قال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "ويعرف المراد حيثما ورد بالسياق والقرائن"(٢).

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٥٩-١٦٠).

(٢) فتح الباري (١١/ ١٧٧).

۞**الاستنباط السادس: (الاستغفار سبب للرزق).**

أخرج ابن سعد في الطبقات، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة في المصنف، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، والبيهقي في سننه، عن الشعبي قال: "خرج عمر بن الخطاب يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فقيل له: ما رأيناك استسقيت؟ قال: لقد طلبت المطر بمجاديح[1] السماء التي يُستنزلُ بها المطر، ثم قرأ: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا ﴾ [هود: ٥٢]، و﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا ﴿١١﴾ ﴾[نوح: ١٠- ١١]"[2].

تخريجه:

أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٣٢٠)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٥٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٢٢١)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٥١)، وقال النووي: "إسناد صحيح، لكنه مرسل، لم يدرك الشعبي عمر". خلاصة الأحكام (٢/ ٨٨٠).

معنى الآيتين إجمالاً:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول نوح وهود عليهما السلام لأقوامهم: استغفروا ربكم عما مضى منكم، ثم توبوا إليه فيما تستقبلونه، بالتوبة النصوح، والإنابة إلى

---

(١) المجاديح: جمع مجدح؛ وهو نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنه يمطر، فأخبر عمر ﷺ أن الاستغفار هو المجاديح الحقيقية التي يستنزل بها القطر لا الأنواء، وإنما قصد التشبيه، وقيل: مجاديحها مفاتيحها. ينظر: غريب الحديث لابن سلام (٣/ ٢٠٦)، المجموع (٥/ ٧٩).

(٢) الدر المنثور (٨/ ٨٤).

الله تعالى، فإنه تعالى كثير المغفرة لمن تاب واستغفر، فرغبوهم بمغفرة الذنب وما يترتب عليها من الثواب، واندفاع العقاب، ورغبوهم أيضاً بخير الدنيا العاجل، فإنكم إذا فعلتم ذلك يرسل الله تعالى السماء عليكم مدراراً، بكثرة الأمطار التي تخصب بها الأرض، ويكثر خيرها، ويزدكم قوة إلى قوتكم(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر عن قول نوح وهود عليهما السلام أنهما أمرا أقوامهما بالاستغفار، ورَتَّبَ سبحانه إرسال السماء عليهم مدراراً على استغفارهم، فدل مفهومها على أن الاستغفار والتوبة سبب في تيسير الرزق، ونزول الغيث؛ لأنه ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الاستغفار سبب يستجلب به مغفرة الله ورزقه وخيره، والمعاصي سبب للمصائب والشدة.

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ ﴾[هود: ٣].

قال القَصَّاب (ت:٣٦٠هـ): "دليل على استنزال الرزق، والعيش الطيب،

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٨٣)و (٨٨٩).

بالاستغفار والتوبة، ومثله إخباراً عن نوح ﷺ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[نوح: ١٠ – ١٢]"[١].

وجاء في السنة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب)[٢].

قال الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ): "وفي الحديث فضيلة عظيمة؛ وهي أن الاستكثار من الاستغفار فيه المخرج من كل ضيق، والفرج من كل همّ، وحصول الأرزاق له من حيث لا يحتسب ولا يكتسب، فمن حصل له ذلك عاش في نعمة، سالماً من كل نقمة"[٣].

وقال الشافعي (ت:٢٠٤هـ): "ويكون أكثر دعائه الاستغفار يبدأ به دعاءه ويفصل به بين كلامه ويختم به ويكون أكثر كلامه حتى ينقطع الكلام ويحض الناس على التوبة والطاعة والتقرب إلى الله ﷻ"[٤].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "أخبر الله تعالى أن الحسنات يذهبنّ السيئات،

---

(١) نكت القرآن (١/ ٦٠١).

(٢) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم: (١٥١٨)، والنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب الإكثار من الاستغفار، برقم :(١٠٢٩٠)، وابن ماجة، كتاب الأدب، باب الاستغفار، برقم: (٣٨١٩). قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". المستدرك (٤/ ٢٩١)، ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٨٤١)، برقم: (٥٨٢٩).

(٣) تحفة الذاكرين (٢٩٨).

(٤) الأم (١/ ٢٥٠).

والاستغفار سبب للرزق والنعمة، وأن المعاصي سبب للمصائب والشدة"[١].

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "ويستحب أن يكثر في الاستغفار، ومن قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾[نوح: ١٠- ١١]"[٢].

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "في هذه الآية [يقصد آية نوح] والتي في هود دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار"[٣].

وقال ابن جزي (ت:٧٤١هـ): "وفي الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار"[٤].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "رَتَّبَ إرسال السماء عليهم مدراراً على استغفارهم، وهذا يدل على أن الاستغفار والتوبة والعمل الصالح قد يكون سبباً في تيسير الرزق"[٥].

وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ): "فيه استحباب الاستكثار من الاستغفار؛ لأن منع القطر متسبب عن المعاصي، والاستغفار يمحوها، فيزول بزوالها المانع من القطر"[٦].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣).

(٢) المجموع (٥/ ٧٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ٣٠٢).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٧).

(٥) أضواء البيان (٨/ ٣٠٧).

(٦) نيل الأوطار (٤/ ٣٣).

الاستنباط السابع: (من توكل على الله كفاه).

أخرج ابن أبي حاتم، عن يحيى بن سعيد[١] قال: "ما من أحد يخاف لصاً عادياً، أو سبعاً ضارياً، أو شيطاناً مارداً، فيتلو هذه الآية: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾[هود: ٥٦]، إلا صرفه الله عنه"[٢].

تخريجه:

لم أجده في المطبوع عند ابن أبي حاتم، ولعله في المفقود منه، ولم أجده عند غيره في ما وقفت عليه من كتب.

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن قول هود عليه السلام لقومه: إني اعتمدت في أمري كله على الله، وهو خالق الجميع، ومدبرنا وإياكم، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، فلا تتحرك ولا تسكن إلا بإذنه، فلو اجتمعتم جميعاً على الإيقاع بي والله لم يسلطكم عليَّ، لم تقدروا على ذلك، فإن سلطكم فلحكمة أرادها، وربي حكمه عدل وقسط[٣].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

---

(١) لعله: يحيى بن سعيد بن فَرُّوْخ التميمي، أبوسعيد القطان البصري، ثقة متقن، حافظ إمام قدوة، توفي سنة (١٩٨هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٨/ ٢٧٦)، وتقريب التهذيب (٥٩١).

(٢) الدر المنثور (٨/ ٨٥).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٨٤).

وذلك أن الله تعالى أخبر أن هوداً عليه السلام توكل عليه، فلم يمُسه أَذى من قومه على كثرتهم وقوتهم، وصرف الله عنه كيدهم، فدل مفهومها على أن من توكل على الله حفظه وكفاه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

إذا توكل العبد على ربه حق التوكل، وقويت ثقته وحسن ظنه بربه، حصلت له الكفاية التامة، وأتمّ الله له أحواله، وسدده في أقواله وأفعاله، وكفاه همه، وجلا غمه[1].

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، قال عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[الطلاق: ٣].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "ومن يتوكل على الله في أمر دينه ودنياه؛ بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك، فهو حسبه؛ أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه فيه، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي، العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء"[2].

وفي السنة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ: هُدِيت، وكُفِيت، ووُقِيت، فتتنحى له الشياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدِي وكُفِي ووُقِي؟)[3].

---

(١) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام (٦٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨٧٠).

(٣) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب الأدب، باب ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول، برقم: (٥٠٩٥)،

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فهذا من كلام المرسلين مما يبين أنه بتوكله على الله يدفع شرهم عنه،...، فلولا أن تحقيقه هذه الكلمة؛ وهو توكله على الله، يدفع ما تحداهم به ودعاهم إليه تعجيزاً لهم من مناجزته، لكان قد طلب منهم أن يهلكوه، وهذا لا يجوز، وهذا طلب تعجيز لهم، فدل على أنه بتوكله على الله يعجزهم عما تحداهم به"(١).

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق، وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه؛ أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره، إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد، والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً، وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له، وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يتشفى به منه، قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[الطلاق: ٣]، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه، وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله تعالى حق توكله،

والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته، برقم: (٣٤٢٦)، والنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا خرج من بيته، برقم: (٩٩١٧). وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح غريب"، وقال ابن القيم: "حديث حسن". زاد المعاد (٢/ ٣٦٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٤١٠)، برقم: (٣٤٢٦).

(١) رسالة في التوكل (٩٦).

وكادته السموات والأرض ومن فيهنّ لجعل له مخرجاً من ذلك وكفاه ونصره"[١].

والذي يظهر – والله أعلم – أن كل من توكل على الله حق توكله، فإن الله تعالى يحفظه ويكفيه، وليس خاصة بقول هذه الآية أو غيرها.

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله.

أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك.

وأما عمله: فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه. فبهذين الأصلين يتحقق التوكل"[٢].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٦٤).

(٢) طريق الهجرتين (٣٨٩).

۞الاستنباط الثامن: (دعوة نوح وإبراهيم عليهما السلام).

أخرج ابن أبي حاتم، عن الشعبي في قوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[نوح: ٢٨]، وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾[إبراهيم: ٤١] قال: "ما يسُرُّني بنصيبي من دعوة نوح وإبراهيم للمؤمنين والمؤمنات حُمْرُ النَّعَم"(١).

تخريجه:

لم أجده في المطبوع عند ابن أبي حاتم، ولعله في المفقود منه، ولم أجده عند غيره في ما وقفت عليه من كتب.

معنى الآيتين إجمالاً:

في هاتين الآيتين أخبر تعالى عن دعاء نوح وإبراهيم عليهما السلام لنفسيهما ووالديهما، ثم دعاء لكل مؤمن ومؤمنة على العموم، وبيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أن إبراهيم طلب المغفرة لوالديه، وبين في آيات أخر أن طلبه الغفران لأبيه إنما كان قبل أن يعلم أنه عدو لله، فلما علم ذلك تبرأ منه(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٥٦٢).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٧/ ٢٨)، أضواء البيان (٢/ ٢٤٩).

وذلك أن الله تعالى أخبر أن نوحاً وإبراهيم عليهما السلام دعا لكل مؤمن ومؤمنة، فدل مفهومها على أن كل من اتصف بالإيمان فله نصيب من هذه الدعوة إلى يوم القيامة، وهذا يفرح به أهل الإيمان؛ لأن دعوة الأنبياء مستجابة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

دُعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واستغفارهم وشفاعتهم، هو سبب ينفع إذا جعل الله تعالى المحل قابلاً له(١).

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث عبدالله بن سرجس ﵁ قال: (رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً، أو قال: ثريداً، قال: فقلت له: أستغفر لك النبي ﷺ، قال: نعم ولك، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[محمد: ١٩])(٢).

قال البغوي (ت:٥١٦هـ): "هذا عام في كل من آمن بالله وملائكته وصدق الرسل"(٣).

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "تعميم بالدعاء لمؤمني كل أمة، وقال بعض العلماء: إن الذي استجاب لنوح ﵇ فأغرق بدعوته أهل الأرض الكفار لجدير أن يستجيب له فيرحم بدعوته المؤمنين"(٤).

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات، وذلك يعم

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٠٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة، برقم: (٢٣٤٦).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٤٠٠).

(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٣٧٧).

الأحياء منهم والأموات، ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام، وبما جاء في الآثار والأدعية المشهورة المشروعة"(١).

وقال ابن جزي (ت:٧٤١هـ): "هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم، وفيه دليل على جواز ذلك خلافاً لمن قال من المتأخرين: أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم، وهذا خطأ، وتضييق لرحمة الله الواسعة"(٢).

وقال أبونعيم (ت:٤٣٠هـ): "فلا نقطع على أن دعوتهم مجابة لكل المؤمنين والمؤمنات، فلو كان كذلك لكان كل الناس غير معذبين، ولا داخلين منهم النار أحداً، لكن نرجو أن كل من كان به أخص، وإليه أقرب كانت الدعوة له أخص، والرجاء في أمره أقرب وأكثر"(٣).

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "والتحقيق أن السؤال بلفظ التعميم، لا يستلزم طلب ذلك لكل فرد فرد بطريق التعيين"(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٩٢).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ١٥٢).

(٣) الإمامة والرد على الرافضة (٣٧٨).

(٤) فتح الباري (١١/ ١٩٩).

۞الاستنباط التاسع: (النهي عن الإشارة بإصبعين حال الدعاء).

أخرج ابن أبي شيبة، عن ابن سيرين قال: "كانوا إذا رأوا إنساناً يدعو بإصبعيه، ضربوا إحداهما، وقالوا: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[النحل: ٥١]"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٢٣٠)، والطبراني موقوفاً على ابن عمر في المعجم الكبير (١٢/ ٢٦٣)، وقال عنه الهيثمي: "رواه الطبراني موقوفاً، ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٨).

معنى الآية إجمالاً:

يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له، فهو إله واحد، متوحد في الأوصاف العظيمة، متفرد بالأفعال كلها، فكما أنه الواحد في ذاته، وأسمائه، ونعوته، وأفعاله، فلتوحدوه في عبادته، وتمتثلوا أمره، وتجتنبوا نهيه، من غير أن تشركوا به شيئاً من المخلوقات، فإنها كلها لله تعالى مملوكة(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أنه الإله الواحد الحق، المستحق للعبادة، فأخذ من ذلك أن المسلم إذا دعا يشير بإصبع واحدة لا باثنتين؛ لأن المدعو واحد سبحانه.

---

(١) الدر المنثور (٩/ ٥٩).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٤٢).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الله جل وعلا هو الإله الواحد الفرد الصمد، لا شريك له في ألوهيته وربوبيته.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي هريرة ﷺ أن رجلاً كان يدعو بأصبعيه، فقال رسول الله ﷺ: (أحد أحد)[١].

قال الترمذي (ت:٢٧٩هـ): "ومعنى هذا الحديث إذا أشار الرجل بإصبعيه في الدعاء عند الشهادة لا يشير إلا بأصبع واحدة"[٢].

وقال ابن عبدالبر (ت:٤٦٣هـ): "والسنة أن يشير الداعي إذا أشار بأصبعه السبابة وحدها"[٣].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "قالوا: ومعناه أشر بواحدة، فإن الذي تدعوه واحد، وهذا نص بيِّن في أن الإشارة إلى الله حيث قال له: (أحد أحد)؛ أي: أَحِّدِ الإشارة فاجعلها بإصبع واحدة، فلو كانت الإشارة إلى غير الله لم يختلف الأمر بين أن يكون بواحدة أو اكثر، فعلم أن الإشارة لما كانت إلى الله؛ وهو إله واحد، أمره أن لا يشير إلا بإصبع واحدة لا باثنين، وكذلك استفاضت السنن بأنه يشار

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، برقم: (٣٥٥٧)، والنسائي، كتاب صفة الصلاة، باب النهي عن الإشارة بإصبعين، برقم :(١١٩٥). قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، وصححه الحاكم في المستدرك (١/ ٧١٨)، ووافقه الذهبي، وحسن إسناده الألباني في المشكاة (١/ ٢٨٨)، برقم: (٩١٣).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٥٥٧).

(٣) الاستذكار (٢/ ٥٣٨).

بالأصبع الواحدة في الدعاء في الصلاة، وعلى المنابر يوم الجمعة، وفي غير ذلك"[١].

وقال عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ): "الأمر بالإشارة بإصبع واحدة في الدعاء ليس فيه ما يقتضي منع رفع اليدين فيه، فيرفعهما ويشير في أثنائه، أو أنه تارة يشير، وتارة يرفع"[٢].

وقال العظيم آبادي (ت:١٣٢٩هـ): "أشر بواحدة ليوافق التوحيد المطلوب بالإشارة"[٣].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٤٣).

(٢) فيض القدير (١/ ١٨٤).

(٣) عون المعبود (٤/ ٢٥٦).

۞الاستنباط العاشر: (الدعاء أفضل العبادة).

أخرج ابن المنذر، والحاكم وصححه، عن ابن عباس قال: "أفضل العبادة الدعاء، وقرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر: ٦٠]"[١].

تخريجه:

أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٦٧)، وصححه، ووافقه الذهبي.

معنى الآية إجمالاً:

هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه؛ ويشمل دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعد من استكبر عنها بدخول جهنم صاغرين حقيرين[٢].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك لأن الدعاء عبادة إذا أتى بها المكلف قُبِلت منه إذا توفرت شروطه، وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط، والمسبب على السبب، ولأن في الدعاء إظهاراً لمرتبة العبودية والفقر والحاجة، واعترافاً بعز الربوبية، فدل مفهومها على أنها كان كذلك فهو من أفضل العبادات وأتمها[٣].

---

(١) الدر المنثور (١٣/ ٦٩).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٠٣)، تيسير الكريم الرحمن (٧٤٠).

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح (٥/ ١١٩)، فيض القدير (٢/ ٤٤).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الدعاء عبادة من أجل العبادات، والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، وهو يتضمن حقيقة العبودية، والاعتراف بغنى الرب، وافتقار العبد وعجزه[١].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (الدعاء هو العبادة، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾غافر: ٦٠])[٢].

قال ابن جزي (ت:٧٤١هـ): "فمعناه أن الدعاء والرغبة إلى الله هي العبادة؛ لأن الدعاء يظهر فيه افتقار العبد، وتضرعه إلى الله"[٣].

وقال يحيى بن أبي كثير (ت:١٢٩هـ): "أفضل العبادة كلها الدعاء"[٤].

وقال مطرف بن عبدالله (ت:٨٧هـ): "تذكرت ما جماع الخير، فإذا الخير كثير؛ الصوم والصلاة، وإذا هو في يد الله ﷻ، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله ﷻ إلا أن تسأله فيعطيك، فإذا جماع الخير الدعاء"[٥].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٥١/ ١٠)، سبل السلام (٤/ ٢١٢).

(٢) أخرجه أبوداود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم: (١٤٧٩)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمن، برقم: (٣٢٤٧)، والنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، برقم: (١١٤٦٤)، وابن ماجة، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، برقم: (٣٨٢٨). وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". المستدرك (١/ ٦٦٧)، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر: " أخرجه أصحاب السنن بسند جيد". فتح الباري (١/ ٤٩).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٨).

(٤) التمهيد لابن عبدالبر (١٠/ ٣٠٠).

(٥) الزهد لابن حنبل (٢٤١).

قال الزمخشري (ت:٥٣٨هـ): "الدعاء باب من العبادة، ومن أفضل أبوابها"(١).

وقال أبوالفتوح الهمذاني (ت:٥٧١هـ): "ولا أَجل من الدعاء؛ لأن الدعاء يشتمل على ذكر المعبود والثناء عليه، واعتراف العبد بالذنب عند الالتجاء إليه تعالى، وفي ذلك تحصيل المقصود، وطلب الموعود"(٢).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "الرب سبحانه يحب من عبده أن يسأله، ويرغب إليه؛ لأن وصول بره وإحسانه إليه موقوف على سؤاله، بل هو المتفضل به ابتداء بلا سبب من العبد، ولا توسط سؤاله وطلبه، بل قدر له ذلك الفضل بلا سبب من العبد، ثم أمره بسؤاله، والطلب منه إظهاراً لمرتبة العبودية، والفقر والحاجة، واعترافاً بعزِّ الربوبية، وكمال غنى الرب، وتفرده بالفضل والإحسان، وأن العبد لا غنى له عن فضله طرفة عين، فيأتي بالطلب والسؤال إتيان من يعلم أنه لا يستحق بطلبه وسؤاله شيئاً، ولكن ربه تعالى يحب أن يسأل ويرغب إليه، ويطلب منه"(٣).

وقال الأمير الصنعاني (ت:٨٥٢هـ): "واعلم أن الدعاء ذكر الله وزيادة، فكل حديث في فضل الذكر يصدق عليه، وقد أمر الله تعالى عباده بدعائه، فقال: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾[غافر: ٦٠]، وأخبرهم بأنه قريب يجيب دعاءهم، فقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾[البقرة:

---

(١) الكشاف (٤/ ١٨٠).

(٢) كتاب الأربعين في إرشاد السائرين (٣٦).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٠٢).

١٨٦]، والأحاديث في الحث عليه كثيرة، وهو يتضمن حقيقة العبودية، والاعتراف بغنى الرب وافتقار العبد، وقدرته تعالى وعجز العبد، وإحاطته تعالى بكل شيء علماً، فالدعاء يزيد العبد قُرباً من ربه، واعترافاً بحقه، ولذا حث ﷺ على الدعاء، وعلم الله عباده دعاءه بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، الآية، ونحوها"[1].

---

(١) سبل السلام (٤/ ٢١٢).

۞الاستنباط الحادي عشر: (فضل الدعاء عند نزول الغيث).

أخرج ابن المنذر، عن ثابت[1] قال: "بلغنا أنه يُستجاب الدعاء عند المطر، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾[الشورى: ٢٨]"[2].

تخريجه:

ذكره أبوالقاسم الأصفهاني في محاضرات الأدباء (٢/ ٤٨٨)، ولم أقف على سنده.

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى أنه هو الذي ينزل المطر الغزير الذي يغيث البلاد والعباد به، من بعد ما قنطوا، وانقطع عنهم مدة، وظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا وعملوا لذلك الجدب أعمالاً، فينزل الله الغيث، وينشر به رحمته من إخراج الأقوات للآدميين، وبهائمهم، فيقع عندهم موقعاً عظيماً، ويستبشرون بذلك ويفرحون، وهو الولي الذي يتولى عباده بأنواع التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم، الحميد في ولايته وتدبيره، وما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال[3].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة والسنة.

---

(١) ثابت بن أسلم البناني، أبومحمد البصري، ثقة عابد، توفي سنة (١٢٣هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٢/ ١٥٩)، تقريب التهذيب (١٣٢).

(٢) الدر المنثور (١٣/ ١٦٢).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٧٥٩).

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه ينزل الغيث من بعد ما قنطوا، وينشر رحمته، وجاء في السنة أن من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء وقت نزول الغيث، فدل على أن لحظة نزول الغيث وقت رحمة من الله، والدعاء والاسترحام في حال نزول الرحمة مظنة الإجابة(١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

للدعاء أوقات وأحوال تُرجى فيها الإجابة أكثر من غيرها.

وقد اختلف أهل العلم في وقت نزول الغيث، هل هو منها؟ أو: لا؟.

وسببه اختلافهم في الأحاديث الواردة في ذلك، فبعض أهل العلم يصححها، وبعضهم يضعفها.

فالقول الأول: أن الدعاء وقت نزول الغيث مظنة إجابة، فهو وقت تنزل الرحمات، وذهب إلى هذا القول الشافعي وغيره.

وقد جاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ثنتان لا تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلتحم بعضه بعضاً)، وفي رواية: (وتحت المطر)(٢).

قال الشافعي (ت:٢٠٤هـ): "وقد حفظت عن غير واحد طلب الإجابة عند

---

(١) ينظر: فيض القدير (٣/ ٣٠٣).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٣٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٤)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٥٩٠)، برقم: (٣٠٧٩).

نزول الغيث، وإقامة الصلاة"[١].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وأما قوله: هل للدعاء خصوصية قبول، أو سرعة إجابة بوقت معين، أو مكان معين، عند قبر نبي أو ولي؟ فلا ريب أن الدعاء في بعض الأوقات والأحوال أجوب منه في بعض،...، والدعاء مستجاب عند نزول المطر، وعند التحام الحرب، وعند الأذان والإقامة، وفى أدبار الصلوات، وفى حال السجود، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم، وأمثال ذلك، فهذا كله مما جاءت به الأحاديث المعروفة في الصحاح والسنن"[٢].

القول الثاني: أن وقت نزول الغيث ليس وقت مظنة إجابة، وممن ضعف الأحاديث الواردة في ذلك الهيثمي[٣]، وابن حجر[٤].

الراجح:

أن وقت نزول الغيث مظنة إجابة الدعاء؛ وذلك لأنه وقت نزول الرحمة مما يرجى فيه إجابة دعاء المسلم، ولأن بعض العلماء حسنوا الأحاديث الواردة في ذلك، وكذلك ثبت عن النبي ﷺ الدعاء وقت نزول الغيث[٥].

---

(١) الأم (١/ ٢٥٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٢٩).

(٣) مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٥).

(٤) نتائج الأفكار (١/ ٣٦٩- ٣٨٣).

(٥) كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى المطر قال: (صيباً نافعاً). أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما يقال إذا أمطرت، برقم: (٩٨٥).

۞**الاستنباط الثاني عشر: (الدعاء بصلاح الذرية).**

أخرج ابن أبي حاتم، عن مالك بن مغول، قال: شكا أبومعشر ابنه إلى طلحة بن مصرف، فقال طلحة: "استعن عليه بهذه الآية: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾[الأحقاف: ١٥] الآية"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٤)، ورجال السند ثقات[(٢)].

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى ذكره عن الإنسان الذي هداه لرشده، وعرف حق الله عليه في ما ألزمه من برِّ والديه، أنه يسأل ربه أن يلهمه ويوفقه لشكر نعمه التي أنعم عليه وعلى والديه، وأن يوفقه للعمل الصالح، ولما دعا لنفسه بالصلاح، دعا لذريته أن يصلح الله أحوالهم، وأن يتوب عليه، ويغفر ذنوبه[(٣)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

---

(١) الدر المنثور (١٣/ ٣٢٥).

(٢) رجال الإسناد:

١- طلحة بن مصرف بن كعب اليامي، ثقة، تقدم ذكره في الاستنباط العشرين في الفصل الثاني.

٢- زياد بن كليب الكوفي، أبومعشر التميمي، ثقة، توفي بعد طلحة بن مصرف، سنة (١١٩هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٣/ ٥٤٢)، تقريب التهذيب (٢٢٠).

٣- مالك بن مِغْوَل البجلي، ثقة ثبت، تقدم في الاستنباط الرابع والعشرين في الفصل الأول.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٦٠١)، تيسير الكريم الرحمن (٧٧٤).

وذلك أن الله ﷻ أخبر أن المسلم الذي هداه لرشده، وبلغ أشده يدعو لنفسه وذريته بالصلاح، فدل مفهومها على أن مِن هدي الصالحين الدعاء لذرياتهم، وأنه من أسباب صلاحهم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

من نعم الله تعالى على عباده نعمة الذرية، ومن أعظم أسباب صلاحهم كثرة الدعاء لهم بالهداية والتوفيق.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، إذ جعل الله الدعاء بصلاح الذرية من صفات المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ ﴾[الفرقان: ٧٤]، وأخبر عن إبراهيم الخليل ﵇ أنه قال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ ﴾[إبراهيم: ٤٠].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "يدل على الاجتهاد في الدعاء للوالدين والذرية، وعلى طلب الدعاء من الوالدين والفضلاء"[(١)].

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ):"والإصلاح في الذرية كونهم أهل طاعة وخيرية، وهذه الآية معناها أن هكذا ينبغي للإنسان أن يفعل، وهذه وصية الله للإنسان في كل الشرائع"[(٢)].

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "وما ذكر من الدعاء لذريته بقوله: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ ﴾[الأحقاف: ١٥]، استطراد في أثناء الوصاية بالدعاء

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام (١٦٦).

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٩٨).

للوالدين، بأن لا يغفل الإنسان عن التفكر في مستقبله، بأن يصرف عنايته إلى ذريته، كما صرفها إلى أبويه؛ ليكون له من إحسان ذريته إليه مثل ما كان منه لأبويه، وإصلاح الذرية يشمل إلهامهم الدعاء إلى الوالد، وفي إدماج تلقين الدعاء بإصلاح ذريته مع أن سياق الكلام في الإحسان إلى الوالدين إيماء إلى أن المرء يلقى من إحسان أبنائه إليه مثل ما لقي أبواه من إحسانه إليهما، ولأن دعوة الأب لابنه مرجوة الإجابة، وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم)، وفي رواية: (لولده)[(١)]؛ وهو حديث حسن متعددة طرقه"[(٢)].

(١) أخرجه أبوداود، كتاب الصلاة، باب الدعاء بظهر الغيب، برقم: (١٥٣٦)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في بر الخالة، برقم: (١٩٠٥)، وابن ماجة، كتاب الدعاء، باب دعوة الوالد، برقم: (٣٨٦٢)، وقال الترمذي: "حديث حسن"، وحسّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥/ ٢٦٢)، برقم: (١٣٧٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٣).

الفصل السابع:

مساوئ الأخلاق

۞الاستنباط الأول: (الكذب أساس الخطايا).

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة في قوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾، قال: "ريبة وشك في أمر الله، ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾، قال: ريبة وشكاً، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة: ١٠]، قال: إياكم والكذب، فإنه باب النفاق، وإنا - والله- ما رأينا عملاً قط أسرع في فساد قلب عبد من كِبْرٍ أو كَذِبٍ".

وأخرج ابن أبي حاتم، عن معاوية بن صالح[١] قال: "ذُكر الكذب عند أبي أمامة فقال: اللهمَّ عَفْواً، أما تسمعون الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[النحل: ١٠٥].

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في البعث، عن الحسن في قوله: ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنبياء: ١٨]، قال: "هي - والله - لكلِّ واصِف كَذِب إلى يوم القيامة"[٢].

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه ابن جرير في تفسيره مختصراً (١/ ٢٨٢)، وقال عطية الفقيه عن سلسلة السند: "إسناد صحيح". أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير (٤٩٠).

٢-الأثر الثاني لم أجد من ذكره في ما وقفت عليه من كتب.

---

(١) معاوية بن صالح بن حدير الحضرمي، أبوعمرو الحمصي، قاضي الأندلس، صدوق له أوهام، توفي سنة (١٥٨هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٣٨٢)، تقريب التهذيب (٥٣٨).

(٢) الدر المنثور (١/ ١٦١)و (٩/ ١١٨)و (١٠/ ٢٧٧).

٣-الأثر الثالث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٧١)، وقال محققه: "إسناده صحيح".

معنى الآيات إجمالاً:

في الآية الأولى أخبر الله جلّ ثناؤه أن في قلوب المنافقين مرضاً، والمراد بالمرض هنا: مرض الشك والشبهات والنفاق؛ لأن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المُرّدية، وبسبب مرض قلوبهم زادهم الله مرضاً، وفي ذلك بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين، وأنه بسبب ذنوبهم السابقة يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها، وتوعد الله المنافقين بالعذاب المؤلم على كذبهم.

وفي الآية الثانية يخبر الله تعالى أن افتراء الكذب يصدر من الذين لا يؤمنون بآيات الله، كالمعاندين لرسوله من بعد ما جاءتهم البينات، وأن الكذب منحصر فيهم، وعليهم أولى بأن يطلق من غيرهم.

وفي الآية الثالثة يخبر تعالى أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل، ثم قال: ولكم أيها الواصفون الله بم لا يليق به، من اتخاذ الولد والصاحبة، ومن الأنداد والشركاء، حظكم من ذلك ونصيبكم الذي تدركون به الويل والندامة والخسران(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٢)و (٤٥٠)و (٥٢٠).

وذلك أن الله تعالى علّل عذابهم لأجل كذبهم، وحصره في الذين لا يؤمنون بآياته، وتوعدهم بالعذاب الأليم، فدل مفهومها على أن الكذب من أسوأ الخلال، وأساس السيئات، وباب النفاق، وقاعدة مذهب الذين لا يؤمنون بالله، فينبغي تجنبه والحذر منه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

ينبغي أن يعلم أن الصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها(١).

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وأما المنافقون فوصفهم بالكذب في آيات متعددة، كقوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة: ١٠]، وقوله أول المنافقون: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾[المنافقون: ١]، وقال: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[التوبة: ٧٧]، ونحو ذلك من القرآن كثير"(٢).

وفي السنة من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٧٤).

(٢) أمراض القلوب (٤١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم: (٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، برقم: (٩٥).

وحديث عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)(١).

قال ابن حزم (ت:٤٥٦هـ): "فالكذب أصل كل فاحشة، وجامع كل سوء، وجالب لمقت الله ﷻ،...، وهل الكفر إلا كذب على الله ﷻ، والله الحق؛ وهو يحب الحق، وبالحق قامت السموات والأرض، وما رأيت أخزى من كذاب"(٢).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق؛ هو الصدق، فإن أساس النفاق الذى بني عليه الكذب، وعلى كل خلق يطبع المؤمن ليس الخيانة والكذب"(٣).

وقال عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ): "الكذب مجانب للإيمان بنص القرآن، فإنه سبحانه علل عذاب المنافقين به في قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠ ﴾[البقرة: ١٠]، ولم يقل: بما كانوا يصنعون من النفاق، إيذاناً بأن الكذب قاعدة مذهبهم وأسه، فينبغي تجنبه لمنافاته لوصف الإيمان والتصديق"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩ ﴾، برقم: (٥٧٤٣)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب، برقم: (٢٦٠٧).

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسي (١/ ١٧٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٧٥).

(٤) فيض القدير (٣/ ١٣٣).

۞الاستنباط الثاني: (عظم شهادة الزور).

أخرج عبدالرزاق، والفريابيُّ، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في شعب الإيمان، عن ابن مسعود قال: "شهادة الزور تُعدَلُ بالشرك بالله، ثم قرأ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾[الحج: ٣٠]"(١).

---

(١) الدر المنثور (١٠/ ٤٨٨).

* وجاء هذا الأثر مرفوعاً من حديث أيمن بن خريم ﷺ أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: (يا أيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكاً بالله، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾). أخرجه أحمد في المسند، وضعف سنده محققه لجهالة فاتك بن فضالة. (٢٩/ ١٤٥)، والترمذي، كتاب الشهادات، باب ما جاء في شهادة الزور، برقم: (٢٢٩٩)، قال أبوعيسى: "وهذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد، واختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد، ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي ﷺ، وقد اختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد"، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٢٣٣)، برقم: (٢٢٩٩).

وأخرجه أبوداود والترمذي وابن ماجة مرفوعاً أيضاً بألفاظ مقاربة للأثر السابق، من طريق خزيم بن فاتك. أبوداود، كتاب الأقضية، باب في شهادة الزور، برقم: (٣٥٩٩)، والترمذي، كتاب الشهادات، باب ما جاء في شهادة الزور، برقم: (٢٣٠٠)، وابن ماجة، كتاب الأحكام، باب شهادة الزور، برقم: (٢٣٧٢)، وقال الترمذي: "هذا عندي أصح، وخريم بن فاتك له صحبة، وقد روى عن النبي ﷺ أحاديث وهو مشهور"، وقال الألباني: "وهذا إسناد ضعيف؛ فيه علتان: الجهالة، والاضطراب في سنده". السلسلة الضعيفة (٣/ ٢٣٥)، برقم: (١١١٠).

الخلاصة: أن الحديث ضعيف مرفوعاً.

تخريجه:

أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٨/ ٣٢٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٥٤٩)، وابن جرير في تفسيره (١٨/ ٦١٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٠٩)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٩٤)، وقال الهيثمي: "إسناده حسن". مجمع الزوائد (٤/ ٢٠٠)، وقال الشيخ حكمت بشير معلقاً على تحسين الهيثمي: "ولكن نكارة متنه لا تسعفه في تحسينه، وتوثيق ابن حبان [يقصد: أن في سنده وائل بن ربيعة عدّه ابن حبان من الثقات] لا يكفي لتفرده في ذلك". تفسير القرآن الكريم (٥/ ٤٠٩)، ومراد الشيخ حكمت بنكارة متنه: أن عبادة الأوثان شرك، وشهادة الزور كبيرة، فكيف يتعادلان؟!(١)، ولكن المراد أن شهادة الزور جُمعت مع عبادة الوثن في النهي، وإن اختلفا في الرتبة، كما جمع بين الشرك والعقوق وشهادة الزور في الحديث الصحيح الذي سيأتي الاستشهاد به.

معنى الآية إجمالاً:

يأمر تعالى باجتناب عبادة الأوثان، وطاعة الشيطان في عبادتها، فإنها رجس، واجتناب قول الكذب، والفرية على الله، وجميع الأقوال المحرمات، فإنها من قول الزور، وأمرهم أن يكونوا حنفاء لله مقبلين عليه، وعلى عبادته، معرضين عما سواه(٢).

---

(١) اتصلت بالشيخ حكمت بشير حفظه الله وبيّن لي أن هذا مراده بنكارة المتن.

(٢) ينظر: جامع البيان (١٨/ ٦١٨)، تيسير الكريم الرحمن (٥٣٨).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين أجزاء الآية.

وذلك أن شهادة الزور جمعت مع عبادة الوثن في النهي، فأخذ من ذلك أن شهادة الزور مقابلة للإشراك بالله؛ لأن الشرك كذب على الله، وشهادة الزور كذب على عباد الله، فهما في النهي متساويان، وإن اختلفا في الرتبة، فهذا شرك أكبر، وهذا كبيرة من الكبائر(١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

شهادة الزور من أكبر الكبائر، وأقبح الأعمال، ففيها ظلم للعباد، وضياع للحقوق.

وقد جاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "والكذب قرين الشرك، كما قرن بينهما في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠ – ٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف: ١٥٢]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟

---

(١) شرح سنن ابن ماجة (١٧١).

يَفۡتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[القصص: ٧٤-٧٥]"[(١)].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "فقد جمع بينهما أيضاً في غير هذا الموضع، كقوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأعراف: ٣٣]؛ لأن قوله: ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ هو قول الزور، وقد أتى مقروناً بقوله: ﴿ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا ﴾، وذلك يدل على عظمة قول الزور؛ لأن الإشراك بالله قد يدخل في قول الزور، كادعائهم الشركاء والأولاد لله، وكتكذيبه ﷺ، فكل ذلك الزور فيه أعظم الكفر والإشراك بالله، نعوذ بالله من كل سوء"[(٢)].

قال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ): "وذلك عام في سائر وجوه الكذب، وأعظمها الكفر بالله، والكذب على الله ﷻ، وقد دخل فيه شهادة الزور"[(٣)].

قال السرخسي (ت:٤٨٣هـ): "وفيه إشارة إلى عظم حرمة المسلم، فقد جعل الله تعالى الشهادة عليه بالزور كالشهادة على نفسه بالزور"[(٤)].

وقد جاء في السنة الصحيحة الجمع بين الشرك وشهادة الزور، وأنهما من أكبر الكبائر، ففي حديث عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق

---

(١) درء التعارض (٥/ ٣٧٩).

(٢) أضواء البيان (٥/ ٢٥٦).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٧٧).

(٤) المبسوط (١٦/ ١٤٥).

الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت)[١].

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "فليس على ظاهره المتبادر إلى الأفهام منه؛ وذلك لأن الشرك أكبر منه بلا شك، وكذا القتل، فلا بد من تأويله، **وفى تأويله ثلاثة أوجه:**

أحدها: أنه محمول على الكفر، فإن الكافر شاهد بالزور وعامل به.

والثاني: أنه محمول على المُستحل، فيصير بذلك كافراً.

والثالث: أن المراد من أكبر الكبائر كما قدمناه في نظائره، وهذا الثالث هو الظاهر أو الصواب.

فأما حمله على الكفر فضعيف؛ لأن هذا خرج مخرج الزجر عن شهادة الزور في الحقوق، وأما قبح الكفر وكونه أكبر الكبائر فكان معروفاً عندهم، ولا يتشكك أحد من أهل القبلة في ذلك، فحمله عليه يخرجه عن الفائدة"[٢].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، برقم: (٥٦٣١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم: (٨٧).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٨٧).

۞الاستنباط الثالث: (التحذير من مجالسة أهل الباطل).

أخرج ابن المنذر، وابن جرير، عن أبي وائل قال: "إن الرجل ليتكلَّمُ في المجلس بالكلمة الكذب ليُضحك بها جلساءَه فيسخط الله عليهم جميعاً، فذُكِر ذلك لإبراهيم النخعيِّ(1) فقال: صدق أبووائل، أو ليس ذلك في كتاب الله: ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾[النساء: ١٤٠]؟"(2).

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٣٢١)، ورجال السند ثقات(3).

---

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبوعمران الكوفي الفقيه، ثقة إلا أنه يرسل كثيراً، توفي سنة (٩٦هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ١٤٤)، تقريب التهذيب (٩٥).

(٢) الدر المنثور (٥/ ٧٨).

(٣) رجال الإسناد:

١- شقيق بن سلمة الأسدي، أبووائل الكوفي، ثقة مخضرم، تقدم ذكره في الاستنباط العشرون في الفصل الأول.

٢- إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، أبوأسماء الكوفي، ثقة، إلا أنه يرسل ويدلس، توفي سنة (٩٢هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ١٤٥)، تقريب التهذيب (٩٥).

٣- العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني، أبوعيسى الواسطي، ثقة ثبت فاضل، توفي سنة (١٤٨هـ). ينظر: الثقات (٧/ ٢٩٨)، تقريب التهذيب (٤٣٣).

٤- يزيد بن هارون بن زاذان السلمي، أبوخالد الواسطي، ثقة متقن عابد، توفي سنة (٢٠٦هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢٩٥)، تقريب التهذيب (٦٠٦).

٥- إسحاق بن سليمان الرازي، أبويحيى الكوفي، ثقة فاضل، توفي سنة (٢٠٠هـ) أو قبلها. ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ٢٢٣)، تقريب التهذيب (١٠١).

٦- المثنى بن إبراهيم الآملي، شيخ الطبري، ثقة، قال عنه أحمد شاكر: "يروي عنه الطبري كثيراً في التفسير والتاريخ". جامع البيان (١/ ١٧٦)، ولم يذكر فيه شيئاً، وذكر ابن كثير في تفسيره رواية

معنى الآية إجمالاً:

في هذه الآية يبيّن الله تعالى الحكم الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصي، وذلك أن الواجب على كل مكلف إذا سمع آيات الله يكفر بها، ويستهان بها، عدم القعود معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، فإنه إن جلس معهم في الحال المذكور مثلهم؛ لأنه رضي بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أنه تعالى نهى عن مجالسة الكفار عند خوضهم واستهزائهم بآيات الله تعالى، وجعل المستمع لهذا الحديث مثل قائله في الإثم، فدل مفهومها على وجوب اجتناب مجالسة أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر؛ لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

نهى الله ﷻ عن مجالسة أهل الباطل عند خوضهم في باطلهم؛ لأن كل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر.

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا

عن ابن جرير، عن المثنى، إلخ، وقال: "هذا الإسناد رجاله ثقات". تفسير القرآن العظيم (١/٥٢٦).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢١٠).

﴿يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝٧٢﴾[الفرقان: ٧٢].

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "لا يحضرون الكذب والباطل ولا يشاهدونه، والزور: كل باطل زور وزخرف، وأعظمه الشرك، وتعظيم الأنداد"[(١)].

وقال البيضاوي (ت:٦٨٥هـ): "لا يقيمون الشهادة الباطلة، أو لا يحضرون محاضر الكذب، فإن مشاهدة الباطل شِركة فيه"[(٢)].

وفي السنة من حديث بهز بن حكيم قال: حدثني أبي، عن أبيه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له)[(٣)].

قال الأمير الصنعاني (ت:٨٥٢هـ): "الحديث دليل على تحريم الكذب لإضحاك القوم، وهذا تحريم خاص، ويحرم على السامعين سماعه إذا علموه كذباً؛ لأنه إقرار على المنكر، بل يجب عليهم النكير أو القيام من الموقف"[(٤)].

وقال الطبري (ت:٣١٠): "وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم"[(٥)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ٧٩).

(٢) أنوار التنزيل (٤/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، برقم: (٤٩٩٠)، والترمذي، كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، برقم: (٢٣١٥)، والنسائي، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، برقم: (١١١٢٦)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن"، وصححه الحاكم في المستدرك (١/ ١٠٨)، ووافقه الذهبي.

(٤) سبل السلام (٤/ ٢٠٢).

(٥) جامع البيان (٩/ ٣٢١).

وقال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "وفي هذه الآية دليل أن من جلس في مجلس المعصية ولم ينكر عليهم، يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية أو عمِلوا بها، فإن لم يقدر بأن ينكر عليهم، ينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية"(١).

وقال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ): "وفي هذه الآية دلالة على وجوب إنكار المنكر على فاعله، وأن من إنكاره إظهار الكراهة إذا لم يمكنه إزالته، وترك مجالسة فاعله، والقيام عنه حتى ينتهي ويصير إلى حال غيرها"(٢).

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "فدلَّ بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر؛ لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾[النساء: ١٤٠]، فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم، حتى لا يكون من أهل هذه الآية"(٣).

(١) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (١/ ٣٧٤).
(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٧٨).
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٤١٨).

۞الاستنباط الرابع: (ذم الخوارج لنقضهم العهد).

أخرج البخاري، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعد بن أبي وقاص قال: "الحرورية(١) هم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧]، وكان يسميهم الفاسقين"(٢).

تخريجه:

أخرجه البخاري مطولاً، كتاب التفسير، باب ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ﴾، برقم: (٤٤٥١)، وابن جرير في تفسيره (١٦/ ٤٢٩)، وابن أبي حاتم (١/ ٧٢).

معنى الآية إجمالاً:

وصف الله ﷻ الفاسقين بنقض العهد؛ وهذا يعم العهد الذي بينهم وبينه، والذي بينهم وبين عباده، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، وهذا يدخل فيه أشياء كثيرة، فإن الله أمرنا أن نصل ما بيننا وبينه بالإيمان به، والقيام بعبوديته، وما بيننا وبين رسوله بالإيمان به، ومحبته، وتعزيره والقيام بحقوقه، وما بيننا وبين الوالدين والأقارب والأصحاب، وسائر الخلق، بالقيام بتلك الحقوق التي أمر الله أن نصلها، وأما الفاسقون فقطعوها ونبذوها وراء ظهورهم، معتاضين عنها بالفسق والقطيعة، والعمل بالمعاصي؛ وهو الإفساد في الأرض، فأولئك هم الخاسرون في

---

(١) الحرورية: هم الخوارج، نسبة إلى حروراء؛ وهي القرية التي كان ابتداء خروج الخوارج على علي ﷺ منها، وهي قرية بالعراق قريبة من الكوفة، وسموا خوارج؛ لخروجهم على الجماعة. ينظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٤٣)، شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٦٤)، مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨١).

(٢) الدر المنثور (١/ ٢٢٦).

الدنيا والآخرة، فحصر الخسارة فيهم؛ لأن خسرانهم عام في كل أحوالهم، ليس لهم نوع من الربح[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة العموم.

وذلك أن الله تعالى وصف الفاسقين في هذه الآية بثلاث صفات، والفاسق في اللغة: هو الخارج عن الطاعة، فالخوارج داخلون بوصفهم فيها مع من دخل؛ لأنهم خرجوا عن طاعة الإمام، ونقضوا العهد[٢].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

بدعة الخوارج من أول البدع ظهوراً في الاسلام، وأظهرها ذماً في السنة والآثار[٣].

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "هذه الآية مكية، قبل خطاب اليهود والنصارى، وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية، يحسب أنه مُصِيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود، كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾[الغاشية: ٢- ٤]، وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الفرقان: ٢٣]، وقال

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٧).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٤٧)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣١٨).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٧١).

تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾[النور: ٣٩]"[1].

وفي السنة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية،...)[2].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها، وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم، ولهذا تأوّل سعد بن أبى وقاص فيهم هذه الآية: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ [البقرة: ٢٦ – ٢٧]، وصاروا يتتبعون المتشابه من القرآن فيتأوّلونه على غير تأويله، من غير معرفة منهم بمعناه، ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن"[3].

قال ابن جرير (ت:٣١٠هـ) في الآية: "مقصود به كفارهم ومنافقوهم، ومن كان من أشياعهم من مشركي عبدة الأوثان على ضلالهم، غير أن الخطاب - وإن كان لمن وصفت من الفريقين - فداخل في أحكامهم وفيما أوجب الله لهم من

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب فضائل القرآن، باب أثم من راءى بقراءة القرآن، برقم: (٤٧٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم: (١٠٦٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢١٠).

الوعيد والذم والتوبيخ، كل من كان على سبيلهم ومنهاجهم من جميع الخلق، وأصناف الأمم المخاطبين بالأمر والنهي"[١].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "معناه أنهم يكون فيهم من معنى الآية بقدر ما فعلوا؛ لأنهم يرتكبون أموراً شنيعة من الضلال، ويعتقدون أنها هي معنى الكتاب والسنة، فقد ضل سعيهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وإن كانوا في ذلك أقل من الكفار المجاهرين؛ لأن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب"[٢].

---

(١) جامع البيان (١/ ٤١٣).

(٢) أضواء البيان (٣/ ٣٥٠).

۞الاستنباط الخامس: (الكبر أول الذنوب).

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾[البقرة: ٣٤]، قال: "كانت السجدة لآدم، والطاعة لله، وحسد عدوُّ الله إبليس آدم على ما أعطاه من الكرامة، فقال: أنا ناريٌّ، وهذا طينيٌّ، فكان بدء الذنوب الكبر، استكبر عدوُّ الله أن يسجد لآدم"[1].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧/ ٩٩)، وابن أبي حاتم (١/ ٨٤)، وحسن إسناده الشيخ أبوإسحاق الحويني في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٧).

معنى الآية إجمالاً:

أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم إكراماً له، وعبودية لله تعالى، فامتثلوا أمر الله، وبادروا كلهم بالسجود إلا إبليس امتنع عن السجود، واستكبر عن أمر الله، وعلى آدم عليه السلام، وهذا الإباء منه والاستكبار نتيجة الكفر الذي هو منطو عليه، فتبينت حينئذ عداوته لله ولآدم، وكفره واستكباره[2].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم، سجدوا كلهم إلا إبليس امتنع عن السجود، واستكبر عن أمر الله، بسبب أنه خلق من نار، وآدم خلق من طين،

---

(١) الدر المنثور (١/ ٢٧٠).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٩).

ولهذا لما جرى من إبليس ما جرى، انحط من مرتبته العالية إلى أسفل السافلين، فكان أول مطرود من رحمة الله جزاء على كبره، فدل مفهومها على أن الكبر أول ذنب عصي الله به.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الكِبر صفة ذميمة يتصف به إبليس وجنوده، وجعل الله النار دار المتكبرين.

وقد ذمَّ الله الكبر في مواضع من كتابه، وأخبر أنه لا يحب أهل الكبر، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[النحل: ٢٣]، وقال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾[غافر: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

وجاء في السنة التحذير من الكبر، ففي حديث عبدالله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء)[(١)].

قال الإمام مالك بن أنس (ت:١٧٩هـ): "بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر والشح، حَسَدَ إبليسُ وتكَبرَ على آدم، وشَحَّ آدم، فقيل له: كُلْ من شجر الجنة إلا التي نهي عنها، فَشَحَّ فأكل منها"[(٢)].

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر؛ وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره، والحرص؛ وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسد؛ وهو

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم: (٩١).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٣٦)، المحرر الوجيز (١/ ١٢٥).

الذى جرأ أحدا بني آدم علي أخيه، فمن وقي شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد"[(١)].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "أول ذنب عصي الله به كان من أبي الجن وأبي الإنس، أَبَوَيْ الثقلين المأمورين، وكان ذنب أبي الجن أكبر وأسبق؛ وهو ترك المأمور به؛ وهو السجود إباء واستكباراً، وذنب أبى الإنس كان ذنباً صغيراً، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾[البقرة: ٣٧]، وهو إنما فعل المنهي عنه؛ وهو الأكل من الشجرة"[(٢)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "أول ذنب عصى الله به أبوالثقلين الكبر والحرص، فكان الكبر ذنب إبليس اللعين فآل أمره إلى ما آل إليه، وذنب آدم على نبينا وعليه السلام كان من الحرص والشهوة، فكان عاقبته التوبة والهداية، وذنب إبليس حمله على الاحتجاج بالقدر والإصرار، وذنب آدم أوجب له إضافته إلى نفسه، والاعتراف به والاستغفار، فأهل الكبر والإصرار والاحتجاج بالأقدار مع شيخهم وقائدهم إلى النار إبليس، وأهل الشهوة المستغفرون التائبون المعترفون بالذنوب، الذين لا يحتجون عليها بالقدر، مع أبيهم آدم في الجنة"[(٣)].

وذهب بعض السلف إلى أن الحسد أول ذنب عصي الله به[(٤)].

قال سفيان بن عيينة (ت:١٩٨هـ): "الحسد أول ذنب عُصي الله ﷻ به في

---

(١) الفوائد (٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٨٨).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٢).

(٤) ينظر: عيون الأخبار (٢/ ١١)، العقد الفريد (٢/ ١٥٩)، إحياء علوم الدين (٣/ ١٨٨).

السماء - يعني حسد إبليس آدم -، وهو أول ذنب عُصي الله ﷻ به في الأرض، وحسد ابن آدم أخاه فقتله"(١).

وقال جُنادة بن أبي أُمية (ت:٨٦هـ)(٢): "كان أول خطيئة كانت الحسد، حسد إبليس آدم أن يسجد له حين أُمر، فحمله الحسد على المعصية"(٣).

وعن الحسن البصري (ت:١١٠هـ) في قوله: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾[الفلق: ٥]، قال: "هو أوّل ذنب كان في السماء"(٤).

الراجح:

أنه لا تعارض بينهما، فهما متلازمان في هذه القصة، فإن إبليس حسد أبينا آدم عليه السلام على ما آتاه الله من الكرامات؛ من خلقه بيديه، وأمر الملائكة بالسجود له، فحمله الحسد على التكبر، ومنعه التكبر من امتثال الأمر بالسجود، فكانت النتيجة طرده من رحمة الله(٥).

---

(١) المجالسة وجواهر العلم (١/ ١١٣).

(٢) جنادة بن أبي أمية الأزدي، أبوعبدالله الشامي، ثقة، مختلف في صحبته، واختلف في سنة وفاته، فقيل: توفي سنة (٨٦هـ)، وقيل: (٧٥هـ). ينظر: الاستيعاب (١/ ٢٤٩)، الإصابة (١/ ٥٠٢).

(٣) التوبيخ والتنبه (٤٢)، الدر المنثور (١/ ٢٧٤).

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٢٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٢٧)، وقال محققه: "إسناده ضعيف؛ لأجل الحسن بن دينار".

(٥) ينظر: أضواء البيان (٩/١٦٤).

۞الاستنباط السادس: (طلب الأدنى من النعم مع وجود الأفضل).

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة قال: "ملُّوا طعامهم في البرِّيَّة، وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه قبل ذلك، فقالوا: ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾[البقرة: ٦١] الآية"(١).

تخريجه:

أخـرجه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ٤٧)، وابن جرير في تفسيره (٢/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (١/ ١٢٣)، وقال الشيخ أبوإسحاق الحويني في سلسلة هذا السند كما في تفسير عبدالرزاق في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٩)، وقال عطية الفقيه في سلسلة السند عند ابن جرير: "الإسناد من الطبري إلى عبدالرزاق حسن؛ لحال الحسن بن يحيى، وبقية الإسناد صحيح إلى قتادة". أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير (٥٧٢).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المنَّ والسلوى، طعاماً طيباً، واذكروا ضجركم مما رزقناكم، وسؤالكم موسى عليه السلام استبدال ذلك بالأطعمة الدنيئة؛ من البقول ونحوها مما سألتم، ولما كان الذي جرى منهم فيه أكبر دليل على قلة صبرهم، واحتقارهم لأوامر الله ونعمه، جازاهم من جنس عملهم، فضرب الله عليهم الذلة التي تشاهد على ظاهر أبدانهم، والمسكنة بقلوبهم، فلم تكن أنفسهم عزيزة، واستحقوا غضب الله وعذابه، بكفرهم

(١) الدر المنثور (١/ ٣٨٤).

ومعاصيهم، وقتلهم للأنبياء عليهم السلام، وتعديهم على عباد الله[(١)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى عاب على بني إسرائيل استبدالهم طعاماً بطعام أدنى منه، وذمّهم على ذلك، فدل مفهومها على أن طلب الأدنى من النعم مع وجود الأفضل والأطيب حماقة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أَنْعم الله ﷻ علينا بنعم كثيرة، لا تعد ولا تحصى، وكُفر النعم وعدم القيام بحقها سبب لزوالها.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَـٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَـٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩ ﴾[سبأ: ١٩].

قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "أحبوا مفاوز[(٢)] ومَهَامة[(٣)] يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل، والسير في الحرور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، مع

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٢٠)، تيسير الكريم الرحمن (٥٣).

(٢) المفاوز مفردها المفازة: وهي البرية القفر. ينظر: اللسان (٦/ ٣٩٣).

(٣) المهامة مفردها المهمهة: وهي الأرض القفر البعيدة. ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٢٢٤)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٥٠).

أنهم كانوا في عيش رغيد؛ في منّ وسلوى، وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة، ولهذا قال لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾[البقرة: ٦١]"(١).

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) أيضاً: "وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾[البقرة: ٦١]؛ فيه تقريع لهم، وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنيئة مع ما هم فيه من العيش الرغيد، والطعام الهنيء الطيب النافع"(٢).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "النفس الأبية لا ترضى بالدون، وقد عاب الله سبحانه أقواماً استبدلوا طعاما بطعام أدنى منه، فنعى ذلك عليهم، وقال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾[البقرة: ٦١]، وذلك دليل على وضاعة النفس، وقلة قيمتها"(٣).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) أيضاً: "ومن تلاعب الشيطان بهم أنهم كانوا في البرية، قد ظلل عليه الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، فملّوا ذلك، وذكروا عيش الثوم والبصل والعدس والبقل والقثاء، فسألوه موسى عليه السلام، وهذا من سوء

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٧٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٢٣).

(٣) روضة المحبين (٣٩٤).

اختيارهم لأنفسهم، وقلة بصرهم بالأغذية النافعة الملائمة، واستبدال الأغذية الضارة القليلة التغذية منها"[١].

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "وفي الاستبدال للخير بالأدنى النداء بنهاية حماقتهم، وسوء اختيارهم"[٢].

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٩).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٥٢٣).

الاستنباط السابع: (طاعة الظالم في المعصية).

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾[البقرة: ١٢٤]، قال: "ليس لظالم عليك عهد في معصية الله أن تُطيعَه"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/ ٢٢)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٢٤)، واللفظ له، وابن جرير أخرجه بلفظين: الأول: "لا عهد لظالم عليك في ظلمه، أن تطيعه فيه"، والثاني: "ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته فانقضه"، قال الشيخ أبوإسحاق الحويني: "أخرجه ابن جرير، وسنده ضعيف". تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٠٣).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن عبده وخليله إبراهيم عليه السلام أنه جعله للناس إماماً يقتدى به في الهدى والخير، فلما اغتبط إبراهيم بهذا المقام، طلب ذلك لذريته، فأجابه الرحيم اللطيف وأخبر بالمانع من نيل هذا المقام، بأنه لا ينال الإمامة في الدين من ظلم نفسه، وحط قدرها، لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آلته الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان، والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة(٢).

---

(١) الدر المنثور (١/ ٦١٧).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٥).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أنه تعالى أخبر أنه لا ينال الإمامة في الدين من ظلم نفسه، ففهم من هذه الآية أن الله عَلِمَ أن من ذرية إبراهيم من يشرك به، ويظلم نفسه وعباده[1]، وهؤلاء لا طاعة لهم في معصية الله تعالى، فمن أطاعهم فقد ظلم نفسه، وعصى ربه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أجمع العلماء على أن من أمر بمنكر لا تجوز طاعته، لأن الطاعة إنما تكون في المعروف[2].

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فالظالم لا يجوز أن يؤتم به في ظلمه، ولا يُركن إليه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾[هود: ١١٣]، فمن ائتم بمن لا يصلح للإمامة فقد ظلم نفسه"[3].

وفي السنة من حديث علي ﷺ قال: بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل عليها رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً،

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/ ٢٤)، أضواء البيان (١/ ٤٣).

(٢) ينظر: التمهيد لابن عبدالبر (٢٣/ ٢٧٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠٣).

فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهموا، وجعل بعضهم يمسك بعضاً، ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي ﷺ فقال: (لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف)[(١)].

قال أبومحمد الظاهري (ت:٤٥٦هـ): "فحرام على كل من أُمر بمعصية أن يأتمر لها، فإن فعل فهو فاسق عاص لله تعالى"[(٢)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فهذه فتوى عامة لكل من أمره أمير بمعصية الله كائناً من كان، ولا تخصيص فيها البتة"[(٣)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) أيضاً: "مُتبع الهوى ليس أهلاً أن يُطاع، ولا يكون إماماً ولا متبوعاً، فإن الله سبحانه وتعالى عزله عن الإمامة، ونهى عن طاعته، أما عزله فإن الله سبحانه وتعالى قال لخليله إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[البقرة: ١٢٤]؛ أي: لا ينال عهدي بالإمامة ظالماً، وكل من اتبع هواه فهو ظالم، كما قال الله تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الروم: ٢٩]، وأما النهي عن طاعته، فلقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]"[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب المغازي، باب سرية عبدالله بن حذافة، برقم: (٤٠٨٥)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم: (١٨٤٠).

(٢) المحلى (١٠/ ٤٧١).

(٣) إعلام الموقعين (٤/ ٤٠٠).

(٤) روضة المحبين (٤٧٥).

وقال عبدالرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ): "لا طاعة لأحد من المخلوقين كائناً من كان، ولو أباً أو أماً أو زوجاً في معصية الله، بل كل حق وإن عظُم ساقط إذا جاء حق الله، إنما الطاعة في المعروف؛ أي: فيما رضيه الشارع واستحسنه، وهذا صريح في أنه لا طاعة في محرم، فهو مقيد للأخبار المطلقة"[١].

(١) فيض القدير (٦/ ٤٣٢).

الاستنباط الثامن: (التحذير من الخمر والعقوق والمنّ بالصدقة).

أخرج الطبراني، والخرائطيُّ في مساوئ الأخلاق، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة مُدمن الخمر، ولا العاقُّ، ولا المنَّان)، قال ابن عباس: "شقَّ ذلك عليَّ؛ لأن المؤمنين يصيبون ذنوباً، حتى وجدت ذلك في كتاب الله في العاق: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾[محمد: ٢٢]، وقال: ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[البقرة: ٢٦٤]، وقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾[المائدة: ٩٠] الآية"[١].

تخريجه:

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٩٩)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (١١٧)، وأخرج ابن أبي حاتم (٢/ ٥١٧) بعضه، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني، ورجاله ثقات إلا أن عتاب بن بشير لم أعرف له من مجاهد سماعاً". مجمع الزوائد (٥/ ٧٤).

معنى الآيات إجمالاً:

في الآية الأولى يقول تعالى - لهؤلاء الذين وصف أنهم إذا أُنزلت سورة محكمة، وذكر فيها القتال، نظروا إلى رسول الله ﷺ نظر المغشي عليه -: فهل عسيتم أيها القوم إن توليتم عن تنزيل الله جل ثناؤه، وفارقتم أحكام كتابه، وأدبرتم عن محمد ﷺ، وعما جاءكم به، أن تفسدوا في الأرض، فتكفروا به، وتسفكوا فيها الدماء، وتقطعوا أرحامكم، وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت

(١) الدر المنثور (١٣/ ٤٤٥).

والتفرق، بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام، وألف به بين قلوبكم.

وفي الآية الثانية ينهى تعالى عباده عن إبطال صدقاتهم بالمنِّ والأذى، فإن المنَّة والأذى مبطلان لأعمالكم، فتصير أعمالكم بمنزلة الذي يعمل لمراءاة الناس، ولا يريد به الله والدار الآخرة، فهذا لا شك أن عمله من أصله مردود؛ لأن شرط العمل أن يكون لله وحده، وهذا في الحقيقة عمل للناس لا لله، فأعماله باطلة، وسعيه غير مشكور.

وفي الآية الثالثة يذمّ تعالى الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وأخبر أنها رجس من عمل الشيطان، وحرمها وأمر بتركها، إذ أن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله، خصوصاً هذه الفواحش المذكورة، وهي الخمر: وهو كل ما خامر العقل. والميسر: وهو جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، والأنصاب: وهي الأصنام والأنداد ونحوها مما ينصب ويعبد من دون الله، والأزلام التي يقتسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفاسدها الداعية إلى تركها واجتنابها(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

وذلك أنه تعالى أخبر في الآية الأولى بلعن الذين يقطعون أرحامهم، ويفسدون في الأرض، وفي الآية الثانية أخبر تعالى أن المنَّة والأذى يبطلان ثواب الصدقة، وفي الآية الثالثة ذمّ الله تعالى الخمر، وأخبر أنها من عمل الشيطان، وأن الفلاح في

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٢/ ١٧٧)، تيسير الكريم الرحمن (٧٨٨)و (١١٣)و (٢٤٣).

تركها، فترتيب اللعن على العقوق، وبطلان الصدقة بالمنِّ، وذمّ الخمر، وترتيب الفلاح على تركها، فدل على عظم إثم هذه الذنوب، والمبالغة في التحذير منها.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الخمر هي أم الخبائث، ومفتاح كل شر، وقطيعة الرحم سبب للطرد من رحمة الله، والمنّ بالصدقة من مبطلاتها.

وجاء في السنة كثير من الأحاديث تؤيد هذا المعنى، مثل حديث أبي موسى ﵁ أن النبي ﷺ قال: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر، ومن مات مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يخرج من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهم)(١).

وجاء في ثواب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (خلق الله الخلق، فلما فرغ منه، قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن، فقال له: مه؟ قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت: بلى يا رب، قال: فذاك، قال أبوهريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد: ٢٢])(٢).

كما جاء الوعيد الشديد على المنِّ في العطية، فعن أبي ذر ﵁ عن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٩٩)، وابن حبان في صحيحه (١٢/ ١٦٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٣)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب التفسير، باب ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾، برقم: (٤٥٥٢)، ومسلم، كتاب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، برقم: (٢٥٥٤).

(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبوذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل، والمنّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب)[١].

قال الماوردي (ت:٤٥٠هـ): "فجمع بين قطيعة الرحم والإفساد في الأرض، ثم عقبها باللعنة إبانة لعظم الإثم"[٢].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "الخمر أم الخبائث؛ لأنها تفسد العقول والأخلاق، فأباح الله للمتقين الطيبات التي يستعينون بها على عبادة ربهم التي خلقوا لها، وحرم عليهم الخبائث التي تضرهم في المقصود الذي خلقوا له"[٣].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وحظر الله على عباده المنّ بالصنيعة، واختصَّ به صفة لنفسه؛ لأنَّ منَّ العباد تكدير وتعيير، ومنَّ الله سبحانه وتعالى إفضال وتذكير، وأيضاً فإنه هو المنعم في نفس الأمر، والعباد وسائط، فهو المنعم على عبده في الحقيقة، وأيضاً فالامتنان استعباد وكسر وإذلال لمن تمُنّ عليه، ولا تصلح العبودية والذلّ إلا لله، وأيضاً فالمنَّة أن يشهد المعطي أنه هو ربّ الفضل والإنعام، وأنه وليّ النعمة ومُسدِيها، وليس ذلك في الحقيقة إلا الله، وأيضاً فالمانُّ بعطائه يشهد نفسه مترفعاً على الآخذ، مستعلياً عليه، غنياً عنه عزيزاً، ويشهد ذلَّة الآخذ، وحاجته إليه وفاقته، ولا ينبغي ذلك للعبد، وأيضاً فإن المعطي قد تولَّى الله ثوابه، وردَّ عليه أضعاف ما أعطى، فبقي عوض ما أعطى عند الله، فأيُّ حق بقي له قِبَل

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، برقم: (١٠٦).
(٢) الحاوي الكبير (٣/ ٣٨٨).
(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٨٠).

الآخذ؟"[١].

واختلف أهل العلم في أحاديث الوعيد على أقوال:

القول الأول: أنها من باب أحاديث الوعيد التي تمُر كما جاءت، ولا يتعرض لمعناها، وهذا مذهب كثير من السلف، كمالك وأحمد وغيرهم، وهذا أبلغ في الزجر.

القول الثاني: أن هذا الوعيد فيمن استحل هذا الفعل، بدليل النصوص الكثيرة الدالة على أن من في قلبه إيمان وإن قل، فلا بد أن يدخل الجنة.

قال ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ): "وهذا القول ليس بصواب؛ لأن من استحله كافر ولو لم يفعله، فمن استحل قطيعة الرحم أو شرب الخمر مثلاً، فهو كافر وإن لم يقطع الرحم، ولم يشرب الخمر"[٢].

القول الثالث: أن هذا نفي مطلق، والنفي المطلق يحمل على المقيد، فيقال: لا يدخلون الجنة دخولاً مطلقاً؛ يعني: لا يسبقه عذاب، ولكنهم يدخلون الجنة دخولاً يسبقه عذاب بقدر ذنوبهم، ثم مرجعهم إلى الجنة، وذلك لأن نصوص الشرع يصدق بعضها بعضا، ويلائم بعضها بعضا[٣].

قال ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ): "وهذا أقرب إلى القواعد وأبين حتى لا

---

(١) طريق الهجرتين (٥٤٢).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٩/ ٥٩٤).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٤)، تيسير العزيز الحميد (٣٩٥)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٩/ ٥٩٤).

تبقى دلالة النصوص غير معلومة، فتقيد النصوص بعضها ببعض"[1].

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٩/ ٥٩٥).

۞الاستنباط التاسع: (المعصية والعدوان سبب للهلاك).

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢ ﴾[آل عمران: ١١٢]، قال: "اجتنبوا المعصية والعدوان، فإن بهما هلك من هلك قبلكم من الناس"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ١١٨)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٧)، وقال الشيخ أبوإسحاق الحويني في سلسلة هذا السند في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٦).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى أنه عاقب أهل الكتاب بالذلة والمسكنة، وغضب عليهم، وبيّن السبب الذي أوصلهم إلى هذه الحال؛ وهو الكفر بآياته التي أنزلها على نبيه محمد ﷺ، ومقابلة أنبياء الله الذين يحسنون إليهم أعظم إحسان بأشر مقابلة؛ وهو القتل، وذلك كله بسبب عصيانهم واعتدائهم، فهو الذي جرأهم على الكفر بالله، وقتل أنبياء الله[(٢)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أنه تعالى أخبر أنه عاقب أهل الكتاب بالذلة، وغضب عليهم، وجعل

---

(١) الدر المنثور (٣/ ٧٣٠).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٤٣).

منهم القردة والخنازير، بسبب عصيانهم واعتدائهم، فدل مفهومها على أن من عصى الله تعالى، وكفر بآياته، واعتدى على عباده، فقد فعل أسباب الهلاك والعذاب العاجل والآجل.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

ينبغي على المسلم أن يحذر من عقوبة المعاصي، ومن شؤم ظلم العباد، ولا يغتر بتأخير الله تعالى للعقوبة.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[الإسراء: ١٦].

قال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "الصواب الذي يشهد له القرآن، وعليه جمهور العلماء أن الأمر في قوله: ﴿أَمَرْنَا﴾ هو الأمر الذي هو ضد النهي، وأن متعلق الأمر محذوف لظهوره، والمعنى: ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رسله، وأتباعهم فيما جاؤوا به، ﴿فَفَسَقُوا۟﴾؛ أي: خرجوا عن طاعة أمر ربهم، وعصوه وكذبوا رسله، ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾؛ أي: وجب عليها الوعيد، ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾؛ أي: أهلكناها إهلاكاً مستأصلاً، وأكد فعل التدمير بمصدره؛ للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم"(١).

وقال ابن حجر الهيثمي (ت:٩٧٣هـ): "واعلم أن أعظم زاجر عن الذنوب هو خوف الله تعالى، وخشية انتقامه وسطوته، وحذر عقابه وغضبه وبطشه، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(١) أضواء البيان (٣/ ٧٥).

﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣]"[١].

وجاء في السنة من حديث جرير ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا، إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا)[٢].

قال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ): "فحذرنا الله من عذاب يعم الجميع من العاصين ومن لم يعص إذا لم ينكره"[٣].

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: "إذا ظهر الزنا والربا في قرية أُذِن بهلاكها"[٤].

وقال ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ): "أما ما يجري في الدنيا فكل ظالم معاقب في العاجل على ظلمه قبل الآجل، وكذلك كل مذنب ذنباً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾[النساء: ١٢٣]، وربما رأى العاصي سلامة بدنه وماله فظنّ أن لا عقوبة، وغفلته عما عوقب به عقوبة"[٥].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الأفاق

---

(١) الزواجر (١/ ٢٧).

(٢) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم: (٤٣٣٩)، وابن ماجة، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم: (٤٠٠٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٣٦)، برقم: (٤٣٣٩).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٢٢٨).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٤)، وابن جرير في تفسيره (١٧/ ٤٧٥).

(٥) صيد الخاطر (٥٠).

وفي أنفسنا وبما شهد به في كتابه، أن المعاصي سبب المصائب"[١].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "ينبغي أن يُعلم أن الذنوب والمعاصي تضرُّ، ولا شك أن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي!"[٢].

قال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "الذنوب سبب للبلايا والعقوبات العاجلة والآجلة"[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٣٨).

(٢) الجواب الكافي (٢٦).

(٣) فتح الباري (٢/ ٥٣٤).

۞الاستنباط العاشر: (الكبر والغرور).

أخرج ابن جرير، عن أبي رجاء الهروي(١) قال: "لا تجده سيء الملكة(٢) إلا وجدته مختالاً فخوراً، وتلا: ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء:٣٦]، ولا عاقاً إلا وجدته جباراً شقياً، وتلا: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾[مريم:٣٢]"(٣).

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٣٥٠)، وقال الشيخ حكمت بشير: "في سنده الحسين؛ وهو سنيد ضعيف". تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٤).

معنى الآيتين إجمالاً:

في الآية الأولى يأمر الله تعالى بعبادته والقيام بحقه، ويأمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب، فمن قام بهذه المأمورات، فهو الخاضع لربه، المتواضع لعباد الله، المنقاد لأمر الله وشرعه، الذي يستحق الثواب الجزيل، والثناء الجميل، ومن لم يقم بذلك فإنه عبد مُعرض عن ربه، غير منقاد لأوامره، ولا متواضع للخلق، بل هو متكبر على عباد الله، معجب بنفسه، فخور بقوله.

في الآية الثانية يخبر تعالى عن عيسى عليه السلام أنه تكلم في المهد، وبيّن الوصايا التي أوصاه الله بها، ومنها الوصية بِبر والدته، والإحسان إليها؛ لشرفها وفضلها، ولم

---

(١) عبدالله بن واقد بن الحارث الحنفي، أبورجاء الهروي، مشهور بكنيته، تابعي ثقة، موصوف بخصال الخير، توفي سنة بضع وستين ومئة. ينظر: الجرح والتعديل (٥/ ١٩١)، تقريب التهذيب (٣٢٨).

(٢) سيء الملكة: بمعنى الذي يسيء صحبة المماليك. ينظر: النهاية (٤/ ٣٥٨).

(٣) الدر المنثور (٤/ ٤٣٤).

يجعله متكبراً على الله، مترفعاً على عباده، شقياً في دنياه وأخرته، بل جعله مطيعاً له، متواضعا لعباد الله[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين أجزاء الآية.

وذلك أنه تعالى أمر في أول الآية بالإحسان إلى جملة من الناس، ثم ذكر في آخر الآية موانع الإحسان، وفي الآية الثانية ذكر بِرّ عيسى عليه السلام بأمه، ثم ذكر في نهاية الآية موانع البر، فدل ذلك على أن الكبر والخيلاء ليس من صفات أهل الإحسان، بل من صفات سيء الأخلاق.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

نفى الله تعالى محبته ورضاه عمن اتصف بالكبر والخيلاء، وفي هذا تعريض بأخلاق أهل الشرك لما عُرفوا به من الغلظة والجفاء[٢].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رقى المنبر، فلما رقى الدرجة الأولى قال: (آمين، ثم رقى الثانية، فقال: آمين، ثم رقى الثالثة، فقال آمين، فقالوا يا رسول الله: سمعناك تقول: آمين ثلاث مرات، قال: لما رقيت الدرجة الأولى، جاءني جبريل ﷺ فقال: شقي عبد أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له، فقلت: آمين، ثم قال: شقي عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، فقلت: آمين، ثم قال: شقي عبد ذكرت عنده

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٧٨)و (٤٩٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٥/ ٥١).

ولم يصل عليك، فقلت: آمين)[١].

قال الزجاج (ت:٣١١هـ): "وإنما ذكر الاختيال في هذه القصة؛ لأن المختال يأنف من ذوي قراباته إذا كانوا فقراء، ومن جيرانه إذا كانوا كذلك، فلا يحسن عشرتهم"[٢].

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "ونفي المحبة عمن هذه صفته ضرب من التوعد، وخص هاتين الصفتين هنا إذ مقتضاهما العجب والزهو، وذلك هو الحامل على الإخلال بالأصناف الذين تقدم أمر الله بالإحسان إليهم، ولكل صنف نوع من الإحسان يختص به، ولا يعوق عن الإحسان إليهم إلا العجب أو البخل، فلذلك نفى الله محبته عن المعجبين والباخلين"[٣].

قال أبوحيان (ت:٧٤٥هـ): "نفى تعالى محبته عمن اتصف بهاتين الصفتين: الاختيال؛ وهو التكبر، والفخر؛ هو عدّ المناقب على سبيل التطاول بها، والتعاظم على الناس؛ لأن من اتصف بهاتين الصفتين حملتاه على الإخلال بمن ذكر في الآية ممن يكون لهم حاجة إليه،...، وتظافرت هذه النُقُول على أن ذكر هاتين الصفتين في آخر الآية إنما جاء تنبيهاً على أن من اتصف بالخيلاء والفخر يأنف من الإحسان للأصناف المذكورين، وأن الحامل له على ذلك اتصافه بِتَيْنِك الصفتين"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٢٤)، برقم: (٦٤٤)، وقال الألباني: "صحيح لغيره". صحيح الأدب المفرد (٢٤٠)، برقم: (٥٠٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٥١).

(٣) المحرر الوجيز (٢/ ٥١).

(٤) البحر المحيط (٣/ ٢٥٦).

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "وجملة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[النساء:٣٦]، تذييل لجملة الأمر بالإحسان إلى من سماهم بذمّ موانع الإحسان إليهم الغالبة على البشر،...، وكلا الوصفين منشأ للغلظة والجفاء، فهما ينافيان الإحسان المأمور به؛ لأن المراد الإحسان في المعاملة، وترك الترفع على من يظنّ به سبب يمنعه من الانتقام"[1].

(١) التحرير والتنوير (٥/ ٥١).

۞الاستنباط الحادي عشر: (المكر والخديعة).

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن قتادة في قوله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[الأعراف: ٢١]، قال: "حلف لهما بالله حتى خدَعَهما، وقد يُخْدعُ المؤمن بالله، قال لهما: إني خلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتَّبعاني أُرشِدْكما، قال قتادة: وكان بعض أهل العلم[١] يقول: من خادَعنا بالله خَدَعَنا"[٢].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢/ ٣٥١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٥١)، قال الشيخ حكمت بشير: "أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة". تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٥).

معنى الآية إجمالاً:

أمر الله تعالى آدم وزوجته أن يأكلا من الجنة حيث شاءا، ويتمتعا فيها بما أرادا، إلا أنه عيَّن لهما شجرة، ونهاهما عن أكلها، فلم يزالا ممتثلين لأمر الله، حتى تغلغل إليهما عدوهما إبليس بمكره، فوسوس لهما وسوسة خدعهما بها، وموه عليهما، ومع قوله هذا أقسم لهما بالله أنه من جملة الناصحين، فاغترا به وأطاعاه، فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والرغد، وأهبطوا إلى دار التعب والنصب، فاعترفا بالذنب،

---

(١) هذا القول ينسب لعمر بن الخطاب ﷺ، لكن خلال البحث لم أقف عليه عند كتب المتقدمين التي بين يدي، بل وجدت أن جُلهم ينسب هذا القول لابن عمر رضي الله عنهما، وسيأتي تخريج أثره بعد قليل، وممن نسبه لعمر بن الخطاب ﷺ من المتأخرين المناوي. ينظر: فيض القدير (٦/ ٢٥٤).

(٢) الدر المنثور (٦/ ٣٤٦).

وسألا الله مغفرته، فغفر الله لهما ذلك[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن آدم عليه السلام لما حلف له إبليس بالله صدقه وخُدع به؛ لطهارة سجيته، حيث ظنّ أن أحداً لا يحلف بعظمة الله كاذباً، فدل مفهومها على أنه إذا خدع آدم عليه السلام على مكانته، وجلالة قدره، فمن باب أولى أن يخدع المؤمنين من ذريته؛ وذلك لسلامة صدرهم، وحسن ظنهم في الناس.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

المؤمن يخدع بسبب سلامة صدره، وحسن باطنه، وظنه في الناس، فكأنه لم يجرب بواطن الأمور، ولم يطلع على دخائل الصدور، فترى الناس منه في راحة، لا يتعدى إليهم منه شر[٢].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن غِرٌّ كريم، والفاجر خِبٌّ لئيم)[٣].

قال الخطابي (ت:٣٨٨هـ): "معنى هذا الكلام: أن المؤمن المحمود هو من

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٨٥).

(٢) ينظر: جامع الأصول (١١/ ٧٠١).

(٣) أخرجه أبوداود، كتاب الأدب، باب في حسن العشرة، برقم: (٤٧٩٠)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في البخل، برقم: (١٩٦٤)، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب"، وصححه الحاكم في المستدرك (١/ ١٠٣)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٠٧)، برقم: (٩٣٥).

كان طبعه وشيمته الغرارة، وقلة الفطنة للشر، وترك البحث عنه، وأن ذلك ليس منه جهلاً، لكنه كرم وحسن خلق، وأن الفاجر هو من كانت عادته الخب والدهاء، والوغول في معرفة الشر، وليس ذلك منه عقلاً ولكنه خب ولؤم"(١).

وقال أبوجعفر الطحاوي (ت:٣٢١هـ): "الْغِرَّ في كلام العرب هو الذي لا غائلة معه، ولا باطن له يخالف ظاهره، ومن كانت هذه سبيله أَمِنْ المسلمون من لسانه ويده، وهي صفة المؤمنين، ووجدنا الفاجر ظاهره خلاف باطنه؛ لأن باطنه هو ما يكره، وظاهره فمخالف لذلك، كالمنافق الذي يظهر شيئاً غير مكروه منه؛ وهو الإسلام الذي يحمده أهله عليه، ويبطن خلافه؛ وهو الكفر الذي يذمُّه المسلمون عليه، فكان مثل ذلك الخبَّ الذي يظهر المعنى الذي هو محمود منه، حتى يحمده المسلمون على ذلك، ويبطن ضده مما يذمُّه المسلمون عليه"(٢).

وجاء في حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق، فقال له: أسرقت، قال: كلا، والله الذي لا إله إلا هو، فقال: عيسى آمنت بالله، وكذبت عيني)(٣).

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "كان الله سبحانه وتعالى في قلب المسيح عليه السلام أجل وأعظم من أن يحلف به أحد كاذباً، فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته وتهمة بصره، فردّ التهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين، كما ظنّ آدم

(١) معالم السنن (٤/ ١٠٨).

(٢) شرح مشكل الآثار (٨/ ١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، برقم: (٣٢٦٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ﵇، برقم: (٢٣٦٨).

الطَّيِّلا صدق إبليس لما حلف له بالله ﷻ"[١].

وعن نافع (ت:١١٧هـ) قال: "كان ابن عمر إذا اشتدّ عجبه بشيء من ماله قربه لربه ﷻ، قال نافع: وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمر أحدهم فيلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر رضي الله تعالى عنه على تلك الحالة الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: يا أبا عبدالرحمن والله ما بهم إلا أن يخدعوك، فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله ﷻ تخدعنا له"[٢].

والجمع بين حديث: (المؤمن غِرٌّ كريم)، وحديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)[٣].

أن المراد بالأول: أن المؤمن المحمود هو من كان طبعه وشيمته قلة الفطنة للشر، فيتركه ولا يبحث عنه، كرماً منه، وحسن خلق، وأنه ليس بداه ليخرج الطرق والسبل قبل وقوع الأمر عليه، والمراد في أمر الدنيا، وتعامله مع الناس.

والمراد بالثاني: أن المؤمن هو الكيس الحازم الذي لا يؤتى من جهة الغفلة، فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفطن بذلك، ولا يشعر به، والمراد في أمر الدين، دون أمر الدنيا[٤].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١١٥).

(٢) أخرجه أبونعيم في الحلية (١/ ٢٩٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/ ١٣٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين، برقم: (٥٧٨٢)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين، برقم: (٢٩٩٨).

(٤) ينظر: معالم السنن (٤/ ١٠٨) و (٤/ ١١٩)، العرف الشذي (٣/ ٣٢٧).

۞الاستنباط الثاني عشر: (التحذير من البغي والمكر والنكث).

أخرج ابن المنذر، والبيهقي، عن رجاء بن حيوة[(١)]، أنه سمع قاصاً في مسجد مِنى يقول: "ثلاث خلال هنّ على من عمل بهنّ؛ البغي، والمكر، والنكث، قال الله: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾[يونس: ٢٣]، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[فاطر: ٤٣]، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[الفتح: ١٠]، ثم قال: ثلاث خلال لا يعذبكم الله ما عملتم بهنّ؛ الشكر، والدعاء، والاستغفار، ثم قرأ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾[النساء: ١٤٧]، ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[الفرقان: ٧٧]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنفال: ٣٣]"[(٢)].

تخريجه:

الجزء الأول من هذا الأثر أخـرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٥٣)، وقال محققه: "إسناده ضعيف".

معنى الآيات إجمالاً:

يخبر تعالى في الآيات الثلاث الأُولى عن أهل البغي والمكر ونقض العهود، بأن ظلمهم وفسادهم مضر لهم في حالة الدنيا، ثم يلقون عقابه في الآخرة.

وفي الآيات الثلاث الأخرى يخبر تعالى عن كمال غناه، وسعة حلمه ورحمته،

(١) رجاء بن حيوة الكندي، أبوالمقدام الشامي الفلسطيني، ثقة فقيه، توفي سنة (١١٢هـ). ينظر: الثقات (٤/ ٢٣٧)، تقريب التهذيب (٢٠٨).

(٢) الدر المنثور (٧/ ٦٤٦).

فإذا العباد أنابوا إليه، وشكروا نعمه، ودعوه، واستغفروه من ذنوبهم، فإن هذا مانع يمنع من وقوع العذاب بهم[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

وذلك أن تعالى أخبر أن من فعل الظلم والمكر والنكث مردود عليه فعله، فأخذ من ذلك أنه تحذير بليغ من التخلق بها، وأن صاحبها ينتقم الله منه في الدنيا والآخرة، وفي الآيات الأخر يخبر تعالى عن أن الإيمان والشكر، والدعاء والاستغفار موانع من نزول العذاب، وسبب لدفع البلاء، وفي ذلك حث على ملازمتها.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الظلم، والمكر، ونقض العهود، من الأخلاق الذميمة، تنقلب على صاحبها في الدنيا، مع ما يدخر لهم من العذاب يوم القيامة.

وقد جاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخر له في الآخرة، مثل البغي، وقطيعة الرحم)[٢].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ١١٣)، تيسير الكريم الرحمن (٢١٢)و (٣٢٠)و (٥٨٨)و (٦٩١).

(٢) أخرجه أبوداود، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، برقم: (٤٩٠٢)، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب، برقم: (٢٥١١)، وابن ماجة، كتاب الزهد، باب البغي، برقم: (٤٢١١)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "وفي هذا أبلغ تحذير عن التخلق بهذه الأخلاق الذميمة، والخروج عن أخلاق الإيمان الكريمة"[(١)].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفوراً له، مرحوماً في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة"[(٢)].

وبيّن ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) سبب ذلك فقال: "لأن تأخير عقوبته فساد لأهل الأرض لخلاف ما لا يتعدى ضرره فاعله، فإنه قد تؤخر عقوبته وإن كان أعظم كالكفر ونحوه"[(٣)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وهذا باب واسع جداً عظيم النفع، فمن تدبره يجده متضمناً لمعاقبة الرب سبحانه من خرج عن طاعته، بأن يعكس عليه مقصوده شرعاً وقدراً، دنيا وأخرى، وقد اطردت سنته الكونية سبحانه في عباده بأن من مكر بالباطل مكر به، ومن احتال احتيل عليه، ومن خادع غيره خدع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[فاطر: ٤٣]، فلا تجد ماكراً إلا وهو

يخرجاه". المستدرك (٢/ ٣٨٨)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٨٨)، برقم: (٩١٧).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٣٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٤٦).

(٣) الصارم المسلول (٢/ ٤٥٦).

ممكور به، ولا مخادعاً إلا وهو مخدوع، ولا محتالاً إلا وهو محتال عليه"[١].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت:١٢٠٦هـ): "الماكر يصير وبال مكره عليه، ولكن لا يشعر، ولو شعر لما فعل"[٢].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "سنة الله في الأولين التي لا تبدل ولا تغير، أن كل من سار في الظلم والعناد، والاستكبار على العباد، أن تحل به نقمته، وتسلب عنه نعمته، فليترقب هؤلاء ما فعل بأولئك"[٣].

ومما يلحق بهذه الثلاث التي دل القرآن على أنها تعود على فاعلها؛ الخدع، فإن الله يقول: ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾[البقرة: ٩][٤].

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٠).

(٢) تفسير آيات من القرآن الكريم (١٣٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٦٩١).

(٤) فتح القدير (٢/ ٤٣٦).

۞الاستنباط الثالث عشر: (التحذير من الكذب).

أخرج أبوالشيخ، عن مبارك[١] قال: "سئل ابن سيرين عن رجل رأى في المنام أنه يسّتاك، كلما أخرج السِّواك رأى عليه دماً، قال: اتَّق الله ولا تكذب، وقرأ: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ ﴾[يوسف: ١٨]"[٢].

تخريجه:

لم أجد من ذكر هذا الأثر في ما وقفت عليه من الكتب.

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى مخبراً عن الذي اعتمده إخوة يوسف عليه السلام بعدما ألقوه في غيابة الجُبِّ، أنهم رجعوا إلى أبيهم في ظلمة الليل يبكون، ويظهرون الأسف والجزع على يوسف، فقالوا معتذرين بعذر كاذب: إنا ذهبنا نستبق، وتركنا يوسف عند أمتعتنا، فأكله الذئب في حال غيابنا عنه، ومما أكدوا به قولهم أنهم جاءوا على قميصه بدم كذب، وزعموا أنه دم يوسف عليه السلام حين أكله الذئب، فلم يصدقهم أبوهم بذلك[٣].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن إخوة يوسف زعموا أن يوسف عليه السلام أكله الذئب، وأكدوا قولهم بأن

---

(١) لم أستطع الاهتداء إلى المقصود به؛ لأنه ذكر بدون ذكر الأب أو الكنية.

(٢) الدر المنثور (٨/ ٢٠٩).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٩٧)، تيسير الكريم الرحمن (٣٩٥).

جاءوا على قميصه بدم كذب، فأخذ من دلالة ذلك أن رؤية الدم على السواك في المنام يعبر على كذب صاحبه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

تأويل الرؤيا فقد يكون بدلالة من جهة الكتاب، أو من جهة السنة، أو من الأمثال السائرة بين الناس، وقد يقع التأويل على الأسماء والمعاني، وقد يقع على الضد والقلب[1].

قال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ): "قال الله تعالى مخبراً عن إخوة يوسف: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ ﴾[يوسف: ١٦]؛ وهم الكاذبون، ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ ﴾[يوسف: ١٨]، ومع هذا فإنها قرائن يستدل بها في الغالب، وتنبني عليها الشهادة في الوقت وغيره، بناء على ظواهر الأحوال وغالبها"[2].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "ولا شك أن الدم قرينة على افتراس الذئب له، ولكن يعقوب أبطل قرينتهم هذه بقرينة أقوى منها، وهي عدم شق القميص،...، ولذا صرح بتكذيبه لهم في قوله: ﴿ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾[يوسف: ١٨]، وهذه الآيات المذكورة أصل في الحكم بالقرائن"[3].

(١) ينظر: شرح السنة (١٢/ ٢٢٠).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٥٦٣).

(٣) أضواء البيان (٢/ ٢١٦).

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "تأويل الرؤيا مبناها على القياس والاعتبار، والمشابهة والمناسبة"[١].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) أيضاً: "وأما الرؤيا وتأويلها فباب لا ينضبط له حد، وقد يكون تأويلها لا يشبهها إلا بوجه بعيد لا يهتدي له إلا حذاق المعبرين"[٢].

وينبغي أن يعلم أن رموز الرؤيا تختلف بحسب حال الرائي، وصحة إيمانه وفساده، واستقامة حاله وانحرافه[٣].

ولذلك قد يعبر خروج الدم بالكذب كما في هذا الاستنباط، وقد يُعبر بالغيبة بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾[الحجرات:١٢]، وقد يُعبر بخرجه من ذنوبه وآثامه، وربما دل على آثام يلتقطها ويؤذي أهل بيته، ويأخذ أموالهم[٤]، وقد يُعبر بخروج المال[٥].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٧٢).

(٢) بغية المرتاد (٣٢٠).

(٣) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٧٣).

(٤) ينظر: تعطير الأنام في تعبير المنام (١/ ٧٣).

(٥) ينظر: إعلام الموقعين (١/ ١٩١).

۞ الاستنباط الرابع عشر: (شؤم الحسد على الحاسد).

أخرج ابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن الربيع بن أنس قال: "مكتوب في الكتاب الأَوَّل[١] أن الحاسد لا يضُرُّ بحسده إلا نفسه، ليس ضارّاً مَنْ حسد، وأن الحاسد يَنْقُصُه حسده، وأن المحسود إذا صبر نجَّاه الله بصبره؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠﴾[يوسف: ٩٠]"[٢].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٤)، وقال الشيخ حكمت بشير في سلسلة هذا السند في متن آخر: "وسنده جيد". تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٤٢).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى مخبراً عن قول يوسف عليه السلام لإخوته عندما عرفوه، أنه أخبرهم أن التمكين في الدنيا يكون بسبب الإيمان والتقوى، فمن يتقي فعل ما حرم الله، ويصبر على الآلام والمصائب، وعلى الأوامر بامتثالها، فإن هذا من الإحسان، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا[٣].

---

(١) الكتاب الأول: يعني الكتب المتقدمة، وقد يكون مكتوب في اللوح المحفوظ. شرح الشيخ عبدالكريم الخضير لكتاب العلم لابن خيثمة "الدرس الرابع".

(٢) الدر المنثور (٨/ ٣٢١).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٠٤).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن يوسف ﷺ ابتلي بحسد إخوته له، فصبر واتقى فكانت العاقبة الحسنى له عليهم، فدل مفهومها على أن من ابتلي بالحسد إذا صبر واتقى تكون له العاقبة الحسنى، وينقلب شؤم الحسد على الحاسد.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الحسد خلق نفس ذميمة، يجعل صاحبه دائم الهم، كثير الغم؛ لأنه كلما تلذذ المحسود بنعم الله تعالى تأذى الحاسد وتنغص.

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، وذلك في قصة آدم ﷺ مع إبليس، ألا ترى إبليس حسد آدم ﷺ، فكان حسده نكداً على نفسه، فصار لعيناً بعدما كان مكيناً[(١)].

قال معاوية بن أبي سفيان (ت:٦٠هـ): "ليس في خلال الشر خُلّة أعدل من الحسد، فإنه يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود"[(٢)].

قال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "ليس شيء من الشر أضر من الحسد؛ لأنه يصل إلى الحاسد خمس عقوبات، قبل أن يصل إلى المحسود مكروه، أولاها: غمّ لا ينقطع، والثانية: مصيبة لا يؤجر عليها، والثالثة: مذمّة لا يحمد بها، والرابعة:

---

(١) ينظر: روضة العقلاء (١٣٧).

(٢) الفاضل (١٠٠)، أدب الدنيا والدين (٢٧٨)

يسخط عليه الرب، والخامسة: تُغلق عليه أبواب التوفيق"[١].

وقال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ) أيضاً: "ينبغي للمسلم أن لا يتمنّى فضل غيره لنفسه، وينبغي أن يسأل الله تعالى أن يعطيه مثل ذلك، فالواجب على كل مسلم أن يمنع نفسه من الحسد؛ لأن الحاسد يضادّ حكم الله تعالى، والناصح هو راض بحكم الله تعالى"[٢].

وقال ابن عقيل (ت:٥١٣هـ): "افتقدتُ الأخلاق فإذا أشدُّها وبالاً على صاحبها الحسد، فإنه التأذي بما يتجدد من نعمة الله، فكلما تلذذ المحسود بنعم الله تعالى تأذى الحاسد وتنغص، فهو ضد لفعل الله تعالى، ساخط بما قسمه، مُتمن زوال ما منحه خلقه، فمتى يطيب بهذا عيش؟"[٣].

وقال بعض حكماء العرب: "الحسد داء منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود"[٤].

وذكر ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) عبراً من قصة يوسف عليه السلام وإخوته، فقال: "فيها من العبرة أن المظلوم المحسود إذا صبر واتقى الله كانت له العاقبة، وأن الظالم الحاسد قد يتوب الله عليه ويعفو عنه، وأن المظلوم ينبغي له العفو عن ظالمه إذا قدر عليه"[٥].

---

(١) تنبيه الغافلين (١٣٣).

(٢) تنبيه الغافلين (١٣٥).

(٣) عزاه ابن مفلح لكتاب الفنون، ولم أجده في المطبوع منه. الآداب الشرعية (١/ ١٣٢)

(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٧٦).

(٥) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٢).

۞الاستنباط الخامس عشر: (عاقبة الظلم وخيمة).

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخرائطي في مساوئ الأخلاق، عن ميمون بن مهران في قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[إبراهيم: ٤٢]، قال: "هي تعزية للمظلوم، ووعيد للظالم"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير (٧١/ ٢٨)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٢٧٩)، وفي سنده عند ابن جرير الحسين بن داود؛ وهو سنيد؛ ضعيف[(٢)]، ورجال السند عند الخرائطي ثقات[(٣)].

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ولا تحسبن الله يا محمد غافلاً ساهياً عما يعمل

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٥٦٢).

(٢) ينظر: الجرح والتعديل (٤/ ٣٢٦)، تقريب التهذيب (٢٥٧).

(٣) رجال الإسناد:

١- ميمون بن مهران الجزري، أبوأيوب الكوفي، نزل الرقة، ثقة فقيه، توفي سنة (١١٧هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٢٣٣)، تقريب التهذيب (٥٥٦).

٢- الحسن بن عمر أو عمرو بن يحيى الفزاري، أبوالمليح الرقي، ثقة، توفي سنة (١٨١هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٣/ ٢٤)، تقريب التهذيب (١٦٢).

٣- يحيى بن يوسف الزِمِي الخراساني، نزيل بغداد، ثقة، توفي سنة (٢٢٥هـ)، وقيل: (٢٢٩هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢٠٠)، تقريب التهذيب (٥٩٩).

٤- نصر بن داود بن منصور، أبومنصور الصاغاني، ويعرف بالخنلجي، سكن بغداد، قال ابن أبي حاتم عنه: سمعت منه ومحله الصدق، توفي سنة (٢٧١هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٤٧٢)، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٩٢).

هؤلاء المشركون من قومك، بل هو عالم بهم وبأعمالهم، محصيها عليهم ليجزيهم جزاءهم في الحين الذي قد سبق في علمه أنه يجزيهم فيه[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه يمهل الظالم إلى وقت عذابه، ولكنه لا يهمله، بل يؤخر عقابه ليوم تشخص فيه الأبصار من شدة الخوف، فدل مفهومها على أن للظالم يوماً يجد فيه جزاءه، فلا يغتر بإمهال الله له، وأن للمظلوم يوماً يأخذ حقه ممن ظلمه، فلا يحزن على ما أصابه من الظلم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الظلم مرتعه وخيم، وعاقبته وبيلة، ولا بُد أن يأخذ الظالم عقابه ولو بعد حين، فإن الله يمهل ولا يهمل.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[الشعراء: ٢٢٧].

كان شريح (ت:٧٨هـ) يقول للخصوم: "سيعلم الظالمون حق من نقصوا، إن الظالم ينتظر العقاب، وإن المظلوم ينتظر النصر"[٢].

وفي السنة من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن

---

(١) جامع البيان (٧١/ ٢٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٥٤٢)، وأبونعيم في الحلية (٤/ ١٣٢).

الله ﷻ يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾[هود: ١٠٢])[1].

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: (اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)[2].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة"[3].

قال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "فظلم العباد شر مكتسب؛ لأن الحق فيه لآدمي مطبوع على الشح، فلا يترك من حقه شيئاً، لا سيما مع شدة حاجته يوم القيامة، فإن الأم تفرح يومئذ إذا كان لها حق على ولدها لتأخذه منه، ومع هذا فالغالب أن الظالم تعجل له العقوبة في الدنيا وإن أمهل"[4].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "هذا وعيد شديد للظالمين، وتسلية للمظلومين، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، حيث أمهلهم، وأدر عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد،

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾ ، برقم: (٤٤٠٩)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم: (٢٥٨٣).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، برقم: (٢٣١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، برقم: (١٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٣).

(٤) شرح حديث لبيك (١٠٧).

آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم، فإن الله يملي للظالم ويمهله، ليزداد إثماً، حتى إذا أخذه لم يفلته، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ١٠٢﴾[هود: ١٠٢]، والظلم ههنا يشمل الظلم فيما بين العبد وربه، وظلمه لعباد الله"[١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٧).

الاستنباط السادس عشر: (ذم التبختر في المشي).

أخرج الآمدي[١] في شرح ديوان الأعشى[٢] بسنده عن عمر بن الخطاب أنه رأى غلاماً يتبختر في مشيته فقال: "إن البَخْتَرِيَّة[٣] مشية تكره إلا في سبيل الله، وقد مدح الله أقواماً فقال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[الفرقان: ٦٣]، فاقصِدْ في مشيتك"[٤].

تخريجه:

لم أعثر على شرح الآمدي لديوان الأعشى، ولم أجده عند غيره في ما وقفت عليه من كتب.

معنى الآية إجمالاً:

أخبر الله تعالى أن صفات عباده أكمل الصفات، ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم يمشون على الأرض ساكنين متواضعين لله وللخلق، وهذا وصف لهم بالوقار والسكينة، والتواضع لله ولعباده[٥].

---

(١) علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، أبوالحسن الشافعي، شيخ المتكلمين في زمانه، له عدة تصانيف، توفي سنة (٦٣١هـ). ينظر: معجم الأدباء (٤/ ٨٥)، طبقات الشافعية لابن شهبة (٢/ ٧٩).

(٢) ميمون بن قيس بن جندل بن ثعلبة، ويكنى أبا بصير، من شعراء الجاهلية وفحولهم، له ديوان مطبوع. ينظر: طبقات فحول الشعراء (١/ ٥٢)، الأغاني (٩/ ١٢٧).

(٣) التبختر: مشية فيها تمايل، كبراً وخيلاء. ينظر: الاشتقاق (١٣٥)، كشف المشكل (٣/ ٤٩٣).

(٤) الدر المنثور (١١/ ٢٠٥).

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٥٨٦).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة والحديث.

وذلك أن تعالى مدح عباده الذين يمشون على الأرض بسكينة ووقار، فدل مفهوم المخالفة على ذمِّ الذين يمشون على الأرض متكبرين متجبرين، وأنهم ليسوا من عباد الله الذين وصفهم بأكمل الصفات، وجاء في السنة استثناء التبختر والخيلاء عند ملاقات الأعداء من الكراهة(1).

(١) جاء في حديث جابر بن عتيك ﷺ أن نبي الله ﷺ كان يقول: (من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله، فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة، وإن من الخيلاء ما يبغض الله، ومنها ما يحب الله، فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال، واختياله عند الصدقة، وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي، والفخر). أخرجه أبوداود، كتاب الجهاد، باب في الخيلاء في الحرب، برقم: (٢٦٥٩)، والنسائي، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، برقم: (٢٣٣٩). وصححه ابن القيم في الجواب الكافي (٤٤)، وقال عنه ابن حجر: "إسناده صحيح". الإصابة (١/ ٤٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٤٤٢)، برقم: (٢٢٢١).

ومعنى الاختيال في الصدقة: أن يهزه أريحية السخاء، فيعطيها طيبة نفسه بها، من غير منّ ولا تصريد. معالم السنن (٢/ ٢٧٦).

وجاء في السيرة أن رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر: (إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن). أخرجه أبوإسحاق في السيرة (٣/ ٣٠٥)، وابن هشام في السيرة النبوية (٤/ ١٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٠٤)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني، وفيه من لا أعرفه". مجمع الزوائد (٦/ ١٠٩)، والسند فيه جهالة وانقطاع، فالرجل الذي من الأنصار لم يُسم، ولا يمكن أن يكون صحابياً؛ لأن جعفر بن عبدالله من الطبقة السابعة في تقسيم ابن حجر، وهي طبقة لا تروي عن الصحابة. ينظر: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية (١٥٣). لكن مع ضعف هذا الحديث إلا أن

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

نهى الله ﷻ عن الاختيال في المشي، وأمر بالقصد فيه؛ لأنه لا بد له أن يمشي، فنهاه عن الشر، وأمره بالخير[١].

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾[الإسراء: ٣٧].

قال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "نهى الله جل وعلا الناس في هذه الآية الكريمة عن التجبر والتبختر في المشية"[٢].

وفي السنة من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (بينما رجل يتبختر يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة)[٣].

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "مشية التبختر؛ وهي مشية أولي العجب والتكبر، وهي التي خسف الله سبحانه بصاحبها لما نظر في عِطْفَيه[٤] وأعجبته

الحديث السابق يعضده، ويتقوى به.

(١) ينظر: البداية والنهاية (٢/ ١٢٦).

(٢) أضواء البيان (٣/ ١٥٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾[الكهف: ٩]، برقم: (٣٢٩٧)، ومسلم واللفظ له، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي، برقم: (٢٠٨٨).

(٤) عطفيه: جانبيه؛ وهو كناية عن إعجابه بنفسه ولباسه؛ لأن المعجب ينظر في أعطافه. ينظر: كشف المشكل (٤/ ١٨٦)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ٨٩).

نفسه، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة"[١].

(١) زاد المعاد (١/ ١٦٩).

۞الاستنباط السابع عشر: (ترك المكافأة تطفيف).

أخرج عبد بن حميد، والبيهقي في شعب الإيمان، عن وهب بن منبه(١) قال: "تَرْكُكَ المكافاةَ تطفيف، قال الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾[المطففين: ١]"(٢).

تخريجه:

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٣٩٦)، وقال محققه: "إسناده جيد".

معنى الآية إجمالاً:

ويل هي كلمة عذاب وعقاب للمطففين، وبيّن الله تعالى أن المطففين هم الذين إذا اكتالوا على الناس أخذوا حقهم كاملاً من غير نقص، وإذا أعطوا الناس حقهم الذي لهم عليهم، بكيل أو وزن ينقصونهم ذلك، إما بمكيال وميزان ناقصين، أو بعدم ملء المكيال والميزان، أو بغير ذلك، فهذا سرقة لأموال الناس، وعدم إنصاف لهم منهم(٣).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى ذمّ الذين يأخذون حقهم كاملاً، ويبخسون الناس حقهم، فأخذ من ذلك أن من أحسن الناس إليه، ولم يكافئهم ولو بالدعاء، أنه قصر

---

(١) وهب بن منبه بن كامل، أبوعبدالله الصنعاني، من صنعاء، تابعي ثقة، توفي في سنة (١١٤هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٨/ ١٦٤)، تقريب التهذيب (٥٨٥).

(٢) الدر المنثور (١٥/ ٢٨٩).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٩١٥).

وبخس حق من أحسن إليه.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

التطفيف خلق مذموم، والمكافأة على الإحسان مشروعة، وهي من أخلاق المؤمنين.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾[الرحمن: ٦٠].

ذكر الرازي (ت:٦٠٦هـ) أشهر أقوال السلف في معنى الآية، ثم قال: "وأما الأقرب فإنه عام؛ فجزاء كل من أحسن إلى غيره أن يحسن هو إليه أيضاً"[(١)].

وقال الألوسي (ت:١٢٧٠هـ): "ولعله يعتبر شاملاً للإحسان الدنيوي والأخروي"[(٢)].

وجاء في السنة من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)[(٣)].

قال الأمير الصنعاني (ت:٨٥٢هـ): "ودلّ الحديث على وجوب المكافأة

---

(١) التفسير الكبير (٢٩/ ١١٥).

(٢) روح المعاني (٨/ ١٤٤).

(٣) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، برقم: (١٦٧٢)، والنسائي، كتاب الزكاة، باب من سأل بالله، برقم: (٢٣٤٨). وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين". المستدرك (١/ ٥٧٢)، ووافقه الذهبي، وصححه النووي في المجموع (٦/ ٢٤١)، والألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ١٠٤١)، برقم: (٦٠٢١).

للمحسن، إلا إذا لم يجد فإنه يكافئه بالدعاء، وأجزأه إن علم أنه قد طابت نفسه أو لم تطب به، وهو ظاهر الحديث"(١).

وقد أشار ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) إلى مشروعية المكافأة، والحكمة منها، فقال: "فلينظر إلى المعطي الأول مثلاً فيشكره على ما أولاه من النعم، وينظر إلى من أسدى إليه المعروف فيكافئه،...، فالله سبحانه هو المعطى على الحقيقة، فإنه هو الذي خلق الأرزاق وقدَّرها، وساقها إلى من يشاء من عباده، فالمعطي هو الذى أعطاه، وحرك قلبه لعطاء غيره، فهو الأول والآخر،...، فمن سلك هذا المسلك العظيم استراح من عبودية الخلق، ونظره إليهم، وأراح الناس من لومه وذمه إياهم، وتجرد التوحيد في قلبه، فقوي إيمانه، وانشرح صدره، وتنور قلبه، ومن توكل على الله فهو حسبه"(٢).

وتكلم ابن القيم (ت:٧٥١هـ) عمّن أحسن إلى أخيه بأداء دينه، وفك أسره منه، فقال: "وأي معروف فوق معروف هذا الذي افتك أخاه من أسر الدَّين! وأي مكافأة أقبح من إضاعة ماله عليه وذهابه! وإذا كانت الهدية التي هي تبرع محض قد شرعت المكافأة عليها، وهي من أخلاق المؤمنين، فكيف يشرع جواز ترك المكافآت على ما هو من أعظم المعروف!"(٣).

(١) سبل السلام (٤/ ١٧٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٩٢).

(٣) إعلام الموقعين (٢/ ٤١٩).

الفصل الثامن:

استنباطات متفرقة

الاستنباط الأول: (البعوضة أضعف المخلوقات).

أخرج ابن جرير، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾[البقرة: ٢٦] قال: "البعوضة أضعف ما خلق الله"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٤٠١)، وقال الشيخ أبوإسحاق الحويني في سلسلة هذا السند في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٦)، ونقل ابن جرير عن ابن جريج نحوه.

معنى الآية إجمالاً:

في الآية يخبر الله تعالى عباده أنه لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها، عقيب أمثال قد تقدمت في هذه السورة ضربها للمنافقين، دون الأمثال التي ضربها في سائر السور غيرها، وكأن في هذا جواباً لمن أنكر ضرب الأمثال في الأشياء الحقيرة، واعترض على الله في ذلك، فليس في ذلك محل اعتراض، بل هو من تعليم الله لعباده، ورحمته بهم، فيجب أن تُتلقى بالقبول والشكر(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه لا يمنعه الحياء أن يضرب مثلاً بالبعوضة فما

---

(١) الدر المنثور (١/ ٢٢٥).

(٢) ينظر: جامع البيان (١/ ٤٠٠)، تيسير الكريم الرحمن (٤٧).

فوقها، فدل مفهومها على أن البعوضة أصغر وأضعف المخلوقات؛ لأن ما فوقها لا يكون إلا أقوى منها وأكبر.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

اختلف السلف في المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ على قولين:

الأول: دونها في الصغر والحقارة[1]، وعلى هذا القول لا يصح هذا الاستنباط.

الثاني: أكبر منها في الحجم والكبر، كالذباب والعنكبوت[2].

قال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "فإذ كانت أضعف خلق الله فهي نهايةٌ في القلة والضعف، وإذ كانت كذلك، فلا شك أن ما فوق أضعف الأشياء لا يكون إلا أقوى منه"[3].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ لما هو أكبر منها؛ لأنه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة، وهذا قول قتادة بن دعامة، واختيار ابن جرير؛ ويؤيده ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة)[4]، فأخبر أنه لا يستصغر شيئاً يضرب به مثلاً، ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة، كما لا يستنكف عن خلقها، كذلك لا يستنكف من ضرب المثل بها، كما

---

(١) ينظر: مجاز القرآن (١/ ١٤)، ومعاني القرآن للكسائي (٦٥).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠)، جامع البيان (١/ ٤٠٥).

(٣) جامع البيان (١/ ٤٠٥).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، برقم: (٢٥٧٢).

ضرب المثل بالذباب والعنكبوت"[١].

قال أبوحيان (ت:٧٤٥هـ): "وما فوقها: الظاهر أنه يعني في الحجم كالذباب والعنكبوت،...؛ لجريان فوق على مشهور ما استقر فيها في اللغة"[٢].

وقد استشكل جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، أن النبي ﷺ ضرب المثل بما دون البعوضة، ففي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)[٣].

ثم أجاب على هذا الإشكال، بقوله: "قلت: قد قال قوم في الآية: إن معنى قوله: ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ في الخسة، وعبر بعضهم عن هذا بقوله: معناه فما دونها؛ فزال الإشكال"[٤].

قلت: ويزول الإشكال على المعنى الثاني، بأن ضعف الجناح وحقارته يستلزم ضعف صاحبه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣١٦).

(٢) البحر المحيط (١/ ٢٦٨).

(٣) أخرجه الترمذي واللفظ له، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا، برقم: (٢٣٢٠)، وابن ماجة، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم: (٤١١٠). قال الترمذي: "هذا حديث صحيح غريب"، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". المستدرك (٤/ ٣٤١)، وتعقبه الذهبي بقوله: "زكريا ضعفوه". وقال الألباني: "وزكريا هذا لم يتهم بالكذب، فيمكن الاستشهاد به؛ لاسيما وقد وثقه بعضهم"، ثم قال: "وبالجملة فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب". السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٠٠)، برقم: (٦٨٦)، وذكر الشيخ أبوإسحاق الحويني أن لهذا الحديث شاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه، سنده صحيح، لم يذكره كل من تكلم على الحديث ممن وقف عليهم. ينظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٤١٥).

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٩٩).

الراجح:

الذي يظهر - والله أعلم - أنه إذا أريد أن البعوضة أضعف مخلوقات الله التي ضرب بها المثل في القرآن فلا إشكال.

وإن أريد أن البعوضة مع صغر حجمها، وضعف بُنيتها، ومع ذلك يتأذى منها الإنسان والحيوان الأقوى منها، فهي الأضعف بالنسبة لمن نالهم منها الأذى، فهذا له وجه.

أما إن أريد أنها أضعف المخلوقات على العموم، فهذا القول مرجوح، بدلالة ما نشاهده من الكائنات والحشرات الأصغر والأضعف من البعوض، وما اكتشفه العلم الحديث من كائنات حية لا ترى بالعين المجردة، تفوق في الضعف والصغر البعوض.

قال الزمخشري (ت:٥٣٨هـ): "وفي خلق الله حيوان أصغر منها، ومن جناحها، ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد إلا تحركها، فإذا سكنت فالسكون يواريها، ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها، وتجنبت مضرتها، فسبحان من يدرك صورة تلك، وأعضاءها الظاهرة والباطنة، وتفاصيل خلقتها، ويبصر بصرها، ويطلع على ضميرها، ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر"(١).

---

(١) الكشاف (١/ ١٤٥).

۞الاستنباط الثاني: (سعة كرم الله وفضله).

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة في قوله: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾[البقرة: ٢٩]، قال: "سخر لكم ما في الأرض جميعاً؛ كرامة من الله، ونعمة لابن آدم؛ متاعاً وبُلغة ومنفعة إلى أجل"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره مختصراً (١/ ٤٢٧)، وابن أبي حاتم (١/ ٧٥)، وقال الشيخ حكمت بشير: "وأخرجه الطبري بإسناده الحسن عن قتادة". التفسير الصحيح (١/ ١٢٠).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر الله تعالى أنه خلق للناس ما في الأرض جميعاً؛ لأن الأرض وجميع ما فيها لبني آدم منافع[(٢)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أنه خلق جميع ما في الأرض للناس مضافاً إليهم باللام، واللام حرف الإضافة، وهي توجب اختصاص المضاف بالمضاف إليه، وسيقت الآية في معرض الامتنان، فدل مفهومها على أن تسخير ما في الأرض جميعاً للناس

---

(١) الدر المنثور (١/ ٢٣٠).

(٢) ينظر: جامع البيان (١/ ٤٢٦).

يدل على سعة جود الخالق وكرمه، وأنها نعمة لابن آدم، وبُلّغة إلى حين(١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

كَرَم اللهُ ﷻ الإنسان وميزه، وسخر له الأرض وما فيها، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[الجاثية: ١٣].

وقال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "يقول تعالى ذِكره: جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضّل به عليكم، فإياه فاحمدوا لا غيره، لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك، بل تفرّد بإنعامها عليكم وجميعها منه ومن نعمه، فلا تجعلوا له في شكركم له شريكاً، بل أفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهة، فإنه لا إله لكم سواه"(٢).

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾[الإسراء: ٧٠].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يُقادَرُ قَدْرُه، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرّمهم بالعلم والعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢١/ ٥٣٥).

(٢) جامع البيان (٢٢/ ٦٥).

بالنعم الظاهرة والباطنة"[١].

وقال أبوعثمان الحيري (ت:٢٩٨هـ)[٢]: "وهب لك الكل، وسخره لك؛ لتستدل به على سعة جوده، وتسكن إلى ما ضمن لك من جزيل عطائه في المعاد، ولا تستكثر كثير بِرّه على قليل عملك، فقد ابتدأك بعظيم النعم قبل العمل؛ وهو التوحيد"[٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٦٣).

(٢) سعيد بن إسماعيل الحيري، أبوعثمان شيخ الصوفية بنيسابور، وصفه الذهبي بالإمامة والقدوة، توفي سنة (٢٩٨هـ). ينظر: طبقات الصوفية (١٤٠)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٢).

(٣) تفسير السلمي (١/ ٥٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٥٢).

۞الاستنباط الثالث: (حكمة الله في شرعه).

أخرج عبد بن حميد، عن قتادة في قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾[البقرة: ١٧٩]، قال: "جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لأولي الألباب، وفيه عظة لأهل الجهل والسَّفهِ، كم من رجل قد همَّ بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها، ولكنَّ الله حجز عباده بها بعضهم عن بعض، وما أمر الله بأمر قط إلا وهو أمرُ صلاح في الدنيا والآخرة، وما نهى الله عن أمر إلا وهو أمر فساد، والله أعلم بالذي يصلح خلقه"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٣٨٢)، وقال الشيخ أبوإسحاق الحويني في سلسلة هذا السند في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٦).

معنى الآية إجمالاً:

بيَّن تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص، وهي حقن الدماء، وقمع الأشقياء؛ لأن من عرف أنه مقتول إذا قَتل لا يكاد يصدر منه القتل، ولما كان هذا الحكم لا يعرف حقيقته إلا أهل العقول الكاملة خصهم بالخطاب دون غيرهم، فإن من عرف ربه، وعرف ما في دينه وشرعه من الأسرار العظيمة، والحِكم البديعة، أوجب له ذلك أن ينقاد لأمر الله، ويعظم معاصيه فيتركها، فيستحق بذلك أن يكون من المتقين(٢).

---

(١) الدر المنثور (٢/ ١٥٩).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٨٥).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أن شرعية القصاص حياة لأصحاب العقول والأفهام، فدل مفهومها على أن امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه فيها الخير والفلاح؛ لأن الله تعالى لا يأمر بأمر ولا ينهى عن شيء إلا لحكمة عظيمة، وغاية حميدة، وصلاح لأمر الدنيا والآخرة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

كل ما أمر الله ﷻ به فهو خير ورحمة، وعدل ومصلحة، وكل ما نهى عنه فهو شر وفساد في الدنيا والآخرة[1].

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل: ٩٠].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل، أو إحسان، أو إيتاء ذي القربى، فهي مما أمر الله به، وكل مسألة مشتملة على فحشاء، أو منكر، أو بغي، فهي مما نهى الله عنه، وبها يعلم

---

(١) ينظر: شفاء العليل (٢٢١).

حسن ما أمر الله به، وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال، وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل من كلامه الهدى، والشفاء، والنور، والفرقان بين جميع الأشياء"[١].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فالشارع يحرم الشيء لما فيه من المفسدة الخالصة أو الراجحة"[٢].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فأوامر الرب تعالى رحمة وإحسان، وشفاء ودواء، وغذاء للقلوب، وزينة للظاهر والباطن، وحياة للقلب والبدن، وكم في ضمنه من مسرة وفرحة، ولذة وبهجة، ونعيم وقرة عين، فما يسميه هؤلاء تكاليف، إنما هو قرة العيون، وبهجة النفوس، وحياة القلوب، ونور العقول، وتكميل للفطر، وإحسان تام إلى النوع الإنساني، أعظم من إحسانه إليه بالصحة والعافية، والطعام والشراب واللباس، فنعمته على عباده بإرسال الرسل إليهم، وإنزال كتبه عليهم، وتعريفهم أمره ونهيه، وما يحبه وما يبغضه، أعظم النعم وأجلها، وأعلاها وأفضلها، بل لا نسبة لرحمتهم بالشمس والقمر، والغيث والنبات، إلى رحمتهم بالعلم والإيمان، والشرائع والحلال والحرام، فكيف يقال: أي حكمة في ذلك، وإنما هو مجرد مشقة ونصب بغير فائدة! فوالله أن من زعم ذلك وظنه في أحكم الحاكمين لأضل من الأنعام، وأسوأ حالاً من الحمير، ونعوذ بالله من الخذلان والجهل بالرحمن وأسمائه وصفاته، وهل قامت مصالح الوجود إلا بالأمر والنهي، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب! ولولا ذلك لكان الناس بمنزلة البهائم يتهارجون

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٣/ ٢٥).

في الطرقات، ويتسافدون تسافد[١] الحيوانات، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، ولا يمتنعون من قبيح، ولا يهتدون إلى صواب،...، فلا أحسن من أمره ونهيه، وتحليله وتحريمه، أمره قوت وغذاء وشفاء، ونهيه حمية وصيانة، فلم يأمر عباده بما أمرهم به حاجة منه إليهم، ولا عبثاً، بل رحمة وإحساناً ومصلحة، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلاً منه عليهم، بل حماية وصيانة عما يؤذيهم، ويعود عليهم بالضرر إن تناولوه"[٢].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "وفي اسْمَيْهِ: (الحكيم، العليم) أكبر مدعاة للعباد أن يطيعوه ويتبعوا تشريعه؛ لأن بحكمته يعلمون أنه لا يأمرهم إلا بما فيه الخير، ولا ينهاهم إلا عما فيه الشر، فلا يوقع لهم أمراً إلا في موقعه، ولا يضعه إلا في موضعه، وبإحاطة علمه يعلمون أنه ليس هنالك غلط في ذلك الفعل، ولا عاقبة تنكشف عن غير ما أراد، بل هو في غاية الإحاطة والإحكام، وإذا كان من يأمرك عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في غاية الإحكام، لا يأمرك إلا بما فيه الخير، ولا ينهاك إلا عما فيه الشر، فإنه يحق لك أن تطيع وتمتثل"[٣].

---

(١) السفاد: نزو الذكر على الأنثى. اللسان (٣/ ٢١٨).

(٢) شفاء العليل (٢٢٦).

(٣) العذيب النمير (١/ ٤٥٠).

الاستنباط الرابع: (فضل اتباع السنة).

أخرج ابن أبي حاتم، عن سفيان بن عيينة أنه سُئِل عن قوله: (المرء مع من أحب)[(١)]، فقال: "ألم تسمع قول الله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ٣١]، يقول: يُقَرِّبكم، والحب هو القرب، والله لا يحب الكافرين؛ لا يُقَرِّب الكافرين"[(٢)].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٣)، ونصه عنده: "يقربكم الحب؛ وهو القرب، قال: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[آل عمران: ١٤٠]؛ لا يقرب الظالمين"، وقال محققه: "إسناده حسن، وله شواهد صحيحة". تحقيق الجزء الأول من سورة آل عمران (٢٠٦).

معنى الآية إجمالاً:

هذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فلا يكفي في محبة الله مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، فمن اتبع الرسول ﷺ دلَّ على صدق دعواه لمحبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ومن لم يتبع الرسول ﷺ فليس محباً لله تعالى؛ لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فإذا لم يوجد ذلك دلَّ على عدمها، وأنه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله، برقم: (٥٨١٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب المرء مع من أحب، برقم: (٢٦٤٠).

(٢) الدر المنثور (٣/ ١٣٢).

كاذب إن ادعاها[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أن من اتبع الرسول ﷺ دلَّ على صدق دعواه لمحبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، والقرب من لوازم المحبة، فكلما كان الحب أعظم كان القرب أكثر، وأن قرب الله تعالى ومحبته لعبده تابع لتقرب العبد إليه بعمله الموافق للسنة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

القرب من لوازم المحبة، فكلما كان الحب أعظم كان القرب أكثر، وحظ العبد من القرب من الله على قدر حظه من اتباع السنة[٢].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٢٨).

(٢) ينظر: طريق الهجرتين (٤٥).

مساءته)[١].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "فأخبر سبحانه وتعالى أنه يقرب العبد بالفرائض، ولا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه الله، فيصير العبد محبوباً لله كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ٣١]"[٢].

وحديث عبدالله بن مسعود ﷺ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم، فقال رسول الله ﷺ: (المرء مع من أحب)[٣].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وصاحب هذه المتابعة لا يبقى مريداً إلا ما أحبه الله ورسوله، ولا كارهاً إلا لما كرهه الله ورسوله، وهذا هو الذي يحبه الحق"[٤].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "المرء مع من أحب، ولكل عمل جزاء، وجزاء المحبة المحبة، والوصول والاصطناع[٥] والقرب، فهذا هو الذي يصلح، وكفى

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرِّقاق، باب التواضع، برقم: (٦١٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٥١١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله، برقم: (٥٨١٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب المرء مع من أحب، برقم: (٢٦٤٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣٨).

(٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾[طه: ٤١]، أي: يصطفيه الله ويختاره ويربيه ليكون لنفسه حبيباً مختصاً، وإذا كان الحبيب إذا أراد اصطناع حبيبه من المخلوقين، وأراد أن يبلغ من الكمال المطلوب له ما يبلغ، يبذل غاية جهده، ويسعى نهاية ما يمكنه في إيصاله لذلك، فما ظنك بصنائع الرب القادر الكريم، وما تحسبه يفعل، بمن أراده لنفسه، واصطفاه من خلقه!. ينظر: تيسير

بذلك شرفاً وفخراً في عاجل الدنيا، فما ظنك بمقاماتهم العالية عند مليك مقتدر! فكيف إذا رأيتهم في موقف القيامة! وقد أسمعهم المنادي لينطلق كل قوم مع ما كانوا يعبدون، فيبقون في مكانهم، ينتظرون معبودهم وحبيبهم الذي هو أحب شيء إليهم، حتى يأتيهم فينظرون إليه، ويتجلى لهم ضاحكاً"(١).

تنبيه:

متابعة النبي ﷺ سبب لمحبة الله تعالى ومحبة نبيه ﷺ، وحظه المؤمن من الحب على قدر حظه من اتباع السنة، وكلما ازداد حباً ازداد قرباً، وهذا القرب هو من لوازم المحبة، وليس هو معنى المحبة، فقد أجمع سلف الامة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين على حقيقتها، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل(٢).

الكريم الرحمن (٥٠٦).

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٨٢).

(٢) ينظر: الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥٤٩)، مجموع الفتاوى (٢/ ٣٥٤)و (٣/ ٣).

۞الاستنباط الخامس: (دعاء مريم عليها السلام لذريتها).

أخرج عبد بن حميد، عن ابن عباس قال: "لو لا أنها قالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾[آل عمران: ٣٦]، إذن لم تكن لها ذرية"[1].

تخريجه:

لم أجد من ذكر هذا الأثر في ما وقفت عليه من كتب.

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن أم مريم أنها دعت لمريم عليهما السلام ولذريتها؛ وهو ولدها عيسى عليه السلام، أن يعيذها الله من الشيطان الرجيم، فاستجاب الله لها، فأعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم[2].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى أخبر عن دعاء أم مريم لها ولذريتها، ولم يكن لها ذرية حينها، فدل على أن سبب وجود الذرية هو الدعاء.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

هذا الاستنباط لم أجد من تطرق له من السلف والخلف، ووجود الذرية من عدمها علم غيبي، لا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي.

ويمكن أن يقال: إن الله عز وجل أعلم أم مريم أن ابنتها لها ذرية، قال البقاعي

---

(١) الدر المنثور (٣/ ٥٢١).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٢٩).

(ت:٨٥٥هـ): "وفي قوله: ﴿ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾؛ إشعار بما أوتيته من علم بأنها ذات ذرية، فكأنها نطقت عن غيب من أمر الله سبحانه وتعالى مما لا يعلمه إلا الله"[١].

الراجح:

عدم صحة هذا الاستنباط؛ لأن وجود الذرية وعدمها غيب، لا يُعرف إلا عن طريق الوحي.

---

(١) نظم الدرر (٢/ ٧٢).

۞الاستنباط السادس: (اصطفاء مريم بنت عمران عليها السلام).

أخرج عبدالرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢ ﴾ [آل عمران: ٤٢]، قال: "كان أبوهريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحْنَاه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده)[١]، قال أبوهريرة: "ولم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط". أخرجه الشيخان بدون ذكر الآية[٢].

تخريجه:

أخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ﴾، برقم: (٣٢٥١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل نساء قريش، برقم: (٢٥٢٧)، وعبدالرزاق في المصنف (١١/ ٣٠٣)، وابن جرير في تفسيره (٦/ ٣٩٦)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ١٩٧)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٧).

معنى الآية إجمالاً:

هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك، أن الله قد اصطفاها؛ أي: اختارها الله لكثرة عبادتها وزهدها، وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس، واصطفاها ثانياً مرة بعد مرة لجلالتها على نساء

---

(١) أحناه: من الحنو؛ وهو العطف والشفقة. أرعاه: من الإرعاء؛ وهو الإبقاء، بمعنى أحفظ لماله وأبقاه. ينظر: شرح السنة (١٤/ ١٧٦).

(٢) الدر المنثور (٣/ ٥٣٨).

العالمين[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآية والحديث.

وذلك أن الله تعالى أخبر عن مريم عليها السلام أنه اختارها وطهرها، وفضلها على نساء العالمين، وجاء عن النبي ﷺ أن خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، فأخذ من قوله: (ركبن الإبل)؛ إخراج مريم عليها السلام من ذلك؛ لأنها لم تركب بعيراً قط، فلا يكون فيه تفضيل نساء قريش عليها[٢].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يدل على أن لمريم عليها السلام فضلاً ومكانة، وأن الله تعالى قد اصطفاها على نساء العالمين.

قال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[التحريم: ١٢].

وفي السنة من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كَمَل من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٤٤).

(٢) ينظر: طرح التثريب في شرح التقريب (٧/ ١٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، برقم: (٣٥٥٨)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها، برقم: (٢٤٣١).

قال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "فكأنه أراد إخراج مريم من هذا التفضيل؛ لأنها لم تركب بعيراً قط، فلا يكون فيه تفضيل نساء قريش عليها، ولا يشك أن لمريم فضلاً، وأنها أفضل من جميع نساء قريش إن ثبت أنها نبية، أو من أكثرهنّ أن لم تكن نبية"(١).

وقد جعل ابن عطية (ت:٥٤٦هـ) لقول أبي هريرة ﷺ حكم الرفع؛ لأنه غيب، فقال: "وهذه الزيادة فيها غيب، فلا يتأوَّل أن أبا هريرة ﷺ قالها إلا عن سماع من النبي ﷺ"(٢).

وذكر ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) أنه لا حاجة لهذا الاستنباط في إخراج مريم عليها السلام من هذا العموم، وبيَّن سببين لذلك، فقال: "ويحتمل أن لا يحتاج في إخراج مريم من هذا التفضيل إلى الاستنباط من قوله: (ركبن الإبل)؛ لأن تفضيل الجملة لا يستلزم ثبوت كل فرد فرد منها، فإن قوله: (ركبن الإبل)؛ إشارة إلى العرب؛ لأنهم الذين يكثر منهم ركوب الإبل، وقد عُرِف أن العرب خير من غيرهم مطلقاً في الجملة، فيستفاد منه تفضيلهنّ مطلقاً على نساء غيرهنّ مطلقاً، ويمكن أن يقال أيضاً: أن الظاهر أن الحديث سيق في معرض الترغيب في نكاح القرشيات، فليس فيه التعرض لمريم ولا لغيرها ممن انقضى زمنهنَّ"(٣).

وقد اختلف العلماء في تفضيل مريم بنت عمران عليها السلام هل هي أفضل نساء الأرض عامة؟ أو: أفضل نساء زمانها؟.

---

(١) فتح الباري (٩/ ١٢٥).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٤٣٣).

(٣) فتح الباري (٩/ ١٢٥).

فذهب طائفة من العلماء إلى أن مريم بنت عمران عليها السلام أفضل نساء العالم قاطبة، وممن ذهب إلى هذا القول القرطبي، وابن عطية، وغيرهم.

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "فظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أن مريم أفضل من جميع نساء العالم من حواء إلى آخر امرأة تقوم عليها الساعة، فإن الملائكة قد بلغتها الوحي عن الله ﷻ بالتكليف والإخبار والبشارة، كما بلغت سائر الأنبياء فهي إذاً نبية، والنبي أفضل من الولي، فهي أفضل من كل النساء الأولين والأخرين مطلقاً"(١).

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "وإذا تأملت هذه الأحاديث [يقصد الأحاديث التي فيها تفضيل مريم بنت عمران عليها السلام] وغيرها مما هو في معناها، وجدت مريم فيها متقدمة، فسائغ أن يتأوَّل عموم الاصطفاء على العالمين عموماً أيضاً، وقد قال بعض الناس: إن مريم نبية"(٢).

وذهب طائفة من العلماء إلى أن مريم بنت عمران عليها السلام أفضل نساء زمانها، وممن ذهب إلى هذا القول السدي، وابن جريج، والطبري، وغيرهم.

قال السدي (ت:١٢٧هـ): "على نساء ذلك الزمان الذي هم فيه"(٣).

وقال ابن جريح (ت:١٥٠هـ): "ذلك للعالمين يومئذ"(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٨٣).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٤٣٤).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٧). وقال محققه: "إسناده ضعيف". (٢٦٠).

(٤) جامع البيان (٦/ ٤٠٠)، وإسناده صحيح. ينظر: أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير (٢١٩).

وقال ابن جرير (ت:٣١٠): "يعني اختارك على نساء العالمين في زمانك بطاعتك إياه، ففضَّلك عليهم"[١].

الراجح:

أن تفضيل مريم بنت عمران عليها السلام على سائر نساء زمانها، وأن نساء قريش خير نساء العرب في الجملة، وتفضيل الجملة لا يلزم طرده في كل الأفراد.

وجاء ما يدل على فضل مريم عليها السلام على عموم النساء، في حديث النبي ﷺ: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم ابنة عمران)[٢].

فهذا يحتمل التساوي أو تفضيل مريم بنت عمران عليها السلام.

والصواب الذي عليه عامة المسلمين، وحكي الإجماع عليه، أن مريم ابنة عمران، وأسية امرأة فرعون ليستا بنبيتين[٣].

---

(١) جامع البيان (٦/ ٣٩٣).

(٢) أخرجه النسائي، كتاب الخصائص، باب ذكر الأخبار المأثورة أن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ سيدة نساء أهل الجنة، برقم: (٨٥١٤)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". المستدرك (٣/ ١٦٨)، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر: "إسناده حسن". فتح الباري (٦/ ٤٤٧).

(٣) ينظر: الأذكار(٩٥)، مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٦)، فتح الباري (٦/ ٤٧١).

۞الاستنباط السابع: (مباهلة أهل الباطل).

أخرج عبد بن حميد، عن قيس بن سعد[1] قال: "كان بين ابن عباس وبين آخر شيءٌ، فقرأ هذه الآية: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾، فرفع يديه واستقبل الرُّكن: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[آل عمران: ٦١]"[2].

تخريجه:

لم أجد من ذكره بهذا اللفظ في ما وقفت عليه من كتب، ووجدت عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أنه كان يجعل الجد أباً ويقول: والله لمن شاء لاعناه عند الحجر، ما ذكر الله جداً ولا جدة، قال الله: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾[يوسف: ٣٨]". أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٥)، وقال الشيخ حكمت بشير: "سنده حسن". تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٣).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى أن من جادل في عيسى عليه السلام، وزعم أنه فوق منزلة العبودية، من بعد ما جاءه من العلم بأنه عبدالله ورسوله، فلم يبق في مجادلته فائدة؛ لأن الحق قد تبيّن له، فأمر الله نبيه أن ينتقل إلى مباهلته وملاعنته، فيدعون الله ويبتهلون إليه أن يجعل لعنته وعقوبته على الكاذب من الفريقين، هو وأحب الناس إليه من الأولاد

---

(١) قيس بن سعد المكي الحبشي، أبوعبدالله، ثقة، توفي سنة (١١٧هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ٩٩)، تقريب التهذيب (٤٥٧).

(٢) الدر المنثور (٣/ ٦١٢).

والأبناء والنساء، فدعاهم النبي ﷺ إلى ذلك فتولوا وأعرضوا ونكلوا، وعلموا أنهم إن لاعنوه رجعوا إلى أهليهم وأولادهم فلم يجدوا أهلاً ولا مالاً، وعوجلوا بالعقوبة، فرضوا بدينهم مع جزمهم ببطلانه، وهذا غاية الفساد والعناد[(١)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أمر نبيه محمد ﷺ مباهلة نصارى نجران الذين رفعوا عيسى عليه السلام فوق منزلة العبودية بعد بيان الحق لهم، واستمرارهم على الباطل، فدل مفهومها على أن كل من عرف الحق وأنكره، وأصر على استمراره في باطله، أنه لا فائدة من في مجادلته، بل يدعى إلى المباهلة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

المباهلة هي الملاعنة، والمقصود منها أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا[(٢)].

قال أبوحيان (ت:٧٤٥هـ): "وفي الآية دليل على المظاهرة بطريق الإعجاز على من يدعي الباطل بعد وضوح البرهان بطريق القياس"[(٣)].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وأما آية المباهلة فليست من الخصائص"[(٤)].

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٣٣).

(٢) ينظر: النهاية (١/ ١٦٧).

(٣) البحر المحيط (٢/ ٥٠٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٤١٩).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) في فوائد قصة نصارى نجران: "السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك، ودعا إليه ابن عمه عبدالله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع، ولم ينكر عليه الصحابة، ودعا إليه الأوزاعي سفيان الثوري في مسألة رفع اليدين ولم ينكر عليه ذلك، وهذا من تمام الحجة"(١).

وذكر ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) من فوائد الآية: "مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة"(٢).

وقال محمد بن عبدالوهاب (ت:١٢٠٦هـ): "وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع: إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله ﷺ، وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند دعوته إلى المباهلة"(٣).

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٤٣).

(٢) فتح الباري (٨/ ٩٥).

(٣) الرسائل الشخصية (٢٦٦).

۞**الاستنباط الثامن: (هل للكبائر عدد محدود؟).**

أخرج عبد بن حميد، عن ابن مسعود أنه سُئل عن الكبائر؟ فقال: "افتتحوا سورة النساء فكل شيء نهى الله عنه حتى تأتوا ثلاثين آية؛ فهو كبيرة، ثم قرأ مصداق ذلك: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾[النساء: ٣١] الآية"[1].

تخريجه:

أخرجه البزار في مسنده (٤/ ٣٣٧)، وابن جرير في تفسيره (٨/ ٢٤٣)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وجب إخراجه على ما شرطت في تفسير الصحابة". المستدرك (١/ ١٢٧)، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: "رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد (٧/ ٤)، ونُقِل عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه عند ابن المنذر في تفسيره (٢/ ٦٧٠).

معنى الآية إجمالاً:

هذا من فضل الله وإحسانه على عباده المؤمنين، وعَدهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات، أن يغفر لهم جميع الذنوب والسيئات، ويدخلهم مدخلاً كريماً كثير الخير؛ وهو الجنة المشتملة على ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ويدخل في اجتناب الكبائر فعل الفرائض التي يكون تاركُها مرتكباً كبيرة، كالصلوات الخمس والجمعة، وصوم رمضان[2].

---

(١) الدر المنثور (٤/ ٣٧١).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٧٦).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيات.

وذلك أن الله تعالى نهى عن جملة من الذنوب في هذه الآيات المنصوص عليها، ثم وعد سبحانه أن من اجتنب الكبائر غفر له ذنوبه، وأدخله الجنة، فأخذ بدلالة الاقتران أن جميع ما نهى الله عنه في أول السورة داخل في الكبائر؛ لأن الله تعالى عَقَب بعد ذكره جملة من المنهيات بهذه الآية مباشرة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

اختلف السلف في حدّ الكبيرة، وأَمْثلُها أن الكبيرة هي كلما رتب عليه حدّ في الدنيا، أو وعيد في الآخرة[(١)].

وجاء في الكتاب والسنة ما يدل على هذا المعنى، وذلك أنه قد جاء في هذا الآيات النهي عن جملة من الذنوب، وهذه الذنوب جاء في الكتاب والسنة عدُّ بعضها من كبائر الذنوب، وبعضها رتب عليه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة.

قال أبوطالب المكي (ت:٢٨٦هـ): "وقد قال ابن مسعود فيها قولاً حسناً من طريق الاستنباط، وقد سئل عن الكبائر فقال: "اقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عند قوله: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾[النساء: ٣١]، فكل ما نهى الله تعالى عنه من أول السورة إلى ها هنا فهو من الكبائر"[(٢)]

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٥٣٨)، المحرر الوجيز (٥/ ٢٠٤)، مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٠).

(٢) قوت القلوب (٢/ ٢٤٩).

ومن تلك المنهيات في سورة النساء: النهي عن أكل أموال الناس بالباطل على العموم، وخص بالذكر أكل أموال اليتامى، ومهر الزوجة ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[البقرة: ١٨٨]، وفي السنة من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله: وما هنّ، قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)[1].

ومنها: النهي عن ظلم الأيتام، والزوجة وعضلها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[إبراهيم: ٤٢]، وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل)[2].

ومنها: النهي عن الزنا، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الإسراء: ٣٢]، وقوله سبحانه: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المحاربين، باب رمي المحصنات، برقم: (٦٤٦٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر، برقم: (٨٩).

(٢) أخرجه أبوداود واللفظ له، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء، برقم: (٢١٣٣)، والترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر، برقم: (١١٤١)، والنسائي، كتاب عشرة النساء، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه، برقم: (٨٨٩٠)، وابن ماجة، كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء، برقم: (١٩٦٩). قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". المستدرك (٢/ ٢٠٣)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٢/ ١٥٦)، برقم: (١٦١٦).

مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[النور: ٢]، وفي السنة من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قلت يا رسول الله: أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك من أجل أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك)(١).

ومنها: النهي عن قتل النفس المعصومة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[النساء: ٩٣]، وفي السنة من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)(٢).

ومن خلال هذه الأمثلة من المنهيات التي جاءت في هذه الآيات المنصوص عليها يتبيّن صحة هذا الاستنباط، وأن الكبائر ليست محصورة في هذه الآيات، بل ذكر في سور أُخر بعض الكبائر التي لم تذكر هنا، وكذلك جاء في السنة الإشارة إلى بعض عَظَائم الذنوب التي لم ترد في هذه الآيات المنصوص عليها.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المحاربين، باب إثم الزناة، برقم: (٦٤٢٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، برقم: (٨٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم برقم: (٥٤٤٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، برقم: (١٠٩).

۞الاستنباط التاسع: (إذا تم الشيء فقد بدأ بالنقصان).

أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده، وعبد بن حميد، عن أبي العالية قال: "كانوا عند عمر فذكروا هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة: ٣]، فقال رجل من أهل الكتاب: لو علمنا أيَّ يوم نزلت هذه الآية؛ لاتخذناه عيداً، فقال عمر: الحمد لله الذي جعله لنا عيداً واليوم الثاني، نزلت يوم عرفة، واليوم الثاني يوم النحر، فأكمل لنا الأمر، فعلمنا أن الأمر بعد ذلك في انتقاص"[(١)].

تخريجه:

أخرجه إسحاق بن راهويه ذكره ابن حجر في المطالب العالية (١٤/ ٦١٩)، وعبد بن حميد في مسنده (٤٠)، وأصل هذا الحديث في الصحيحين بدون اللفظ الأخير.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٨٨)، وابن جرير في تفسيره (٩/ ٥١٩) من رواية عنترة بن عبدالرحمن الشيباني قال: "لما نزلت: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة: ٣]، وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر، فقال له النبي ﷺ: (ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل فانه لم يكمل شيء قط إلا نقص، فقال: صدقت)، قال الشيخ حكمت بشير: "سنده ضعيف؛ لضعف سفيان [يقصد ابن وكيع]". تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣١٥).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر الله تعالى أنه أكمل الدين لهذه الأمة المحمدية؛ وذلك بتمام النصر،

---

(١) الدر المنثور (٥/ ١٨٣).

وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية في أحكام الدين، وأصوله وفروعه[(١)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه أكمل الدين لهذه الأمة، فدل مفهوم المخالفة على أنه سيلحقه النقص والإخلال؛ لأنه ليس بعد الكمال إلا النقص.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

إذا تأمل المسلم في المراحل التي يمر بها في حياته، ومنازل القمر التي يسيرها في الشهر، يدرك أن من سنن الله الكونية: أن بعد القوة ضعفاً، وبعد الكمال نقصاً.

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم: ٥٤].

قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "ينبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالاً بعد حال،...، يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً، واهن القوى، ثم يشب قليلاً قليلاً، حتى يكون صغيراً، ثم حدثاً، ثم مراهقاً، ثم شاباً؛ وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص، فيكتهل، ثم يشيخ، ثم يهرم؛ وهو الضعف بعد القوة"[(٢)].

وفي السنة من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (بدأ الإسلام

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٢٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠٥).

غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء)[١].

قال القاضي عياض (ت:٥٤٤هـ): "وظاهر الحديث العموم، وأن الاسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة، ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والإخلال، حتى لا يبقى الا في آحاد وقلة أيضاً كما بدأ)[٢].

وقال الشاطبي (ت:٧٩٠هـ) تعليقاً على قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "والأخبار هنا كثيرة؛ وهى تدل على نقص الدين والدنيا، وأعظم ذلك العلم، فهو إذاً في نقص بلا شك، فلذلك صارت كتب المتقدمين وكلامهم وسيرهم أنفع لمن أراد الأخذ بالاحتياط في العلم، على أي نوع كان، وخصوصاً علم الشريعة"[٣].

قال أبوالبقاء الرندي[٤]:

لـكل شـيءٍ إذا مـا تـم نـقـصانُ ... فـلا يُغرُّ بطيـب العيـش إنـسـانُ[٥]

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً، برقم: (١٤٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٧٧).

(٣) الموافقات (١/ ١٥٣).

(٤) صالح بن شريف الرندي الاندلسي، أبوالبقاء أو أبوالطيب، الأديب الشهير، خاتمة أدباء الأندلس، من أبناء رندة من جزيرة الأندلس، توفي سنة (٦٨٤هـ). ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٧٥)، نفح الطيب (٤/ ٤٨٧).

(٥) نفح الطيب (٤/ ٤٨٧).

الاستنباط العاشر: (مشروعية النظر في آيات الله).

أخرج أبوالشيخ، عن محمد مسعر[1] قال: "فرضاً على الناس إذا أُخرجت الثمار أن يخرجوا وينظُروا إليها، قال الله: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾[الأنعام: ٩٩]"[2].

تخريجه:

ذكره ابن أبي عاصم في كتاب الجهاد (٢/ ٥٤٣)، ونسب ابن القيم هذا القول لبعض السلف. ينظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٦)، ولم أقف على سنده.

معنى الآية إجمالاً:

هذا من أعظم منن الله تعالى العظيمة على عباده؛ وهو أنه أنزل من السماء ماء متتابعاً وقت حاجة الناس إليه، فأنبت الله به كل شيء، مما يأكل الناس والأنعام، ولما ذكر عموم ما ينبت بالماء من أنواع الأشجار، والنبات، ذكر الزرع والنخل؛ لكثرة نفعهما، وكونهما قوتاً لأكثر الناس، والكل ينتفع به العباد، ويتفكهون ويقتاتون ويعتبرون، ولهذا أمر تعالى بالنظر إلى ثمره وقت إطلاعه، ووقت نضجه وإيناعه، فإن في ذلك عبراً وآيات يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه وجوده[3].

(١) محمد بن مسعر التميمي، أبوسفيان البصري، سمع داود العطار، وابن عيينة، وابن عياض، حدث ببغداد، وكان من خيار عباد الله، ولم أقف على تاريخ وفاته. ينظر: تاريخ بغداد (٣/ ٢٩٩)، وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٩٤).

(٢) الدر المنثور (٦/ ١٥٩).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٦٧).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة ظاهر صيغة الأمر.

وذلك أن الله سبحانه أمر بالنظر إلى الثمر وقت خروجه وإثماره ووقت نضجه، فأخذ بدلالة الأمر على أن النظر في هذه الآيات واجب؛ لأن صيغة الأمر تقتضي الوجوب إلا لدليل يصرفها عن الوجوب[(١)].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أمر الله تعالى في كتابه الكريم في مواضع متعددة بالتفكر والنظر في آياته الشرعية والكونية، والاستدلال بها على وحدانيته وربوبيته.

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فأمر سبحانه بالنظر إليه وقت خروجه وإثماره ووقت نضجه وإدراكه،...؛ لأن في خروجه من بين الحطب والورق آية باهرة، وقدرة بالغة، ثم في خروجه من حدّ العفوصة[(٢)] واليبوسة، والمرارة والحموضة، إلى ذلك اللون المشرق الناصع، والطعم الحلو اللذيذ الشهي، لآيات لقوم يؤمنون، وقال بعض السلف: حق على الناس أن يخرجوا وقت إدراك الثمار وينعها فينظروا إليها، ثم تلا: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾[الأنعام: ٩٩]، ولو أردنا نستوعب ما في آيات الله المشهورة من العجائب والدلالات الشاهدة لله بأن الله الذي لا إله إلا هو، الذي ليس كمثله شيء، وأنه الذي لا أعظم منه، ولا أكمل منه، ولا أبرّ

(١) ينظر: المعتمد (١/ ٥٠)، قواطع الأدلة في الأصول (١/ ٥٥).

(٢) طعام عَفِص: فيه مرارة وتقبض، بشعاً يعسر ابتلاعه. ينظر: جمهرة اللغة (٢/ ٨٨٥)، اللسان (٧/ ٥٥).

ولا ألطف، لعجزنا نحن والأولون والأخرون عن معرفة أدنى عشر معشار ذلك، ولكن مالا يدرك جميعه، لا ينبغي ترك التنبيه على بعض ما يستدل به على ذلك"(١).

وقال أبوحيان (ت:٧٤٥هـ): "النظر نظر رؤية العين، ولذلك عداه بإلى، لكن يترتب عليه الفكر والاعتبار والاستبصار، والاستدلال على قدرة باهرة، تنقله من حال إلى حال، ونبه على حالين: الابتداء؛ وهو وقت ابتداء الإثمار، والانتهاء؛ وهو وقت نضجه؛ أي: كيف يخرجه ضئيلاً ضعيفاً لا يكاد ينتفع به، وكيف يعود نضيجاً مشتملاً على منافع؟ ونبه على هاتين الحالتين، وإن كان بينهما أحوال يقع بها الاعتبار والاستبصار؛ لأنهما أغرب في الوقوع، وأظهر في الاستدلال"(٢).

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "اعلم أن النظر في هذه الآيات واجب، لما تقرر في الأصول: أن صيغة الأمر تقتضي الوجوب إلا لدليل يصرفها عن الوجوب.

والله جل وعلا أمر الإنسان أن ينظر إلى طعامه الذي به حياته، ويفكر في الماء الذي هو سبب إنبات حبه من أنزلها؟ ثم بعد إنزال الماء وري الأرض من يقدر على شق الأرض عن النبات وإخراجه منها؟ ثم من يقدر على إخراج الحب من ذلك النبات؟ ثم من يقدر على تنميته حتى يصير صالحاً للأكل؟ ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ ﴾[الأنعام: ٩٩]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٦).

(٢) البحر المحيط (٤/ ١٩٥).

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾[عبس: ٢٤ – ٣٢].

وكذلك يجب على الإنسان النظر في الشيء الذي خلق منه، لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾[الطارق: ٥]، وظاهر القرآن: أن النظر في ذلك واجب، ولا دليل يصرف عن ذلك"[١].

(١) أضواء البيان (٢/ ٣٣٨).

الاستنباط الحادي عشر: (إقامة الحجة).

أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن مسعود قال: "ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم، ثم قرأ: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ ﴾[الأعراف: ٥]"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٣٨)، وسنده ضعيف؛ لأن عبدالملك بن ميسرة الزرّاد لم يسمع من ابن مسعود رضي الله عنه.

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم، قال: قلت لعبدالله: كيف يكون ذلك؟ قال: فقرأ هذه الآية: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ ﴾[الأعراف: ٥]). جامع البيان (١٢/ ٣٠٤)، قال الشيخ أحمد شاكر: "إسناده منقطع"، وقال الشيخ حكمت بشير: "وسنده ضعيف؛ لأن عبدالملك بن ميسرة لم يسمع من ابن مسعود". تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦). ولكن هذا الأثر له شاهد صحيح مرفوع عند أبي داود سيأتي الاستشهاد به.

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذكره فلم يكن دعوى أهل القرية التي أهلكناها إذ جاءهم بأسنا، وسطوتنا بياتاً، أو هم قائلون، إلا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا إلى أنفسهم

---

(١) الدر المنثور (٦/ ٣١٣).

مسيئين، وبربهم كافرين، ولأمره ونهيه مخالفين[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإيماء والتنبيه.

وذلك أن الله سبحانه أخبر في كتابه أنه عند نزول عذابه على الظالمين، يعترفون بمعصيتهم لربهم، وأنهم كانوا لأنفسهم ظالمين، فأخذ بدلالة الإيماء على أن عدم إنكارهم ما كانوا يفعلونه من الظلم والمعاصي، أنهم حقيقون بما جاءهم من العذاب، وأنه قد قامت عليهم الحجة فلا عذر لهم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أرسل الله ﷻ الرسل، وأنزل الكتب هداية للخلق، وإقامة للحجة، لكي لا يبقى لأحد منهم بعد ذلك عذر.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء: ١١– ١٥].

وجاء في السنة عن أبي البختري قال: أخبرني من سمع النبي ﷺ أنه يقول: (لن يهلك الناس حتى يَعذِرُوا أو يُعذِرُوا من أنفسهم)[٢].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٢/ ٣٠٣).

(٢) أخرجه أبوداود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم: (٤٣٤٧)، وصححه الألباني في صحيح

قال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ من قوله: (ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم)"[(١)].

وقال ابن الجزري (ت:٦٠٦هـ): "يعني أنهم لا يهلكون حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم، فيستوجبون العقوبة، ويكون لمن يعذبهم عذر، كأنهم قاموا بعذره في ذلك"[(٢)].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وهو سبحانه وتعالى قد حكم أنه لا يأخذ الظالمين إلا بعد إقامة الحجة عليهم، والتقدم بالوعد والوعيد"[(٣)].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "أي: فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم، وأنهم حقيقون بهذا"[(٤)].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "فلم يبق للخلق على الله حجة؛ لإرساله الرسل تترى، يبينون لهم أمر دينهم، ومراضي ربهم ومساخطه، وطرق الجنة وطرق النار، فمن كفر منهم بعد ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه، وهذا من كمال عزته تعالى وحكمته، أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب"[(٥)].

سنن أبي داود (٣/ ٣٨)، برقم: (٤٣٤٧).

(١) جامع البيان (١٢/ ٣٠٤).

(٢) النهاية (٣/ ١٩٧).

(٣) روضة المحبين (١٩١).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٢١٥).

الاستنباط الثاني عشر: (سنة اليهود في السجود).

أخرج ابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن ابن عباس قال: "إني لأعلمُ لِمَ تسجد اليهود على حرف[(١)]، قال الله: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ ﴾[الأعراف: ١٧١]، قال: لتأخذنَّ أمري أو لأرْمِينَّكم به، فسجدوا وهم ينظرون إليه؛ مخافة أن يسقط عليهم، فكانت سجدة رضيها الله تعالى، فاتَّخَذُوها سُنَّة"[(٢)].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره بدون ذكر الآية (١٣/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦١١)، وأخرج الحاكم عن عبدالله بن مسعود ﷺ قريباً من هذا الأثر، وفيه: "فلما أبوا أن يسجدوا، قال: أمر الله الجبل أن يقع عليهم، فنظروا إليه قد غشيهم، فسقطوا سجداً على شق، ونظروا بالشق الآخر، فرحمهم الله فكشفه عنهم، فقالوا: ما سجدة أحب إلى الله تعالى من سجدة كشف بها العذاب عنكم، فهم يسجدون لذلك على شق، فذلك قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾". المستدرك (٢/ ٣٥٢)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. وهذا الأثر مأخوذ من الإسرائيليات.

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن اليهود حين امتنعوا عن قبول ما في التوراة، فألزمهم الله العمل

---

(١) بمعنى سجوده على حاجبه الأيسر دون الأيمن؛ أي: على جهة واحدة من الوجه. ينظر: جامع البيان (١٣/ ٢١٩).

(٢) الدر المنثور (٦/ ٦٤٦).

بها، ونتق فوق رؤوسهم الجبل، فصار فوقهم كأنه ظلة، وظنوا أنه واقع بهم، وقيل لهم: خذوا ما آتيناكم بجد واجتهاد، واذكروا ما فيه دراسة ومباحثة، واتصافاً بالعمل، لعلكم تتقون إذا فعلتم ذلك[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن اليهود لما سجدوا مالوا في سجودهم ينظرون إلى الجبل خائفين منه، فدل مفهومها على أن استمرار ميل اليهود في سجودهم سببه هذه السجدة؛ لأن الله رضيها منهم فرفع عنهم العذاب، فصارت سنة لهم إلى يومنا هذا.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

اليهود من أخبث الناس، فمن أخلاقهم الكفر والكتمان، والتحريف والحسد، والتحيل على المحارم، وتلبيس الحق بالباطل[٢].

قال الحسن البصري (ت:١١٠هـ): "لما نظروا إلى الجبل خرّ كل رجل ساجداً على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل فَرقاً من أن يسقط عليه، فلذلك ليس في الأرض يهودي يسجد إلا على حاجبه الأيسر، يقولون: هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة"[٣].

قال السدي (ت:١٢٧هـ): "فلما أبوا أن يسجدوا، أمر الله أن يقع عليهم،

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٠٨).

(٢) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٦٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٢١٩).

فنظروا إليه وقد غشيهم، فسقطوا سجداً، فسجدوا على شق، ونظروا بالشق الآخر، فرحمهم الله وكشفه عنهم، فقالوا: ما سجدة أحبّ إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم؛ فهم يسجدون كذلك"(١).

وقال البقاعي (ت:٨٥٥هـ): "وهي سنة في سجودهم إلى الآن"(٢).

وقال ابن عادل (ت:٨٨٠هـ): "فصارت سنة اليهود إلى اليوم"(٣).

وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): "ففي تلك الساعة هرعوا إلى السجود؛ وسجدوا؛ ولكنهم مالوا في سجودهم ينظرون إلى الجبل خائفين منه؛ ولهذا يقال: إن سجود اليهود إلى الآن سجود مائل كأنما ينظرون إلى شيء فوقهم؛ وقالوا: إن هذا السجود سجدناه لله سبحانه وتعالى لإزالة الشدة؛ فلا نزال نسجد به؛ فهذا سجودهم إلى اليوم"(٤).

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٢١٩)، وابن أبي حاتم (١/ ١٣٠)، وقال الشيخ أبوإسحاق الحويني: "وسنده حسن". تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٣١).

(٢) نظم الدرر (٣/ ١٤).

(٣) اللباب في علوم القرآن (٩/ ٣٧٧).

(٤) تفسير ابن عثيمين (١/ ٢٢٦).

۞الاستنباط الثالث عشر: (البشارة بالمكروه تهكماً).

أخرج ابن أبي حاتم، عن محمد بن مسعر قال: "سُئِل سفيان بن عينية عن البشارة: أتكون في المكروه؟ قال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ ﴾[التوبة: ٣]"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٤٩)، في إسناده عبدالله بن أحمد الدَّشتكِيُّ، قال عنه الذهبي: "حدث عنه علي بن محمد بن مهرويه القزويني فذكر خبراً موضوعاً". الميزان (٤/ ٥٩)، وهذا القول له احتمالان: الأول: يحتمل أن يكون من وضعه، والثاني: يحتمل أن يكون من وضعِ غيره حدث به عنه[٢]، ولم أقف له على ترجمة غير قول الذهبي السابق، وعطاء بن غزوان لم أقف له على ترجمة.

معنى الآية إجمالاً:

يأمر الله تعالى ذكره نبيه محمد ﷺ أن يخبر الذين جحدوا نبوته وخالفوا أمر ربهم، بعذاب مؤلم، في الدنيا بالخزي والنكال، وفي الآخرة بالمقامع والأغلال[٣].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى بشر الكافرين بعذاب أليم، فدل مفهومها على أن البشارة

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٢٤٢).

(٢) ينظر: الكشف الحثيث (١٤٨).

(٣) ينظر: جامع البيان (١٤/ ١٣١)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٤٥).

تدخل في المكروه؛ لأن العذاب شر، وبشر الله به الكافرين على طريقة التهكم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

البشارة في الأصل الخبر المغير للبشرة خيراً كان أو شراً، إلا أنه كثُر فيما يَسُرُّ، فصار الإطلاق أخص به منه بالشر، واستعمالها في الشر تهكم[(١)].

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾[النساء: ١٣٨].

قال الماوردي (ت:٤٥٠هـ): "والأغلب في البشارة إطلاقها على الإخبار بالخير، وقد تستعمل في الإخبار بالشر كما استعملت في هذا الموضع[(٢)]، وفي تسميتها بذلك وجهان: أحدهما: لأنها تغير بشرة الوجه بالسرور في الخير وبالغمِّ في الشر، والثاني: لأنها خبر يستقبل به البشرة"[(٣)]. قال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "وجاءت البشارة هنا مصرحاً بقيدها؛ فلذلك حسن استعمالها في المكروه، ومتى جاءت مطلقة فإنما عُرفُها في المحبوب"[(٤)].

وقال الكيا هراسي (ت:٥٠٤هـ): "ولا تطلق البشارة في الشر إلا مجازاً، وقيل: هو عام فيما سرّ وغمّ؛ لأن أصله فيما يظهر أولاً في بشرة الوجه من سرور أو غمّ، إلا أنه كثر فيما يَسُرُّ فصار الإطلاق أخص به منه بالشر"[(٥)].

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٦).

(٢) يقصد: قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾[آل عمران: ٢١].

(٣) النكت والعيون (١/ ٣٨٢).

(٤) المحرر الوجيز (٢/ ١٢٥).

(٥) أحكام القرآن للكيا هراسي (١/ ٨).

وقال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ): "كانوا يعتقدون أنهم يحسنون، وبحسب ذلك كان نظرهم للبشرى، فقيل لهم: بشارتكم على مقتضى اعتقادكم عذاب أليم، فخرج اللفظ على ما كانوا يعتقدون أنهم محسنون" [١].

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "والأغلب استعمال البشارة في الخير، وقد تستعمل في الشر مقيدة به منصوصاً على الشر المبشر به،...، ومتى أطلق لفظ البشارة فإنما يحمل على الخير"[٢].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "إذا أطلقت كانت للسرور، وإذا قيدت كانت بحسب ما تقيد به" [٣].

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "والبشارة أصلها الإخبار بما فيه مَسرّة، وقد استعيرت هنا للإنذار؛ وهو الإخبار بما يسوء على طريقة التهكم"[٤].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٦).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ١٠٨).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٦٠).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١١١).

۞الاستنباط الرابع عشر: (الصفقة الرابحة).

أخرج ابن أبي شيبة، عن الحسن: أنه كان إذا قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾[التوبة: ١١١]، قال: "أنفسٌ هو خلَقها، وأموالٌ هو رزَقها"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٢٩)، ورجال السند ثقات[٢].

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى خبراً صدقاً، ويعد وعداً حقاً بمبايعة عظيمة، ومعاوضة جسيمة، وهي أنه اشترى بنفسه الكريمة من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، فهي المثمن، والسلعة المبيعة، بأن لهم الجنة التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من أنواع اللذات، وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه،

(١) الدر المنثور (٧/ ٥٤١).

(٢) رجال الإسناد:

١- الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار الأنصاري، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، توفي سنة (١١٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٣/ ٤٠)، تقريب التهذيب (١٦٠).

٢- إسماعيل بن أبي خالد البجلي، ثقة ثبت، توفي سنة (١٤٦هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ١٧٤)، تقريب التهذيب (١٠٧).

٣- فضيل بن غزوان بن جرير الضبي، أبوالفضل الكوفي، ثقة، توفي بعد سنة (١٤٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ٧٤)، تقريب التهذيب (٤٤٨).

٤- محمد بن فضيل بن غزوان الضبي، أبوعبدالرحمن الكوفي، صدوق ثقة، رمي بالتشيع، توفي سنة (١٩٥هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٥٧)، تقريب التهذيب (٥٠٢).

لإعلاء كلمته، وإظهار دينه[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله ﷻ سمى بذل النفس والمال للجهاد في سبيله شراء، وأعطاهم ثمناً الجنة، مع أنه مالك الأنفس والأموال قبل أن يجاهدوا وبعده، فأخذ بالإشارة أن هذا الشراء فضل منه سبحانه، وكرماً وإحساناً إلى عباده؛ لأنه هو الذي وهبهم الأنفس والأموال، ثم اشتراها بهذا الثمن الغالي.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

بذل النفس والمال في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، ومن أحب الأعمال إلى الله، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ ﴾[طه: ٦].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "فالجميع ملك لله تعالى، عبيد مدبرون مسخرون، تحت قضائه وتدبيره ليس لهم من الملك شيء، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً "[٢].

وقال جل جلاله: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ ﴾[الحديد: ٧].

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٥٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٠٢).

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "دليل على أن أصل الملك لله سبحانه، وأن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله، فيثيبه على ذلك بالجنة، فمن أنفق منها في حقوق الله، وهان عليه الإنفاق منها، كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه، كان له الثواب الجزيل، والأجر العظيم"(١).

وقال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ): "أطلق الشراء فيه على طريق المجاز؛ لأن المشتري في الحقيقة هو الذي يشتري مالا يملك، والله تعالى مالك أنفسنا وأموالنا، ولكنه كقوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾[البقرة: ٢٤٥]، فسماه شراء كما سمى الصدقة قرضاً لضمان الثواب فيهما به، فأجرى لفظه مجرى ما لا يملكه العامل فيه استدعاء إليه، وترغيبا فيه"(٢).

وقال السمرقندي (ت:٣٦٧هـ): "الأموال والأنفس كلها لله تعالى، وهي عند أهلها عارية، ولكنه أراد به التحريض والترغيب في الجهاد"(٣).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين"(٤).

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "المؤمن بائع باعتبار تحصيل الثواب، والثمن الجنة، وفيه إشارة إلى أن النفوس كلها ملك لله تعالى، وأن من أطاعه حق طاعته في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٢٣٨).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٦٨).

(٣) تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٨٩).

(٤) زاد المعاد (٣/ ٧٣).

امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وَفّى ما عليه من الثمن"[1].

(١) فتح الباري (٨/ ٥٠٣).

۞ الاستنباط الخامس عشر: (الإسلام دين رحمة ويسر).

أخرج ابن أبي حاتم، عن حرملة بن عبدالعزيز قال: قلت لمالك بن أنس: "ما ترى في رجل أمرُه يُعَنِّيني[(١)]؟ قال: ليس ذلك من الحق، قال الله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[يونس: ٣٢]"[(٢)].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٥١)، وسنده حسن[(٣)].

معنى الآية إجمالاً:

يبيّن الله تعالى لخلقه أن الذي يرزقهم من السماء والأرض، ويملك السمع والأبصار، ويخرج الحي من الميت، والميت من الحي، ويدبر الأمر، هو الإله الحق الذي يستحق أن يُفرد بالعبادة، إذ كل معبود سواه باطل، لا إله إلا هو واحد لا شريك له، فكيف تُصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه! وأنتم تعلمون أنه الرب

---

(١) عنّاه: كلفه ما يشق عليه ويتعبه. ينظر: اللسان (١٥/ ١٠٧)، الوسيط (٢/ ٦٣٣).

(٢) الدر المنثور (٧/ ٦٦٢).

(٣) رجال الإسناد:

١- حرملة بن عبدالعزيز بن سبرة الجهني، أبوسعيد، لا بأس به، من أهل مصر، توفي سنة (٢٤٣هـ). ينظر: الثقات (٨/ ٢١٠)، تقريب التهذيب (١٥٥).

٢- أحمد بن عمرو بن عبدالله بن السرح، أبوالطاهر المصري، ثقة، توفي سنة (٢٥٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ٦٥)، تقريب التهذيب (٨٣).

٣- علي بن الحسين بن الجنيد، أبوالحسن الرازي، ثقة صدوق، توفي سنة (٢٥٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ١٧٩)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٧١).

الذي خلق كل شيء، والمتصرف في كل شيء[(١)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر أنه ليس بعد الحق إلا الضلال، فلا توجد منزلة بينهما، فأخذ بدلالتها أن المشقة على الناس، وتكليفهم ما لا يطاق ليس من الحق؛ لأن الإسلام دين يُسر وسهولة، جاء لرفع الحرج والمشقة عن أهله.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الأصل في الأوامر والنواهي أنها لا تشق على النفوس، فالله تعالى أمر العباد بما أمرهم به رحمة وإحساناً، ومع هذا إذا حصل بعض الأعذار التي هي مظنّة المشقة حصل التخفيف والتسهيل[(٢)].

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾[الحج: ٧٨]، وقوله ﷻ: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾[البقرة: ١٨٥].

قال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "وقد بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن هذه الحنيفية السمحة التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ أنها مبينة على التخفيف والتيسير، لا على الضيق والحرج، وقد رفع الله فيها الآصار والأغلال التي كانت على من

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٥/ ٨٤)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٩٩).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٢٠).

قبلنا"(١).

وقال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ): "وهذه الآية ونظائرها يحتج بها على نفي الحرج والضيق والثقل في كل أمر اختلف الفقهاء فيه، وسوغوا فيه الاجتهاد، فالموجب للثقل والضيق والحرج محجوج بالآية"(٢).

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "بل يسره غاية التيسير، وسهله بغاية السهولة، فأولاً ما أمر وألزم إلا بما هو سهل على النفوس لا يثقلها، ولا يؤودها، ثم إذا عرض بعض الأسباب الموجبة للتخفيف، خفف ما أمر به؛ إما بإسقاطه، أو إسقاط بعضه"(٣).

وفي السنة من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (إن الدين يُسر، ولن يُشادَّ الدِّينَ أحد إلا غلبه، فسدِّدُوا وقاربوا وأبشروا)(٤).

قال البغوي (ت:٥١٦هـ): "ففي الحديث الأمر بالاقتصاد في العبادة، وترك الحمل على النفس بما يؤودها، فإن الله سبحانه وتعالى لم يتعبد خلقه بأن ينصبوا آناء الليل والنهار فلا يستريحوا، بل أوجب عليهم وظائف في وقت دون وقت، فليخلطوا طرف الليل بطرف النهار، وليجموا فيما بينهما أنفسهم"(٥).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وقد وسع الله سبحانه وتعالى على عباده غاية

---

(١) أضواء البيان (٥/ ٣٠٠).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٨٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥٤٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، برقم: (٣٩).

(٥) شرح السنة (٤/ ٥١).

التوسعة في دينه ورزقه، وعفوه ومغفرته، وبسط عليهم التوبة ما دامت الروح في الجسد، وفتح لهم باباً لها لا يغلقه عنهم إلى أن تطلع الشمس من مغربها، وجعل لكل سيئة كفارة تكفرها من توبة أو صدقة أو حسنة ماحية أو مصيبة مكفرة، وجعل بكل ما حرم عليهم عوضاً من الحلال أنفع لهم منه، وأطيب وألذّ، فيقوم مقامه ليستغني العبد عن الحرام، ويسعه الحلال، فلا يضيق عنه، وجعل لكل عسر يمتحنهم به يسراً قبله ويسراً بعده، فلن يغلب عسر يسرين، فإذا كان هذا شأنه سبحانه مع عباده، فكيف يكلفهم ما لا يسعهم؟ فضلاً عما لا يطيقونه ولا يقدرون عليه"[١].

وقال الشاطبي (ت:٧٩٠هـ): "وقد سُمِي هذا الدين الحنيفية السمحة لما فيها من التسهيل والتيسير"[٢].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٩).

(٢) الموافقات (١/ ٣٤١).

۞الاستنباط السادس عشر: (فضل العشيرة).

أخرج أبوالشيخ، عن علي أنه خطب فقال: "عشيرة الرجل للرجل خير من الرجل لعشيرته، إنه إن كفَّ يده عنهم كفَّ يداً واحدةً وكفُّوا عنه أيدياً كثيرةً، مع مودَّتِهِم وحِفاظِهِم(١) ونصرتهم، حتى لربما غضب الرجل للرجل وما يعرفه إلا بحسبه، وسأتلو عليكم بذلك آيات من كتاب الله تعالى، فتلا هذه الآية: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾﴾[هود: ٨٠]، قال علي: والركن الشديد: العشيرة، فلم يكن للوط عليه السلام عشيرة، فوالذي لا إله غيره ما بعث الله نبياً بعد لوط إلا في ثَرْوَة(٢) من قومه"(٣).

تخريجه:

ذكره أحمد بن محمد الأندلسي صاحب العقد الفريد (٢/ ١٩٥)، ولم أقف على سنده.

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن قول لوط لقومه - حين أبوا إلا المُضِيَّ لما قد جاؤوا له من طلب الفاحشة، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم - لو أن لي بكم قوة بأنصار تنصرني عليكم، وأعوان تعينني، أو آوي إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم؛ لحلت بينكم وبين ما تريدونه من أضيافي(٤).

---

(١) الحِفاظ: الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب. اللسان (٧/ ٤٤٢).

(٢) الثروة: العدد والعز بالعشيرة. غريب الحديث لابن قتيبة (٣/ ٧٦٠).

(٣) الدر المنثور (٨/ ١١٢).

(٤) ينظر: جامع البيان (١٥/ ٤١٨).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن لوطاً عليه السلام قال لأضيافه: لو كانت لي عشيرة لمنعتكم، فأخذ بمفهومها على أن الرجل ينتفع بعشيرته ولو كانوا كفاراً، إذ هم له منعة وقوة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

يدفع الله عن عبده المؤمن بأسباب كثيرة، ومنها وشائج النسب من قومه الكفار، كما دفع الله عن شعيب عليه السلام رجم قومه بسبب عشيرته.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٩١ ﴾[هود: ٩١].

قال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "بيّن تعالى في هذه الآية الكريمة أن نبيه شعيباً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام منعه الله من الكفار، وأعزَّ جانبه بسبب العواطف العصبية، والأواصر النسبية من قومه الذين هم كفار"(١).

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة، قد يعلمون بعضها، وقد لا يعلمون شيئاً منها، وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم، وأهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين

---

(١) أضواء البيان (٢/ ١٩٨).

ذلك؛ لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان"[١].

وفي السنة من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ورحمة الله على لوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد، إذ قال: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾[هود: ٨٠]، فما بعث الله من بعده نبياً إلا في ثروة من قومه)[٢].

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "وقصد لوط ﷺ إظهار العذر عند أضيافه، وأنه لو استطاع دفع المكروه عنهم بطريق ما لفعله، وأنه بذل وسعه في إكرامهم والمدافعة عنهم، ولم يكن ذلك إعراضاً منه ﷺ عن الاعتماد على الله تعالى، وإنما كان لما ذكرناه من تطييب قلوب الاضياف"[٣].

قال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "وهذه الآيات القرآنية تدل على أن المسلمين قد تنفعهم عصبية إخوانهم الكافرين، ولما ناصر بنو المطلب بن عبد مناف بني هاشم، ولم يناصرهم بنو عبد شمس بن عبد مناف، وبنو نوفل بن عبد مناف، عرف النبي ﷺ لبني المطلب تلك المناصرة التي هي عصبية نَسَبِيَّة لا صلة لها بالدين، فأعطاهم من خمس الغنيمة مع بني هاشم، وقال: (إنا وبني المطلب لم نفترق في جاهلية ولا إسلام)[٤]، ومنع بني عبد شمس وبني نوفل من خمس

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة يوسف، برقم: (٣١١٦)، وقال: "حديث حسن"، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم". المستدرك (٢/ ٦١١)، ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٥٢)، برقم: (١٦١٧).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٨٥).

(٤) أخرجه أبوداود، كتاب الخراج، باب في بيان مواضع قسم الخمس، برقم: (٢٩٨٠)، والنسائي، كتاب الخمس، برقم: (٤٤٣٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٤٦٠)، برقم: (٢٣١٧).

الغنيمة، مع أن الجميع أولاد عبد مناف بن قصي"[١].

قال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "والحديث ظاهر في أنه أعطاهم بسبب النصرة، وما أصابهم بسبب الإسلام من بقية قومهم الذين لم يسلموا"[٢].

(١) أضواء البيان (٢/ ١٩٩).

(٢) فتح الباري (٦/ ٢٤٦).

۞الاستنباط السابع عشر: (تعبير الرؤيا ظني من غير الأنبياء عليهم السلام).

أخرج ابن جرير، وأبوالشيخ، عن قتادة في قوله: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ ﴾ [يوسف: ٤٢]، قال: "إنما عبارةُ الرؤيا بالظنِّ، فيحق الله ما يشاء، ويبطل ما يشاء"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ١١٠)، وقال أبوإسحاق الحويني في سلسلة رجال هذا السند في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٦).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر الله ﷻ عن قول يوسف عليه السلام للذي ظنّ أنه ينجو من السجن والقتل؛ وهو الذي رأى أنه يعصر خمراً، اذكر للملك شأني وقصتي، لعله يرق لي، فيخرجني مما أنا فيه، فأنسى الشيطان ذلك الناجي ذكر الله تعالى، وذكر ما يقرب إليه، ومن جملة ذلك نسيانه ذكر يوسف الذي يستحق أن يجازى بأتم الإحسان، وذلك ليتم الله أمره وقضاءه، فلبث في السجن بضع سنين(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن يوسف عليه السلام قال للذي ظنّ أنه ناج من القتل، وذلك من خلال

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٢٥٨).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٩٩).

تعبيره للرؤيا، فدل مفهومها على أن تعبير الرؤيا ظني لا قطعي؛ لأن ظنّ تأتي بمعنى الشك(١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

ليس في فنون العلم شيء أغمض وألطف من الرؤيا؛ لأنها جنس من الوحي، وضرب من النبوة، ولأنها تتغير عن أصولها باختلاف أحوال الناس(٢).

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما كان يُحدِّث أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: (إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وصل، فقال أبوبكر يا رسول الله: بأبي أنت والله لتدعني فأُعْبِرَهَا، فقال النبي ﷺ: اعْبُرْها، قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك ، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله - بأبي أنت - أصبت أم أخطأت؟ قال النبي ﷺ: أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً، قال: فوالله لتحدثني بالذي أخطأت، قال: لا تقسم)(٣).

---

(١) ينظر : إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني (١١)، نزهة الأعين النواظر (٤٢٥).

(٢) ينظر : تعبير الرؤيا لابن قتيبة (٢٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، برقم: (٦٦٣٩)،

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "وفي هذا الحديث جواز عَبْرِ الرؤيا، وأن عابرها قد يصيب وقد يخطئ، وأن الرؤيا ليست لأول عابر على الإطلاق، وإنما ذلك إذا أصاب وجهها"(١).

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "وفيه: أنه لا يعبر الرؤيا إلا عالم ناصح أمين حبيب، وفيه: أن العابر قد يخطئ وقد يصيب"(٢).

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "العابر يظنّ ظنّاً، وربك يخلق ما يشاء"(٣).

وتعبير الرؤيا بالظنّ إنما هو خاصة بعامة الناس، أما الأنبياء عليهم السلام فتعبيرهم حق؛ لأنه عن وحي.

قال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "وهذا الذي قاله قتادة، من أن عبارة الرؤيا ظنّ، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء، فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائن ثم لا يكون، أو أنه غير كائن ثم يكون"(٤).

وقال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ): "وإنما يكون ذلك في حق الناس، فأما في حق الأنبياء فلا؛ فإن حكمهم حق كيفما وقع"(٥).

ومسلم، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا، برقم: (٢٢٦٩).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٢٩).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٤٣٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٩٤).

(٤) جامع البيان (١٦/ ١١١).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٥٤).

۞الاستنباط الثامن عشر: (العين حق).

أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ ﴾[يوسف: ٦٧]، قال: "رهب يعقوب عليهم العين"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ١٦٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٨)، وروي هذا أيضاً عن محمد بن كعب، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، ذكرهم ابن جرير في تفسيره، وقال الشيخ حكمت بشير: "قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم والطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عنه، ويتقوّى بما يليه، وقول محمد بن كعب أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي معشر عنه، وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عنه، وذلك في تفسير الآية التالية رقم (٦٨)، وقول الضحاك أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر، وقول قتادة أخرجه عبدالرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة". تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٢).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر الله ﷻ عن قول يعقوب ؑ لبنيه لما أرادوا الخروج من عنده إلى مصر ليمتاروا الطعام، يا بني لا تدخلوا مصر من طريق واحد، وادخلوا من أبواب متفرقة، وبيّن إن هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاءه إذا أراد شيئاً لا يخالف ولا يمانع؛ لأن قضاءه نافذ في خلقه[(٢)].

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٢٨٦).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٦/ ١٦٤)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإيماء والتنبيه.

وذلك أن يعقوب ﷺ نهى أبناءه عن الدخول من باب واحد، وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة، وبيّن لهم أنه لا يُرد قدر الله وقضاءه إذا أراد شيئاً، فأخذ بدلالة الإيماء على أن سبب منعهم من الدخول من باب واحد؛ هو خوف العين؛ لأن دخولهم بكثرة من باب واحد، مع جمالهم وحسن هيئتهم، مظنة أن تصيبهم العين، فأمرهم بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

العين حق، والأخذ بالأسباب في تحصيل المنافع، ودفع المضار في الدنيا، أمر مأمور به شرعاً، لا ينافي التوكل على الله بحال؛ لأن المكلف يتعاطى السبب امتثالاً لأمر ربه، مع علمه ويقينه أنه لا يقع إلا ما يشاء الله وقوعه[1].

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وقد قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ ﴾[القلم: ٥١]، إنه الإصابة بالعين، فأرادوا أن يصيبوا بها رسول ﷺ، فنظر إليه قوم من العائنين، وقالوا: ما رأينا مثله، ولا مثل حجته"[2].

وفي السنة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (العين

---

(١) ينظر: أضواء البيان (٣/ ٣٩٨).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٤٥٦).

حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغْسِلتُم فَاغْسِلوا)[١].

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "فيه إثبات القدر، وهو حق بالنصوص، وإجماع أهل السنة،...، فلا يقع ضرر العين ولا غيره من الخير والشر إلا بقدر الله تعالى، وفيه صحة أمر العين، وأنها قوية الضرر"[٢].

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ) في الآية المستنبط منها: "فيها دليل على التحرز من العين، والعين حق"[٣].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "ومما يوضح أن تعاطي الأسباب لا ينافي التوكل على الله، قوله تعالى عن يعقوب: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ ﴾[يوسف: ٦٧]، أمرهم في هذا الكلام بتعاطي السبب، وتسبب في ذلك بالأمر به؛ لأنه يخاف عليهم أن تصيبهم الناس بالعين؛ لأنهم أحد عشر رجلاً أبناء رجل واحد، وهم أهل جَمَال وكمال وبسطة في الأجسام، فدخولهم من باب واحد مظنةً لأن تصيبهم العين، فأمرهم بالتفرق والدخول من أبواب متفرقة، تعاطياً للسبب في السلامة من إصابة العين"[٤].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرُّقى، برقم: (٢١٨٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٧٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٢٢٦).

(٤) أضواء البيان (٣/ ٣٩٨).

۞الاستنباط التاسع عشر: (الشباب أسهل من الشيوخ).

أخرج ابن أبي حاتم، وأبوالشيخ، عن عطاء الخراساني[(١)] قال: "طلبُ الحوائج إلى الشباب أسهلُ منها عند الشيوخ، ألم تر إلى قول يوسف: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾[يوسف: ٩٢]، وقال يعقوب عليه السلام: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ [يوسف: ٩٨]"[(٢)].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٥)، وابن عدي في الكامل (٥/ ٣٥٩)، وأبونعيم في الحلية (٥/ ١٩٦)، وإسناده ضعيف؛ لأن في سنده موهب بن يزيد، تفرد ابن أبي حاتم بقوله: صدوق، وضمرة بن ربيعة الفلسطيني صدوق يهم قليلاً، وعطاء الخرساني ضعيف[(٣)].

معنى الآيتين إجمالاً:

في الآية الأولى يخبر تعالى عن قول يوسف عليه السلام لإخوته لا تأنيب عليكم، و لا عتب عليكم اليوم، ولا أعيد عليكم ذنبكم في حقي بعد اليوم، ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة، والله سبحانه أرحم الراحمين لمن تاب من ذنبه.

وفي الآية الثانية يخبر تعالى عن قول أولاد يعقوب عليه السلام الذين كانوا فرقوا بينه وبين يوسف عليه السلام، يا أبانا سل لنا ربك يعف عنا، ويستر علينا ذنوبنا التي أذنبناها،

---

(١) عطاء بن أبي مسلم البلخي، أبوعثمان الخراساني، صدوق يهم كثيراً، ويرسل ويدلس، توفي سنة (١٣٥هـ). ينظر: المجروحين (٢/ ١٣٠)، تقريب التهذيب (٣٩٢).

(٢) الدر المنثور (٨/ ٣٢٣).

(٣)ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٤١٥)، تقريب التهذيب (٢٨٠).

فيك وفي يوسف، قال يعقوب ﷺ: سوف أسأل ربي أن يعفو عنكم ذنوبكم، فإن ربي هو الساتر على ذنوب التائبين إليه من ذنوبهم، الرحيم بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيتين.

وذلك أن يوسف ﷺ لما اعتذر له إخوته قال لهم: لا عتب عليكم، وأما يعقوب ﷺ لما طلب منه أبناؤه أن يغفر لهم، قال لهم: سوف استغفر لكم، ولم يستغفر لهم في الحال، فأخذ بدلالة الاقتران أن الشباب أسهل وأسرع استجابة من الشيوخ؛ لأن يوسف ﷺ عفا عنهم في الحال، أما يعقوب ﷺ فوعدهم بالاستغفار لهم بسوف التي تفيد تحقيق الوعد في المستقبل.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الشباب أسرع استجابة وأقبل للحق من الشيوخ، فكثير من السابقين الأولين ممن استجاب لدعوة الإسلام كانوا من الشباب.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾[الكهف: ١٣].

قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "فذكر تعالى أنهم فتية؛ وهم الشباب، وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا، وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا

(١) ينظر: جامع البيان (١٦/ ٢٦١)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٠).

كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل"[١].

وقال الله ﷻ: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾[يونس: ٨٣].

قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "والحكمة - والله أعلم - بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، أن الذرية والشباب أقبل للحق، وأسرع له انقياداً، بخلاف الشيوخ ونحوهم، ممن تربى على الكفر فإنهم بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة أبعد عن الحق من غيرهم"[٢].

وجاء في السنة من حديث عائشة رضي الله عنها عندما سألت رسول الله ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أُحُدٍ؟ وفي آخر الحديث قال رسول الله ﷺ لملك الجبال لما بعثه الله إليه ليأمره بما شاء، قال له: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً)[٣].

قال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "وذلك أنه ﷺ علم باستقراء حالهم أنهم لا يعلمون، فهم يمتنعون عن الإيمان لقلة تعلمهم، وأنهم في حاجة إلى التعليم، فإذا عُلِّمُوا تعلَّموا، وأن طبيعتهم قابلة للتعليم لا أنهم كغيرهم في إصرارهم، لأنه شاهد من كبارهم إذا عرض عليهم القرآن، وخوطبوا بخطاب العقل، ووعوا ما

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٤٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣٧١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، برقم: (٣٠٥٩)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، برقم: (١٧٩٥).

يخاطبون به، وسلموا من العصبية والنوازع الأخرى، فإنهم يستجيبون حالاً"[١].

وضعف الشوكاني (١٢٥٠هـ) هذا الاستنباط من هذه الآية، فقال: "وفي هذا الكلام نظر، فإنهم طلبوا من يوسف أن يعفو عنهم بقولهم: ﴿ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾[يوسف: ٩١]، فقال: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾[يوسف: ٩٢]؛ لأن مقصودهم صدور العفو منه عنهم، وطلبوا من أبيهم يعقوب أن يستغفر الله لهم، وهو لا يكون إلا بطلب ذلك منه إلى الله ﷻ، وبين المقامين فرق، فلم يكن وعد يعقوب لهم بخلاً عليهم بسؤال الله لهم، ولا سيما إذا صح ما تقدم من أنه أخر ذلك إلى وقت الإجابة، فإنه لو طلبه لهم في الحال لم يحصل له علم بالقبول"[٢].

الراجح:

أن الشباب أسهل وأسرع استجابة من الشيوخ في الخير والشر، إلا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يشملهم هذا الحكم؛ لأنهم من أكمل الخلق ديناً، ومن أحسن الناس خلقاً، وأن تأخير يعقوب عليه السلام كان لمصلحة راجحة، وحكمة بالغة، جعلته يأخرها من الحال إلى المستقبل.

---

(١) أضواء البيان (٨/ ٣١٤).

(٢) فتح القدير (٣/ ٥٤).

الاستنباط العشرون: (مقدار المطر متساوي في كل عام).

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن مسعود قال: "ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يصرفه حيث يشاء، ثم قرأ: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر: ٢١]".

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في سننه، عن ابن عباس قال: "ما من عام بأقلَّ مطراً من عام، ولكن الله يصرفه حيث يشاء، ثم قرأ هذه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ ﴾[الفرقان: ٥٠] الآية"[(١)].

تخريجه:

١- الأثر الأول أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧/ ٨٣)، وقال الشيخ حكمت بشير: "أخرجه الطبري من طريق يزيد بن أبي زياد به، وسنده ضعيف؛ لضعف يزيد". تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٤٣).

٢- الأثر الثاني أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٢٨٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٠٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٦٣). وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٩٢)، برقم: (٢٤٦١).

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٦٠٠)و (١١/ ١٩٠).

معنى الآيتين إجمالاً:

في الآية الأولى يخبر تعالى أن جميع الأرزاق، وأصناف الأقدار، لا يملكها أحد إلا الله، فخزائنها بيده يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته الواسعة، وما ينزله سبحانه من كل شيء من مطر وغيره، إلا بقدر معلوم فلا يزيد على ما قدره الله، ولا ينقص منه.

وفي الآية الثانية يقول تعالى: ولقد قسمنا هذا الماء، فأمطرنا هذه الأرض دون هذه، وسُقنا السحاب يمُر على الأرض ويتعداها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى، فيمطرها ويكفيها ويجعلها غدقاً، والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء، وله في ذلك الحجة البالغة، والحكمة القاطعة(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآيتين.

وذلك أن الله ﷻ بيّن أن ما ينزله من المطر قدر معلوم لا يزيد ولا ينقص، وأن هذا المقدار المعلوم صرَّفه الله وقسمه بين الناس، فيصرفه عن بعض المواضع إلى بعض، فأخذ بدلالة الاقتران أن مقدار نزول المطر في كل عام ثابت لا يتغير، ولكن الذي يتغير توزيعه على الأرض.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

المطر آية من آيات الله البيّنة، ونعمة من نعمه الكبيرة، ولله حكمة بالغة في توزيعه على أهل الأرض.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٥٩٩)، تيسير الكريم الرحمن (٤٣٠).

قال أبوحيان (ت:٧٤٥هـ): "والضمير في ﴿ صَرَّفْنَهُ ﴾ عائد على الماء المنزل من السماء؛ أي: جعلنا إنزال الماء تذكرة بأن يصرفه عن بعض المواضع إلى بعض، وهو في كل عام بمقدار واحد، قاله: الجمهور؛ منهم ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد"(١).

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "ويؤخذ من الآية أن الماء المنزل من السماء لا يختلف مقداره، وإنما تختلف مقادير توزيعه على مواقع القطر، فحصل من هذا أن المقدار الذي تفضل الله به من المطر على هذه الأرض لا تختلف كميته، وإنما يختلف توزيعه، وهذه حقيقة قررها علماء حوادث الجو في القرن الحاضر، فهو من معجزات القرآن العلمية"(٢).

واعترض الرازي (٦٠٦هـ) على هذا الاستنباط، فقال: "ولقائل أن يقول: لفظ الآية لا يدل على هذا المعنى، فإن قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١]، لا يدل على أنه تعالى ينزله في جميع الأعوام على قدر واحد، وإذا كان كذلك كان تفسير الآية بهذا المعنى تحكماً من غير دليل"(٣).

وذهب الألباني (١٤٢٠هـ) إلى أن هذا الأثر الموقوف له حكم المرفوع، فقال: "فيظهر مما تقدم أن الحديث وإن كان موقوفاً، فهو في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد؛ ولأنه روي مرفوعاً"(٤).

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٤٦٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٩/ ٥١).

(٣) التفسير الكبير (١٩/ ١٣٨).

(٤) السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٩٣). وجاء مرفوعاً عن ابن إسحاق، وابن جريج، ومقاتل كلهم قالوا،

الراجح:

صحة الحديث عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم موقوفاً، أما مرفوعاً فلا يصح، وهل له حكم الرفع؟ هذا محل اجتهاد.

وأما الآية فليس فيها دليل صريح على أنها ينزله الله في جميع الأعوام على قدر واحد؛ لأن ما جاء في الآية يبيّن أن ما ينزله الله من المطر بمقدار معلوم، ليس فيه تحديد للمدة، فهل هذا المقدار في موسم هطول الأمطار؟ أو: في سنة أو أكثر أو أقل؟.

وهذا الإشكال يؤيد ما ذهب إليه الألباني من أن هذا الأثر وإن كان موقوفاً فله حكم الرفع.

وبلّغوا به ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ليس من سنة بأمطر من أُخرى، ولكن الله قسم هذه الأرزاق، فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر، ينزل منه كل سنة بكيل معلوم، ووزن معلوم، وإذا عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار).

أخرجه الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٤٠)، وذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٣٧٢). وهذا الأثر ذكره الألباني وسكت عنه، واكتفى بصيغة التضعيف روي، وقد رواه البيهقي مختصراً في سننه الكبرى (٣/ ٣٦٣) عن ابن مسعود مرفوعاً، ثم قال: " كذا روي مرفوعاً بهذا الإسناد، والصحيح موقوف"، وقال الذهبي: "غريب جداً". ميزان الاعتدال (٥/ ١٥٤)، وقال الزيلعي: "لا يتابع على رفعه علي بن حميد، ثم أخرجه عن عمرو بن مرزوق، حدثنا شعبة به موقوفاً، قال: وهذا أولى". تخريج الكشاف (٢/ ٤٦٤)، وقال ابن حجر: "وفي الباب عن ابن مسعود، أخرجه العقيلي، من رواية علي بن حميد، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص عنه، وقال: لا يتابع على رفعه، ثم أخرجه موقوفًا من رواية عمرو بن مرزوق عن شعبة، وقال: هذا أولى، وأورده ابن مردويه من وجه آخر عن ابن مسعود مرفوعاً". الكاف الشاف (٤/ ٣٦٢).

الخلاصة: هذا الأثر لا يصح مرفوعاً.

الاستنباط الحادي والعشرون: (جواز ركوب البحر).

أخرج ابن أبي حاتم، عن مطر[(١)] في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ ﴾ [النحل: ١٤]: "أنه كان لا يرى بركوب البحر بأساً، وقال: ما ذكره الله في القرآن إلا بخير"[(٢)].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي حاتم وذكره ابن حجر في فتح الباري (٤/ ٢٩٩)، وترجم البخاري في كتاب البيوع، قال: باب التجارة في البحر، وقال مطر: لا بأس به، وما ذكره الله في القرآن الا بحق، ثم تلا: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ١٢]. صحيح البخاري (٢/ ٧٢٧)، وقال ابن حجر:"وقد وصله ابن أبي حاتم في تفسير سورة النحل، من طريق عبدالله بن شوذب عن مطر الوراق". تغليق التعليق (٣/ ٢١٤)[(٣)].

---

(١) مَطَر بن طهمان السلمي، أبورجاء الوراق الخراساني، صدوق كثير الخطأ، وحديثه عن عطاء ضعيف، مات قبل الطاعون سنة (١٢٥هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٧/ ٤٠٠)، تقريب التهذيب (٥٣٤).

(٢) الدر المنثور (٩/ ٢٠).

(٣) ومن خلال البحث في تفسير ابن أبي حاتم عن سلسلة ابن شوذب عن مطر، وجدت ثلاثة طرق:

الأول: حدثنا أبي، ثنا يحيى بن عثمان بن كثير بن دينار، ثنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن مطر. وهذا الإسناد ضعفه محقق تفسير ابن أبي حاتم الجزء الأول من تفسير سورة آل عمران (١٢٧).

الثاني: حدثنا أبي، ثنا الحسن بن عبدالله الدمشقي، ثنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن مطر. وهذا الإسناد جيد. ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٥٥٣).

الثالث: حدثنا أبي، ثنا الحسن بن رافع، ثنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن مطر. وسنده حسن. ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٩٠).

ومن الملاحظ أن الاختلاف في الراوي الذي قبل ضمرة فقط، وجميع من حكم على هذه الأسانيد

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن تسخيره البحر المتلاطم الأمواج، ويمتنّ على عباده بتذليله لهم، وجعلِه السمك والحيتان فيه، وما يخلقه فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة، وتسخيره البحر لحمل السفن تمخر في البحر العجاج الهائل، تحمل المسافرين وأرزاقهم، وأمتعتهم وتجاراتهم، لعلكم تشكرون الذي يسر لكم هذه الأشياء وهيأها، وتثنون على الله الذي منّ بها عليكم، فلله تعالى الحمد والشكر[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله ﷻ جعل جريان الفلك في البحر نعمة من نعمه التي عدّدها على عباده، وجاءت في سياق الامتنان، فأخذ بدلالة الإشارة إباحة ركوب البحر؛ لأنه ﷻ لا يمتنّ بحرام، إذ لا منّة في شيء محرم[2].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

سخر الله البحر لتجري الفلك فيه، وأراهم في ذلك عظيم قدرته، وسخر الرياح باختلافها لحملهم وترددهم، وهذا من عظيم آياته، ونبههم على شكره عليها[3].

الثلاثة هو الشيخ حكمت بشير، ولم أستطع أن أميز سلسلة هذا الأثر أي سلسلة منها.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٧٤)، تيسير الكريم الرحمن (٤٣٧).

(٢) ينظر: فتح الباري (٤/ ٢٩٩)، أضواء البيان (٧/ ٤٩٥).

(٣) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٢٠٤).

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال القَصَّاب (ت:٣٦٠هـ) في آية النحل: "ركوب البحر للتجارة مباح، وتؤيده الآية الأخرى: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٦]، إذ محال أن يجعله في جملة النعم، ويضم ذكره في المباحات، ويذكر ابتغاء فضله فيه، ثم يحظر ركوبه في حال دون حال"(١).

وقال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ): "وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾[البقرة: ١٦٤]، دلالة على إباحة ركوب البحر غازياً وتاجراً ومبتغياً لسائر المنافع، إذ لم يخص ضرباً من المنافع دون غيره"(٢).

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "هذه الآية وما كان مثلها دليل على جواز ركوب البحر مطلقاً لتجارة كان، أو عبادة كالحج والجهاد"(٣).

وفي السنة من حديث أم حرام رضي الله عنها أن النبي ﷺ قَالَ يوماً في بيتها فاستيقظ وهو يضحك، قالت يا رسول الله: ما يضحكك؟ قال: (عجبت من قوم من أمتي يركبون البحر كالملوك على الأسرة، فقلت يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنتِ معهم،...)(٤).

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "وفى هذا الحديث جواز ركوب البحر للرجال

---

(١) نكت القرآن (٢/ ٥٠).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (١/ ١٣١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ١٩٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ركوب البحر، برقم: (٢٧٣٧)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر، برقم: (١٩١٢).

والنساء، وكذا قاله الجمهور"[١].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "ووجه حمل مطر ذلك على الإباحة، أنها سيقت في مقام الامتنان، وتضمن ذلك الرد على من منع ركوب البحر"[٢].

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "وفي امتنان الله تعالى بجريان الفلك في البحر دليل على جواز ركوب البحر من غير ضرورة، مثل ركوبه للغزو، والحج، والتجارة"[٣].

وأما ما جاء في السنة من النهي عن ركوب البحر إلا للحاج والمعتمر والغازي، من حديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله، فإن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً)[٤].

فهذا حديث ضعيف لا يحتج به، قال الألباني (ت:١٤٢٠هـ): "وفي إسناده اضطراب، ولذلك اتفق الأئمة على تضعيفه"[٥].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٥٩).

(٢) فتح الباري (٤/ ١٩٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢/ ٨١).

(٤) أخرجه أبوداود، كتاب أول الجهاد، باب في ركوب البحر في الغزو، برقم: (٢٤٨٩).

(٥) إرواء الغليل (٤/ ١٦٩)، وقال عنه الألباني: "منكر"، وعدد من ضعفوه من الأئمة، وهم ابن الملقن، والبخاري، وأحمد، وأبوداود، والخطابي وغيرهم. ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٦٩١)، برقم: (٤٧٨).

﴿الاستنباط الثاني والعشرون: (تعبير رؤيا تقاتل الشمس والقمر).

أخرج ابن أبي شيبة، عن عطاء بن السائب[١] قال: "أخبرني غير واحد أن قاضياً من قضاة الشام[٢] أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، رأيت رؤيا أفظعتني، قال: وما رأيت؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين، قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، قال عمر: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾[الإسراء: ١٢]، فانطلِق فوالله لا تعمل لي عملا أبداً، قال عطاء: فبلغني أنه قُتِل مع معاوية يوم صِفِّينَ"[٣].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٢٠٦)، وإسناده ضعيف؛ لأن عطاء بن السائب اختلط في آخر عمره، وهذا من رواية محمد بن فضيل عنه بعد الاختلاط، قال أبوحاتم: "وما روى عنه بن فضيل ففيه غلط واضطراب". ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ٣٣٣)، المختلطين (٨٢)، تهذيب التهذيب (٧/ ١٨٣).

معنى الآية إجمالاً:

يمتنّ الله تعالى على خلقه بآياته العظام، التي منها مخالفته بين الليل والنهار، فجعل الليل مظلماً للسكون فيه والراحة، والنهار مضيئاً، لينتشروا للمعايش

---

(١) عطاء بن السائب بن زيد الثقفي، أبومحمد الكوفي، تابعي مشهور، صدوق اختلط، توفي سنة (١٣٦هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٦/ ٤٦٥)، تقريب التهذيب (٣٩١).

(٢) حابس بن سعد الطائي، من أهل الشام، ولي قضاء حمص، وقتل يوم صِفَّين مع معاوية بن سفيان رضي الله عنهما. ينظر: الاستيعاب (١/ ٢٧٩)، الإصابة (١/ ٥٦٠).

(٣) الدر المنثور (٩/ ٢٧٠).

والصنائع والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجُمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للدُّيُون والعبادات، والمعاملات، والإجارات، وغير ذلك[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك لأن الله ﷻ محا آية الليل، وجعله مظلماً، وجعل آية النهار مُبصِرة، فأخذ بدلالة الإشارة على أن رؤية الشمس تقاتل القمر، أن الشمس ومن معها هم الذين على الحق؛ لأنهم مع الآية المضيئة، وأن القمر ومن معه على باطل؛ لأنهم مع الآية المحوة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

وجاء في السنة ما يؤيد معرفة عمر رضي الله عنه بتأويل الرؤيا، وصدق ما أخبر به، وذلك في حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لعمار: (تقتلك الفئة الباغية)[2].

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "قال العلماء هذا الحديث حجة ظاهرة في أن علياً

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٤٧)، تيسير الكريم الرحمن (٤٥٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، برقم: (٢٩١٦).

رضي الله عنه كان محقاً مصيباً، والطائفة الأخرى بغاة، لكنهم مجتهدون فلا إثم عليهم"[١].

وذكر ابن القيم (ت:٧٥١هـ) صوراً لتعبير الرؤيا وتأويلها بدلالة الكتاب والسنة، ثم قال: "وبالجملة فما تقدم من أمثال القرآن كلها أصول وقواعد لعلم التعبير لمن أحسن الاستدلال بها، وكذلك من فهم القرآن فإنه يعبر به الرؤيا أحسن تعبير، وأصول التعبير الصحيحة إنما أخذت من مشكاة القرآن، فالسفينة تعبر بالنجاة،...، والنور يعبر بالهدى، والظلمة بالضلال"[٢].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٤٠). ومذهب أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة الأخيار رضي الله عنهم من اقتتال: الإمساك عما وقع بينهم، والتماس العذر لهم، والترضي عنهم جميعاً، والقطع بأن ما وقع بينهم كان باجتهاد، للمصيب فيه أجران، وللمخطئ أجر، وكلهم كان مريداً للحق والخير. ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٦).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٩٣).

۞الاستنباط الثالث والعشرون: (هيئة أصحاب الكهف).

أخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: "غزونا مع معاوية غزوة المضيق(١) نحو الروم، فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف الذي ذكر الله في القرآن، فقال معاوية: لو كُشِف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم؟ فقال له ابن عباس: ليس ذلك لك، قد منع الله ذلك من هو خير منك، فقال: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾[الكهف: ١٨]، فقال معاوية: لا انتهي حتى أعلم علمهم، فبعث رجالاً فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف فانظروا، فذهبوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم"(٢).

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة ذكره ابن حجر في الكاف الشاف (٣/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم ذكره ابن حجر في تغليق التعليق (٤/ ٢٤٤)، وقال ابن حجر: "إسناده صحيح". الكاف الشاف (٣/ ٥٧٢).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن حال أصحاب الكهف، أن الناظر إليهم يظنهم أيقاظ، والحال أنهم نيام؛ وذلك لأن أعينهم منفتحة لئلا تفسد، ومن حفظ الله لأبدانهم أن يقلبهم على جنوبهم يميناً وشمالاً حتى لا تُفسد الأرض أجسامهم، وكلبهم الذي معهم

---

(١) غزوة المضيق: مضيق القسطنطينية؛ وسماها تبعاً للمكان، وذكر ابن حجر أن اسم الغزوة الصائفة وذلك تبعاً لوقتها، وكانت في سنة (٣٢هـ). ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٢٧)، البداية والنهاية (٧/ ١٥٩)، فتح الباري (٦/ ٥٠٥).

(٢) الدر المنثور (٩/ ٤٩٥).

أصابه ما أصابهم من النوم وقت حراستهم، وحفظهم الله من الآدميين، فأخبر أنه حماهم بالرعب الذي نشره الله عليهم فلو اطلع عليهم أحد لامتلأ قلبه رعباً، وولى منهم فراراً(١).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله ﷻ أخبر نبيه محمد ﷺ أنه لو اطلع على أصحاب الكهف وهم على الصفة التي وصفهم الله بها، لذُعِر وفزع منهم، لِمَا ألبسهم الله من الهيبة، فدل مفهومها على أنه إذا كان هذا حال النبي ﷺ عند رؤيتهم، فمن باب أولى أن كل من نظر إليهم من غيره هابهم، وفرَّ منهم.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم، وفروا بدينهم خوفاً من الفتنة التي تردهم عن دينهم، فثبتهم الله على الإيمان، ورفع الله قدرهم، وخلد قصتهم في كتابه الكريم.

واختُلِف في الهيبة التي ألبسها الله تعالى أصحاب الكهف، هل هي عام في جميع الأزمان؟ أو: خاص في تلك الحالة قبل أن يبعثهم الله حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله، وتنقضي رقدتهم؟.

وعند مطالعة كتب التفسير نجد بعض المفسرين يذكرون عند تفسير هذه الآية

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٧٢).

هذا الأثر دون التعقيب أو التعليق عليه، فلا يتبيّن مذهبه، وممن ذكره الواحدي[١]، والسمرقندي[٢]، والثعلبي[٣]، وغيرهم.

وأما ابن أم قاسم المرادي (ت:٧٤٩هـ) فقد أظهر تأييده للقول بالعموم، فقال: "لا شك أن عبارة الخطاب في: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ ﴾، وما يليه لحضرة الرسالة، وإشارته لكل من يصلح له من أمته، فمعاوية داخل تحت إشارة هذا الخطاب، فيكون التفتيش عنهم إذا ضائعاً لا طائل تحته"[٤].

أما من ذهب إلى أنه خاص في تلك الحالة قبل أن يبعثهم الله حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله، وتنقضي رقدتهم، فمنهم ابن جرير، والجصَّاص، والماوردي، وغيرهم.

فقال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "لو اطلعت عليهم في رقدتهم التي رقدوها في كهفهم لأدبرت عنهم هارباً منهم فاراً، ﴿ وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨ ﴾، يقول: ولملئت نفسك من اطلاعك عليهم فزعاً، لما كان الله ألبسهم من الهيبة، كي لا يصل إليهم واصل، ولا تلمسهم يد لامس، حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله، وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه، في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه"[٥].

وقال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ): "ألبسهم الله تعالى من الهيبة لئلا يصل إليهم

---

(١) ينظر: الوسيط (٣/ ١٤٠).

(٢) ينظر: تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٤١).

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي (٦/ ١٦١).

(٤) تفسير روح البيان (٥/ ١٧٥).

(٥) جامع البيان (١٧/ ٦٢٦).

أحد، حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم، وينتبهوا من رقدتهم، وذلك وصفهم في حال نومهم لا بعد اليقظة"[١].

وقال الماوردي (ت:٤٥٠هـ): "ألبسهم الله تعالى من الهيبة التي ترد عنهم الأبصار لئلا يصل إليهم أحد، حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله"[٢].

الراجح:

عدم صحة هذا الاستنباط، وذلك للأسباب التالية:

الأول: أن المراد لو اطلعت عليهم على تلك الحالة، قبل أن يبعثهم الله من رقدتهم، وليس في الكلام أنهم لم يزالوا كذلك زمن نزول الآية[٣].

الثاني: أن الهيبة التي ألبسوها، كانت الحكمة منها انقضاء مدة لبثهم في الكهف دون أن يصل إليهم أحد، مما يفهم منه أنهم بعد بعثهم من رقدتهم عادوا إلى حالتهم الطبيعية.

الثالث: أن الهيبة كانت كرامة لهم، وليست للكهف، وهم قد ماتوا ودفنوا.

الرابع: اختلاف العلماء في محل هذا الكهف[٤].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٤٠).

(٢) النكت والعيون (٣/ ٢٩٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٨١).

(٤) البداية والنهاية (٢/ ١١٥)، فتح الباري (٦/ ٥٠٣).

الاستنباط الرابع والعشرون: (سمي الإنسان من النسيان).

أخرج عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في الصغير، وابن منده في التوحيد، والحاكم وصححه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ ﴾[طه: ١١٥]، قال: "إنما سُمِّي الإنسان؛ لأنه عُهِد إليه فنسي"(١).

تخريجه:

أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ١٩)، وابن جرير في تفسيره (١٨/ ٣٨٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٧)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٤٠)، وابن منده في التوحيد (١٨٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٢)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن قصة آدم عليه السلام، وذلك أن الله تعالى أمره أن لا يأكل من الشجرة، وعهد إليه عهداً ليقوم به فالتزمه، وأذعن له وانقاد، وعزم على القيام به، ومع ذلك نسي ما أُمر به، وانتقضت عزيمته المحكمة، فجرى عليه ما جرى، فصار عبرة لذريته، وصارت طبائعهم مثل طبيعة آدم، نسي فنسيت ذريته، وبادر بالتوبة من خطيئته، وأقرَّ بها واعترف، فغفرت له، ومن يشابه أباه فما ظلم(٢).

---

(١) الدر المنثور (١٠/ ٢٤٧).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٥١٤).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله ﷻ عهد إلى آدم ﵇ أن لا يأكل من الشجرة فنسي ما عهد الله إليه، فأخذ بدلالة الإشارة على أن إطلاق لفظ الإنسان على آدم ﵇ وذريته مأخوذ من النسيان؛ لأن الله عهد إليه فنسي.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

قال الخليل (ت:١٧٥هـ): "وسمي الإنسان من النسيان، والإنسان في الأصل إنْسِيان؛ لأن جماعته أناسِيُّ، وتصغيره أُنَيْسيان"(١).

وقال ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ): "وذهب إلى هذا قوم من أهل اللغة، واحتجوا في ذلك بتصغير إنسان، وذلك أن العرب تُصغره أُنَيْسيان، بزيادة ياء؛ كأن مكبَّره إنْسِيانٌ -إفْعِلانٌ- من النِّسيان؛ ثم تُحذف الياء من مكبَّره استخفافاً لكثرة ما يجري على اللسان؛ فإذا صُغر رجعت الياء وردّ إلى أصله؛ لأنه لا يكثر مصغَّراً كما يكثر مكبَّراً"(٢).

وقال أبوالعلاء (ت:٤٤٩هـ): "وحسبك شهيداً على ذلك الآية المتلوة في فرقان محمد ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه: ١١٥]، وقد زعم بعض العلماء: أنك إنما سميت إنساناً لنسيانك، واحتج

---

(١) العين (٧/ ٣٠٤).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (٢٢).

على ذلك بقولهم في التصغير: إنْسِيان، وفي الجمع: أناسِيُّ"[١].

قال أبو تمام:

لا تنسينْ تلك العهودَ فإنما . . . سُمِّيتَ إنساناً لأنك ناس[٢]

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "وإنما أخذ الانسان منه؛ لأنه عهد إليه فنسي،...، وعلى هذا القول يحتمل أن يكون آدم عليه السلام في ذلك الوقت مأخوذاً بالنسيان، وإن كان النسيان عنا اليوم مرفوعاً"[٣].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "الناسي معذور، فكيف يقال فيه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾[طه: ١٢١]؟ وأظهر أوجه الجواب عندي عن ذلك: أن آدم لم يكن معذوراً بالنسيان، وقد بينت في كتابي دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب الأدلة الدالة على أن العذر بالنسيان والخطأ والإكراه من خصائص هذه الأمة، كقوله هنا: ﴿فَنَسِيَ﴾ مع قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ﴾ فأسند إليه النسيان والعصيان، فدل على أنه غير معذور بالنسيان، ومما يدل على هذا ما ثبت في صحيح مسلم من حديث ابن عباس وأبي هريرة: أن النبي ﷺ لما قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، قال الله: نعم، قد فعلت)[٤]، فلو كان ذلك معفواً عن جميع الأمم لما كان لذكره على سبيل الامتنان وتعظيم المنّة عظيم موقع"[٥].

---

(١) رسالة الغفران (١٦٦).

(٢) ديوان أبي تمام (١٧٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٢٥١).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، برقم: (١٢٦).

(٥) أضواء البيان (٤/ ١٠٤).

۞الاستنباط الخامس والعشرون: (الدنيا دار الشقاء).

أخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الحسن في قوله: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ ﴾[طه: ١١٧]، قال: "عنى به شقاء الدنيا، فلا تلقى ابن آدم إلا شقياً ناصباً"[(١)].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٩٨)، ورجال السند ثقات[(٢)].

معنى الآية إجمالاً:

بيّن الله تعالى لآدم عليه السلام عداوة إبليس له، وحذره أن يخرجه من الجنة، فيتعب ويشقى في معيشة الدنيا، فإنه في الجنة في عيش رغيد هنيء، بلا كلفة ولا مشقة[(٣)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله عز وجل حذر آدم عليه السلام من أن يخرجه إبليس من الجنة إلى الدنيا حيث

---

(١) الدر المنثور (١٠/ ٢٤٧).

(٢) رجال الإسناد:

١ – الحسن بن أبي الحسن البصري، ثقة فقية، تقدم ذكره في الاستنباط الرابع عشر من هذا الفصل.

٢- عمارة بن القعقاع بن شُبرمة الضبي الكوفي، ثقة، أرسل عن بن مسعود رضي الله عنه. ينظر: الجرح والتعديل (٦/ ٣٦٨)، تقريب التهذيب (٤٠٩).

٣- جرير بن عبدالحميد الضبي، ثقة، تقدم ذكره في الاستنباط السادس عشر من الفصل الخامس.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣١٢).

معيشة العناء والتعب، فدل مفهومها على أن معيشة العناء والتعب ليست خاصة بآدم عليه السلام، بل شاملة لكل ذريته؛ لأن هذه هي طبيعة الدنيا، فهي دار الشقاء والتعب.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

جعل الله الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وسيحصل الشقاء فيها لأهل الإيمان والكفران، لكن المؤمن إذا ناله مكروه يصبر ويحتسب، وهذا ما لا يكون لغيره(١).

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾[البلد: ٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "في شدة معيشته، وحمله وحياته، ونبات أسنانه"(٢).

وفي السنة من حديث أبي قتادة بن ربعي رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مرَّ عليه بجنازة، فقال: (مُسْتَرِيح ومُسْتَرَاح منه، قالوا يا رسول الله: ما المُسْتَرِيح والمُسْتَرَاح منه، فقال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد، والشجر والدواب)(٣).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٩٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٤٣٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٣)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". المستدرك (٢/ ٥٧٠)، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الرِّقاق، باب سكرات الموت، برقم: (٦١٤٧)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه، برقم: (٩٥٠).

قال ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ): "ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تعتور[١] الأمراض والأكدار، ولم يضيق العيش على الأنبياء والأخيار، ولقد لزق بهم البلاء، وعدموا الراحة،...، وإذ بان أنها دار ابتلاء، وسجن ومحن، فلا ينبغي أن يقع جزع من البلوى"[٢].

وقال ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) أيضاً: "فالدنيا وضعت للبلاء، فينبغي للعاقل أن يوطن نفسه على الصبر، وأن يعلم أنما حصل من المراد فلطف، وما لم يحصل فعلى أصل الخلق والجبلة للدنيا"[٣].

قال أبوالحسن التهامي[٤]:

طبعت على كدرٍ وأنت تريدها ... صفواً من الأقذاء والأكدار
ومُكلِّفُ الأيام ضِدَّ طِباعها ... مُتطلِّب في الماء جذوة نار
وإذا رجوتَ المُستحيل فإنما ... تبني الرَّجاء على شفيرٍ هار[٥]

---

(١) التعاور والاعتوار: أن يكون هذا مكان هذا، وهذا مكان هذا، فالأمراض مرة، والأكدار أخرى، فإن سلم الإنسان من المرض لم يسلم من المنغصات. ينظر: تهذيب اللغة (٣/ ١٠٥).

(٢) الثبات عند الممات (٢٦).

(٣) صيد الخاطر (٣٩٤).

(٤) علي بن محمد التهامي، أبوالحسن، الشاعر المشهور، له ديوان مشهور، وله مرثاة في ولده وكان قد مات صغيراً، هذه الأبيات منها، توفي سنة (٤١٦هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٧٨)، البداية والنهاية (١٢/ ١٩).

(٥) ديوان علي بن محمد التهامي (٢٧٦).

۞الاستنباط السادس والعشرون: (التحذير من لعبة الشطرنج[١]).

أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في ذمِّ الملاهي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب، عن علي بن أبي طالب أنه مرَّ على قوم يلعبون بالشِّطرنج، فقال: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[الأنبياء: ٥٢]؟ لَأَنْ يمسَّ أحدكم جمراً حتى يطفأ خير له من أن يمسَّها"[٢].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٨٧)، وابن أبي الدنيا في ذمِّ الملاهي(٧٧)، وابن أبي حاتم ذكره ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٣٨)، وقال محققه: "سنده ضعيف جداً؛ لأن الأصبغ بن نباتة متروك، رمي بالرفض"، والبيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٤٦٧)، وقال محققه: "إسناده ضعيف جداً"، وقال السخاوي: "وهذا السند ضعيف؛ لضعف الأصبغ، والراوي عنه". عمدة المحتج في حكم الشطرنج (٧١)، وقال الألباني بعد نقله كلام السخاوي السابق: "قلت: بل هو ضعيف جداً، فإن سعداً وشيخه كلاهما متروكان رافضيان، والأول رماه ابن حبان بالوضع،...، وجملة القول أن هذا الأثر لا يثبت عن علي". الإرواء (٨/ ٢٨٩).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن محاجة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه، ونهيهم عن الشرك، وتكسير

---

(١) الشطرنج: فارسي معرب، مأخوذ من المشاطرة؛ وهي المقاسمة؛ لأن كل من الطرفين له شطر ما يستحقه من اللعب؛ وهو النصيب، وهي لعبة معروفة. ينظر: درة الغواص في أوهام الخواص (١٥٦)، النهاية (٥/ ٢٩٥)، اللسان (٥/ ٢٩٩).

(٢) الدر المنثور (١٠/ ٣٠٢).

الأصنام، وإلزامهم بالحجة، إذ قال لهم: ما هذه التماثيل التي مثلتموها ونحتموها بأيديكم، على صور بعض المخلوقات، وتقيمون على عبادتها، فما هي؟ وأي فضيلة ثبتت لها؟ وأين عقولكم التي ذهبت حتى أفنيتم أوقاتكم بعبادتها؟ والحال أنكم مثلتموها ونحتموها بأيديكم، فهذا من أكبر العجائب، تعبدون ما تنحتون[1].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الاقتران بين الآية والحديث.

وذلك أن الله جمع بين الخمر والميسر والأنصاب والأزلام في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾[المائدة: ٩٠]، وجاء في السنة عن النبي ﷺ أنه قال: (شارب الخمر كعابد وثن)[2]، والخمر والميسر قرينان في كتاب الله تعالى، والشطرنج من الميسر، فأخذ بالاقتران أن لعبة الشطرنج تشبه عبادة الوثن؛ لأن قلب صاحبها يتعلق بها فلا يكاد يمكنه أن يدعها، كما لا يدع عابد الوثن عبادته[3].

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الشطرنج يشغل القلب، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ولا يعلم أحد من

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٥٢٥).

(٢) أخرجه ابن ماجة، كتاب الأشربة، باب مدمن الخمر، برقم: (٣٣٧٥)، قال المناوئ: "وإسناده جيد". فيض القدير (٢/ ٥٨٤)، وقال الألباني: "فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح". السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٨٩)، برقم: (٦٧٧).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢١٩)، جامع الرسائل (٢/ ٢٦٨)، جامع العلوم والحكم (٢٤١).

الصحابة أحلها، ولا لعب بها، وكلما نسب إلى أحد منهم أنه لعب بها فكذب وافتراء على الصحابة رضي الله عنهم[(١)].

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[المائدة: ٩١].

قال السخاوي (ت:٩٠٢هـ): "يدل على أن كل لهو دعا قليله إلى كثيره، وأوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه، وصدَّ عن ذكر الله وعن الصلاة، فهو كشرب الخمر والميسر، ويكون حراماً مثلهما، ولا شك أن الشطرنج إذا استكثر منها تسكرُ القلب وتصدُّه عن ذلك أعظمَ من يسير الخمر"[(٢)].

واختلف الفقهاء في حكم الشطرنج.

فذهب الجمهور على تحريم اللعب بالشطرنج على وجه القمار[(٣)].

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وقد صح النهي عنها عن عبدالله بن عباس، وعن عبدالله بن عمر، ولا يعلم لهما في الصحابة مخالف في ذلك البتة، وقد اتفق على تحريمها الأئمة الثلاثة وأتباعهم، والشافعي لم يجزم بإباحتها، فلا يجوز أن يقال: مذهب الشافعي إباحتها، فإن هذا كذب عليه، بل قال: وأما الشطرنج فلم يتبين لي تحريمها، فتوقف رضي الله عنه في التحريم، ولم يفت بالإباحة"[(٤)].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٤٣)، الفروسية (٣١١).

(٢) عمدة المحتج في حكم الشطرنج (١٣٤).

(٣) ينظر: الاستذكار (٨/ ٤٦٢)، منهاج السنة النبوية (٣/ ٤٣٧).

(٤) الفروسية (٣١٣).

بل الإجماع منعقد بين الأئمة على أن الشطرنج إذا كان بعوضٍ فإنه محرم، وممن حكى الإجماع ابن عبد البر[١]، وابن تيمية[٢]، وابن جزي[٣]، والسخاوي[٤].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "إذا كان بعوض، أو يتضمن ترك واجب، مثل: تأخير الصلاة عن وقتها، أو تضييع واجباتها، أو ترك ما يجب من مصالح العيال، وغير ذلك مما أُوجِب على المسلمين، فإنه حرام بإجماع المسلمين، وكذلك إذا تضمن كذباً أو ظلماً وغير ذلك من المحرمات، فإنه حرام بالإجماع، وإذا خلا عن ذلك فجمهور العلماء كمالك وأصحابه، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد بن حنبل وأصحابه، وكثير من أصحاب الشافعي أنه حرام"[٥].

وذهب بعضهم إلى أن اللعب بالشطرنج غير محرم إذا لم يكن على عوض.

قال ابن عبدالبر (ت:٤٦٣هـ): "وتحصيل مذهب مالك وجمهور الفقهاء في الشطرنج إن من لم يقامر بها، ولعب مع أهله في بيته مستتراً به، مرة في الشهر أو العام، لا يطلع عليه، ولا يعلم به، أنه معفو عنه غير محرم عليه، ولا مكروه له"[٦].

وقال أبوالحسين العمراني (ت:٥٥٨هـ): "الشطرنج موضوع على تعلم تدبير أمر الحرب، وربما يتعلم الإنسان بذلك القتال، وكل سبب يتعلم به أمر الحرب

---

(١) الاستذكار (٨/ ٤٦٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٤٠).

(٣) القوانين الفقهية (٢٧٨).

(٤) عمدة المحتج في حكم الشطرنج (١٣٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٤٠).

(٦) التمهيد لابن عبدالبر (١٣/ ١٨٣).

والقتال كان مباحاً"[١].

قال أبوإسحاق الشيرازي (ت:٤٧٦هـ): "ويكره اللعب بالشطرنج؛ لأنه لعب لا ينتفع به في أمر الدين، ولا حاجة تدعو إليه، فكان تركه أولى، ولا يحرم"[٢].

واستدل القائلون بالإباحة بأنها الأصل، ولأن فيها تدبير الحروب، ومكيدة العدو، وتذكية الأفهام[٣].

قال البغوي (ت:٥١٦هـ): "فرخص فيه بعضهم؛ لأنه قد ينتصر به في أمر الحرب ومكيدة العدو، ولكن بثلاث شرائط: ألا يقامر به، ولا يؤخر الصلاة عن وقتها، وأن يحفظ لسانه عن الخنا والفحش"[٤].

وقد ذكر ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) أنه لم يقل أحد من الأئمة بإباحة الشطرنج[٥]، وأما الشافعي فقد صرح بكراهيته للعب بها، وهو الأشبه والأولى بمذهبه، والكراهية في كلام السلف كثيراً وغالباً يراد بها التحريم[٦].

الخلاصة:

أن لعبة الشطرنج إذا كانت على عوض، أو اشتملت على مفاسد، كالصدِّ عن ذكر الله، وعن الصلاة، وضياع العمر في اللهو، وأورثت العداوة والبغضاء بين

---

(١) البيان في مذهب الإمام الشافعي (١٣/ ٢٨٨).

(٢) المهذب (٢/ ٣٢٥).

(٣) ينظر: عمدة المحتج في حكم الشطرنج (١٤٩).

(٤) شرح السنة (١٢/ ٣٨٥).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢١٦).

(٦) ينظر: سنن البيهقي الكبرى (١٠/ ٢١٢)، مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٤١).

أربابها، فهي محرمة إجماعاً.

وأما إذا لم تكن بعوض، ولم تشتمل على مفاسد، فذهب جمهور العلماء إلى تحريمها، وذهب بعضهم إلى كراهيتها، وأما الإباحة مطلقاً فلم تنقل عن أحد من الأئمة[1].

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٢٩-٢٤٥)، الفروسية (٣١٢).

۞الاستنباط السابع والعشرون: (كراهية السَّمر).

أخرج النسائي، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن ابن عباس قال: "إنما كُرِه السَّمَرُ حين نزلت هذه الآية: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[المؤمنون: ٦٧]"[1].

تخريجه:

أخرجه النسائي، كتاب التفسير، سورة المؤمنون، برقم: (١١٣٥١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٧)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن صفات المشركين وأحوالهم، ومنها تكبرهم على الناس بسبب الحرم، فيقولون: نحن أهل الحرم، فنحن أفضل من غيرنا وأعلى، مستكبرين به، ويتحدثون بالليل حول البيت، ويقولون الكلام القبيح في هذا القرآن ليصدوا الناس عنه[2].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى ذمَّ أقواماً يسمرون يخوضون في الباطل، فدل مفهومها على كراهية السمر في غير طاعة الله.

---

(١) الدر المنثور (١٠/ ٦٠٧).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٥٥٥).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الحديث بعد العشاء يسمى السَّمر، والسَّمر المكروه هو ما يكون في أمر مباح؛ لأن المحرم لا اختصاص لكراهته بها بعد صلاة العشاء، بل هو حرام في الأوقات كلها[1].

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: (كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها)[2].

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "قال العلماء: وسبب كراهة النوم قبلها أنه يعرضها لفوات وقتها باستغراق النوم، أو لفوات وقتها المختار والأفضل، ولئلا يتساهل الناس في ذلك فيناموا عن صلاتها جماعة، وسبب كراهة الحديث بعدها أنه يؤدي إلى السهر، ويخاف منه غلبة النوم عن قيام الليل، أو الذكر فيه، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز، أو في وقتها المختار أو الأفضل، ولأن السهر في الليل سبب للكسل في النهار عما يتوجه من حقوق الدين والطاعات، ومصالح الدنيا.

قال العلماء: والمكروه من الحديث بعد العشاء هو ما كان في الأمور التي لا مصلحة فيها، أما ما فيه مصلحة وخير فلا كراهة فيه، وذلك كمدارسة العلم، وحكايات الصالحين، ومحادثة الضيف، والعروس للتأنيس، ومحادثة الرجل أهله وأولاده للملاطفة والحاجة، ومحادثة المسافرين بحفظ متاعهم أو أنفسهم،

---

(١) ينظر: فتح الباري (٢/ ٧٣).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يكره من النوم قبل العشاء، برقم: (٥٤٣)، ومسلم، كتاب المساجد، باب استحباب التَّبْكير بالصبح في أول وقتها، برقم: (٦٤٧).

والحديث في الإصلاح بين الناس، والشفاعة إليهم في خير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإرشاد إلى مصلحة، ونحو ذلك، فكل هذا لا كراهة فيه، وقد جاءت أحاديث صحيحة ببعضه، والباقي في معناه،...، واتفق العلماء على كراهة الحديث بعدها إلا ما كان في خير"[١].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "وما ذاك إلا لأن النوم قبلها ذريعة إلى تفويتها، والسمر بعدها ذريعة إلى تفويت قيام الليل، فإن عارضه مصلحة راجحة، كالسَّمر في العلم، ومصالح المسلمين لم يكره"[٢].

وقال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ): "هذا يدلك على أن النهي عن السَّمر إنما هو لأجل هجر القول أو لغوه، أو لأجل خوف فوت قيام الليل، فإذا كان على خلاف هذا، أو تعلقت به حاجة، أو غرض شرعي، فلا حرج فيه"[٣].

وقال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ) أيضاً: "وأما كراهية السَّمر بعدها فلأن الصلاة قد كفرت خطاياه لينام على سلامة، وقد ختم الملك الكريم الكاتب صحيفته بالعبادة، فيملؤها بالهوس[٤]، ويجعل خاتمها الباطل أو اللغو، وليس هذا من فعل المؤمنين"[٥].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ١٤٦).

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ١٤٨).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٢٨).

(٤) الهوس: الإفساد، يقال: هوس الناس هوسا: وقعوا في اختلاط وفساد . ينظر: اللسان (٦/ ٢٥٢).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٢٦).

وقال الألباني (١٤٢٠هـ): "واعلم أن السَّمر- وهو التحدث في الليل- منهي عنه في غير ما حديث عنه ﷺ،...، ولذلك فما عليه جماهير الناس اليوم من السَّمر وراء التلفاز وأمثاله؛ هو من الفتن التي أصابت العالم الإسلامي في العصر الحاضر، نسأل الله السلامة من كل الفتن؛ ما ظهر منها وما بطن؛ إنه سميع مجيب"[1].

---

(١) السلسلة الصحيحة (٧/ ٥٨).

۞الاستنباط الثامن والعشرون: (صفة نملة سليمان ﷺ).

أخرج ابن أبي حاتم، عن الشعبي في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾ [النمل: ١٨]، قال: "النملة التي فَقِه سليمان كلامها كانت من الطير ذاتَ جناحين، ولولا ذلك لم يعرف سليمان ما تقول".

وأخرج عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة قال: "النمل من الطير"[(١)].

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٧)، وسنده ضعيف؛ لأن فيه راو لم يسم، وصِف بأنه شيخ من ثقيف، ولا يعلم اسمه ولا حاله، وأحمد بن بشير صدوق له أوهام[(٢)].

٢-الأثر الثاني أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ٧٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٥)، وقال الشيخ حكمت بشير: "أخرج عبدالرزاق بسنده الصحيح عن قتادة". التفسير الصحيح (٤/ ٤١٥).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن نبيه سليمان ﷺ أنه سار بجنوده الضخمة في بعض أسفاره، حتى أذا أتوا على وادي النمل، قالت نملة: - منبهة لرفقتها - ادخلوا مساكنكم، لا يحطمنكم سليمان وجنوده، وهم لا يشعرون، وأمرتهنّ بالحذر، ودخول مساكنهنّ، واعتذرت عنهم أنهم إن حطموكم، فليس عن قصد منهم ولا شعور،

---

(١) الدر المنثور (١١/ ٣٤٥).

(٢) ينظر: تهذيب الكمال (١/ ٢٧٣)، تقريب التهذيب (٧٨).

فسمع سليمان عليه السلام قولها وفهمه[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة.

وذلك أن سليمان عليه السلام أخبر أنه عُلِّم منطق الطير، فدل مفهوم المخالفة على أنه يجهل منطق غير الطير.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

لقد وهب الله سليمان عليه السلام ملكاً عظيماً، وسخر له الإنس والجن، والحيوان والطير، وآتاه من كل شيء.

واختلف السلف هل كان سليمان عليه السلام يعرف لغة الطير خاصة؟ أو: كان يعرف لغة الطير والحيوان؟.

فذهب قتادة والشعبي إلى أن سليمان عليه السلام عُلِّم منطق الطير خاصة، وأن النملة التي فهم قولها كانت من النمل ذات الأجنح.

قال السمعاني (ت:٤٨٩هـ): "فإن قيل: لم يكن النمل من الطير، وهو كان تعلم منطق الطير؟ والجواب عنه: قال الشعبي: كانت نملاً لها أجنحة، فيكون طيراً"[٢].

وذهب بعض السلف إلى أن سليمان عليه السلام عُلِّم منطق الطير والحيوان.

قال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ):"وقالت فرقة: بل كان في جميع الحيوان، وإنما

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٠٢).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ٨٥).

ذكر الطير لأنه كان جنداً من جنود سليمان يحتاجه في التظليل عن الشمس"[(١)].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضاً، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به رسوله، ومن زعم من الجهلة والرعاع أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه به كثير من الناس، فهو قول بلا علم، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة، إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم ويعرف ما تقول، وليس الأمر كما زعموا، ولا كما قالوا، بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خُلِقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال، ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور في الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها،...، ومن قال من المفسرين: أن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره، وأن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب، أو غير ذلك من الأقاويل، فلا حاصل لها"[(٢)].

وقال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ): "فجعل الله لسليمان معجزة فهم كلام الطير والبهائم والحشرات، وإنما خص الطير لأجل سوق قصة الهدهد بعدها، ألا تراه كيف ذكر قصة النمل معها، وليست من الطير، ولا خلاف عند العلماء في أن الحيوانات كلها لها أفهام وعقول"[(٣)].

وقال الألوسي (ت:١٢٧٠هـ): "وليس في الآية السابقة، ولا في الأخبار ما

---

(١) المحرر الوجيز (٤/ ٢٥٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٦٦٣-٦٦٥).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٤٧٢).

ينفي فهم ما يقصده غير الطير من الحيوانات بدون اطراد"[١].

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "والاقتصار على منطق الطير إيجاز؛ لأنه إذا عَلِمَ منطق الطير؛ وهي أبعد الحيوان عن الركون إلى الإنسان، وأسرعها نفوراً منه، عُلِمَ أن منطق ما هو أكثر اختلاطاً بالإنسان حاصل له بالأحرى، كما يدل عليه قوله تعالى فيما يأتي قريباً: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾[النمل: ١٩]، فتدل هذه الآية على أنه علّم منطق كل صنف من أصناف الحيوان"[٢].

الراجح:

أن الله تعالى علّم سليمان ﷺ لغة الطير والحيوان، وذلك للأسباب التالية:

الأول: أن وصف النملة أنها كانت ذات أجنحة، ليس عليه دليل من الكتاب والسنة، بل هو مأخوذ من الإسرائيليات أو عن طريق الاجتهاد، وقد جاء في أخبار أهل الكتاب ما يفيد معرفة سليمان ﷺ بلغة النمل، وذلك أن سليمان بن داود عليهما السلام خرج يستسقي، فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها، رافعة قوائمها إلى السماء، وهى تقول: "اللهم إنا خلق من خلقك، ولا غنى بنا عن سقياك، وإلا تسقنا تهلكنا، فقال سليمان: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم"[٣].

الثاني: أن دلالة مفهوم المخالفة يشترط لصحتها أن لا يظهر للمسكوت

---

(١) روح المعاني (١٩/ ١٧٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٧١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٨)، وقال الشيخ حكمت بشير: "وهو مرسل، ومن أخبار أهل الكتاب". تفسير القرآن العظيم (٥/ ٦٦٥).

أولوية بالحكم أو المساواة، فإن وقع شيء من ذلك كان مفهوم موافقة لا مخالفة[(١)]، وفي هذا الآية يكون المسكوت عنه أولى؛ لأنه إذا عَلِم منطق الطير؛ وهي أبعد الحيوان عن الركون إلى الإنسان، وأسرعها نفوراً منه، عُلِم أن منطق ما هو أكثر اختلاطاً بالإنسان حاصل له بالأحرى[(٢)].

الثالث: أن كون النملة لها جناحان لا يقتضي عدَّها من الطير[(٣)].

الرابع: أن الأصل أن يحمل المعنى على النمل المعروف؛ لأنه أولى بتأويل معنى الآية.

---

(١) ينظر: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (٣/ ٥١٥)، الإبهاج (١/ ٣٧٦)، البحر المحيط للزركشي (٣/ ١٠٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٩/ ٢٣٧).

(٣) ينظر: روح المعاني (١٩/ ١٧٥).

۞الاستنباط التاسع والعشرون: (الجاهلية الأولى والثانية).

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس: أن عمر بن الخطاب سأله فقال: "أرأيت قول الله تعالى لأزواج النبي ﷺ: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[الأحزاب: ٣٣]، هل كانت الجاهلية غير واحدة؟ فقال ابن عباس: ما سمعت بأُولى إلا ولها آخرة، فقال له عمر: فأتِني من كتاب الله ما يُصدِّق ذلك، فقال: إن الله يقول: (وجاهدوا في الله حقَّ جهاده كما جاهدتم أَوَّلَ مرة)[1]"

وأخرج ابن أبي حاتم، من وجه آخر، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[الأحزاب: ٣٣]، قال: "تَكونُ جاهلية أخرى"[2].

تخريجه:

١-الأثر الأول أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم ذكره ابن حجر في فتح الباري مختصراً (٨/ ٥٢٠)، قال د. عبدالمجيد الشيخ عبدالباري: "أخرجه ابن جرير من طريق ابن وهب،...، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف". الروايات التفسيرية في فتح الباري (٢/ ٩٢٩).

٢-الأثر الثاني أخرجه ابن أبي حاتم ذكره ابن حجر في فتح الباري

---

(١) قراءة شاذة في مصحف عائشة رضي الله عنها، ولعلها من المنسوخ من القرآن. ينظر: فهم القرآن ومعانيه (٤٠١)، شرح مشكل الآثار (١٢/ ٩)، نواسخ القرآن (٣٦).

(٢) الدر المنثور (١٢/ ٣٣).

(٨/ ٥٢٠)، ولم أقف على سنده.

معنى الآية إجمالاً:

يأمر الله ﷻ نساء النبي ﷺ بالقرار في بيوتهنّ؛ لأنه أسلم وأحفظ لهنّ، ولا يتبرجنّ تبرج الجاهلية الأولى، فلا يكثرنّ الخروج متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين، فكل هذا دفع للشر وأسبابه، ولما أمرهنّ بالتقوى عموماً، وبجزئيات من التقوى، نص عليها لحاجة النساء إليها كذلك، أمرهنّ بالطاعة، خصوصاً الصلاة والزكاة اللتان يحتاجها، ويضطر إليهما كل أحد، وهما أكبر العبادات، وأجل الطاعات[١].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة.

وذلك أن الله تعالى نهى نساء النبي ﷺ أن يتبرجنّ تبرج الجاهلية، ووصفها بالأولى، فدل مفهوم المخالفة على أن ثمّ جاهلية أخرى في الإسلام.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

الجاهلية هي الحالة التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، من الجهل بالله ورسوله، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر والتبرج، وغير ذلك[٢].

واختلف السلف هل ثمّة جاهلية متقدمة وأخرى متأخرة؟ أم: هي جاهلية وحدة سبقت الإسلام؟.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٦٤).

(٢) ينظر: النهاية (١/ ٣٢٣).

فذهب بعض المفسرين إلى أن الجاهلية جاهليتان، الأولى قبل الإسلام، والثانية بعد الإسلام.

قال أبوطالب المكي (ت:٢٨٦هـ): "﴿ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[الأحزاب: ٣٣]، يدل على أن ثمّ جاهلية أخرى في الإسلام، دلَّ على ذلك قول النبي ﷺ: (ثلاث من عمل أهل الجاهلية لا يدعهنّ الناس: الطعن بالأنساب، والاستمطار بالكواكب، والنياحة)(١)"(٢).

وقال الجصَّاص (ت:٣٧٠هـ): "وقيل في الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام، والجاهلية الثانية حال من عمل في الإسلام بعمل أولئك"(٣).

وقال السمعاني (ت:٤٨٩هـ): "وأما الجاهلية الأخرى فقوم يفعلون مثل فعلهنّ، وذلك في آخر الزمان"(٤).

وقال أبوحيان (ت:٧٤٥هـ): "و﴿ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[الأحزاب: ٣٣]، يدل على أن ثمَّ جاهلية متقدمة وأخرى متأخرة،...، ويجوز أن يكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام"(٥).

وذهب بعض المفسرين إلى أنها جاهلية واحدة قبل الإسلام.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٢/ ٥١٩)، وقال محققه: "إسناده حسن".

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٩/ ٥٨٣٢).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٣٠).

(٤) تفسير السمعاني (٤/ ٢٨٠).

(٥) البحر المحيط (٧/ ٢٢٣).

قال السمعاني (ت:٤٨٩هـ): "وقال بعضهم: يجوز أن يذكر الأولى وإن لم يكن لها أخرى، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[النجم: ٥٠]، ولم يكن لها أخرى"(١).

وقال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ): "الذي عندي أنها جاهلية واحدة؛ وهي قبل الإسلام، وإنما وصفت بالأولى؛ لأنها صفتها التي ليس لها نعت غيرها، وهذا كقوله: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ ﴾[الأنبياء: ١١٢]، وهذه حقيقته؛ لأنه ليس يحكم إلا بالحق"(٢).

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "وجعلها أولى بالإضافة إلى حالة الإسلام، وليس المعنى أن ثمَّ جاهلية أخرى"(٣).

وقال ابن عاشور (ت:١٢٨٤هـ): "ووصفها بالأولى وصف كاشف؛ لأنها أولى قبل الإسلام، وجاء الإسلام بعدها، فهو كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[النجم: ٥٠]، وكقولهم: (العشاء الآخرة)(٤)، وليس ثمّة جاهليتان أولى وثانية"(٥).

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٢٨٠).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٥٧١).

(٣) المحرر الوجيز (٤/ ٣٨٤).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من كره أن يقال للمغرب العشاء، برقم: (٥٣٨)، ومسلم، كتاب المساجد، باب وقت العشاء وتأخيرها، برقم: (٦٤٣).

(٥) التحرير والتنوير (٢٢/ ١٣).

الراجح:

أن الجاهلية واحدة، وهي ما كانت قبل الإسلام، وذلك للأسباب التالية:

الأول: أن وصف الجاهلية بالأولى، من باب الوصف الكاشف، ويسميها العلماء صفة كاشفة؛ أي: مُبينة، وهي التي تكون كالتعليل لموصوفها، و هي من موانع اعتبار مفهوم المخالفة عند الأصوليين[١].

الثانية: أن حمل الوصف على قصد التقييد تكلف، لا دليل عليه[٢].

الثالث: أن الأحاديث التي جاء فيها نسبت بعض الأعمال إلى الجاهلية، فإن المراد ذمّ لذلك الخُلُق ولأخلاق الجاهلية التي لم يجيء بها الإسلام، وأن هذا الخلق من أخلاق الجاهلية، لا أن المراد أن في الإسلام جاهلية ثانية[٣].

الرابع: أن جميع الخصال التي جاء ذمّها في الأحاديث، ونسبتها إلى الجاهلية، وجدت في الجاهلية التي قبل الإسلام، فنسبتها إليها أولى من نسبتها إلى جاهلية أخرى.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/ ١٣)، أضواء البيان (٥/ ٣٦٤)، شرح العقيدة الوسطية للعثيمين (١/ ٣٧١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/ ١٣).

(٣) ينظر: جامع البيان (٢٠/ ٢٦١)، شرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ١٣٢)، اقتضاء الصراط (٧٥).

۞الاستنباط الثلاثون: (شؤم الذنب على الدواب).

أخرج الفريابي، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود قال: "إن كان الجُعَلُ ليُعذب في جحره من ذنب ابن آدم، ثم قرأ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[فاطر: ٤٥]"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٠٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢١٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٤)، وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي.

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم، وأنه لو يعاقبهم ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي، واجترحوا من الآثام، ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها، ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده[٢].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة العموم.

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه لو يعاقب الناس على ذنوبهم لأهلك ما على الأرض من الدواب، وهذا يقتضي أن تهلك الحيوانات بذنوب بني آدم، لأن النكرة في سياق النفي إذا زيدت قبلها لفظة "من" تكون نصاً صريحاً في العموم،

---

(١) الدر المنثور (١٢/ ٣٠٩).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٠/ ٤٨٦)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٨٨).

وعليه فقوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾، يشمل كل ما يطلق عليه اسم الدابة نصاً(١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

عقوبة الذنب لا تقتصر على فاعله، بل يصل شؤمها إلى غيره من الناس والدواب؛ لأن شؤم المعاصي يهلك به الحرث والنسل(٢).

واختلف السلف في المراد بالدواب، هل هو خاص يراد به المكلف؟ أو: عام يشمل الكل؟.

فذهب بعض المفسرين إلى أنه خاص يراد به الجن والإنس دون غيرهما؛ لأنهما مكلفان بالعقل، ودليلهم على هذا التخصيص: أن الله لا يعاقب أحداً بذنب أحد، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[فاطر: ١٨](٣)، وعلى هذا القول لا يصح هذا الاستنباط؛ لأن الآية من العام المخصوص.

وذهب جمهور المفسرين إلى أنه عام يشمل جميع ما يدب على وجه الأرض من المباشرين للمعصية وغيرهم من أنواع الدواب والحيوانات(٤).

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[الأنفال: ٢٥].

قال ثعلب (ت:٢٩١هـ): "وتأويله: الجزاء والعذاب إذا نزل عمّ"(٥).

---

(١) ينظر: أضواء البيان (٢/ ٣٩١).

(٢) ينظر: الجواب الكافي (٣٨)، تيسير الكريم الرحمن (٤٤٣).

(٣) ينظر: مجاز القرآن (٢/ ١٥٦)، النكت والعيون (٤/ ٤٧٩)، المحرر الوجيز (٣/ ٤٠٣).

(٤) ينظر: جامع البيان (٢٠/ ٤٨٦)، المحرر الوجيز (٣/ ٤٠٤)، أضواء البيان (٢/ ٣٩١).

(٥) مجالس ثعلب (٣٨).

وفي السنة من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: (إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم)(١).

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "مصائب الدنيا إذا وردت لا تخص الظالم وحده، بل تصيب الظالم وغيره، ويبعثون على نياتهم وأعمالهم"(٢).

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "فإن قيل: فكيف يعمّ بالهلاك مع أن فيهم مؤمناً ليس بظالم؟ قيل: يجعل هلاك الظالم انتقاماً وجزاءً، وهلاك المؤمن معوضاً بثواب الآخرة"(٣).

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "والأحاديث بمثله كثيرة معروفة، وإذا ثبت في الأحاديث الصحيحة أن العذاب إذا نزل بقوم عمّ الصالح والطالح، فلا إشكال في شمول الهلاك للحيوانات التي لا تعقل، وإذا أراد الله إهلاك قوم أمر نبيهم ومن آمن منهم أن يخرجوا عنهم؛ لأن الهلاك إذا نزل عمّ"(٤).

الراجح:

أن العذاب إذا نزل بقوم شمل جميع ما يدب على وجه الأرض، وذلك لما يأتي:

الأول: أنه قد جاء في الكتاب والسنة ما يدل على أن العذاب إذا نزل عمّ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب إذا أنزل الله بقوم عذابا، برقم: (٦٦٩١)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم: (٢٨٧٩).

(٢) طريق الهجرتين (٥٨٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٢٠).

(٤) أضواء البيان (٢/ ٣٩١).

الكل، لا يسلم منه أحد.

الثاني: أنه لا حجة في الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر: ١٨]، على أن العذاب لا يصيب إلا الظلمة؛ لأن هذا معنى آخر؛ وهو أن الله تعالى لا يجعل العقوبة تقصد أحداً بسبب ذنوب غيره، ولكن إذا أرسل عذاباً على أمة عاصية، لم يمكن البريء التخليص من ذلك العذاب، فيصيبه العذاب معهم، لا بأنه مجازاة له[1].

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٠٣).

۞الاستنباط الحادي والثلاثون: (يطلق القديم على الحولي).

أخرج ابن المنذر، عن الحسين بن الوليد[1] قال: "أعتق رجل كلَّ غلام له قديم، فسُئِل يعقوب[2] فقال: من كان لسنة فهو حُرٌّ، قال الله: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩﴾[يس: ٣٩]، وكان لسنة"[3].

تخريجه:

لم أجد من ذكر هذا الأثر في ما وقفت عليه من كتب.

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن آية من آياته؛ وهي القمر الذي قدره منازل، كل ليلة ينزل منها واحدة، حتى صغر جداً، وعاد مثل عرجون النخلة الذي من قدمه يبس، وصغر حجمه، وانحنى، ثم بعد ذلك ما زال يزيد شيئاً فشيئاً، حتى يتم نوره، ويتسق ضياؤه[4].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى شبه القمر إذا انتهى بالعرجون القديم؛ وهو الذي يبقى إلى

---

(١) الحسين بن الوليد القرشي النيسابوري، أبوعلي، ويقال: أبوعبدالله، ثقة، توفي سنة (٢٠٢هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٦/ ٤٩٥)، تقريب التهذيب (١٦٩).

(٢) لم أستطع الاهتداء إلى المقصود به؛ لأنه ذكر بدون ذكر الأب أو الكنية.

(٣) الدر المنثور (١٢/ ٣٥٠).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٩٦).

حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد، قيل للذي أتى عليه الحول قديماً[(١)]، فأخذ بدلالة الإشارة أن وصف القديم يطلق على ما له سنة.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

أكثر ما يستعمل القديم باعتبار الزمان، والعرب يسمون ما تجدد حادثاً، وما تقدم على غيره قديماً[(٢)].

قال الفراء (ت:٢٠٧هـ): "والقديم في هذا الموضع الذي قد أتى عليه حول"[(٣)].

ولا يظهر صحة هذا الاستنباط على العموم؛ لجهالة قائله، ولأن الوصف بالقِدم أمر نسبي يرجع فيه للعرف، فقد يطلق على ما ليس له سنة، وقد لا يطلق على ما مضى عليه أكثر من سنة، وما جاء في وصف العرجون بالقديم بسبب مضى الحول عليه؛ فلأنه بعد الحول يأتي العرجون الجديد، فيسمى الأول قديماً بالنسبة إليه.

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وأما اللغة التي نزل بها القرآن فالقديم فيها خلاف المحدث، وهما من الأمور النسبية، فالشيء المتقدم على غيره قديم بالنسبة إلى ذلك المحدث، والمتأخر محدث بالنسبة إلى ذلك القديم، وإن كانا كلاهما محدثين

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٨).

(٢) ينظر: المفردات (٣٩٧)، درء التعارض (١/ ٣٧٤).

(٣) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (١١٤).

بالنسبة إلى من تقدمهما، وقديمين بالنسبة إلى من تقدماه، ولم يوجد في لغة القرآن لفظ القديم مستعملاً إلا فيما يقدم على غيره"[١].

وقال الرازي (ت:٦٠٦هـ): "والقديم المتقادم الزمان، قيل: إن ما غبر عليه سنة فهو قديم، والصحيح: أن هذه بعينها لا تشترط في جواز إطلاق القديم عليه، وإنما تعتبر العادة، حتى لا يقال: لمدينة بنيت من سنة وسنتين إنها بناء قديم، أو هي قديمة، ويقال لبعض الأشياء: إنه قديم وإن لم يكن له سنة"[٢].

وقال أبوحيان (ت:٧٤٥هـ): "والقِدم أمر نسبي، وقد يطلق على ما ليس له سنة، ولا سنتان"[٣].

---

(١) الصفدية (٢/ ٨٤).

(٢) التفسير الكبير (٢٦/ ٦٤).

(٣) البحر المحيط (٧/ ٣٢٢).

الاستنباط الثاني والثلاثون: (الفرج عند تناهي الكرب).

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة قال: "ذُكِرَ لنا أن رجلاً قال لعمر: يا أمير المؤمنين، قحط المطر، وقنط الناس، فقال عمر: مُطِرْتمُ إذاً، ثم قرأ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾[الشورى: ٢٨]"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١/ ٥٣٧)، قال الشيخ حكمت بشير: "ورجاله ثقات، ولكن قتادة لم يصرح باسم شيخه، فسنده ضعيف". تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٥٣).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى أنه هو الذي ينزل المطر الغزير الذي به يغاث البلاد والعباد، من بعد ما قنطوا وانقطع عنهم مدة، وظنوا أنه لا يأتيهم وأيسوا، وعملوا لذلك الجدب أعمالاً، فينزل الله الغيث، وينشر به رحمته؛ من إخراج الأقوات للآدميين، وبهائمهم، فيقع عندهم موقعاً عظيماً، ويستبشرون بذلك ويفرحون[٢].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه هو الذي ينزل المطر من بعد إياس الناس من نزوله، فدل مفهومها على أنه إذا قنط الناس، ويأسوا من نزول الغيث، أن هذه

(١) الدر المنثور (١٣/ ١٦١).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٧٥٩).

علامة على نزوله.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

ينبغي على المسلم إذا اشتدت عليه الكروب، وعظمت عليه الخطوب، وضاقت السبل، أن يلهج بالدعاء، ويبذل الأسباب، ويوقن أن فرج الله قريب.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "من بعد إياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم، وفقرهم إليه، كقوله ﷻ: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[الروم: ٤٩]"[١].

وفي السنة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: (واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً)[٢].

قال ابن رجب (ت:٧٩٥هـ): "وكم قص سبحانه من قصص تفريج كربات أنبيائه عند تناهي الكرب، كإنجاء نوح ومن معه في الفلك، وإنجاء إبراهيم من النار، وفدائه لولده الذي أُمر بذبحه، وإنجاء موسى وقومه من أليم، وإغراق عدوهم، وقصة أيوب ويونس، وقصص محمد ﷺ مع أعدائه وإنجائه منهم،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٥٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٠٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٢٣) والحاكم وصححه في المستدرك (٣/ ٦٢٣)، وقال العقيلي: "الأسانيد في هذا لينة". الضعفاء (٣/ ٣٩٧)، وقال ابن رجب: "وفي أسانيدها كلها ضعف،...، وبعضها أصلح من بعض، وبكل حال فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة". جامع العلوم والحكم (١٨٥).

كقصته في الغار، ويوم بدر، ويوم أُحُد، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، وغير ذلك"(١).

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "يجعل الشدائد مبشرة بالفرج، والعسر مؤذناً باليسر، وإذا تأملت ما قصه عن أنبيائه وأصفيائه، وكيف لما اشتدت بهم الحال، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾[البقرة: ٢١٤]، رأيت من ذلك العجب العجاب، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾[الشرح: ٥-٦]"(٢).

(١) جامع العلوم والحكم (١٩٦).

(٢) القواعد الحسان في تفسير القرآن (٤٧).

۞الاستنباط الثالث والثلاثون: (العربية لغة أهل السماء).

أخرج ابن أبي شيبة، عن مقاتل بن حيان قال: "كلام أهل السماء العربية، ثم قرأ: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾[الزخرف: ١- ٣] الآيتين"[١].

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١١٧)، ورجال السند ثقات[٢].

معنى الآيتين إجمالاً:

أقسم الله تعالى بالكتاب المبين، وأطلق ولم يذكر المتعلق، ليدل على أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين والآخرة، والمقسم عليه أنه جعل بأفصح اللغات وأوضحها، وأبينها، وذكر الحكمة في ذلك؛ وهي لعلهم يعقلون ألفاظه ومعانيه، لتيسرها وقربها من الأذهان[٣].

---

(١) الدر المنثور (١٣/ ١٨٤).

(٢) رجال الإسناد:

١- مقاتل بن حيان النبطي، أبوبسطام البلخي، ثقة صدوق، توفي قبل (٥٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٣٥٣)، تقريب التهذيب (٥٤٤).

٢- ثعلبة بن سهيل الطُّهَوي، أبومالك الكوفي، ثقة صدوق، توفي قبل (٥٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ٤٦٤)، تقريب التهذيب (١٣٣).

٣- جرير بن عبدالحميد الضبي، ثقة، تقدم ذكره في الاستنباط السادس عشر من الفصل الخامس.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٧٦٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة.

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فأخذ بدلالة الإشارة على أن جعل هذا الكتاب عربي؛ يدل على أن لسان أهل السماء عربي.

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

من المعلوم أن الله تعالى إنما خاطب خلقه بما يفهمونه، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه، وأنزل كتابه على لغتهم؛ ليبين لهم طريق الحق، ويقيم عليهم الحجة[1].

وهذا الاستنباط غير صحيح؛ لأن لغة أهل السماء أمر غيبي، لا يعلم إلا بالوحي، وكون نزول القرآن بالعربية على أمة محمد ﷺ لا يستلزم أن تكون لغة أهل السماء العربية؛ لأن الله تعالى ينزل الكتب، ويرسل الرسل عليهم السلام بلغة أقوامهم.

قال ابن حزم (ت:٤٥٦هـ): "قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه،...، فبكل لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه، وقد أنزل التوراة والإنجيل والزبور، وكلّم موسى عليه السلام بالعبرانية، وأنزل الصحف على إبراهيم عليه السلام بالسريانية، فتساوت اللغات في هذا تساوياً واحداً، وأما لغة أهل الجنة وأهل النار

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٧٦٢).

فلا علم عندنا إلا ما جاء في النص والإجماع، ولا نص ولا إجماع في ذلك"[١].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "لا يعلم بأي لغة يتكلم الناس يومئذ، ولا بأي لغة يسمعون خطاب الرب جل وعلا؛ لأن الله تعالى لم يخبرنا بشيء من ذلك، ولا رسوله عليه الصلاة والسلام، ولم يصح أن الفارسية لغة الجهنميين، ولا أن العربية لغة أهل النعيم الأبدي، ولا نعلم نزاعاً في ذلك بين الصحابة ﷺ، بل كلهم يكفون عن ذلك؛ لأن الكلام في مثل هذا من فضول القول،...، وكل هذه الأقوال لا حجة لأربابها، لا من طريق عقل، ولا نقل، بل هي دعاوى عارية عن الأدلة"[٢].

---

(١) الإحكام (١/ ٣٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٠).

۞الاستنباط الرابع والثلاثون: (ضعف حجة المرأة).

أخرج عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة في قوله: ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ۝١٨﴾[الزخرف: ١٨]، قال: "قلَّما تكلَّمت امرأة تريد أن تتكلَّم بحُجَّتِها إلا تكلَّمت بالحُجَّة عليها"[(١)].

تخريجه:

أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ١٩٥)، وابن جرير في تفسيره (٢١/ ٥٨٠)، وقال الشيخ أبوإسحاق الحويني في سلسلة هذا السند عند عبدالرزاق في متن آخر: "وسنده صحيح". تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٩).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى عن حال المرأة عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، أنها غير مُبينة لحجتها، ولا مُفصِح عما احتوى عليه ضميرها، فكيف ينسبونهنّ لله تعالى؟![(٢)].

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم الموافقة.

وذلك أن الله تعالى أخبر عن ضعف المرأة وعجزها عن البيان عند الخصام، فدل مفهومها على أن المرأة قد تضيّع حقها عند الخصومة؛ لضعف بيانها، فقد تتكلم بالحجة لها فتكون عليها.

---

(١) الدر المنثور (١٣/ ١٩٣).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٧٦٢).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

المرأة ناقصة في الظاهر والباطن، فيكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة، وإذا خاصمت فلا عبارة لها، بل هي عاجزة عيية(١).

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها)(٢).

فبيّن النبي ﷺ أن الأقدر على البيان والحجة قد يحول الحق إلى باطل، والباطل إلى حق، وأن الأضعف عن البيان والحجة قد يذهب حقه، وينقلب الحكم ضده.

قال القَصَّاب (ت:٣٦٠هـ): "المرأة إذا كان لها حق تطالب به وكلت رجلاً يطالب لها، إذا هي غير مبينة في خصومتها"(٣).

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "المرأة لا تكاد تتكلم بحجة لها إلا كانت عليها، فبيّن أنهنّ من نقصهن يكملن بالحلية التي تزينهن في أعين الرجال، وهي لا تبين في الخصام، وعدم البيان صفة نقص، فإن الله ميّز الإنسان بالنطق والبيان الذي فضله به على سائر الحيوان"(٤).

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٦٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، برقم: (٢٥٣٤)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، برقم: (١٧١٣).

(٣) نكت القرآن (٤/ ١٢٥).

(٤) درء التعارض (٧/ ٣٦٥).

وقال ابن جزي (ت:٧٤١هـ): "الأنثى إذا خاصمت أو تكلمت لم تقدر أن تبيّن حجتها؛ لنقص عقلها، وقَلَّ ما تجد امرأة إلا تفسد الكلام، وتخلط المعاني"[1].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "الأنثى غالباً لا تقدر على القيام بحجتها، ولا الدفاع عن نفسها"[2].

وهذا على سبيل العموم؛ وقد يوجد في الأفراد من يخالف ذلك العموم كما سبق في حديث: (كمل من النساء...)[3].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٦).

(٢) أضواء البيان (٧/ ٩١).

(٣) ينظر: الاستنباط السادس من هذا الفصل.

۞الاستنباط الخامس والثلاثون: (تُبَّع رجل صالح).

أخرج الحاكم وصححه، عن عائشة في قوله: ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾[الدخان: ٣٧]، قالت: "كان تُبَّع رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله ذمَّ قومه ولم يَذمَّه"(١).

تخريجه:

أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٨)، وابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٤٠) ونسب الجزء الأول منه لعائشة رضي الله عنها، وأما الجزء الثاني من قوله: "ذمَّ قومه...)، فنسبه لكعب، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى منكراً على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد، متوعداً ومنذراً لهم بأسه الذي لا يرد، كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين المنكرين للبعث، فإنهم ليسوا خيراً منهم، وقد اشتركوا في الإجرام، فليتوقعوا من الهلاك ما أصاب إخوانهم المجرمين(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة مفهوم المخالفة.

وذلك أن الله تعالى ذمّ قوم تُبَّع، وأخبر بهلاكهم؛ لكفرهم بالله، وإنكارهم للبعث والمعاد، فدل مفهوم المخالفة على أن تُبَّع رجل صالح؛ لأنه لم يُذمّ مع قومه.

---

(١) الدر المنثور (١٣/ ٢٧٩).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٦٠١)، تيسير الكريم الرحمن (٧٧٤).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

تُبَّع كل مَلِك مَلَك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام، فقوم تُبَّع كذبوا الرسول الذي أرسله الله إليهم، ولم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول، وأي تُبَّع من التبابعة، لكن هذه الحادثة العظيمة كانت مشهورة عند العرب(١).

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم)(٢).

وحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما أدري تبع أنبياً كان أم لا)(٣).

والجمع بين الأحاديث التي فيها عدم معرفة النبي ﷺ لحاله، وبين هذه الأحاديث التي جاء النهي عن سبه، أن النبي ﷺ أعلم بحاله بعد أن كان لا يعلمها، فلذلك نهى عن سبه خشية أن يبادر إلى سبه من سمع الكلام الأول(٤).

قال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): "المشار إليه في هذه الآية رجل صالح من

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٨٠٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٩٦)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أحمد بن أبي بزَّة المكي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات". مجمع الزوائد (٨/ ٧٦)، وقال الشيخ حكمت بشير: "ولا يضره إذ يشهد له سابقة [يقصد حديث سهل بن ساعد]". تفسير القرآن العظيم (٦/ ٦٠٣). وقال ابن حجر: "وإسناده أصلح من إسناد سهل". فتح الباري (٨/ ٥٧١)، وحديث سهل بن سعد أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٤٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢٠٣). وقال محققو المسند: "حسن لغيره". (٣٧/ ٥١٩).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٩٢)، وقال: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعلم له علة، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٤) ينظر: فتح الباري (٨/ ٥٧١).

التبابعة"[١].

وقال ابن جزي (ت:٧٤١هـ): "كان تُبَّع ملك من حمير، وكان مؤمناً، و قومه كفاراً، فذمّ الله قومه ولم يذمّه"[٢].

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٧٥).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٣٦).

۞الاستنباط السادس والثلاثون: (دفع عذاب الكفار بسبب المؤمنين).

أخرج ابن جرير، عن قتادة: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾[الفتح: ٢٥]، قال: "إن الله ﷻ يدفع بالمؤمنين عن الكفار"(١).

تخريجه:

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٢٥١)، وجاء عند الثعلبي والبغوي زيادة: "كما يدفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة". تفسير الثعلبي (٩/ ٦٢)، تفسير البغوي (٤/ ٢٠٤)، وإسناده حسن. ينظر: التفسير الصحيح (٤/ ٣٥٩).

معنى الآية إجمالاً:

يخبر تعالى ذكره أنه يؤخر عقوبة الكفار ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين، وليرجع كثير منهم إلى الإسلام، وأنه لو تميّز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم لعذبهم الله عذاباً أليماً(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإيماء والتنبيه.

وذلك أن الله ﷻ علل تأخير العذاب عن كفار مكة من أجل المؤمنين الذين بين أظهرهم، فأخذ بدلالة الإيماء على أن وجود المؤمنين بين الكفار سبب يدفع العذاب عنهم.

---

(١) الدر المنثور (١٣/ ٣٢٥).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٦٨٣).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين أن يؤخر العذاب عن الكفار الذين بين أظهرهم حتى لا يصيبهم العذاب.

وجاء في كتاب الله ما يدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأنفال: ٣٣].

وذكر الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ) أوجه العلماء في هذه الآية، ومنها: "أن المراد بقوله : ﴿ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾، استغفار المؤمنين المستضعفين بمكة، وعليه فالمعنى أنه بعد خروجه ﷺ كان استغفار المؤمنين سبباً لرفع العذاب الدنيوي عن الكفار المستعجلين للعذاب بقولهم: ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[الأنفال: ٣٢]،...، فالعذاب الدنيوي يدفعه الله عنهم باستغفار المؤمنين الكائنين بين أظهرهم"[(١)].

قال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ): "تنبيه على مراعاة الكافر في حرمة المؤمن إذا لم تمكن إذاية الكافر إلا بإذاية المؤمن"[(٢)].

وقال القرطبي (ت:٦٧١هـ): "هذه الآية دليل على مراعاة الكافر في حرمة المؤمن إذ لا يمكن أذية الكافر إلا بأذية المؤمن"[(٣)].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وقد يدفع العذاب عن الكفار والفجار لئلا

---

(١) دفع إيهام الاضطراب (١٠٤).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٣٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٢٨٦).

يصيب من بينهم من المؤمنين ممن لا يستحق العذاب"[١].

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ): "الحكمة في ذلك المحافظة على المؤمنين والمؤمنات الذين لم يتميزوا عن الكفار في ذلك الوقت"[٢].

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ١١٤).

(٢) أضواء البيان (١/ ٣٢٨).

۞الاستنباط السابع والثلاثون: (المطر رحمة يتبرك به).

أخرج البخاري في الأدب، عن ابن عباس أنه كان إذا أمطرت السماء يقول: "يا جارية أخرجي سرجي، أخرجي ثيابي، ويقول: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ [ق: ٩]"(١).

تخريجه:

أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٢١)، برقم: (١٢٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٧٦)، برقم: (٩٣٢).

معنى الآية إجمالاً:

يقول تعالى ذكره ونزلنا من السماء مطراً مباركاً، كثير الخير، وفيه حياة كل شيء، فأنبتنا به جنات من النخيل والعنب والرمان، وحب الزرع المحصود من البُر والشعير، وسائر أنواع الحبوب(٢).

دراسة الاستنباط:-

أولاً: وجه الاستنباط:

بدلالة الإشارة والحديث.

وذلك أن الله ﷻ وصف المطر النازل من السحاب بالبركة، وكان النبي ﷺ يكشف عن بعض بدنه ليصيبه المطر، فدل على أن المطر رحمة من الله يتبرك به، إذا نزل يكشف الإنسان عن بعض بدنه ومتاعه رجاء بركته.

---

(١) الدر المنثور (١٣/ ٦١٧).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٣٣٤)، تفسير البغوي (٤/ ٢٢١).

ثانياً: أقوال أهل العلم في المعنى المستنبط:

من آيات الله تعالى ونعمه على عباده أن ينزل عليهم الغيث الذي تحيا به البلاد والعباد.

وجاء في السنة ما يدل على هذا المعنى، من حديث أنس ﷺ قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر قال: فحسر[1] رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا يا رسول الله: لم صنعت هذا؟ قال: (لأنه حديث عهد بربه تعالى)[2].

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "ومعناه: أن المطر رحمة؛ وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها، فيتبرك بها"[3].

وقال الصنعاني (ت:٨٥٢هـ): "يعني: أن المطر رحمة، وهي قريبة العهد بخلق الله لها فيتبرك بها، وهو دليل على استحباب ذلك"[4].

وقال ابن قدامة (ت:٦٢٠هـ): "ويستحب أن يقف في أول المطر، ويخرج رحله ليصيبه المطر، لما روى أنس أن النبي ﷺ لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادر عن لحيته. رواه البخاري[5]"[6].

وقال النووي (ت:٦٧٦هـ): "السنة أن يكشف بعض بدنه ليصيبه أول

(١) حسر: كشف بعض بدنه. شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم: (٨٩٨).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٩٥).

(٤) سبل السلام (٢/ ٨٢).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، برقم: (٨٩١).

(٦) المغني (٢/ ١٥٤).

المطر"[١].

وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): "وهذه السنّة ثابتة في الصحيح، وعليه فيقوم الإنسان ويخرج شيئاً من بدنه؛ إما من ساقه، أو من ذراعه، أو من رأسه حتى يصيبه المطر اتباعاً لسنّة النبي ﷺ"[٢].

(١) المجموع (٥/ ٨٥).

(٢) الشرح الممتع (٥/ ٢٢٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي منّ عليّ وأعانني على إكمال هذا البحث، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

في ختام هذا البحث أُعرّج على أهم النتائج والتوصيات العلمية للبحث، وهي كما يلي:

نتائج البحث:

١- شمولية استنباطات السلف ﭬ لجميع أبواب الشريعة.

٢- عناية السلف ﭬ في استنباطاتهم وحرصهم البالغ على الآداب الحسنة، والأخلاق الجميلة، وتهذيب النفوس وإصلاحها.

٣- تلقّى السلف ﭬ الأمور الغيبة بالقبول والتسليم، ولم يقدموا العقل على النقل، ولم يخوضوا فيها باستنباطات خاطئة أو اجتهادات باطلة، وإن وجد لهم استنباط عن الغيبيات فلا يخلو من أن يكون لهم فيها مستند صحيح، أو يكون مما يصح له حكم الرفع.

٤- أصح استنباطات السلف ﭬ ما صح سنداً ومتناً، ولم يكن له معارض.

٥- الاستنباط مبني على معرفة التفسير، فلا بد للمستنبط أن يكون لديه إلمام بتفسير الآية قبل الاستنباط منها.

٦- القدرة على الاستنباط ليست أمراً سهلاً يستطيعه الجميع، بل لا بد له من فهم عميق، وملكة قوية، وإلمام بالتفسير.

٧- أكثر السلف استنباطاً من الصحابة هو ابن عباس رضي الله عنهما حيث بلغ عدد استنباطاته في هذه الرسالة خمسة وثلاثين استنباطاً، ومن التابعين قتادة بن دعامة رحمه الله حيث بلع عدد استنباطاته في هذه الرسالة اثنين وثلاثين استنباطاً.

٨- أكثر الدلالات التي استخدمها السلف ﭫ في الاستنباط هي دلالة مفهوم الموافقة، حيث بلغ عدد المعاني المستنبطة عن طريقها من القرآن الكريم في هذه الرسالة اثنين وثمانين استنباطاً.

التوصيات:

١- ينبغي التثبت من صحة ما ينقل عن السلف ﭫ سنداً ومتناً، فليس كلما صح سنده يقبل متنه، وليس كل ما ضعف سنده يردُّ متنه.

٢- جمع استنباطات السلف ﭫ التي لم يذكرها السيوطي من كتب التفسير التي تعنى بالمأثور، أو الكتب الحديثية التي جمعت الآثار، ودراستها سنداً ومتناً، والاستفادة منها.

الفهارس الفنية

وتشتمل على ما يلي:-

۞ فهرس الآيات القرآنية.

۞ فهرس الأحاديث

۞ فهرس والآثار.

۞ فهرس الأعلام.

۞ فهرس المصادر والمراجع.

۞ فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات المستنبط منها.

الآيـــــــــــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾	البقرة	١٠	٥٣٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾	البقرة	٢٦	٦٠٣
﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾	البقرة	٢٧	٥٤٧
﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾	البقرة	٢٩	٦٠٧
﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾	البقرة	٣٠	٣٣٦
﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾	البقرة	٣٤	٥٥١
﴿ وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ ﴾	البقرة	٣٥	٣٤
﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ ﴾	البقرة	٣٧	٣٩
﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾	البقرة	٦١	٥٥٥،٤٣
﴿ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢ ﴾	البقرة	٧٢	٤٨
﴿ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾	البقرة	١٢٤	٥٥٩
﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ ﴾	البقرة	١٢٨	٥١
﴿ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ ﴾	البقرة	١٣٣	٢٨٠
﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾	البقرة	١٥٦	١٦٣
﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾	البقرة	١٧٩	٦١١
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾	البقرة	١٨٦	٤٨٥
﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩ ﴾	البقرة	٢٤٩	١٧٢
﴿ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾	البقرة	٢٦٤	٥٦٣
﴿ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢ ﴾	البقرة	٢٧٢	١٧٦
﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾	آل عمران	٢٦ –٢٧	٤٨٨
﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ ﴾	آل عمران	٣٠	١١٤
﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾	آل عمران	٣١	٦١٤
﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ ﴾	آل عمران	٣٦	٦١٨
﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا ﴾	آل عمران	٤١	٤٢٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢ ﴾	آل عمران	٤٢	٦٢٠
﴿ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ ﴾	آل عمران	٦١	٦٢٥
﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ ﴾	آل عمران	٦٦	٣٤١
﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾	آل عمران	٧٩	٣٤٧
﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢ ﴾	آل عمران	١١٢	٥٦٩

الآيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾	آل عمران	١٥٢	٥٤
﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) ﴾	آل عمران	١٥٥	١٧٩
﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾	آل عمران	١٥٩	١٨٣
﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾	آل عمران	١٧٣	٤٣٦
﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾	آل عمران	١٧٣	٤٣٦
﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾	آل عمران	١٧٨	٦٤
﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾	آل عمران	١٩١	٤٢٠
﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا ﴾	آل عمران	١٩٣	٤٩٤
﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ (١٩٨) ﴾	آل عمران	١٩٨	٦٤، ٢٩٣
﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا ﴾	النساء	٩	٥٨
﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا (٣١) ﴾	النساء	٣١	٦١
﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾	النساء	٣١	٦٢٨
﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا ﴾، قال: "هما الحكمان، ﴿ يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾	النساء	٣٥	١٨٦
﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) ﴾	النساء	٣٦	٥٧٣
﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾	النساء	٨٥	١٨٩
﴿ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾	النساء	٨٦	١٩٣
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾	النساء	٨٦	٢١١
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾	النساء	٨٦	١٩٩
﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾	النساء	١٠٥	٣٣٦
﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾	النساء	١١٤	٢١٤
﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾	النساء	١٤٠	٥٤٣
﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾	النساء	١٤٢	٢٨٥
﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ﴾	النساء	١٤٧	٥٨١
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	المائدة	٣	٦٣٢
﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) ﴾	المائدة	٢٧	٦٨
﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾	المائدة	٩٠	٥٦٣
﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) ﴾	المائدة	١١٨	٢٥٠
﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) ﴾	الأنعام	٣٨	٢٨٩
﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	الأنعام	٤٤	٧١
﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦) ﴾	الأنعام	٥٦	٣٥١
﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ ﴾	الأنعام	٨٤	٢٨٠
﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾	الأنعام	٨٥	٢٨٠
﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾	الأنعام	٩٩	٦٣٥
﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٥) ﴾	الأعراف	٥	٦٣٩

الآيــــــــــــــــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾	الأعراف	١٢	٣٤٤
﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾	الأعراف	٢١	٥٧٧
﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾	الأعراف	٢٣	٣٩
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾	الأعراف	٤٣	٤٤٠
﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾	الأعراف	٥٥	٤٩٨
﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾	الأعراف	٥٥	٤٩٨
﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾	الأعراف	١٧١	٦٤٢
﴿ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾	الأنفال	٢٨	٥٠٤
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾	الأنفال	٣٣	٥٨١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾	الأنفال	٤٥	٤٢٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾	الأنفال	٤٥	٤٢٥
﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾	الأنفال	٦٣	٢١٨
﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ ﴾	الأنفال	٦٧	٧٥
﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾	التوبة	٣	٦٤٥
﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ ﴾	التوبة	٣٤	٣٥٤
﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾	التوبة	٤٣	٢٩٦
﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾	التوبة	٩٧	٢٢٣
﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	التوبة	٩٩	٢٢٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾	التوبة	١١١	٦٤٨
﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾	التوبة	١١٧	٧٨
﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ ﴾	التوبة	١١٨	٢٩٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾	التوبة	١١٩	٢٢٧
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾	التوبة	١٢٧	٣٠٣
﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾	يونس	١٠	٤٤٤
﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾	يونس	٢٣	٥٨١
﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾	يونس	٣٢	٦٥٢
﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾	هود	٤١	٤٥٨
﴿ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾	هود	٤٥	٢٣٢
﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾	هود	٤٦	٢٣٢
﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾	هود	٥٢	٥٠٩
﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾	هود	٥٦	٥١٣
﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾	هود	٧٣	١٩٣
﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾	هود	٧٥	١٧٩

الآيـــــــــــــــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾	هود	٨٠	٦٥٦
﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾	هود	١١٤	٨٢
﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾	يوسف	١٣	٣١٠
﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾	يوسف	١٨	٥٨٥
﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾	يوسف	٢١	٤١٥
﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٣٣﴾	يوسف	٣٣	٩٥
﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾	يوسف	٣٨	٩٨
﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ﴾	يوسف	٤٢	٦٦٠
﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ٤٢﴾	يوسف	٤٢	٨٦
﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾	يوسف	٤٧	٣٥٩
﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾	يوسف	٦٧	٦٦٣
﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾	يوسف	٧	٢٣٦
﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ٧٠﴾	يوسف	٧٠	٨٦
﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ﴾	يوسف	٧٧	٨٦
﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾	يوسف	٨٤	١٦٣
﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾	يوسف	٨٦	٢٤١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾	يوسف	٨٨	٣٠٧
﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٩٠﴾	يوسف	٩٠	٥٨٨
﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾	يوسف	٩٢	٦٦٦
﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾	يوسف	٩٢	٢٤٧
﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[:]	يوسف	٩٨	٦٦٦
﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمٗا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾	يوسف	١٠١	١٠٠
﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٣٥﴾	إبراهيم	٣٥	١٠٥
﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾	إبراهيم	٣٦	٢٥٠
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ٤١﴾	إبراهيم	٤١	٥١٨
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾	إبراهيم	٤٢	٥٩١
﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعْلُومٖ ٢١﴾	الحجر	٢١	٦٧٠
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾	النحل	١٤	٦٧٤
﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾	النحل	٥١	٥٢٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾	النحل	٩٠	٢٥٧
﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾	النحل	١٠٥	٥٣٤
﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ﴾	النحل	١١٦	٣٦٣
﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةٗ﴾	الإسراء	١٢	٦٧٨

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾	الإسراء	١٠٦	٣٦٧
﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾	الإسراء	١٠٩	٣٧١
﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠) ﴾	الإسراء	١١٠	٤٠٠
﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) ﴾	الكهف	١٨	٦٨١
﴿ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (٢٤) ﴾	الكهف	٢٤	٤٤٨
﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾	الكهف	٣٩	٤٥١
﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا (٨٠) ﴾	الكهف	٨٠	١٤١
﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) ﴾	مريم	١٨	١٠٨
﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) ﴾	مريم	٣٢	٥٧٣
﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) ﴾	مريم	٨٨	٤٥٤
﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾	طه	٤٤	٢٦١
﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ﴾	طه	٥٢	٣٧٥
﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	طه	٩٤	٢٦٤
﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ ﴾	طه	١١٥	٦٨٥
﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧) ﴾	طه	١١٧	٦٨٨
﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) ﴾	الأنبياء	١٨	٥٣٤
﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (٥٢) ﴾	الأنبياء	٥٢	٦٩١
﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ (٣٠) ﴾	الحج	٣٠	٥٣٨
﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ (٢٩) ﴾	المؤمنون	٢٩	٤٥٨
﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ (٢٩) ﴾	المؤمنون	٢٩	٤٥٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) ﴾	المؤمنون	٥٧	١١١
﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) ﴾	المؤمنون	٦٧	٦٩٧
﴿ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾	النور	٦١	٢٠٨
﴿ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾	الفرقان	٧٠	١١٤
﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا (١٨) ﴾	الفرقان	١٨	٤٦٢
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ ﴾	الفرقان	٥٠	٦٧٠
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾	الفرقان	٦٣	٥٩٥
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا (٧٥) ﴾	الفرقان	٧٥	١٩٣
﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾	الفرقان	٧٧	٥٨١
﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) ﴾	الشعراء	٧٨	٤٠٩
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٥) ﴾	النمل	١٥	٤٦٥
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ ﴾	النمل	١٨	٧٠١
﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ ﴾	النمل	٣٠-٣١	٣١٣
﴿ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) ﴾	النمل	٣١	٣١٣

الآيـــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾	القصص	١٦	٤١٢
﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾	القصص	٢٦	٤١٥
﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾	القصص	٣٨	٢٩٩
﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾	القصص	٧٨	١١١
﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾	العنكبوت	٣٢	٢٥٤
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)﴾	العنكبوت	٤٣	٣٧٩
﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾	العنكبوت	٤٥	٤٢٩
﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾	العنكبوت	٥٦	١٢٢
﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾	الأحزاب	٣٠	٣٨٢
﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾	الأحزاب	٣٣	٧٠٦
﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١)﴾	الأحزاب	٤١	٤٢٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١)﴾	الأحزاب	٤١	٤٣٣
﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾	الأحزاب	٤٢	٤٢٠
﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾	الأحزاب	٤٣	٤٢١
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾	الأحزاب	٥٦	٤٦٩
﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨)﴾	الأحزاب	٥٨	٢٦٧
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	فاطر	٢٨	٣٩٥
﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾	فاطر	٤٣	٥٨١
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾	فاطر	٤٥	٧١١
﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)﴾	يس	٣٩	٧١٥
﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣)﴾	الصافات	١٤٣	٤٨١
﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩)﴾	ص	٣٩	١٢٦
﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾	الزمر	٢٣	٣٢٧
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	غافر	٣٥	٤٠٦
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	غافر	٦٠	٥٢٤
﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)﴾	غافر	٦٥	٤٧٤
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾	فصلت	٣٣	٤٧٨
﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾	الشورى	٢٨	٧١٨،٥٢٧
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	الشورى	٣٠	٣٨٦
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	الشورى	٣٠	١٢٩
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾	الشورى	٣٨	١٨٣
﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾	الزخرف	١-٣	٧٢١
﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤)﴾	الزخرف	١٣-١٤	٤٥٨
﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨)﴾	الزخرف	١٨	٧٢٤

الآيــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩ ﴾	الزخرف	٨٨-٨٩	٢٠٣
﴿ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ ﴾	الدخان	٣٧	٧٢٧
﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾	الجاثية	١٤	٢٧٠
﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ﴾	الأحقاف	١٥	٥٣٠
﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ ﴾	محمد	٢٢	٥٦٣
﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ﴾	الفتح	١٠	٥٨١
﴿ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥ ﴾	الفتح	٢٥	٧٣٠
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾	الحجرات	٣	١٣٤
﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾	الحجرات	٧	٣٩١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾	الحجرات	١٣	٣١٦
﴿ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا ﴾	ق	٩	٧٣٣
﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨ ﴾	النجم	٢٨	٣٣٦
﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾	النجم	٣٢	٣٣١
﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ ﴾	الواقعة	٦٣-٦٤	٣١٩
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ ﴾	الحديد	٢٢	١٤٥
﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾	الحديد	٢٣	١٤٥
﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا ﴾	المجادلة	١	٢٧٣
﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾	التغابن	٧	٣٢٣
﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾	التغابن	١٥	١٥٠
﴿ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ ﴾	التحريم	٣	٢٧٦
﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ ﴾	نوح	١٠-١١	٥٠٩
﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾	نوح	٢٨	٥١٧
﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ ﴾	النازعات	٢٤	٢٩٩
﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ﴾	المطففين	١	٥٩٩
﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ ﴾	البلد	٤	١٥٤
﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦ ﴾	التين	٥-٦	١٥٨
﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ ﴾	العلق	٦-٧	٣٩٥
﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾	الزلزلة	٧-٨	١٣٨

فهرس الآيات المستشهد بها.

الآيـــــــــــــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾	الفاتحة	٢	٤٧٦،٤٤٥
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾	الفاتحة	٥	٤٧٦،١٧٨
﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾	البقرة	٩	٥٨٤
﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	البقرة	١٠	٥٣٧،٥٣٦
﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾	البقرة	٢٦–٢٧	٥٥٠
﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	البقرة	٢٨	٤١٠
﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾	البقرة	٣٥	٣٦
﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾	البقرة	٣٧	٥٥٣
﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾	البقرة	٦١	٥٥٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾	البقرة	٦٧	٤٦
﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ ﴾	البقرة	٦٨	٤٦
﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾	البقرة	٧٠	٤٦
﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾	البقرة	٧٤	٤٥٦
﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾	البقرة	١٢٤	٥٦١
﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾	البقرة	١٥٥–١٥٦	١٦٧
﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾	البقرة	١٦٣	٤٩١
﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾	البقرة	١٦٤	٦٧٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾	البقرة	١٧٢	٤٩٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾	البقرة	١٧٢	٤٤١
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾	البقرة	١٨٥	٦٥٣
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾	البقرة	١٨٦	٥٢٦
﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾	البقرة	١٨٨	٦٣٠
﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾	البقرة	١٩٠	٥٠٢
﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾	البقرة	١٩٣	٥٠٨
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾	البقرة	٢٠١	٤٩٦
﴿ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾	البقرة	٢١٤	٧٢٠
﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾	البقرة	٢١٦	١٤٢،١٢٠
﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ ﴾	البقرة	٢٣٧	٢٧٢
﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾	البقرة	٢٤٥	٦٥٠
﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾	البقرة	٢٦٩	٣٤٩

الآيــــــــــــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾	البقرة	٢٨٢	٣٧٦
﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾	البقرة	٢٨٦	٦٨٧،٥٢٦
﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ﴾	البقرة	٢٨٦	٤٩٦
﴿ الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ ﴾	آل عمران	١ – ٢	٤٩١
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا ﴾	آل عمران	٨	٤٩٧
﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾	آل عمران	٣١	٦١٦
﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾	آل عمران	١٠٣	٢١٩
﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾	آل عمران	١٠٣	٢٦٥
﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾	آل عمران	١٠٤	١٨٧
﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ ﴾	آل عمران	١١٣	٢٢٤
﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾	آل عمران	١٢٨	١٢١
﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ ﴾	آل عمران	١٤٠	٦١٤
﴿ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ ﴾	آل عمران	١٥٢	٢٩٧
﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾	آل عمران	١٥٩	٢٦٢
﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾	آل عمران	١٩١	٤٢٣
﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ﴾	النساء	١٧	٩٦
﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾	النساء	٣١	٦٢٩
﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١ ﴾	النساء	٣١	٦٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾	النساء	٣٦	٥٧٦
﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١ ﴾	النساء	٤١	٣٧٣
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩ ﴾	النساء	٤٩	٣٣٢
﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾	النساء	٥٩	٣٥٣
﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾	النساء	٥٩	٣٥٢
﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾	النساء	٨٣	٢
﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾	النساء	٨٣	٢٢
﴿ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَا ﴾	النساء	٨٥	١٩١
﴿ مَّن يَشۡفَعۡ ﴾	النساء	٨٥	١٩٢
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ ﴾	النساء	٨٦	٢٠١
﴿ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ ﴾	النساء	٨٦	١٩٨
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ ﴾	النساء	٨٦	٢٠٢
﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣ ﴾	النساء	٩٣	٦٣١
﴿ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ ﴾	النساء	١٠١	٣٠٩
﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾	النساء	١١٤	٢١٦

الآيـــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ الۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾	النساء	١١٥	٤٠٧
﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾	النساء	١٢٣	٥٧١
﴿بَشِّرِ الۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨﴾	النساء	١٣٨	٦٤٦
﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ﴾	النساء	١٤٠	٥٤٦
﴿إِنَّ الۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾	النساء	١٤٢	٥٨٣
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الۡبِرِّ وَالتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الۡإِثۡمِ وَالۡعُدۡوَٰنِۚ﴾	المائدة	٢	١٩١
﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ اعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾	المائدة	٨	٢٢٥
﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾	المائدة	٢٧	٧٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا الۡخَمۡرُ وَالۡمَيۡسِرُ وَالۡأَنصَابُ وَالۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ الشَّيۡطَٰنِ فَاجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾	المائدة	٩٠	٦٩٢
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ الۡعَدَٰوَةَ وَالۡبَغۡضَآءَ فِي الۡخَمۡرِ وَالۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾	المائدة	٩١	٦٩٣
﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ الۡعَزِيزُ الۡحَكِيمُ ١١٨﴾	المائدة	١١٨	٢٥٢
﴿الۡحَمۡدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالۡأَرۡضَ﴾	الأنعام	١	٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧
﴿كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٢٢﴾	الأنعام	٢٢	٣٢٦
﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِالۡبَأۡسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢﴾	الأنعام	٤٢	٢٤٤
﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾	الأنعام	٤٤	٧٣
﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الۡقَوۡمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَالۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ الۡعَٰلَمِينَ ٤٥﴾[:]	الأنعام	٤٥	٤٤٦
﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾	الأنعام	٥٣	٥٠٧
﴿انظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾	الأنعام	٩٩	٦٣٦، ٦٣٧
﴿لَوۡ شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾	الأنعام	١٤٨	١٤٧
﴿لَوۡ شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾	الأنعام	١٤٨	٤١٤
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾	الأنعام	١٦٤	١٣١
﴿اتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾	الأعراف	٣	٣٥٣، ٣٩٣
﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾	الأعراف	٢٣	٤١٣، ٤٩٦
﴿وَكُلُواْ وَاشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾	الأعراف	٣١	٤٠٢
﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَالۡإِثۡمَ وَالۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ الۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾	الأعراف	٣٣	٣٦٤، ٥٤١
﴿ادۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾	الأعراف	٥٥	٤٨٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي الۡحَيَوٰةِ الدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي الۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾	الأعراف	١٥٢	٥٤٠
﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ﴾	الأعراف	١٥٥	٥٠٧
﴿وَاتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ الَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ الشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ الۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى الۡأَرۡضِ وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾	الأعراف	١٧٥–١٧٦	٣٥٦
﴿وَإِذَا قُرِئَ الۡقُرۡءَانُ فَاسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾	الأعراف	٢٠٤	٤٧٠، ٤٧١
﴿يَحُولُ بَيۡنَ الۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾	الأنفال	٢٤	٣٧٤

الآيـــــــــــــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾	الأنفال	٢٥	٧١٢
﴿ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾	الأنفال	٢٨	٥٠٨،٥٠٥
﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾	الأنفال	٣٢	٧٣١
﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) ﴾	الأنفال	٣٣	٧٣١
﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧) ﴾	الأنفال	٣٧	١٣٣
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) ﴾	الأنفال	٤٥	٤٣٢
﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾	الأنفال	٤٦	٢٦٦
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ﴾	الأنفال	٧٥	١٢٥
﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾	التوبة	٤٣	٢٩٧
﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) ﴾	التوبة	٧٧	٥٣٦
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) ﴾	التوبة	١١٤	١٨١
﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾	التوبة	١١٨	٣٠٢
﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾	التوبة	١٢٩	٤٣٧
﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠) ﴾	يونس	١٠	٤٤٦
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) ﴾	يونس	٥٩	٣٦٦
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) ﴾	يونس	٨١	١٨٨
﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ ﴾	يونس	٨٣	٦٦٨
﴿ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) ﴾	يونس	٩٠-٩١	٤٨٣
﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) ﴾	يونس	٩١	٤٨٢
﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾	هود	٣	٥١٠
﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) ﴾	هود	٤٧	٤٩٦
﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾	هود	٦٩	١٩٧
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) ﴾	هود	٧٥	٢٥٢،١٨١
﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) ﴾	هود	٨٠	٦٥٨
﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾	هود	٨٨	١٨٧
﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) ﴾	هود	٩١	٦٥٧
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾	هود	١٠٢	٥٩٤
﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾	هود	١١٣	٥٦٠
﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) ﴾	هود	١٢٠	٢٣٧
﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) ﴾	يوسف	١٦	٥٨٦
﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾	يوسف	١٨	٥٨٦
﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨) ﴾	يوسف	١٨	٥٨٧
﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨) ﴾	يوسف	١٨	٢٤٢،١٦٧

الآيـــــــــــــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾	يوسف	٢٥	٨٨
﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾	يوسف	٣٣	٨٨
﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾	يوسف	٣٣	٩١
﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾	يوسف	٣٨	٦٢٥
﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾	يوسف	٤٢	٩١،٩٠
﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾	يوسف	٥٥	٢٤٥،٩١
﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾	يوسف	٦٧	٦٦٥
﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾	يوسف	٦٧	٩١
﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾	يوسف	٦٧	٩١
﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾	يوسف	٧٠	٩٢
﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾	يوسف	٧٠	٩٣
﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾	يوسف	٧٢	٩٣
﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾	يوسف	٧٧	٩٣
﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾	يوسف	٧٩	٩٣
﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾	يوسف	٩١	٦٦٩
﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾	يوسف	٩١	٢٤٩
﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾	يوسف	٩٢	٢٤٩،٢٤٨، ٦٦٩
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾	يوسف	١٠٦	١٠٦
﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾	إبراهيم	٣٥-٣٦	١٠٦
﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾	إبراهيم	٣٦	٢٥٢
﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾	إبراهيم	٣٧	٤٩٦
﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾	إبراهيم	٤٠	٥٣١
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾	إبراهيم	٤٢	٦٣٠،٥٩٣
﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾	الحجر	٢١	٦٧٢
﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾	الحجر	٥٦	٣٠٠
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾	الحجر	٧٥	٤١٧
﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾	النحل	٢٣	٥٥٢
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾	النحل	٥٠	٣٨٥،٣٧٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾	النحل	٩٠	٦١١
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	النحل	١٢٥	٢٦٢
﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾	الإسراء	٧	١٧٧
﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾	الإسراء	١٦	٥٧٠

الآيــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) ﴾	الإسراء	٢١	١٧٥
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) ﴾	الإسراء	٢٩	٤٠٢
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) ﴾	الإسراء	٣٢	٦٣٠
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) ﴾	الإسراء	٣٦	٣٦٤،٣٣٨
﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) ﴾	الإسراء	٣٧	٥٩٧
﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾	الإسراء	٤٤	٤٥٦
﴿ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ ﴾	الإسراء	٥٦	٣٢٦
﴿ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) ﴾	الإسراء	٦٦	٦٧٦
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) ﴾	الإسراء	٧٠	٦٠٨،٢٧٤
﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) ﴾	الإسراء	٧٤–٧٥	٣٨٣،٥٣
﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾	الإسراء	٨٣	٣٩٧
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾	الكهف	١	٤٤٦
﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) ﴾	الكهف	١٣	٦٦٧
﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (٢٤) ﴾	الكهف	٢٤	٤٥٠
﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾	الكهف	٢٨	٥٦٢
﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾	الكهف	٣٩	٤٥٣
﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ ﴾	الكهف	٤٨	٣٢٥
﴿ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾	الكهف	٦٣	٤٥٠
﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾	الكهف	٨٢	٥٩
﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾	الكهف	١٠٣– ١٠٤	٥٠٧
﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) ﴾	مريم	١٨	١١٠
﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) ﴾	مريم	٢٣	١٠٢
﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨) ﴾	مريم	٥٨	٣٧٢
﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ (٦) ﴾	طه	٦	٦٤٩
﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) ﴾	طه	١٤	٤٣١
﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾	طه	٤٠	٥٠٨
﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾	طه	٤٤	٢٦٣
﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) ﴾	طه	١١٤	٣٦٩
﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) ﴾	طه	١١٤	٣٩٧
﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾	طه	١١٥	٦٨٦
﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ﴾	طه	١٢١	٦٨٧
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) ﴾	طه	١٢٤	٤٦٣
﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ﴾	طه	١٣٢	٢٩٤

الآيـــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥)﴾	الأنبياء	١١–١٥	٦٤٠
﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)﴾	الأنبياء	٨٣	٢٤٣
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾	الأنبياء	١٠٧	٢٥٢
﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾	الأنبياء	١١٢	٧٠٩
﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾	الحج	٣٠–٣١	٥٤٠
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	الحج	٧٨	٦٥٣
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)﴾	المؤمنون	٥١	٤٩٥
﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾	المؤمنون	٦٠	٦٩
﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾	المؤمنون	٧١	٣٩٣
﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾	النور	٢	٦٣١
﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾	النور	٢٢	٢٧١
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾	النور	٣٩	٥٤٩
﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾	النور	٦٣	٥٧١،٣٥٣
﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣)﴾	الفرقان	٢٣	٥٤٩
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)﴾	الفرقان	٣٢	٣٦٨
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)﴾	الفرقان	٣٣	٢٠
﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)﴾	الفرقان	٧٢	٥٤٥
﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾	الفرقان	٧٤	٥٣١
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾	الشعراء	٢٢٧	٥٩٢
﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾	النمل	١٩	٧٠٤
﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)﴾	القصص	٢٤	٢٤٣
﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)﴾	القصص	٢٧	٢٤٦
﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥)﴾	القصص	٧٤–٧٥	٥٤١
﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)﴾	القصص	٧٦	٧٤
﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾	العنكبوت	٢ – ٣	٥٠٨
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧)﴾	العنكبوت	٧	٨٣
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)﴾	العنكبوت	٤٣	٣٨٠
﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾	العنكبوت	٤٥	٤٣٠
﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	الروم	٢٩	٥٦٢
﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩)﴾	الروم	٤٩	٧١٩

الآيـــــــــــــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾	الروم	٥٤	٦٣٣
﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾	لقمان	١٢	١٧٧
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	الأحزاب	٢١	١٨٤
﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾	الأحزاب	٣٠	٣٨٨
﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾	الأحزاب	٣٣	٧٠٨
﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾	الأحزاب	٣٩	٣٨٥،٣٧٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾	الأحزاب	٤١-٤٢	٤٢٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾	الأحزاب	٥٦	٤٧٠
﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾	الأحزاب	٧٢	٤٥٥
﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾	سبأ	١٠	٤٥٦
﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾	سبأ	١٩	٥٥٦
﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾	فاطر	٨	٥٠٧
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	فاطر	١٨	٧١٤،٧١٢
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾	فاطر	٢٨	٣٧٢
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾	فاطر	٣٢	١٧٣
﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾	فاطر	٣٢	١٧٤
﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾	فاطر	٤٣	٥٨٣
﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾	الصافات	١٤٣-١٤٤	٤٨٣
﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾	ص	١٧	١٧٥
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	ص	٢٩	٢
﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾	ص	٤٤	١٦٧
﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾	ص	٤٥	١٧٥
﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الزمر	٩	٣٧٤
﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾	الزمر	٢٣	٣٢٩
﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾	الزمر	٥٣	٣٠٠
﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾	الزمر	٧٥	٤٤٦
﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾	غافر	٣٥	٥٥٢
﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾	غافر	٣٧	٥٠٧
﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾	غافر	٥٥	١٤٧
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	غافر	٦٠	٥٢٥،٥٢٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾	غافر	٦٠	٥٥٢
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾	فصلت	١١	٤٥٦
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾	فصلت	٤١-٤٢	٤٢٧

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾	الشورى	٤٠	٢٧٢
﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤)﴾	الزخرف	١٣-١٤	٤٥٩،٤٦٠
﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾	الزخرف	٢٠	٤١٤
﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)﴾	الزخرف	٣٦	٤٦٣
﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧)﴾	الزخرف	٣٦-٣٧	٥٠٦
﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾	الجاثية	١٣	٦٠٨
﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾	الأحقاف	١٥	٥٣٢
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾	الأحقاف	٣٥	٢٣٧
﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	محمد	١٩	٥١٨
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)﴾	محمد	٢٢	٥٦٥
﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾	الفتح	٢٩	٣٢١
﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾	الفتح	٢٩	٢٥٥
﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾	الحجرات	١٢	٥٨٧
﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩)﴾	النجم	٢٩	٤٦٣
﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١)﴾	النجم	٣١	٢٦٨
﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)﴾	النجم	٣٢	٢٤٥
﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠)﴾	النجم	٥٠	٧٠٩
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠)﴾	الرحمن	٦٠	٢١٢،٦٠٠
﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾	الحديد	٧	٦٤٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾	المجادلة	٩	٢١٥
﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾	الحشر	٢١	٤٥٦
﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)﴾	الجمعة	١٠	٤٢٣
﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)﴾	المنافقون	١	٥٣٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾	المنافقون	٩	١٥٢
﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	التغابن	٧	٣٢٥
﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾	التغابن	١٥	١٥١
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	الطلاق	٣	٥١٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾	التحريم	٦	٢٩٤
﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)﴾	التحريم	١٢	٦٢١
﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)﴾	القلم	١	٣٧٦
﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾	القلم	٥١	٦٦٤
﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١)﴾	نوح	١٠-١١	٥١٢
﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾	نوح	١٠-١٢	٥١١

الآيـــــــــــــــــــــــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾	نوح	٢٨	١٠٣
﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾	المزمل	٤	٣٦٨
﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾	المدثر	٣١	٢٣٤
﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾	المدثر	٣٨	١٣١
﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾	النازعات	٣٧- ٣٩	٣٩٩
﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾	عبس	٢٤- ٣٢	٦٣٧
﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾	الانفطار	٦	٣١٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾	الانشقاق	٦	١٥٦
﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾	الانشقاق	١٩	١٥٦
﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾	الطارق	٥	٦٣٧
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾	الغاشية	٢ – ٤	٥٤٩
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾	البلد	٤	١٥٦،٦٨٩
﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾	الشرح	٥- ٦	٧٢٠
﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ﴾	العاديات	٦	٤٤٢
﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾	التكاثر	٨	١٢٧
﴿ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ﴾	الهمزة	٢ – ٤	٣٩٩
﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾	الفلق	٥	٥٥٤

فهرس الحديث

طـــــــــرف الـــــــــحــــــــديـــــــث	الصفحة
اتق الله حيثما كنت	٨٣
اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب	٥٩٣
اتقوا فراسة المؤمن	٤١٦
اجتنبوا السبع الموبقات	٦٣٠
أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم	٣٨٣
أحد أحد	٥٢١
إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام، عليهما قميصان أحمران	١٥١، ٥٠٥
إذا أنزل الله بقوم عذاباً	٧١٣
إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب	٧٣
إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل	١٦٠
أراني أتسوك بسواك	٢٨٢
اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين	٤٩١
اشفعوا تؤجروا	١٩٠
أصابنا ونحن مع رسول الله	٧٣٤
أفضل الذِّكر لا إله إلا الله	٤٧٥
اكتبوا لأبي شاه	٣٧٧
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر	٥٤١
ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم	٤٢٦
الأمثل فالأمثل	٢٣٩
الخالة بمنزلة الأم	٢٨٤
الدعاء هو العبادة	٥٢٤
السلام عليكم، فردّ عليه السلام، ثم جلس	١٩٦
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة	٨٤
العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين	٦٦٥
اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي	٢٤٣
اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله	٤٩٠
اللهم إني أسألك بأن لك الحمد	٤٩٠
اللهم إني أعوذ بك من الكسل	٢٨٦
اللهم فقهه في الدين، وعلّمه التأويل	٣
اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	٥٠٦
المرء مع من أحب	٦١٤، ٦١٦
المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه	٢٦٨
المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف	١٧٤
المؤمن غِرٌّ كريم، والفاجر خِبٌّ لئيم	٥٧٨
أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له	٣٧٣
إن اسم الله الأعظم في سور ثلاث من القرآن	٤٩١
إن الدين يُسر	٦٥٤
إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه	٢٦٢
إن الصدق يهدي إلى البر	٢٢٨
إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة	٥٣٧
إن الله يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته	٥٩٣

طـــــرف الـــــحـــــديـــــث	الصفحة
إن الله قد أذهب عنكم عُبية الجاهلية	٣١٧
إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعاً	٣٣٨
إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم	٣١٧
إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة	٤٤٢
إن الله يرضى لكم ثلاثاً	٢٦٥
إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً	١٦٠
أن تجعل لله نداً وهو خلقك	٦٣١
إن جبريل يقرئك السلام	٢٠٩
إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مَئِنَّة من فقهه	٣١٤
إن فيك خصلتين يحبهما الله	١٨١
إنَّ قلوب بني آدم كُلّها بين إصبعين من أصابع الرحمن	٥٣
أن يتناجى اثنان دون ثالث	٢١٧
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة	٢٤٥
إنكم تختصمون إليَّ	٧٢٥
إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أحب إليه من شيء خرج منه	٤٢٧
إنما جُعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة	٤٣١
إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء	٤٩٨
إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل	٦٦١
إني قرأت المفصل الليلة كله في ركعة	٣٦٩
إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة	٢٥٢
إني لم أُومر أن أنقب قلوب الناس	٢٧٧
أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر؟	٦٩
ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له	٢٤٩
أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً	٤٩٥
بدأ الإسلام غريباً	٦٣٤
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم	٢٠٦
بعثت بجوامع الكلم	٢٥٨
بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده	٦٦٨
بئس مطية الرجل زعموا	٣٢٤
بينما رجل يتبختر يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه	٥٩٧
بينما رجل يمشي بطريق اشتدَّ عليه العطش	٢٩٠
تعاهدوا القرآن	٣٨٧
تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن	٥٠٧
تقتلك الفئة الباغية	٦٧٩
ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن	٥٣٢
ثلاثة لا يدخلون الجنة	٥٦٥
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة	٥٦٦
حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا	٣٦٨
خلق الله الخلق، فلما فرغ منه	٥٦٥
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم	٥٥،٣
خير نساء ركبن الإبل نساء قريش	٦٢٠، ٦٢١
دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها	٢٩١
رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق	٥٧٩
رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً	٥١٨

طـــــــــــــرف الـــــــــــحـــــــــــديـــــــــث	الصفحة
رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر	٢٣٨
رحم الله يوسف، لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث	٩٠
سألت الله البلاء، فاسأل الله العافية	٨٩
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت	٤٧٦
سمع قراءة رجل في المسجد	٣٨٩
شارب الخمر كعابد وثن	٦٩٢
صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة	٤٧١
عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير	١٤٢
عجبت من قوم من أمتي يركبون البحر كالملوك على الأسرة	٦٧٦
قال لي النبي ﷺ اقرأ علي	٣٧٣
كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر	٤٥٩
كان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين	٣٠٥
كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها	٦٩٨
كانت الأَمَةُ من إماءِ أهل المدينة	٢٧٥
كلكم راع ومسؤول عن رعيته	٢٩٤
كَمَل من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء	٦٢١
كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن	٤٣٧
لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام	٢٠٦
لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم	٣٣٢
لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم	٧٢٨
لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به	١٣٩
لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً	٢٧٧
لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه	٦٦، ١٠٤
لا يتمنى أحدكم الموت، إما محسناً فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعتب	٦٦
لا يدخل الجنة مُدمن الخمر، ولا العاقُّ، ولا المنّان	٥٦٣
لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان	٥٥٢
لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله	٦٧٧
لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء	٤٥٦
لا يقولنّ أحدكم خبثت نفسي	٢٨٦
لا يقولنّ أحدكم عبدي وأمتي	٣٢٢
لا ينفتل أولا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً	٣٠٥
لن يهلك الناس حتى يَعذِرُوا أو يُعذِرُوا من أنفسهم	٦٤٠
لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة	٥٦١
لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة	٦٠٥
ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس	٢٣٠
ما أدري تبع أنبياً كان أم لا	٧٢٨
ما أنعم الله على عبد نعمة	٤٦٦
ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا	٥٨٢
ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله	١٦٤
ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها	٦٠٤
ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً	٣٢١
ما من مصيبة تصيب المسلم	١٧٠
ما نقصت صدقة من مال	٢٧٢
ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب	١٧٠

الصفحة	طـــــــــرف الـــــــــحــــــــــديـــــــث
٢٥٥	مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم
٦٨٩	مُسْتَرِيح ومُسْتَرَاح منه
١٣٢	من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب
٣٦٤	من أُفْتِي بغير علم كان إثمه على من أفتاه
٦٣١	من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم
١٢٥	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه
٢١٢	من صنع إليكم معروفاً فكافئوه
٦٣٠	من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما
٥١١	من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً
٢٦٦، ٣٤٩	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين
٤٥٧	هذا جبل يحبنا ونحبه
٣٦١	هو الطهور ماؤه، الحل ميتته
٧١٩	واعلم أن النصر مع الصبر
٢٩٤	وإن لولدك عليك حقاً
٦٥٨	ورحمة الله على لوط
٦٠٠	ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه
٥٤٥	ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم
٢٣٤	يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية
٤٨٦، ٥٠١	يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم
٢٢١	يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي
٢٤٨	يا معشر قريش ما تقولون
٥٤٩	يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم
٤٥٠	يذكر الله على كل أحيانه
٢٧٥	يغتسل، وعن الرجل يرى أنه قد احتلم

فهرس الآثار

طــــــــــــــرف الأثـــــــــــــــر	الصفحة
ابتلى اللّه آدمَ فاسكنه الجنة يأكلُ منها رغداً حيث شاء	٣٤
ابتلى اللهُ آدمَ كما ابتلى الملائكة قبله	٣٤
اتبعوا عالم الآخرة، واحذروا عالم الدنيا لا يضركم بسكره	٣٥٥
اتّق الله ولا تكذب	٥٨٥
أتكون في المكروه؟	٦٤٥
اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عُصي به فهو جهالة	٩٦
اجتنبوا المعصية والعدوان	٥٦٩
احذروا هذا الرأي على الدين	٣٣٦
أدركت ثلاثين من أصحاب محمد	٧٠
إذا أُمرتم بالمعاصي فاهْرُبوا، فإن أرضي واسعة	١٢٢
إذا تلا أحدكم هذه الآية: ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا ﴾	٢٢٣
إذا سلم عليك أخوك المسلم	١٩٣
إذا ظهر الزنا والربا في قرية أُذِن بهلاكها	٥٧١
اذا عُمِل في الأرض بالمعاصي فاخرُجوا منها	١٢٢
إذا فرغت من آذانك فقل	٤٧٨
إذا قال الرجل في الصلاة	٤٦٩
إذن لم تكن لها ذرية	٦١٨
استعن عليه بهذه الآية : ﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ﴾	٥٣٠
اسم الله الأعظم	٤٨، ٤٩٠، ٤٩١
اسمعوا إلى قول خليل الله إبراهيم، لا والله ما كانوا لعانين ولا طعانين	٢٥٠
اشتاق إلى لقاء الله، وأحب أن يلحق به وبآبائه	١٠٠
افتتحوا سورة النساء فكل شيء نهى الله	٦٢٨
أفرس الناس ثلاثة	٤١٥
أفضل العبادة الدعاء	٥٢٣
البعوضة أضعف ما خلق الله	٦٠٣
التسليم على أهل الكتاب إذا دخلت عليهم بيوتهم	٢٠٣
الحرورية هم	٥٤٧
الحلم أرفع من العقل	١٧٩
الحلم يجمع لصاحبه شرف الدنيا والآخرة	١٧٩
الحمد أول الكلام وآخر الكلام	٤٤٤
الحمد لله الذي جعله لنا عيداً واليوم الثاني	٦٣٢
الخال والد، والعمُّ والد	٢٨٠
العلم خير من العمل، والحسنة بين السّيِّئين	٤٠٠
العلم خير من العمل، وخير الأمور أوساطُها	٤٠٠
اللهم إني أسألك الجنة، ونعيمها وإستبرقها	٤٩٨
اللهمَّ عَفْواً، أما تسمعون الله يقول	٥٣٤
الناس يعيبُون علينا الكتابَ	٣٧٥
النمل من الطير	٧٠١
النملة التي فَقِه سليمان كلامها كانت من الطير ذاتَ جناحين	٧٠١
أما والله ما سمعنا بعفو قط مثل عفو يوسف	٢٤٧

طـــــــــــــــــرف الأثـــــــــــــــــر	الصفحة
إن أجمع آية في القرآن لخير وشر	٢٥٨
إن أفضل التحية تحية أهل الجنة	١٩٣
إن البَخْتَرِيَّة مشية تكره إلا في سبيل الله	٥٩٥
إن البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا شبعت ماتت	٧١
إن الجبل لينادي الجبل باسمه	٤٥٤
إن الحجّة على الأنبياء أشدُّ منها على الأتباع في الخطيئة	٣٨٢
إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها	١٣٤
إن الرجل ليتكلَّمُ في المجلس بالكلمة الكذب ليُضحك بها جلساءَه	٥٤٣
إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة	٢٥٧
إن الله لم يعط أحداً عطية إلا جعل عليها حساباً، إلا سليمان بن داود	١٢٦
إن الله تعالى يأمرني أن أغفر للذين لا يرجون أيامه	٢٧٠
إن الله عز وجل يدفع بالمؤمنين عن الكفار	٧٣٠
إن الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها	٤٦٥
إن المؤمن جمع إحساناً وشفقةً، وإن المنافق جمع إساءةً وأمناً	١١١
إن المؤمن ليستحي ربه من الذنب إذا وقع به	٣٩
إن المؤمن ليشكر ما به من نعمة الله، ويشكر ما بالناس من نعم الله	٩٨
إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه	٧٩
إن أُناسا يزعمون أنهم يتمنَّون أن يستكثروا من الذنوب	١١٤
إن كان الجُعَلُ ليُعذب في جحره من ذنب ابن آدم	٧١١
إن من أُوتي من العلم ما لا يبكيه	٣٧١
إنا لنعلم أنهما قد فرحا به يوم ولد، وحزنا عليه يوم قُتل	١٤١
انته إلى ما انتهت إليه الملائكة	١٩٣
أنفسٌ هو خلَقها، وأموالٌ هو رزَقها	٦٤٨
انقطع شسعي فساءني، وما ساءك فهو لك مصيبة	١٦٩
إنك تحب الفتنة	١٥٠
إنما سُمِّي الإنسان؛ لأنه عُهِد إليه فنسي	٦٨٥
إنما عبارةُ الرؤيا بالظنِّ	٦٦٠
إنما قصَّ الله على محمد ﷺ خبر يوسف وبغي إخوته عليه	٢٣٦
إنما كُرِه السَّمَرُ حين نزلت هذه الآية	٦٩٧
أنه كان إذا رأى من ماله شيئاً يعجبه	٤٥١
أنه كان لا يرى بركوب البحر بأساً	٦٧٤
أنه كره زعموا	٣٢٣
إنه ليس من خُلقٍ حسنٍ كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به	٢٥٩
إني رأيت في منامي أن الملائكة تصلِّي عليك كلما دخلت	٤٣٣
إني لأعلمُ لِمَ تسجد اليهود على حرف	٦٤٢
إياكم وأصحاب الرأي	٣٣٩
إيَّاكم والرَّأي، فإن الله تعالى ردَّ الرَّأي على الملائكة	٣٣٦
إيَّاكم والرَّأي، فإن الله قال لنبيه	٣٣٦
إياكم والكذب، فإنه باب النفاق	٥٣٤
بلغنا أنه يُستجاب الدعاء عند المطر	٥٢٧
بينما عمر بن الخطاب يسير على حماره لقيته امرأة	٢٧٣
تَرْكُك المكافأةَ تطفيف	٥٩٩
ترون هذا في السلام وحده؟ هذا في كل شيء	٢١١
تصدق عليَّ تصدق الله عليك بالجنة	٣٠٧

طـــــــــــرف الأثـــــــــــر	الصفحة
تعلَّمْ - والله - أن التضرع في الرخاء استعدادٌ لنزول البلاء	٤٨١
تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات	٣٦٧
تَكونُ جاهلية أخرى	٧٠٦
تلقى المؤمنين بعضهم أفضل من بعض جداً وعزماً	١٧٢
تمام التقوى أن يتَّقِي الله العبد حتى يتَّقِيه في مثقال ذرة	١٣٨
ثلاث خلال هنّ على من عمل بهنّ	٥٨١
ثلاثة لا تذكرهنّ، واجتنب ذكرهنّ	٢٤١
ثم أتى البلاء الذي كُتب على الخلق	٣٥
جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لأولي الألباب	٦١٠
جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله	٤
حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً	٣٤٧
حلف لهما بالله حتى خدَعَهما، وقد يُخْدعُ المؤمن بالله	٥٧٧
دعا اللهُ إلى توبته من قال	٢٩٩
ذلك فعل الخوارج	٣٢٩
رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين	٦٧٨
رهب يعقوب عليهم العين	٦٦٣
سخر لكم ما في الأرض جميعاً؛ كرامة من الله	٦٠٧
سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا، بدأ بالعفو قبل المعاتبة	٢٩٦
سمَّى العمَّ أباً	٢٨٠
شقَّ ذلك عليَّ؛ لأن المؤمنين يصيبون ذنوباً	٥٦٣
شهادة الزور تُعدَلُ بالشرك بالله	٥٣٨
صف لنا نفسك	٣٣١
طلبُ الحوائج إلى الشباب أسهلُ منها عند الشيوخ	٦٦٦
ظننت أن الله ليس بقريب منك	٤٨٥
عرف نبي الله من أين المخرج	٤١٢
عشيرة الرجل للرجل خير من الرجل لعشيرته	٦٥٦
عنى به شقاء الدنيا، فلا تلقى ابن آدم إلا شقياً ناصباً	٦٨٨
فإذا بلغ المؤمن أرذل العمر، وكان يعمل في شبابه عملاً	١٥٨
فإنهم على عِلْمٍ وقفوا، وببصر نافذ كفّوا	٤
فرضاً على الناس إذا أُخرجت الثمار أن يخرجوا وينظُروا إليها	٦٣٥
فسألهما عن ابنة وابنة ابن وأخت	٣٥١
فكيف بمن أحسَن إليهم	٢٦٧
في شدة معيشته، وحمله وحياته، ونبات أسنانه	١٥٥، ٦٨٩
قاس إبليس؛ وهو أول من قاس	٣٤٤
قالها إبراهيم حين أُلقي في النار	٤٣٦
قد ذهب بصري وأنا غلام صغير	١٢٩
قد علم الله أنه ما به إليهم من حاجة، ولكن أراد أن يستنَّ به من بعده	١٨٣
قد فهمت كتابك، وإن الله لما أدخل أهل الجنة الجنة	٤٤٠
قد كره الصالحون الفرقة قبلكم	٢٦٤
قرابة الرحم تُقطع، ومنَّة المنعم تُكفر	٢١٨
قرأتُ هذه الآية في سورة النحل	٣٦٣
قلَّما تكلَّمت امرأة تريد أن تتكلَّم بحُجَّتِها	٧٢٤
كان بين ابن عباس وبين آخر شيءٌ	٦٢٥
كان تُبَّع رجلاً صالحاً	٧٢٧

طـــــــــــــــــرف الأثـــــــــــــــــر	الصفحة
كان يُرى أن الجهر بالدعاء الاعتداء	٤٩٨
كانا مسلمين ولكن سألاه الثبات	٥١
كانت السجدة لآدم، والطاعة لله	٥٥١
كانوا إذا رأوا إنساناً يدعو بإصبعيه	٥٢٠
كلام أهل السماء العربية	٧٢١
كُن لما لم ترجُ أرجى منك لما ترجو	١١٨
كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته	٣٠٤
كنت مع علي بن عبدالله البارقيِّ، فمرَّ علينا يهودي أو نصراني فسلَّم عليه	٢٠٣
لا أرى أحداً يعمل بهذه الآية	٣١٦
لا أعلم خليقة يكابد من الأمر ما يكابد هذا الإنسان	١٥٤
لا تجده سيء الملكة	٥٧٣
لا تدعوا على المؤمن والمؤمنة بالشر	٤٩٨
لا تسألوا منازل الأنبياء	٤٩٨
لا تلقى المؤمن إلا يرحم المؤمن	٢٥٤
لا تيأس أن تصيب في وجهك هذا في أمر دِينك	١١٨
لا يصلح الكذب في جدٍّ ولا هزلٍ	٢٢٧
لا يُعذر أحد؛ حر ولا عبد، ولا رجل ولا امرأة	٣٤٧
لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً	٤٢٠
لا ينبغي لأحد أن يلقِّن ابنه الشَّرَّ	٣١٠
لأن استيقن أن الله تقبل مني صلاةً واحدةً	٦٨
لَأَنْ يمسَّ أحدكم جمراً حتى يطفأ خير له من أن يمسَّها	٦٩١
لتكذبنّ ولتخرجنّ ولتؤذينّ	٢٣٩
لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة	١٦٣
لقد علمت مريم أن التقيَّ ذو نُهْيَة	١٠٨
لم يرض يوسف عليه السلام أن أفتاهم بالتأويل حتى أمرهم بالرفق	٣٥٩
لما جَمَع شمله، وأقرَّ عينه، وهو يومئذ مغموس في نَبْت الدنيا وملكها وغَضَارتها	١٠١
لما قُبِض رسول الله ﷺ أنكرنا أنفسنا	٣٩١
لو أخذوا أدنى بقرةٍ فذَبَحوها لأَجْزأت عنهم	٤٣
لو أن رجلاً اتقى مائة شيء ولم يتق شيئاً واحداً لم يكن من المتقين	٢٣٢
لو رخص الله لأحد في ترك الذِّكر لرخص لزكريا	٤٢٠
لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه	٣٤٥
لو كُشِف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم	٦٨١
لو لم يكن لنا ذنوب نخاف على أنفسنا منها إلا حبنا للدنيا	٧٥
ليس لظالم عليك عهد في معصية الله أن تُطيعَه	٥٥٩
ما أبالي على أي حال أصبحت، على ما أحب أو على ما أكره	١٤٣
ما استقصى كريم قط	٢٧٦
ما ترى في رجل أمرُه يُعَنِّيني	٦٥٢
ما تشاور قوم قطُّ إلا هُدُوا	١٨٣
ما تعلم أحد القرآن، ثم نسيه إلا بذنب يحدثه	٣٨٦
ما رآه المؤمنون حسناً فهو حسن عند الله	٤٠٦
ما سمعت بأُولى إلا ولها آخرة	٧٠٦
ما عمل آدميٌّ عملاً أنجى له من عذاب الله من ذِكر الله	٤٢٩
ما عمِل رجلٌ حسنةً في سبعة أبياتٍ إلا أظهرها الله	٤٨
ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفُها إلا أحزنتني	٣٧٩

طـــــــــــــــرف الأثـــــــــــــــــر	الصفحة
ما من أحد يخاف لصاً عادياً، أو سبعاً ضارياً، أو شيطاناً مارداً	٥١٣
ما من شيء أحبَّ إلى الله من قراءة القرآن والذِّكر	٤٢٥
ما من عام بأقلَّ مطراً من عام	٦٧٠
ما من عام بأمطر من عام	٦٧٠
ما من نعمة أنعم الله على عبد إلا وقد سأله فيها الشكر	١٢٦
ما من نفس برةٍ ولا فاجرةٍ إلا والموت خير لها من الحياة	٦٤
ما منكم من أحد إلا وهو يشتملُ على فتنة	٥٠٤
ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم	٦٣٩، ٦٤١
ما يسُرُّني بنصيبي من دعوة نوح وإبراهيم	٥١٧
مُطِرْتمُ إذاً	٧١٨
مكتوب في الكتاب الأوَّل	٥٨٨
ملُّوا طعامهم في البرِّيَّة	٥٥٥
من أتى ذنبا عمداً أو خطأً فهو جاهل حين يأتيه	٩٥
من أُمر بمعصية فليَهْرُب	١٢٢
من جاءك يناجيك في هذا فاقبل مناجاته	٢١٤
من رأى شيئاً من ماله فأعجبه	٤٥١
من سلَّم عليك من خلق الله فارْدُدْ عليه	١٩٩
من كان لسنة فهو حُرٌّ	٧١٥
من وُسِّع عليه فلم يَرَ أنه يُمكر به فلا رأي له	٧١
من يأمنُ البلاءَ بعد قول إبراهيم	١٠٥
من يشفع شفاعة حسنة كان له أجرها وإن لم يُشَفَّع	١٨٩
منهومان لا يشبعان	٣٩٥، ٣٩٦
نرى أشياء من كتاب الله أمر أن يُعملَ بها لا يُعملُ بها	٦١
نعم، إنما الصدقة لمن يبتغي الثواب	٣٠٧
هذا نبيكم يوحى إليه	٣٩١
هذا نعت أولياء الله نعتهم الله تعالى	٣٢٧
هو ذِكر الله في الصلاة وفي غير الصلاة	٤٢٠
هو مردود عليك، فمالَكَ ولهذا تؤذيه وتمنّ عليه	١٧٦
هؤلاء أصحاب نبي الله ﷺ، لو أطاعهم نبي الله في كثير من الأمر لعنتوا	٣٩١
هي – والله – لكلِّ واصِف كَذِب إلى يوم القيامة	٥٣٤
هي تعزية للمظلوم، ووعيد للظالم	٥٩١
والله إنا لنخشى الله، ولا نسقط	٣٢٩
والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره	١٣١
وإنه ما نسي الذِّكر قوم قط إلا باروا وفسدوا	٤٦٢
وكذلك كانت الأنبياء تكتب جميلاً، لا يُطْنبون	٣١٣
وكذلك كلُّ مُصلح يوفِّقه الله للحقِّ والصواب	١٨٦
ولم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط	٦٢٠
ولم يسأل نبي قط الموت غير يوسف	١٠٠
يا أبا بشر يودُّني أنه لا يولد لي ولد أبداً	٥٧
يا جارية أخرجي سرجي، أخرجي ثيابي	٧٣٣
يا سبحان الله! والله ما أكلوا مالاً حراماً، ولا أصابوا دماً حراماً	٧٨
يا من يتحبب إلى أعاديه	٢٦١
يرحمكما الله، الرجل يركب منا دابة فيضربها بالسوط	٢٨٩
يريد مصائب المعاش، ولا يريد مصائب الدِّين	١٤٥

طـــــــــــــــرف الأثـــــــــــــــر	الصفحة
يُعذر من حاجَّ بعلم، ولا يُعذر من حاجَّ بالجهل	٣٤١
يُعلِّمُكم كيف تقولون إذا ركبتم، وكيف تقولون إذا نزلتم	٤٥٨
يُقَرِّبكم، والحب هو القرب	٦١٤
يوفيه الله أجره وعمله، فلا يؤاخذه إذا ردّ إلى أرذل العمر	١٥٨

فهرس الأعلام

الصفحة	اســــــــم العـــــــلـــم
١٠٥، ٥٤٣	إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي
٥٤٣	إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي
١١٨	أبوالمليح بن أسامة بن عمير الهذلي البصري
٢٧٠	أبومسلم الخولاني
٣٥٥	أحمد بن علي بن المثنى الموصلي
٦٥٢	أحمد بن عمرو بن عبدالله بن السرح
٥٤٣	إسحاق بن سليمان الرازي
٣٦٨	إسحاق بن عيسى البغدادي
٤٧٨	إسماعيل بن إبراهيم الهذلي
٦٤٨	إسماعيل بن أبي خالد البجلي
٧١	إسماعيل بن رافع بن عويمر الأنصاري
٢٠٨	الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي
٦٤٨، ٦٨٨	الحسن بن أبي الحسن البصري
٥٩١	الحسن بن عمر أو عمرو بن يحيى الفزاري
٧١٥	الحسين بن الوليد القرشي النيسابوري
١٢٢	الربيع بن أبي راشد الكوفي
٧١	الربيع بن أنس البكري
٤٨٢	الضحاك بن قيس بن خالد الفهري
١٢٩	العلاء بن بدر العنزي
٥٤٣	العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني
٢٦١	الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي
٣٥٥	الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي
٤٩١	القاسم بن عبدالرحمن الدمشقي
١٩٣	المبارك بن فضالة بن أبي أمية
٥٤٣	المثنى بن إبراهيم الآملي
٤٨	المسيب بن رافع الأسدي الكاهلي
٤٤٨	المعتمر بن سليمان التيمي
١٨٠	المنذر بن عائذ بن المنذر المصري العبدي
٣٦٣	المنذر بن مالك الغفاري
٢٩	أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
٥٢٧	ثابت بن أسلم البناني
٧٢١	ثعلبة بن سهيل الطُهَوي
٢٧٣	ثمامة بن حزن بن عبدالله القشيري
٤٧٨	جرير بن عبدالحميد الضبي
٢٤٧	جعفر بن سليمان الضبعي
٥٥٤	جنادة بن أبي أمية الأزدي
٦٧٨	حابس بن سعد الطائي
٢٧٨	حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس
٦٥٢	حرملة بن عبدالعزيز بن سبرة الجهني
٢٧٣، ٣٠٧	حماد بن أسامة القرشي الكوفي
٥٨١	رجاء بن حيوة الكندي

اســــــــــــم الـــــــــــعـــــــــــلــــــم	الصفحة
رفيع بن مهران أبوالعالية الرياحي	١١٤
روح بن عبادة بن العلاء القيسي	١٥٠
زياد بن كليب الكوفي	٥٣٠
زيد بن أسلم العدوي	٤٩٩
سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الشافعي	٣٧٦
سعيد بن إسماعيل الحيري	٦٠٩
سعيد بن جبير الأسدي الكوفي	١٢٢،٣٠
سعيد بن فيروز بن أبي عمران	٢٠٨
سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري	١٩٤، ٣٠٧
سلام بن أبي مطيع الخزاعي	٥١
سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي،	٣٥١
سلمة بن دينار المخزومي الأعرج	٧٣
سليم بن عامر الكلاعي	٤٣٣
سيار بن حاتم العنزي	٢٤٧
شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي	٣٢٣
شعيب بن الحبحاب الأزدي البصري	١١٤
شقيق بن سلمة الأسدي	٥٤٣
صالح بن شريف الرندي الاندلسي	٦٣٤
طلحة بن مصرف بن كعب اليامي	٢٤١، ٥٣٠
عاصم بن بهدلة بن أبي النجود	١٩٤
عاصم بن هبيرة	٤٧٨
عبدالرحمن بن أزهر بن عوف الزهري	٦٦
عبدالله بن أبى زياد القطواني	٢٤٧
عبدالله بن فيروز الديلمي	٥٧
عبدالله بن محيريز بن جنادة بن وهب الجمحي	٥٧
عبدالله بن واقد بن الحارث الحنفي	٥٧٣
عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي	٢٠٣
عبد بن حميد بن نصر الكشي	٣٤
عبدالأعلى التيمي	٣٧١
عبدالرحمن بن أبي الرِجال	٤٩٩
عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي	٣٠، ١٧٦
عبدالصمد بن يزيد الصائغ	٣٥٥
عبدالله بن أبي الهذيل العنزي	٤٤٤
عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني	٤٧٨
عبدالله بن إدريس الأوْدي	١٢٣
عبدالله بن شبيب بن خالد القيسي	٤٨٥
عبدالله بن عباس	٢٩
عبدالله بن عون بن أرطبان المزني	١٥٠
عبدالله بن مسعود	٢٩
عبدالله وعطية ابنا بسر المازني	٢٨٩
عبدالملك بن حبيب الأزدي	٢٤٧
عبدربه بن سعيد بن قيس الأنصاري	٣٢٣
عبيدالله بن زيادة	٢٨٩
عبيدة السلماني	٤٥

اســـــم العـــلـــم	الصفحة
عدي بن أرطاة الفزاري الدمشقي	٤٤٠
عطاء بن أبي مسلم البلخي	٦٦٦
عطاء بن السائب بن زيد الثقفي	٦٧٨
عطاء بن ميسرة الخرساني	٢٧٦
عطية بن عروة السَّعدِيِّ	١٣٩
علي بن أبي علي بن محمد الآمدي	٥٩٥
علي بن الحسين بن الجنيد	٦٥٢
علي بن حرب الموصلي	١٩٤
علي بن عبدالله البارقي الأزدي	٢٠٣
علي بن محمد التهامي	٦٩٠
عمارة بن القعقاع بن شُبرمة الضبي الكوفي	٦٨٨
عمر بن سعد بن عبيد	١٩٤
عمرو بن رافع البجلي	١١٤
عمرو بن محمد بن بكير الناقد	١٥٠
عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي	١٧٠
فضالة بن عبيد الأنصاري	٦٩
فضيل بن أبي رفيدة	٤٧٨
فضيل بن غزوان بن جرير الضبي	٦٤٨
قتادة بن دعامة السدوسي	٣٠
قيس بن سعد المكي الحبشي	٦٢٥
قيس بن عاصم بن سنان المنقري التميمي	٣٣١
كهف القشيري البصري	٢٧٣
لاحق بن حميد بن سعيد	٣١٠
مالك بن مغول البجلي	١٢٣
مجاهد بن جبر	٣٢٣
محمد بن إبراهيم بن علي الأصفهاني المقرئ	٣٥٥
محمد بن إدريس بن المنذر الرازي	١١٤
محمد بن العلاء بن كريب الهمداني	٢٧٣
محمد بن سيرين الأنصاري	١٥٠
محمد بن عثمان التنوخي	٤٩٩
محمد بن فضيل بن غزوان الضبي	٦٤٨
محمد بن مروان بن عبدالله بن إسماعيل الكوفي	٤٤٩
محمد بن مسعر التميمي	٦٣٥
محمد بن يوسف بن واقد الفريابي	١٢٢
مختار بن فلفل الكوفي	٣٠٧
مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم	٥٧
مَطَر بن طهمان السلمي	٦٧٤
مطرف بن عبدالله بن الشخير الحرشي	١٤١
معاوية بن صالح بن حدير الحضرمي	٥٣٤
مقاتل بن حيان النبطي	٧٢١
موسى بن أعين الجزري	١٤٠
ميمون الوراق الخراساني	٣٤٧
ميمون بن قيس بن جندل بن ثعلبة	٥٩٥
ميمون بن مهران الجزري	٥٩١

اســــــــــــم العـــــــــــلــــم	الصفحة
نصر بن داود بن منصور	٥٩١
هانئ بن كلثوم بن شريك الكناني	٥٧
هزيل بن شرحبيل الأودي الكوفي	٣٥١
هشيم بن بشير السلمي	١١٤
هناد بن السرِي بن مصعب التميمي	١٦٩
وكيع بن الجراح الرُؤَاسي	٣٢٣
وهب بن منبه بن كامل	٥٩٩
يحيى بن أبي عمرو السيباني الحمصي	٥٧
يحيى بن دينار الرماني	٤٤٠
يحيى بن سعيد بن فَرُّوْخ التميمي	٥١٣
يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي	٢٦٢
يحيى بن يوسف الزِمِي الخراساني	٥٩١
يزيد بن مرة الجعفي	٤٠٠
يزيد بن هارون بن زاذان السلمي	٥٤٣
يونس بن عبيد بن دينار العبدي	١١٤

فهرس المصادر والمراجع

١) الإبانة الكبرى، المؤلف: محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، ت: رضا معطي وآخرون، ط: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، المؤلف: عبيد الله بن محمد العكبري، ت: عثمان عبدالله آدم الأثيوبي، ط: دار الراية للنشر – السعودية، الثانية- ١٤١٨هـ.

٣) الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، المؤلف: علي بن عبد الكافي السبكي، ت: مجموعة من الباحثين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤٠٤هـ.

٤) الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: جلال الدين السيوطي، ت: سعيد المندوب، ط: دار الفكر – لبنان، الأولى – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٥) الإحاطة في أخبار غرناطة، المؤلف: لسان الدين ابن الخطيب، ت: د. يوسف علي طويل، ط: دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت، الأولى – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٦) أحكام القرآن للكيا هراسي، المؤلف: الكيا هراسى، ت: موسى محمد على، وعزت عبده عطية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥هـ.

٧) أحكام القرآن، المؤلف: أحمد بن علي الرازي الجصَّاص، ت: محمد الصادق قمحاوي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٥هـ.

٨) أحكام أهل الذمة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، ت: يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري، ط: رمادى للنشر – دار ابن حزم – الدمام – بيروت، الأولى- ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٩) الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: علي بن أحمد بن حزم، ط: دار الحديث – القاهرة، الأولى – ١٤٠٤هـ.

١٠) إحياء علوم الدين، المؤلف: أبوحامد الغزالي، ط: دار المعرفة – بيروت.

١١) الأخبار الموفقيات، المؤلف: الزبير بن بكار المكي، ت: سامي مكي العاني، ط: عالم الكتب – بيروت، الثانية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: الإمام أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، ت: شعيب الأرناؤوط، وعمر القيام، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الثانية – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

١٣) آداب النفوس، المؤلف: أبوعبدالله حارث المحاسبي، ت: عبد القادر أحمد عطا، ط: دار الجيل – بيروت – لبنان، ١٩٨٤م.

١٤) أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، ت: محمد كريم راجح، ط: دار اقرأ – بيروت، الرابعة – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٥) أدب المفتي والمستفتي، المؤلف: عثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح، ت: د. موفق عبدالله عبد القادر، ط: مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب – بيروت، الأولى – ١٤٠٧هـ.

١٦) الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، ط: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الثالثة – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

١٧) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، المؤلف: شرف الدين النووي، ط: دار الكتب العربي – بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

١٨) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، المؤلف: د. صالح بن فوزان الفوزان، ط: دار ابن خزيمة – الرياض، الثانية – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

١٩) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الثانية – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢٠) أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، المؤلف: عطية بن نوري الفقيه، رسالة ماجستير – جامعة أم القرى – مكة المكرمة.

٢١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، المؤلف: يوسف بن عبدالله بن عبد البر، ت: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ٢٠٠٠م.

٢٢) الاستقامة، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، ط: ١٤٠٣هـ. ط: جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، الأولى – ١٤٠٣هـ.

٢٣) الاستنباط عند المفسرين، المؤلف: أ.د. محمد بن عمر بازمول، ١٤٣٣هـ.

٢٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: يوسف بن عبدالله بن عبد البر، ت: علي محمد البجاوي، ط: دار الجيل - بيروت، الأولى – ١٤١٢هـ.

٢٥) أسماء المدلسين، المؤلف: جلال الدين السيوطي، ت: محمود محمد نصار، ط: دار الجيل – بيروت، الأولى - ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٢٦) الأسماء والصفات للبيهقي، ت: محمد عبدالله الحاشدي، ط: مكتبة السوادي للتوزيع.

٢٧) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، المؤلف: نجم الدين الطوفي، ت: حسن بن عباس، ط: الفاروق الحديثة – القاهرة، الأولى – ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٨) الاشتقاق، المؤلف: محمد بن الحسن بن دريد، ت: عبد السلام محمد هارون، ط: مكتبة الخانجي – القاهرة - مصر، الثالثة.

٢٩) الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، ت: علي محمد البجاوي، ط: دار الجيل - بيروت، الأولى- ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٣٠) إصلاح الوجوه والنظائر، المؤلف: حسين بن محمد الدمغاني، ت: عبدالعزيز سيدالأهل، ط: دار العلم للملايين – بيروت – لبنان، الثالثة – ١٩٨٠م.

٣١) أصول السرخسي، المؤلف: محمد بن أحمد السرخسي، ط: دار المعرفة – بيروت.

٣٢) أصول في التفسير، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، ط: المكتبة الإسلامية، الأولى - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، ت: مكتب البحوث والدراسات، ط: دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٤) الاعتصام ، المؤلف: أبو إسحاق الشاطبي، ط: المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

٣٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر الزرعي، ت: طه عبد الرؤوف سعد، ط: دار الجيل – بيروت،١٩٧٣م.

٣٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر الزرعي، ت: محمد حامد الفقي، ط: دار المعرفة - بيروت، الثانية – ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣٧) الأغاني، المؤلف: أبو الفرج الأصبهاني، ت: علي مهنا وسمير جابر، ط: دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان.

٣٨) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: محمد حامد الفقي، ط: مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، الثانية – ١٣٦٩هـ.

٣٩) الإكليل في استنباط التنزيل، المؤلف: جلال الدين السيوطي، ت: سيف الدين عبد القادر الكاتب، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى -١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٠) الأم، المؤلف: محمد بن إدريس الشافعي، ط: دار المعرفة - بيروت، الثانية – ١٣٩٣هـ.

٤١) الأمالي المطلقة، المؤلف: أحمد بن حجر العسقلاني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الأولى - ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

٤٢) الإمامة والرد على الرافضة، المؤلف: أبو نعيم الأصبهاني، ت: د. علي بن محمد الفقيهي، ط: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - السعودية، الثالثة - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٤٣) الأمثال من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن علي الحكيم الترمذي، ت: د. السيد الجميلي، ط: دار ابن زيدون ودار أسامة - بيروت - دمشق.

٤٤) أمراض القلوب وشفاؤها، المؤلف: أحمد بن تيمية، ط: المطبعة السلفية – القاهرة، الثانية - ١٣٩٩هـ .

٤٥) أنساب الأشراف لأحمد البلاذري، ت: د. سهيل زكار ود. رياض الزركلي، ط: دار الفكر – بيروت – لبنان، الأولى – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٤٦) أنوار التنزيل، المؤلف: ناصر الدين البيضاوي، ط: دار الفكر – بيروت.

٤٧) إيقاظ همم أولي الأبصار، المؤلف: صالح بن محمد بن نوح العمري، ط: دار المعرفة - بيروت – ١٣٩٨هـ.

٤٨) البحر الزخار، المؤلف: أبوبكر أحمد البزار، ت: د. محفوظ الرحمن زين الله، ط: مؤسسة علوم القرآن، ومكتبة العلوم والحكم - بيروت - المدينة، الأولى – ١٤٠٩هـ.

٤٩) البحر المحيط في أصول الفقه، المؤلف: محمد بن بهادر الزركشي، ت: د. محمد محمد تامر، ط: دار الكتب العلمية – لبنان - بيروت، الأولى – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٥٠) البداية والنهاية، المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ط : مكتبة المعارف – بيروت.

٥١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: علاء الدين الكاساني، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الثانية - ١٩٨٢م.

٥٢) بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر الزرعي، ت: هشام عبدالعزيز عطا وآخرون، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الأولى – ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٥٣) البرهان في علوم القرآن، المؤلف: محمد بن بهادر الزركشي، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعرفة - بيروت – ١٣٩١هـ.

٥٤) البسيط، المؤلف: محمد بن علي الواحدي النيسابوري، ت: الشيخ عادل أحمد وآخرون، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الأولى– ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٥٥) البعث والنشور، المؤلف: أبوبكر البيهقي، ت: الشيخ عامر أحمد حيدر، ط: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية – بيروت، الأولى – ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.

٥٦) بغية الطلب في تاريخ حلب، المؤلف: كمال الدين عمر بن أحمد جرادة، ت: د. سهيل زكار، ط: دار الفكر.

٥٧) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د. موسى سليمان الدويش، ط: مكتبة العلوم والحكم، الأولى – ١٤٠٨هـ.

٥٨) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، ت: محمد المصري، ط: جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت، الأولى – ١٤٠٧هـ.

٥٩) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، المؤلف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، ط: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – الرياض، الرابعة - ١٤٢٣هـ.

٦٠) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: أحمد عبد الحليم بن تيمية، ت: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، ط: مطبعة الحكومة - مكة المكرمة، الأولى – ١٣٩٢هـ.

٦١) البيان في مذهب الإمام الشافعي، المؤلف: أبوالحسين العمراني الشافع، ت: قاسم محمد النوري، ط: دار المنهاج – جدة، الأولى – ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٦٢) البيان والتبيين، المؤلف: الجاحظ، ت: فوزي عطوي، ط: دار صعب – بيروت.

٦٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: محمد بن أحمد الذهبي، ت: د. عمر عبد السلام تدمرى، ط: دار الكتاب العربي – لبنان - بيروت ، الأولى- ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٤) تاريخ الطبري، المؤلف: ابن جرير الطبري، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٥) التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، ط: دار الفكر.

٦٦) تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر الخطيب البغدادي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٧) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، المؤلف: علي بن الحسن، ت: عمر بن غرامة العمري، ط: دار الفكر – بيروت – ١٩٩٥م.

٦٨) تالي تلخيص المتشابه، المؤلف: أبوبكر الخطيب البغدادي، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، وأحمد الشقيرات، ط: دار الصميعي – الرياض، الأولى – ١٤١٧ هـ.
٦٩) التبيين لأسماء المدلسين، المؤلف: إبراهيم بن محمد أبوالوفا الحلبي، ت: محمد إبراهيم داود الموصلي، ط: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، الأولى – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٧٠) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، المؤلف: علاء الدين أبي الحسن الحنبلي، ت: د. عبدالرحمن الجبرين ود. عوض القرني ود. أحمد السراح، ط: مكتبة الرشد – السعودية – الرياض، الأولى- ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٧١) التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.
٧٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: محمد عبدالرحمن المباركفوري، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.
٧٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، المؤلف: محمد بن علي الشوكاني، ط: دار القلم – بيروت – لبنان، الأولى – ١٩٨٤م.
٧٤) تحفة المودود بأحكام المولود، المؤلف: محمد بن أبي بكر الزرعي، ت: عبد القادر الأرناؤوط، ط: مكتبة دار البيان – دمشق، الأولى- ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.
٧٥) تحقيق تفسير ابن أبي حاتم الجزء الأول من سورة آل عمران، ت: أ. د. حكمت بشير، ط: مكتبة الدار – المدينة المنورة، الأولى – ١٤٠٨هـ.
٧٦) تحقيق تفسير ابن أبي حاتم الجزء الأول من سورة البقرة، ت: د. أحمد بن عبدالله العماري، ط: مكتبة الدار – المدينة المنورة، الأولى – ١٤٠٨هـ.
٧٧) تحقيق تفسير ابن أبي حاتم الجزء الثاني من سورة البقرة، ت: د. عبدالله بن علي الغامدي، ١٤٠٧هـ.
٧٨) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، المؤلف: جمال الدين عبدالله الزيلعي، ت: عبدالله بن عبدالرحمن السعد، ط: دار ابن خزيمة – الرياض، الأولى – ١٤١٤هـ.
٧٩) تذكرة الحفاظ، المؤلف: محمد بن أحمد الذهبي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى.
٨٠) التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: محمد بن أحمد الغرناطي الكلبي، ط: دار الكتاب العربي – لبنان، الرابعة- ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٨١) تعبير الرؤيا، المؤلف: عبدالله بن مسلم بن قتيبة، ت: إبراهيم صالح، ط: دار البشائر – دمشق، الأولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٨٢) تعطير الأنام في تعبير المنام، المؤلف: عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، ط: دار الفكر – بيروت.
٨٣) تغليق التعليق على صحيح البخاري، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، ت: سعيد عبدالرحمن القزقي، ط: المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، عمان – الأردن، الأولى – ١٤٠٥هـ.
٨٤) تفسير ابن المنذر، المؤلف: أبوبكر محمد بن المنذر النيسابوري، ت: سعد بن محمد السعد، ط: دار المآثر – المدينة المنورة، الأولى – ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢ م.
٨٥) تفسير الإمام ابن عرفة، المؤلف: محمد بن محمد بن عرفة، ت: د. حسن المناعي، ط: مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس – ، الأولى – ١٩٨٦م.
٨٦) تفسير البحر المحيط، المؤلف: محمد بن يوسف الأندلسي، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط: دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت ، الأولى – ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م.
٨٧) تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، المؤلف: علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، ط: دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٨٨) تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، المؤلف: أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي، ت: سيد عمران، ط: دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت، الأولى – ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .
٨٩) تفسير القرآن ، المؤلف: أبو الليث السمرقندي، ت: د. محمود مطرجي، ط: دار الفكر – بيروت.

٩٠) تفسير السمعاني، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، ط: دار الوطن - الرياض - السعودية، الأولى - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩١) تفسير الصنعاني، ت: د. مصطفى مسلم محمد، ط: مكتبة الرشد - الرياض، الأولى - ١٤١٠هـ.

٩٢) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت. أ.د. حكمت بشير، ط: دار ابن الجوزي – الدمام، الأولى – ١٤٣١هـ.

٩٣) تفسير القرآن الكريم (سورة الفاتحة والبقرة)، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، ط: دار ابن الجوزي – الرياض، الأولى -١٤٢٣هـ.

٩٤) تفسير القرآن الكريم (سورة النساء)، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، ط: دار ابن الجوزي – الرياض، الأولى -١٤٣٠هـ.

٩٥) تفسير القرآن، المؤلف: عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، ط: المكتبة العصرية – صيدا.

٩٦) تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، المؤلف: عبد الكريم القشيري، ت: عبد اللطيف حسن عبدالرحمن، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الأولى - ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٩٧) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، المؤلف: فخر الدين محمد الرازي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى- ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩٨) تفسير اللغوي للقرآن الكريم، المؤلف: المؤلف: د. مساعد بن سليمان الطيار، ط: دار ابن الجوزي - الدمام، الثانية - ١٤٢٧هـ.

٩٩) تفسير المنار، المؤلف: محمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٠م.

١٠٠) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ت: يوسف علي بديوي، ط: دار الكلم الطيب – بيروت، الأولى – ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٠١) تفسير آيات من القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب، ت: د. محمد بلتاجي، ط: مطابع الرياض - الرياض، الأولى.

١٠٢) تفسير جزء عم، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، ط: دار الثريا للنشر والتوزيع – الرياض، الثانية - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٠٣) تفسير حدائق الروح والريحان، المؤلف: محمد الأمين بن عبدالله الهرري، إشراف ومراجعة: هشام مهدي، ط: دار طوق النجاة – بيروت – لبنان، الأولى – ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

١٠٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: الحسن بن محمد النيسابوري، ت: الشيخ زكريا عميران، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الأولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٠٥) تفسير مقاتل بن سليمان، ت: أحمد فريد، ط: دار الكتب العلمية – لبنان - بيروت، الأولى - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٠٦) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، المؤلف: الراغب الاصفهانى ، ط: دار مكتبة الحياة – بيروت، الأولى.

١٠٧) تقريب التهذيب، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، ط: دار الرشيد - سوريا، الأولى – ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٠٨) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري، ت: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، ط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب – ١٣٨٧هـ.

١٠٩) التوبيخ والتنبيه، المؤلف: عبدالله بن محمد بن حيان، ت: مجدي السيد إبراهيم، ط: مكتبة الفرقان – القاهرة.

١١٠) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، ت: يوسف علي بديوي، ط: دار ابن كثير – دمشق – بيروت.

١١١) تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: محي الدين النووي، ت: مكتب البحوث والدراسات، ط: دار الفكر - بيروت، الأولى- ١٩٩٦م.

١١٢) تهذيب التهذيب، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، ط: دار الفكر - بيروت، الأولى – ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١١٣) تهذيب الكمال، المؤلف: يوسف بن الزكي أبو الحجاج ، ت: د. بشار عواد معروف، ط : مؤسسة الرسالة – بيروت، الأولى - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١١٤) تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى - ٢٠٠١م.

١١٥) التوبة، المؤلف: ابن أبي الدنيا ، ت: مجدي السيد إبراهيم، ط: مكتبة القرآن – القاهرة، ١٩٩١م .

١١٦) التوحيد لابن منده، المؤلف: محمد بن إسحاق بن مَنْدَه، ت: د.محمد بن عبد اله الوهيبي، ود.موسى بن عبدالعزيز الغصن، ط: دار الهدى النبوي، دار الفضيلة - مصر ، سورية، الأولى – ١٤١٨هـ-٢٠٠٧ م.

١١٧) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، المؤلف: سليمان بن عبدالله بن عبد الوهاب، ت: محمد أيمن الشبراوي، ط: عالم الكتب - بيروت، الأولى- ١٩٩٩م.

١١٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت: ابن عثيمين، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١١٩) الثبات عند المهات، المؤلف: عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ت: عبدالله الليثي الأنصاري، ط: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الأولى - ١٤٠٦ هـ.

١٢٠) الثقات، المؤلف: محمد بن حبان التميمي، ت: شرف الدين أحمد، ط: دار الفكر، الأولى- ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

١٢١) جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير)، المؤلف: جلال الدين السيوطي، جمع وترتيب: عباس أحمد صقر وأحمد عبدالجواد، ط: دار الفكر.

١٢٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ت: عبد القادر الأرنؤوط، التتمة ت: بشير عيون، ت: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الأولى -١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

١٢٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، ت: محمود محمد شاكر، ط: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الثانية.

١٢٤) جامع التحصيل في أحكام المراسيل، المؤلف: أبوسعيد بن خليل بن كيكلدي، ت: حمدي عبدالمجيد السلفي، ط: عالم الكتب – بيروت، الثانية - ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

١٢٥) جامع الرسائل، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: محمد رشاد رفيق سالم، ط: دار المدني للنشر والتوزيع – جدة.

١٢٦) الجامع الصحيح المختصر، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، ت: د. مصطفى ديب البغا، ط: دار ابن كثير - بيروت ، الثالثة- ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٢٧) الجامع الصحيح سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٢٨) الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير، المؤلف: محمد بن الحسن الشيباني، ط: عالم الكتب - بيروت، الأولى- ١٤٠٦هـ.

١٢٩) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن البغدادي، ت: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، السابعة - ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٣٠) جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: يوسف بن عبد البر النمري، ط: دار الكتب العلمية - بيروت – ١٣٩٨هـ.

١٣١) الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط: دار الشعب – القاهرة.

١٣٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: أحمد الخطيب البغدادي، ت: د. محمود الطحان، ط: مكتبة المعارف – الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٣٣) الجرح والتعديل، المؤلف: عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى – ١٢٧١هـ- ١٩٥٢م.

١٣٤) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ت: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ط: دار العروبة – الكويت، الثانية - ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

١٣٥) جمهرة اللغة لابن دريد، ت: رمزي منير بعلبكي، الأولى.

١٣٦) الجهاد لابن أبي عاصم، ت: مساعد بن سليمان الراشد، ط: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الأولى – ١٤٠٩هـ.

١٣٧) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: أحمد عبد الحليم بن تيمية، ت: علي سيد صبح المدني، ط: مطبعة المدني – مصر.

١٣٨) حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، المؤلف: محمد بن مصلح الدين الجنفي، ضبطه وصححه: محمد عبدالقادر شاهين، ط: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الأولى -١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

١٣٩) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، المؤلف: علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ت: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الأولى- ١٤١٩ هـ -١٩٩٩م.

١٤٠) الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والاصول والنحو والاعراب وسائر الفنون، المؤلف: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت: عبداللطيف حسن عبدالرحمن، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الأولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

١٤١) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، المؤلف: أبو القاسم اسماعيل ابن محمد الأصبهاني، ت: محمد بن ربيع المدخلي، ت: دار الراية - السعودية - الرياض، الثانية - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٤٢) الحسنة والسيئة، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د. محمد جميل غازي، ط: مطبعة المدني - القاهرة.

١٤٣) الحلم، المؤلف: ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، ت: محمد عبد القادر عطا، ط: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٤٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم الأصبهاني، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الرابعة - ١٤٠٥هـ.

١٤٥) حياة الحيوان الكبرى، المؤلف: كمال الدين محمد الدميري، ت: أحمد حسن بسج، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الثانية - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

١٤٦) خلاصة الاحكام في مهمات السنن وقواعد الاسلام ، المؤلف: يحيى بن مري الحوراني، أبو زكريا، ت: حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، ط : مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، الاولى - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٤٧) الدُّر المنثور، المؤلف: جلال الدين السيوطي، ت. د. عبدالله التركي، ط: عالم الكتب - الرياض -١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

١٤٨) درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ت: عبد اللطيف عبدالرحمن ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٤٩) الدعاء، المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤١٣هـ.

١٥٠) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، المؤلف: محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، ط: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

١٥١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: د. عبدالمعطي قلعجي، ط: دار الكتب العلمية ، دار الريان للتراث - بيروت ،القاهرة، الأولى - ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

١٥٢) ديوان أبوتمام بشرح الخطيب التبريزي، ت: محمد عبده عزام، ط: دار المعارف - القاهرة، الرابعة.

١٥٣) ديوان أبي تمام، فسر ألفاظه اللغوية ووقف على طبعه: محي الدين الخياط.

١٥٤) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الأولى.

١٥٥) ديوان علي بن محمد التهامي، ت: علي نجيب عطوي، ط: دار ومكتبة الهلال، الأولى - ١٩٨٦م.

١٥٦) ذم الملاهي، المؤلف: أبي بكر عبدالله بن محمد ابن أبي الدنيا، ت: عمروعبد المنعم سليم، ط: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الأولى - ١٤١٦هـ.

١٥٧) ربيع الأبرار، المؤلف: أبو القاسم محمود الزمخشري ، ت: د. عبد المجيد دياب وآخرون، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ، الأولى - ١٩٩٢م.

١٥٨) رسالة الغفران، المؤلف: أحمد بن عبدالله التنوخي، ت: علي حسن فاعور، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٥٩) رسالة في أصول الفقه، المؤلف: أبو علي الحسن بن شهاب العكبري، ت: د.موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، ط: المكتبة المكية - مكة المكرمة، الأولى - ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٦٠) رسالة في التوبة، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د. محمد رشاد، ط: دار العطاء - الرياض، الأولى - ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٦١) رسالة في تحقيق التوكل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، ط: دار العطاء - الرياض، الأولى - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

١٦٢) رسالة في تحقيق الشكر، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د. محمد رشاد، ط: دار العطاء - الرياض، الأولى - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٦٣) رسائل ابن حزم الأندلسي، المؤلف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ، ت: إحسان عباس، ط: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م .

١٦٤) الرسائل الشخصية، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق: عبدالعزيز بن زيد الرومي وآخرون، ط: مطابع الرياض - الرياض، الأولى .

١٦٥) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، المؤلف: تاج الدين السبكي، ت: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط: عالم الكتب - لبنان - بيروت، الأولى- ١٤١٩ه - ١٩٩٩م-

١٦٦) الروايات التفسيرية في فتح الباري المؤلف: د. عبد المجيد الشيخ عبد الباري، ط: وقف السلام الخيري، الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦.

١٦٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: محمود الألوسي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٦٨) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

١٦٩) الروض الداني (المعجم الصغير)، المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني، ت: محمد شكور محمود، ط: المكتب الإسلامي- بيروت، الأولى - ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٧٠) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، المؤلف: محمد بن حبان البستي أبوحاتم، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٧١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٧٢) رياض الجنة بتخريج أصول السنة، المؤلف: ابن أبي زمنين، ت: عبدالله بن محمد البخاري، ط: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة - السعودية، الأولى - ١٤١٥هـ .

١٧٣) زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: عبدالرحمن بن محمد الجوزي، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، الثالثة - ١٤٠٤هـ.

١٧٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر الزرعي، ت: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت، الرابعة عشر - ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

١٧٥) الزهد لأبي داود رواية ابن الأعرابي عنه، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث، ت: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، ط: دار المشكاة - حلوان-مصر، الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٧٦) الزهد، المؤلف: أحمد بن عمرو الشيباني، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط: دار الريان للتراث - القاهرة، الثانية -١٤٠٨هـ.

١٧٧) الزهد، المؤلف: عبدالله بن المبارك المرزوي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٧٨) الزهد، المؤلف: هناد بن السري الكوفي، ت: عبدالرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، الأولى - ١٤٠٦هـ.

١٧٩) زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ط: دار الفكر العربي.

١٨٠) الزواجر عن اقتراف الكبائر، المؤلف: ابن حجر الهيثمي، ت: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى، ط: المكتبة العصرية - لبنان - صيدا - بيروت، الثانية - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

١٨١) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، ت: محمد عبدالعزيز الخولي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الرابعة - ١٣٧٩هـ.

١٨٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.

١٨٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.

١٨٤) سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الفكر - بيروت.

١٨٥) سنن أبي داود، المؤلف: سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار الفكر.

١٨٦) سنن البيهقي الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، ط: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٨٧) سنن الدارقطني، المؤلف: علي بن عمر الدارقطني، ت: عبدالله هاشم يماني المدني ط: دار المعرفة - بيروت - ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

١٨٨) سنن الدارمي، المؤلف: عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، ت: حسين سليم أسد الداراني، ط: دار المغني، المملكة العربية السعودية ، الأولى - ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

١٨٩) السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن شعيب النسائي، ت: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٩٠) سنن سعيد بن منصور، ت: د. سعد بن عبدالله آل حميد، ط: دار العصيمي - الرياض، الأولى - ١٤١٤هـ.

١٩١) سير أعلام النبلاء، المؤلف: محمد بن أحمد الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، التاسعة - ١٤١٣هـ.

١٩٢) السيرة النبوية لابن هشام، ت: طه عبد الرءوف سعد، ط: دار الجيل - بيروت، الأولى - ١٤١١هـ.

١٩٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، المؤلف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، ت: د. أحمد سعد حمدان، ط: دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢هـ. ،

١٩٤) شرح السنة، المؤلف: الحسين بن مسعـود البغوي، ت: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت، الثانية - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٩٥) شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: ابن أبي العز الحنفي، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، الرابعة - ١٣٩١هـ.

١٩٦) شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، ت: سعد فواز الصميل، ط: دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الخامسة - ١٤١٩هـ.

١٩٧) شرح العمدة في الفقه، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د. سعود صالح العطيشان، ط: مكتبة العبيكان - الرياض، الأولى - ١٤١٣هـ.

١٩٨) الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، ط: دار ابن الجوزي، الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٩٩) شرح حديث لبيك اللهم لبيك، المؤلف: عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت: د. وليد آل فريان، ط: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الأولى - ١٤١٧هـ.

٢٠٠) شرح سنن ابن ماجه، المؤلف: السيوطي، وعبدالغني، وفخر الحسن الدهلوي، ط: قديمي كتب خانة - كراتشي.

٢٠١) شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبوالحسن علي بن خلف بن بطال البكري، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الثانية - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٠٢) شرح مختصر الروضة، المؤلف: سليمان بن عبد القوي الطوفي، ت: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة، الأولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٠٣) شرح مشكل الآثار، المؤلف: أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، الأولى- ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٠٤) شعب الإيمان، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: عبدالعلي بن عبدالحميد، ط: مكتبة الرشد - الرياض، الأولى - ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.

٢٠٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر الزرعي، ت: محمد بدر الدين الحلبي، ط: دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨هـ.

٢٠٦) الصارم المسلول على شاتم الرسول، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: محمد عبدالله عمر الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري، ط: دار ابن حزم - بيروت، الأولى – ١٤١٧هـ.

٢٠٧) الصحاح، المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبدالغفور عطار، ط: دار العلم – بيروت – لبنان، الرابعة –١٩٩٠م.

٢٠٨) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان التميمي، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، الثانية – ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٠٩) صحيح الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة الدليل– الجبيل، الرابعة - ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٢١٠) صحيح الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الثالثة – ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢١١) صحيح سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، ط: مؤسسة غراس – الكويت، الأولى – ١٤٢٣ه - ٢٠٠٢م.

٢١٢) صحيح مسلم بشرح النووي، المؤلف: أبو زكريا النووي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الثانية – ١٣٩٢هـ.

٢١٣) صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت : محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢١٤) صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الأولى – ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٢١٥) صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الثالثة – ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢١٦) صفة الصفوة، المؤلف: عبدالرحمن بن علي أبوالفرج ، ت: محمود فاخوري، و د.محمد رواس، ط: دار المعرفة – بيروت، الثانية – ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢١٧) الصمت وآداب اللسان، المؤلف: أبوبكر عبدالله بن محمد ابن أبي الدنيا، ت: محمد عبد القادر عطا، ط: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الأولى – ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢١٨) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر الزرعي، ت: د. علي بن محمد الدخيل الله، ط: دار العاصمة – الرياض، الثالثة – ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢١٩) صيد الخاطر، المؤلف: جمال الدين عبدالرحمن بن، ت: عبد القادر أحمد عطا، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م.

٢٢٠) الضعفاء الكبير، المؤلف: محمد بن عمر العقيلي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: دار المكتبة العلمية - بيروت، الأولى - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٢١) الضعفاء والمتروكين، المؤلف: عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ت: عبدالله القاضي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى- ١٤٠٦هـ.

٢٢٢) ضعيف الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة الدليل– الجبيل، الرابعة - ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٢٢٣) ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الثالثة – ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢٢٤) ضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، ط: مؤسسة غراس – الكويت، الأولى – ١٤٢٣ه - ٢٠٠٢م.

٢٢٥) طبقات الحفاظ، المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى –١٤٠٣هـ.

٢٢٦) طبقات الشافعية، المؤلف: ابن قاضي شهبة، ت: د. الحافظ عبد العليم خان، ط: عالم الكتب - بيروت، الأولى - ١٤٠٧هـ.

٢٢٧) طبقات الصوفية، المؤلف: محمد بن الحسين الأزدي، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٢٢٨) الطبقات الكبرى، المؤلف: محمد بن سعد بن منيع الزهري، ط: دار صادر – بيروت.

٢٢٩) طبقات فحول الشعراء، المؤلف: محمد بن سلام الجمحي، ت: محمود محمد شاكر، ط: دار المدني – جدة.

٢٣٠) طرح التثريب في شرح التقريب ، المؤلف: زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم العراقي، ت: عبد القادر محمد علي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ٢٠٠٠م.

٢٣١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر الزرعي، ت: عمر بن محمود، ط: دار ابن القيم – الدمام، الثانية – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٢٣٢) العباب الزاخر، المؤلف: رضي الدين الحسن الصغاني، ت: د. فير محمد حسن، ط: المجمع العلمي العراقي – بغداد، الأولى – ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٢٣٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر الزرعي، ت: زكريا علي يوسف، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٣٤) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، المؤلف: محمد الأمين المختار الشنقيطي، ت: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، ط: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الثانية، ١٤٢٦هـ.

٢٣٥) العرف الشذي شرح سنن الترمذي، المؤلف: محمد أنورشان ابن معظم شان الكشميري، ت: الشيخ محمود شاكر، ط: دار احياء التراث العربي – بيروت –لبنان، الأولى – ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٣٦) العظمة، المؤلف: عبدالله بن محمد الأصبهاني، ت: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط: دار العاصمة – الرياض، الأولى – ١٤٠٨هـ.

٢٣٧) العقد الفريد، المؤلف: احمد بن محمد الأندلسي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، الثالثة- ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٢٣٨) العقوبات الإلهية للأفراد والجماعات والأمم، المؤلف: ابن أبي الدنيا، ت: محمد خير رمضان، ط: دار ابن حزم – بيروت، الأولى – ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٣٩) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، المؤلف: عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ت: خليل الميس، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤٠٣هـ.

٢٤٠) العلل ومعرفة الرجال، المؤلف: أحمد بن حنبل الشيباني، ت: وصي الله بن محمد عباس، ط: المكتب الإسلامي، دار الخاني – بيروت ، الرياض، الأولى – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢٤١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٤٢) عمدة المحتج في حكم الشطرنج، المؤلف: محمد بن عبدالرحمن السخاوي، ت: أسامة الحريري وآخرون، ط: دار النوادر – دمشق ، الأولى – ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٢٤٣) عمل اليوم والليلة، المؤلف: ابن السني، ت: كوثر البرني، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن – جدة وبيروت.

٢٤٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، المؤلف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الثانية – ١٩٩٥م .

٢٤٥) عيون الأخبار، المؤلف: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت: لجنة بدار الكتب المصرية، ط ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الثانية – ١٩٩٦م .

٢٤٦) غريب الحديث، المؤلف: القاسم بن سلام الهروي، ت: د. محمد عبد المعيد خان، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، الأولى – ١٣٩٦هـ.

٢٤٧) غريب الحديث، المؤلف: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت: د. عبدالله الجبوري، ط: مطبعة العاني – بغداد، الأولى- ١٣٩٧هـ.

٢٤٨) غريب القرآن، المؤلف: أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، ت: أحمد صقر، ط: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م.

٢٤٩) الفاضل لأبي العباس المبرد، ت: عبدالعزيز الميمنى، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الثانية – ١٩٩٥م.

٢٥٠) فتاوى ابن رشد، المؤلف: محمد بن أحمد القرطبي، ت: د. المختار التليلي، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان، الأولى – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢٥١) الفتاوى الكبرى، المؤلف: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، ت: حسنين محمد مخلوف، ط: دار المعرفة – بيروت.

٢٥٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: ابن حجر العسقلاني الشافعي، ت: محب الدين الخطيب، ط: دار المعرفة – بيروت.

٢٥٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، المؤلف: ابن رجب، ت: طارق بن عوض الله، ط: دار ابن الجوزي – السعودية – الدمام، الثانية – ١٤٢٢هـ.

٢٥٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: محمد صديق خان القِنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عبدالله الأنصاري، ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت

٢٥٥) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، المؤلف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت: عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر، ط: دار ابن الجوزي – الدمام – السعودية، الثانية – ١٤٢٢هـ .

٢٥٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط: دار الفكر – بيروت.

٢٥٧) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، ط: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الثانية – ١٩٧٧م.

٢٥٨) الفروسية، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ت: مشهور بن حسن، ط: دار الأندلس – السعودية – حائل، الأولى – ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م.

٢٥٩) الفروع وتصحيح الفروع، المؤلف: محمد بن مفلح المقدسي، ت: حازم القاضي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤١٨هـ.

٢٦٠) الفروق، المؤلف: أسعد بن محمد النيسابوري الكرابيسي، ت: د. محمد طموم، ط: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الأولى – ١٤٠٢هـ .

٢٦١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: ابن حزم الطاهري، ط: مكتبة الخانجي – القاهرة.

٢٦٢) الفصل للوصل المدرج في النقل، المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، ت: محمد مطر الزهراني، ط: دار الهجرة – الرياض، الأولى – ١٤١٨هـ.

٢٦٣) الفصول في الأصول، المؤلف: أحمد بن علي الجصَّاص، ت: د. عجيل جاسم النشمي، ط: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الأولى – ١٤٠٥هـ.

٢٦٤) فضائل القرآن للقاسم بن سلام، المؤلف: أبوعُبيد القاسم بن سلاّم الهروي، ت: مروان العطية وآخرون، ط: دار ابن كثير – دمشق.

٢٦٥) فضائل القرآن، المؤلف: ابن كثير، ط: دار المعرفة – بيروت – لبنان، الثانية – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢٦٦) فقه الأدعية والأذكار، المؤلف: عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر، ط: الكويت، الثانية – ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م.

٢٦٧) فقه السيرة، المؤلف: محمد الغزالي، خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، ط: دار الكتب الحديثة، السادسة –١٩٦٥م.

٢٦٨) الفقيه والمتفقه، المؤلف: أحمد بن علي الخطيب، ت: أبو عبدالرحمن عادل الغرازي، ط: دار ابن الجوزي – السعودية، الثانية– ١٤٢١هـ.

٢٦٩) فهم القرآن ومعانيه، المؤلف: الحارث المحاسبي، ت: حسين القوتلي، ط: دار الكندي - دار الفكر - بيروت، الثانية – ١٣٩٨هـ.

٢٧٠) الفوائد، المؤلف: شمس الدين محمد ب الزرعي، ط : دار الكتب العلمية – بيروت، الثانية – ١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م.

٢٧١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: عبد الرؤوف المناوي، ط: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الأولى – ١٣٥٦هـ.

٢٧٢) قاعدة في المحبة، المؤلف: أحمد عبد الحليم بن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، ط: مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة.

٢٧٣) قواطع الأدلة في الأصول، المؤلف: أبو المظفر منصور السمعاني، ت : محمد حسن محمد، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٢٧٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام، ت: محمود بن التلاميد الشنقيطي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٧٥) القواعد الحسان لتفسير القرآن، المؤلف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط: دار البصيرة – الإسكندرية – مصر.

٢٧٦) القوانين الفقهية، المؤلف: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، ت: محمد أمين الضناوي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٦م.

٢٧٧) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: أبو طالب المكي، ت: د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان، الثانية – ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م .

٢٧٨) القول السديد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: عبدالرحمن بن ناصر آل سعدي، ت: المرتضى الزين أحمد، ط: مجموعة التحف النفائس الدولية، الثالثة.

٢٧٩) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، المؤلف: حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي، ت: محمد عوامة، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، الأولى – ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.

٢٨٠) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف المطبوع في حاشية تفسير الكشاف للزمخشري، المؤلف: ابن حجر، ط: طبع دار المعرفة – ببيروت– لبنان.

٢٨١) الكافي في فقه أهل المدينة، المؤلف: يوسف بن عبدالله بن عبد البر، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤٠٧هـ .

٢٨٢) الكامل في التاريخ، المؤلف: علي بن أبي الكرم الشيباني، ت: عبدالله القاضي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الثانية– ١٤١٥هـ.

٢٨٣) الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: ابن عدي بن عبدالله الجرجاني، ت: يحيى مختار غزاوي، ط: دار الفكر – بيروت، الثالثة – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

٢٨٤) كتاب الأربعين حديثا، المؤلف: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، ت: بدر بن عبدالله البدر ، ط: دار أضواء السلف – الرياض، الثانية – ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠ م.

٢٨٥) كتاب الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين أو الأربعين الطائية، المؤلف أبو الفتوح مجد الدين محمد الطائي الهمذاني، ت: عبدالستار أبوغدة، ط: دار البشائر الإسلامية، الأولى – ١٤٢٠هـ–١٩٩٩ م.

٢٨٦) كتاب الأمالي وهي المعروفة بالأمالي الخميسية، المؤلف: المرشد بالله يحيى بن الحسين الجرجاني، ت: محمد حسن اسماعيل، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الأولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

٢٨٧) كتاب التوحيد، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب، ت: عبدالعزيز بن زيد الرومي وآخرون، ط: مطابع الرياض – الرياض، الأولى.

٢٨٨) كتاب الصفدية، المؤلف: أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، ط: دار الفضيلة – الرياض – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٢٨٩) كتاب العلم، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، اعتناء به: فهد السلمان، ط: دار الثريا، الثانية – ١٤١٧هـ.

٢٩٠) كتاب العين، المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال.

٢٩١) كتاب المختلطين، المؤلف: الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل العلائي، ت: د . رفعت فوزي، وعلي عبد الباسط، ط: مكتبة الخانجي – القاهرة – مصر، الأولى – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

٢٩٢) كتاب المختلطين، المؤلف: الحافظ صلاح الدين العلائي، ت: د. رفعت فوزي عبد المطلب، وعلي عبد الباسط، ط: مكتبة الخانجي – القاهرة – مصر، الأولى – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٢٩٣) كتاب سيبويه، المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، ت: عبد السلام محمد هارون ط: دار الجيل – بيروت، الأولى.

٢٩٤) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية، ت: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مكتبة ابن تيمية، الثانية.

٢٩٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف محمود بن عمر الزمخشري، ت: عبدالرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٩٦) كشف الأستار عن زوائد البزار، المؤلف: نور الدين الهيثمي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت،

٢٩٧) الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، المؤلف: أبو الوفا الحلبي الطرابلسي ، ت: صبحي السامرائي، ط: عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية – بيروت، الأولى – ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

٢٩٨) كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: عبدالرحمن ابن الجوزي، ت: علي حسين البواب، ط: دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٩٩) الكشف والبيان، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ت: أبي محمد بن عاشور، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، الأولى - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٠٠) الكواكب النيرات، المؤلف: محمد بن أحمد بن يوسف أبوالبركات الذهبي، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، ط: دار العلم - الكويت.

٣٠١) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: ابن عادل الحنبلي، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الأولى - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٣٠٢) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: دار صادر - بيروت، الأولى.

٣٠٣) لسان الميزان، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، ت: دائرة المعرف النظامية - الهند، ط: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الثالثة - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٠٤) ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، المؤلف: د. محمد بن عبدالله العوشن، ط: دار طيبة

٣٠٥) مأخذ العلم، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا، ت: محمد بن ناصر العجمي، ط: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الثانية - ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م.

٣٠٦) المبدع في شرح المقنع، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٠هـ.

٣٠٧) المبسوط، المؤلف: شمس الدين السرخسي، ط: دار المعرفة - بيروت.

٣٠٨) متشابه القرآن العظيم، المؤلف: أبوالحسين أحمد بن جعفر المنادي، ت: الشيخ عبدالله الغنيمان، ط: مكتبة لينة - دمنهور.

٣٠٩) متن العقيدة الطحاوية، المؤلف: أبو جعفر الطحاوي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، الأولى - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣١٠) مجاز القرآن، المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى، ت: محمد فؤاد سزكين، ط: مكتبة الخانجي - القاهرة.

٣١١) مجالس ثعلب، المؤلف: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، ت: عبد السلام هارون، ط: دار المعارف - القاهرة، الثانية - ١٩٦٠م.

٣١٢) المجالسة وجواهر العلم، المؤلف: أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري، ط: دار ابن حزم - لبنان - بيروت، الأولى - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣١٣) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، المؤلف: محمد بن حبان أبي حاتم التميمي، ت: محمود إبراهيم زايد، ط: دار الوعي - حلب، الأولى - ١٣٩٦هـ .

٣١٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: علي بن أبي بكر الهيثمي، ط: دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي - القاهرة وبيروت - ١٤٠٧هـ.

٣١٥) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، ط: الثريا للنشر - الرياض، الثانية - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣١٦) المجموع، المؤلف: محيي الدين النووي، ط: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٧م.

٣١٧) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب، ت: فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري، ط: مطابع الرياض - الرياض، الأولى.

٣١٨) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المؤلف: أبو القاسم الحسين الأصفهاني، ت: عمر الطباع، ط: دار القلم - بيروت - ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣١٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: ابن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية - لبنان، الأولى- ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٢٠) المحصول في علم الأصول، المؤلف: محمد بن عمر الرازي، ت: طه جابر فياض العلواني، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، الأولى - ١٤٠٠هـ.

٣٢١) المحلى، المؤلف: علي بن أحمد بن حزم الظاهري، ت: لجنة إحياء التراث العربي، ط: دار الآفاق الجديدة - بيروت.

٣٢٢) مختصر استدراك الذهبي على مستدرك الحاكم، المؤلف: ابن الملقن، ت: عبدالله بن حمد اللحيدان، ط: دار العاصمة - الرياض، الأولى - ١٤١١هـ.

٣٢٣) مختصر المزني (مطبوع ملحقا بالأم للشافعي)، المؤلف: إسماعيل بن يحيى المزني، ط: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٣م، الثانية.

٣٢٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر الزرعي، ت: محمد حامد الفقي، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الثانية - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣٢٥) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، المؤلف: علي بن أحمد بن حزم الظاهري، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٢٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن سلطان محمد القاري، ت: جمال عيتاني، ط: دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت، الأولى - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٢٧) مساوئ الأخلاق، المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي، ت: مصطفى الشلبي، ط: مكتبة السوادي للتوزيع - جدة، الأولى - ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٣٢٨) المستدرك على الصحيحين، المؤلف: محمد بن عبدالله الحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى- ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٣٢٩) المستصفى في علم الأصول، المؤلف: أبو حامد الغزالي، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤١٣هـ.

٣٣٠) مسند ابن الجعد، المؤلف: علي بن الجعد بن عبيد، ت: عامر أحمد حيدر، ط: مؤسسة نادر - بيروت، الأولى - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٣١) مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: سليمان بن داود أبو داود الطيالسي، ط: دار المعرفة - بيروت.

٣٣٢) مسند أبي يعلى، المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى، ت: حسين سليم أسد، ط: دار المأمون للتراث - دمشق، الأولى- ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٣٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن حنبل الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة، ط الأولى - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٣٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن حنبل الشيباني، ط: مؤسسة قرطبة - مصر.

٣٣٥) مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبدالله التبريزي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، الثالثة - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٣٦) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، المؤلف: أحمد بن أبي بكر الكناني، ت: محمد المنتقى الكشناوي، ط: دار العربية - بيروت، الثانية - ١٤٠٣هـ.

٣٣٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي المقري، ط: المكتبة العلمية - بيروت.

٣٣٨) المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت ط: مكتبة الرشد - الرياض، الأولى - ١٤٠٩هـ.

٣٣٩) المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، ت: د. ناصر الشثري، ط: دار كنوز إشبيليا - الرياض، الأولى - ١٤٣٦ه - ٢٠١٥.

٣٤٠) المصنف، المؤلف: عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، الثانية - ١٤٠٣هـ.

٣٤١) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، ت: د. سعد الشثري، ط: دار العاصمة - دار الغيث - السعودية، الأولى - ١٤١٩هـ.

٣٤٢) معالم الاستنباط في التفسير، المؤلف: د. نايف بن سعيد الزهراني، ط: مجلة معهد الإمام الشاطبي العدد الرابع، ١٤٢٨هـ.

٣٤٣) معالم التنزيل، المؤلف: البغوي، ت: خالد عبدالرحمن العك، ط: دار المعرفة – بيروت.

٣٤٤) معالم السنن شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبوسليمان حمد بن محمد البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية – حلب، الأولى – ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

٣٤٥) معاني القرآن الكريم، المؤلف: أبوجعفر النحاس، ت: محمد علي الصابوني، ط: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الأولى– ١٤٠٩هـ.

٣٤٦) معاني القرآن الكريم، المؤلف: علي بن حمزة الكسائي، ت: عيسى بن شحاته، ط: دار قباء – القاهرة، ١٩٩٨م.

٣٤٧) معاني القرآن للكسائي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الأولى– ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

٣٤٨) معاني القرآن وإعـرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري الزجاج، ت: د. عبدالجليل عبده شلبي، ط: عالم الكتب– بيروت، الأولى – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٤٩) معاني القرآن، المؤلف: يحي بن زياد الفراء، ط: عالم الكتب– بيروت، الثالثة – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٣٥٠) المعتمد في أصول الفقه، المؤلف: محمد بن علي بن الطيب، ت: خليل الميس، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤٠٣هـ.

٣٥١) معجم ابن الأعرابي، المؤلف: أبو سعيد أحمد بن محمد البصري الصوفي، ت: عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، ط: دار ابن الجوزي.

٣٥٢) معجم الأدباء، المؤلف: أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٣٥٣) المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني، ت: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط: دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥هـ.

٣٥٤) معجم البلدان، المؤلف: ياقوت بن عبدالله الحموي، ط: دار الفكر – بيروت.

٣٥٥) المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني، ت: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط: مكتبة الزهراء – الموصل، الثانية– ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

٣٥٦) المعجم الوسيط، أسماء المؤلفين: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، ت: مجمع اللغة العربية بمصر، ط: دار الدعوة – القاهرة.

٣٥٧) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الجيل – بيروت – لبنان، الثانية – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٣٥٨) معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، المؤلف: أبي الحسن أحمد بن عبدالله العجلي، ت: عبد العليم عبد العظيم البستوي، ط: مكتبة الدار – المدينة المنورة – السعودية، الأولى– ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٣٥٩) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المؤلف: ابن قدامة المقدسي، ط: دار الفكر – بيروت، الأولى– ١٤٠٥هـ.

٣٦٠) مفاتيح الغيب، المؤلف: محمد بن أحمد بن يوسف لخوارزمي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٣٦١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر الزرعي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٦٢) المفردات في غريب القرآن، المؤلف: الحسين بن محمد الأصفهاني، ت: محمد سيد كيلاني، ط: دار المعرفة – لبنان.

٣٦٣) المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، المؤلف: أبوالعباس القرطبي، ت: محي الدين مستو وآخرون، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، الأولى –١٤١٧هـ –١٩٩٦م.

٣٦٤) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، المؤلف: د. مساعد بن سليمان الطيار، ط: دار ابن الجوزي، الدمام، الثالثة – ١٤٢٧هـ.

٣٦٥) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، المؤلف: محمد السخاوي، ت: محمد عثمان الخشت، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، الأولى – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٣٦٦) مقدمة ابن خلدون، المؤلف: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، ط: دار القلم – بيروت، الخامسة – ١٩٨٤م.

٣٦٧) مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، المؤلف: أبوبكر محمد بن جعفر الخرائطي ، ت: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الأولى - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٦٨) المنتخب من مسند عبد بن حميد، المؤلف: عبد بن حميد بن نصر، ت: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، ط: مكتبة السنة – القاهرة، الأولى – ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٦٩) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المؤلف: عبدالرحمن بن علي الجوزي، ط: دار صادر – بيروت، الأولى - ١٣٥٨هـ.
٣٧٠) منهاج السنة النبوية، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، ط: مؤسسة قرطبة، الأولى – ١٤٠٦هـ.
٣٧١) منهج الاستنباط من القرآن الكريم، المؤلف: د. فهد بن مبارك الوهبي، ط: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمهعد الإمام الشاطبي، الأولى – ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٣٧٢) المنهيات، المؤلف: محمد بن علىالحكيم الترمذي ، ت: محمد عثمان الخشت، ط: مكتبة القرآن – القاهرة، الأولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٣٧٣) المهذب في فقه الإمام الشافعي، المؤلف: إبراهيم بن علي الشيرازي، ط: دار الفكر – بيروت.
٣٧٤) الموافقات في أصول الفقه، المؤلف: إبراهيم بن موسى اللخمي، ت: عبدالله دراز، ط: دار المعرفة – بيروت.
٣٧٥) موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، المؤلف: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، ط: دار المآثر - المدينة النبوية، الأولى – ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٧٦) موسوعة المدن العربية والإسلامية، المؤلف: د. يحيى شامي، ط: دار الفكر العربي – بيروت – لبنان، الأولى – ١٩٩٣م.
٣٧٧) الموضوعات، المؤلف: عبدالرحمن بن علي الجوزي، ت: توفيق حمدان، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
٣٧٨) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى – ١٩٩٥م.
٣٧٩) الناسخ والمنسوخ، المؤلف: أحمد بن محمد النحاس، ت: د. محمد عبد السلام محمد، ط: مكتبة الفلاح - الكويت، الأولى – ١٤٠٨هـ.
٣٨٠) نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، ت: حمدي السلفي، ط: دار ابن كثير – دمشق – بيروت.
٣٨١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: عبدالرحمن بن الجوزي، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط: مؤسسة الرسالة – لبنان - بيروت، الأولى - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٣٨٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: برهان الدين إبراهيم البقاعي، ت: عبدالرزاق غالب المهدي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٣٨٣) نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المؤلف: أحمد بن محمد المقري التلمساني، ت: د. إحسان عباس، ط: دار صادر - بيروت - ١٣٨٨هـ.
٣٨٤) نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، المؤلف: محمد بن علي القَصَّاب، ت: علي بن غازي التويجي وآخرون، ط: دار ابن القيم – الدمام، ودار ابن عفان - مصر، الأولى – ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٨٥) النكت والعيون، المؤلف: علي بن محمد الماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٣٨٦) النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر لمجد الدين ابن تيمية، المؤلف: إبراهيم بن مفلح الحنبلي، ط: مكتبة المعارف – الرياض، الثانية – ١٤٠٤هـ .
٣٨٧) نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ت: مفيد قمحية وآخرون، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الأولى - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٣٨٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: المبارك بن محمد الجزري، ت: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٨٩) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، المؤلف: محمد بن علي الحكيم الترمذي، ت: عبدالرحمن عميرة، ط: دار الجيل - بيروت، ١٩٩٢م.

٣٩٠) نواسخ القرآن، المؤلف: عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤٠٥هـ.

٣٩١) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط: دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣م.

٣٩٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المؤلف: محمد بن أبي بكر الزرعي، ط: الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.

٣٩٣) الهداية الى بلوغ النهاية، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب، ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة - الشارقة-الإمارات العربية، الأولى - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م .

٣٩٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، ت: محمد عبدالرحمن عوض، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الأولى - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٣٩٥) الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط: دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٩٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: علي بن أحمد الواحدي، ت: صفوان عدنان داوودي ط: دار القلم والدار الشامية - دمشق وبيروت، الأولى - ١٤١٥هـ.

٣٩٧) الورع، المؤلف: أحمد بن محمد بن حنبل ، ت: د. زينب إبراهيم القاروط، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٩٨) الورع، المؤلف: ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، ت: محمد بن حمد الحمود، ط: الدار السلفية - الكويت، الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٩٩) الوسيط، المؤلف: علي بن أحمد الواحدي، ت: عادل أحمد الموجود وآخرون، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الأولى - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤٠٠) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، ط: دار الثقافة - لبنان.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٢
❁ أهمية الموضوع وأسباب اختياره: ٦
❁ أهداف الموضوع: ٦
❁ الدراسات السابقة: ٧
❁خطة البحث: ١٤
❁منهج البحث: ١٦
شكر وتقدير: ١٦
❁المبحث الأول: مفهوم التفسير والاستنباط. ٢٠
❁المطلب الأول: مفهوم التفسير. ٢٠
❁المطلب الثاني: مفهوم الاستنباط. ٢٢
❁المبحث الثاني: تعريف التربية والسلوك، والسلف ﷺ. ٢٤
❁المطلب الأول: تعريف التربية. ٢٤
❁المطلب الثاني: تعريف السلوك. ٢٤
❁المطلب الثالث: تعريف السلف. ٢٤
❁المبحث الثالث: الفرق بين التفسير والاستنباط. ٢٥
❁المبحث الرابع: أهمية استنباطات السلف من القرآن الكريم. ٢٦
❁المبحث الخامس: منهج السلف في الاستنباط من القرآن الكريم. ٢٧
❁المبحث السادس: أشهر علماء السلف من جهة الاستنباطات. ٢٩
❁دلالات الاستنباط عند السلف ﷺ:- ٣١
الفصل الأول: الابتلاء ٣٣
❁الاستنباط الأول: (ابتلاء آدم ﷺ). ٣٤
❁الاستنباط الثاني:(المخرج من الذنب). ٣٩
❁الاستنباط الثالث:(عاقبة التَّنطع). ٤٣
❁الاستنباط الرابع:(إظهار الله لسريرة العبد). ٤٨
❁الاستنباط الخامس:(الثبات على الدين). ٥١
❁الاستنباط السادس:(جرأة الفاسق على الكبيرة). ٥٤
❁الاستنباط السابع:(صلاح الآباء سبب لحفظ الذرية). ٥٧
❁الاستنباط الثامن:(صغائر الذنوب لا تنفي العدالة إذا لم يصر عليها). ٦١
❁الاستنباط التاسع:(الحياة غُنم وغُرم). ٦٤
❁الاستنباط العاشر:(الخوف من رد العمل). ٦٨
❁الاستنباط الحادي عشر:(الأمن من مكر الله). ٧١

❁الاستنباط الثاني عشر:(حب الدنيا). ٧٥
❁الاستنباط الثالث عشر:(أثر الذنب على المؤمن). ٧٨
❁الاستنباط الرابع عشر:(الحسنة تمحو السيئة). ٨٢
❁الاستنباط الخامس عشر:(سبب ابتلاء يوسف عليه السلام). ٨٦
❁الاستنباط السادس عشر:(مرتكب المعصية وهو عالم يكون جاهلاً). ٩٥
❁الاستنباط السابع عشر:(المؤمن يشكر الله على جميع النعم). ٩٨
❁الاستنباط الثامن عشر:(الدعاء بالخاتمة الحسنة). ١٠٠
❁الاستنباط التاسع عشر:(الخوف من الشرك). ١٠٥
❁الاستنباط العشرون:(التقوى تمنع صاحبها من الذنوب). ١٠٨
❁الاستنباط الحادي والعشرون:(اختلاف حال المؤمن والمنافق في العبادة). ١١١
❁الاستنباط الثاني والعشرون:(حكم تمني الإكثار من الذنوب). ١١٤
❁الاستنباط الثالث والعشرون:(خيرة الله لعبده خير من خيرته لنفسه). ١١٨
❁الاستنباط الرابع والعشرون:(الهرب من أرض المعاصي). ١٢٢
❁الاستنباط الخامس والعشرون:(خص الله نبيه سليمان عليه السلام) ١٢٦
❁الاستنباط السادس والعشرون:(هل ما يصيب الأولاد بسبب الوالدين؟). ١٢٩
❁الاستنباط السابع والعشرون:(مجاهدة النفس). ١٣٤
❁الاستنباط الثامن والعشرون:(تمام التقوى). ١٣٨
❁الاستنباط التاسع والعشرون:(الرضا بالقضاء). ١٤١
❁الاستنباط الثلاثون:(مصائب الدنيا مقدرة). ١٤٥
❁الاستنباط الحادي والثلاثون:(المال والولد فتنة). ١٥٠
❁الاستنباط الثاني والثلاثون:(مكابدة الإنسان في الدنيا). ١٥٤
❁الاستنباط الثالث والثلاثون:(بركة العمل الصالح على من انقطع عنه لعذر). ١٥٨
الفصل الثاني: محاسن الأخلاق ١٦٢
❁الاستنباط الأول: (هل الاسترجاع عند المصائب خاص بهذه الأمة؟). ١٦٣
❁الاستنباط الثاني: (الاحتساب عند المصائب). ١٦٩
❁الاستنباط الثالث: (امتحان المؤمنين لبيان صبرهم). ١٧٢
❁الاستنباط الرابع: (نفقتك لنفسك). ١٧٦
❁الاستنباط الخامس: (فضيلة صفة الحلم). ١٧٩
❁الاستنباط السادس: (المشاورة). ١٨٣
❁الاستنباط السابع: (تسديد الله للمصلح). ١٨٦
❁الاستنباط الثامن: (فضل الشفاعة الحسنة). ١٨٩
❁الاستنباط التاسع: (كيفية التحية وجوابها). ١٩٣
❁الاستنباط العاشر: (ردّ السلام على غير المسلم). ١٩٩

❁الاستنباط الحادي عشر: (صيغة تحية الكافر)..٢٠٣
❁الاستنباط الثاني عشر: (مشروعية بعث السلام)..٢٠٨
❁الاستنباط الثالث عشر: (فضيلة مكافأة المحسن)..٢١١
❁الاستنباط الرابع عشر: (التناجي المحمود)..٢١٤
❁الاستنباط الخامس عشر: (الحب في الله)..٢١٨
❁الاستنباط السادس عشر: (الإنصاف في الحكم على الناس)..٢٢٣
❁الاستنباط السابع عشر: (وجوب الصدق)..٢٢٧
❁الاستنباط الثامن عشر: (وجوب اتقان العمل)..٢٣٢
❁الاستنباط التاسع عشر: (وجوب التأسي بالصالحين)..٢٣٦
❁الاستنباط العشرون: (الشكوى لله وحده)..٢٤١
❁الاستنباط الحادي والعشرون: (عفو يوسف عليه السلام)..٢٤٧
❁الاستنباط الثاني والعشرون: (عظم رحمة الأنبياء عليهم السلام)..٢٥٠
❁الاستنباط الثالث والعشرون: (تراحم المؤمنين)..٢٥٤
❁الاستنباط الرابع والعشرون: (أجمع آية في الحث على الخير واجتناب الشر)..٢٥٧
❁الاستنباط الخامس والعشرون: (الرفق واللين)..٢٦١
❁الاستنباط السادس والعشرون: (وجوب لزوم الجماعة)..٢٦٤
❁الاستنباط السابع والعشرون: (الإحسان إلى المؤمن)..٢٦٧
❁الاستنباط الثامن والعشرون: (العفو عن المؤمنين)..٢٧٠
❁الاستنباط التاسع والعشرون: (مكانة المرأة في الإسلام)..٢٧٣
❁الاستنباط الثلاثون: (خلق التغافل)..٢٧٦
الفصل الثالث: الأدب..٢٧٩
❁الاستنباط الأول: (إكرام الكبير والقريب)..٢٨٠
❁الاستنباط الثاني: (الحث على ترك الألفاظ المحتملة)..٢٨٥
❁الاستنباط الثالث: (الرفق بالحيوان)..٢٨٩
❁الاستنباط الرابع: (أداء حقوق الأبناء)..٢٩٣
❁الاستنباط الخامس: (العفو قبل العتاب)..٢٩٦
❁الاستنباط السادس: (الترغيب في التوبة)..٢٩٩
❁الاستنباط السابع: (الحرص على تجنب الألفاظ الموهمة)..٣٠٣
❁الاستنباط الثامن: (قول تصدق الله عليك)..٣٠٧
❁الاستنباط التاسع: (الحذر من تلقين الأبناء الشر)..٣١٠
❁الاستنباط العاشر: (بلاغة الأنبياء عليهم السلام)..٣١٣
❁الاستنباط الحادي عشر: (التفاضل إنما يكون بالتقوى)..٣١٦
❁الاستنباط الثاني عشر: (النهي عن قول زرعت)..٣١٩

۞الاستنباط الثالث عشر: (وجوب التثبت في الأخبار). ٣٢٣
۞الاستنباط الرابع عشر: (صفة أولياء الله مع القرآن).. ٣٢٧
۞الاستنباط الخامس عشر: (النهي عن تزكية النفس). ٣٣١
الفصل الرابع: العلم.. ٣٣٥
۞الاستنباط الأول: (ذم الرأي الذي ليس له أصل).. ٣٣٦
۞الاستنباط الثاني: (المحاجة بالباطل). ٣٤١
۞الاستنباط الثالث: (قياس إبليس الفاسد). ٣٤٤
۞الاستنباط الرابع: (فضل الجمع بين تعلم القرآن والفقه). ٣٤٧
۞الاستنباط الخامس: (وجوب اتباع الدليل).. ٣٥١
۞الاستنباط السادس: (الحذر من عالم السوء).. ٣٥٥
۞الاستنباط السابع: (فقه الفتوى). ٣٥٩
۞الاستنباط الثامن: (الخوف من الفتيا).. ٣٦٣
۞الاستنباط التاسع: (التؤدة في تعلم القرآن). ٣٦٧
۞الاستنباط العاشر: (أثر العلم على العبد في عبادته). ٣٧١
۞الاستنباط الحادي عشر: (فضل كتابة العلم).. ٣٧٥
۞الاستنباط الثاني عشر: (فضل العلم). ٣٧٩
۞الاستنباط الثالث عشر: (مضاعفة النعيم والعذاب). ٣٨٢
۞الاستنباط الرابع عشر: (آفة العلم).. ٣٨٦
۞الاستنباط الخامس عشر: (التحذير من اتباع الهوى).. ٣٩١
۞الاستنباط السادس عشر: (الفرق بين العلم والمال). ٣٩٥
۞الاستنباط السابع عشر: (فضيلة الوسطية والاعتدال).. ٤٠٠
۞الاستنباط الثامن عشر: (الدليل على حجية الإجماع).. ٤٠٦
۞الاستنباط التاسع عشر: (أول نعم الله على عبده).. ٤٠٩
۞الاستنباط العشرون: (المخرج من الذنب). ٤١٢
۞الاستنباط الحادي والعشرون: (أفرس الناس).. ٤١٥
الفصل الخامس: الذِّكر ٤١٩
۞الاستنباط الأول: (المداومة على الذِّكر).. ٤٢٠
۞الاستنباط الثاني: (الذِّكر أحب الأعمال إلى الله).. ٤٢٥
۞الاستنباط الثالث: (الذِّكر أفضل الطاعات). ٤٢٩
۞الاستنباط الرابع: (الذِّكر سبب لصلاة الملائكة على العبد). ٤٣٣
۞الاستنباط الخامس: (حسبنا الله ونعم الوكيل).. ٤٣٦
۞الاستنباط السادس: (شكر النِّعم).. ٤٤٠
۞الاستنباط السابع: (الحمد أول الكلام وآخره). ٤٤٤

۞الاستنباط الثامن: (كفارة النسيان)..٤٤٨
۞الاستنباط التاسع: (الذِّكر الذي به تحفظ النِّعم)...٤٥١
۞الاستنباط العاشر: (الجبال تتباهى بالذَّاكر)..٤٥٤
۞الاستنباط الحادي عشر: (ذِكر الركوب والنزول)...٤٥٨
۞الاستنباط الثاني عشر: (عقوبة نسيان الذِّكر)...٤٦٢
۞الاستنباط الثالث عشر: (الحمد أفضل نعم الدنيا)...٤٦٥
۞الاستنباط الرابع عشر: (إذا مر المصلي بآية فيها ذِكر النبي ﷺ)...............................٤٦٩
۞الاستنباط الخامس عشر: (هل يشرع الجمع بين الحمد والتهليل؟)...........................٤٧٤
۞الاستنباط السادس عشر: (ما ذا يقال بعد الفراغ من الأذان)....................................٤٧٨
۞الاستنباط السابع عشر: (بركة الطاعة وشؤم المعصية)...٤٨١
الفصل السادس: الدعـاء...٤٨٤
۞الاستنباط الأول: (فضل خفض الصوت بالدعاء)...٤٨٥
۞الاستنباط الثاني: (اسم الله الأعظم)..٤٨٨
۞الاستنباط الثالث: (تكرار ذكر ربوبيته)..٤٩٤
۞الاستنباط الرابع: (الاعتداء في الدعاء)..٤٩٨
۞الاستنباط الخامس: (الاستعاذة من مضلات الفتن)...٥٠٤
۞الاستنباط السادس: (الاستغفار سبب للرزق)..٥٠٩
۞الاستنباط السابع: (من توكل على الله كفاه)..٥١٣
۞الاستنباط الثامن: (دعوة نوح وإبراهيم عليهما السلام)..٥١٧
۞الاستنباط التاسع: (النهي عن الإشارة بإصبعين حال الدعاء)..................................٥٢٠
۞الاستنباط العاشر: (الدعاء أفضل العبادة)..٥٢٣
۞الاستنباط الحادي عشر: (فضل الدعاء عند نزول الغيث).......................................٥٢٧
۞الاستنباط الثاني عشر: (الدعاء بصلاح الذرية)...٥٣٠
الفصل السابع: مساوئ الأخلاق...٥٣٣
۞الاستنباط الأول: (الكذب أساس الخطايا)..٥٣٤
۞الاستنباط الثاني: (عظم شهادة الزور)..٥٣٨
۞الاستنباط الثالث: (التحذير من مجالسة أهل الباطل)..٥٤٣
۞الاستنباط الرابع: (ذم الخوارج لنقضهم العهد)...٥٤٧
۞الاستنباط الخامس: (الكبر أول الذنوب)..٥٥١
۞الاستنباط السادس: (طلب الأدنى من النعم مع وجود الأفضل)...............................٥٥٥
۞الاستنباط السابع: (طاعة الظالم في المعصية)..٥٥٩
۞الاستنباط الثامن: (التحذير من الخمر والعقوق والمنّ بالصدقة)................................٥٦٣
۞الاستنباط التاسع: (المعصية والعدوان سبب للهلاك)...٥٦٩

۞الاستنباط العاشر: (الكبر والغرور). ٥٧٣
۞الاستنباط الحادي عشر: (المكر والخديعة). ٥٧٧
۞الاستنباط الثاني عشر: (التحذير من البغي والمكر والنكث). ٥٨١
۞الاستنباط الثالث عشر: (التحذير من الكذب). ٥٨٥
۞ الاستنباط الرابع عشر: (شؤم الحسد على الحاسد). ٥٨٨
۞الاستنباط الخامس عشر: (عاقبة الظلم وخيمة). ٥٩١
۞الاستنباط السادس عشر: (ذم التبختر في المشي). ٥٩٥
۞الاستنباط السابع عشر: (ترك المكافأة تطفيف). ٥٩٩
الفصل الثامن: استنباطات متفرقة ٦٠٢
۞الاستنباط الأول: (البعوضة أضعف المخلوقات). ٦٠٣
۞الاستنباط الثاني: (سعة كرم الله وفضله). ٦٠٧
۞الاستنباط الثالث: (حكمة الله في شرعه). ٦١٠
۞الاستنباط الرابع: (فضل اتباع السنة). ٦١٤
۞الاستنباط الخامس: (دعاء مريم عليها السلام لذريتها). ٦١٨
۞الاستنباط السادس: (اصطفاء مريم بنت عمران عليها السلام). ٦٢٠
۞الاستنباط السابع: (مباهلة أهل الباطل). ٦٢٥
۞الاستنباط الثامن: (هل للكبائر عدد محدود؟). ٦٢٨
۞الاستنباط التاسع: (إذا تم الشيء فقد بدأ بالنقصان). ٦٣٢
۞الاستنباط العاشر: (مشروعية النظر في آيات الله). ٦٣٥
۞الاستنباط الحادي عشر: (إقامة الحجة). ٦٣٩
۞الاستنباط الثاني عشر: (سنة اليهود في السجود). ٦٤٢
۞الاستنباط الثالث عشر: (البشارة بالمكروه تهكماً). ٦٤٥
۞الاستنباط الرابع عشر: (الصفقة الرابحة). ٦٤٨
۞ الاستنباط الخامس عشر: (الإسلام دين رحمة ويسر). ٦٥٢
۞الاستنباط السادس عشر: (فضل العشيرة). ٦٥٦
۞الاستنباط السابع عشر: (تعبير الرؤيا ظني من غير الأنبياء عليهم السلام). ٦٦٠
۞الاستنباط الثامن عشر: (العين حق). ٦٦٣
۞الاستنباط التاسع عشر: (الشباب أسهل من الشيوخ). ٦٦٦
۞الاستنباط العشرون: (مقدار المطر متساوي في كل عام). ٦٧٠
۞الاستنباط الحادي والعشرون: (جواز ركوب البحر). ٦٧٤
۞الاستنباط الثاني والعشرون: (تعبير رؤيا تقاتل الشمس والقمر). ٦٧٨
۞الاستنباط الثالث والعشرون: (هيبة أصحاب الكهف). ٦٨١
۞الاستنباط الرابع والعشرون: (سمي الإنسان من النسيان). ٦٨٥

❁الاستنباط الخامس والعشرون: (الدنيا دار الشقاء)..٦٨٨
❁الاستنباط السادس والعشرون: (التحذير من لعبة الشطرنج). ٦٩١
❁الاستنباط السابع والعشرون: (كراهية السَّمر). ٦٩٧
❁الاستنباط الثامن والعشرون: (صفة نملة سليمان ﷺ)...٧٠١
❁الاستنباط التاسع والعشرون: (الجاهلية الأولى والثانية)..٧٠٦
❁الاستنباط الثلاثون: (شؤم الذنب على الدواب)...٧١١
❁الاستنباط الحادي والثلاثون: (يطلق القديم على الحولي)...٧١٥
❁الاستنباط الثاني والثلاثون: (الفرج عند تناهي الكرب). ٧١٨
❁الاستنباط الثالث والثلاثون: (العربية لغة أهل السماء). ٧٢١
❁الاستنباط الرابع والثلاثون: (ضعف حجة المرأة)..٧٢٤
❁الاستنباط الخامس والثلاثون: (تُبَّع رجل صالح). ٧٢٧
❁الاستنباط السادس والثلاثون: (دفع عذاب الكفار بسبب المؤمنين)...............................٧٣٠
❁الاستنباط السابع والثلاثون: (المطر رحمة يتبرك به)...٧٣٣
نتائج البحث: ٧٣٦
التوصيات: ٧٣٧
الفهارس الفنية...٧٣٨
فهرس الآيات القرآنية ٧٣٩
فهرس الحديث ٧٥٦
فهرس الآثار ٧٦٠
فهرس الأعلام ٧٦٦
فهرس المصادر والمراجع...٧٧٠
فهرس الموضوعات...٧٨٨